روايات مصرية للجيب

ملف المستقبل

سري جداً!!؟

العاصفة

131

الجزء الأول

د. نبيل فاروق

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع
ت: ٥٩٠٨٤٥٥ - ٢٨٣٥٥٥٤ - ٢٥٨٦١٩٧
فاكس: ٢٨٢٧٠٠٢

ملف المستقبل

فى مكان ما من أرض (مصر) ، وفى حقبة ما من حقب المستقبل ، توجد القيادة العليا للمخابرات العلمية المصرية ، يدور العمل فيها فى هدوء تام ، وسرِّية مطلقة ؛ من أجل حماية التقدُّم العلمى فى (مصر) ، ومن أجل الحفاظ على الأسرار العلمية ، التى هى المقياس الحقيقى لتقدّم الأمم .. ومن أجل هذه الأهداف ، يعمل رجل المخابرات العلمية (نور الدين محمود) ، على رأس فريق نادر ، تم اختياره فى عناية تامة ودقة بالغة ..

فريق من طراز خاص ، يواجه مخاطر حقبة جديدة ، ويتحدّى الغموض العلمى ، والألغاز المستقبلية ..

إنها نظرة أمل لجيل قادم ، ولمحة من عالم الغد ، وصفحة جديدة من الملف الخالد ..

ملف المستقبل .

د. نبيل فاروق

١ - هدوء الموت ..

ساد هدوء عجيب تلك المنطقة من صحراء (مصر) الغربية ، التى لم يمتدَّ إليها العمران بعد ، على الرغم من المنجزات الهائلة ، التى شهدتها نهايات القرن العشرين ، وبدايات القرن الحادى والعشرين ، وبدا للناظر وكأنها منطقة مهجورة ، تخلو من كل أثر للحياة ، حتى تلك التى تقتصر على حيوانات الصحارى الدنية ، وحشراتها الصلبة العديدة ..

ثم فجأة ، اقتحم ذلك الهدوء أزيز قوى ، راح يتصاعد ، ويرتفع بسرعة مدهشة ، قبل أن تبرز فى الأفق ، من منبت الشروق ، ثلاث حوَّامات ، بدت كوحوش ضارية ، تنقضّ محطمة الهدوء ، من قلب قرص الشمس ، الذى برز ضخمًا ملتهبًا ..

وانقلب حال المنطقة البكر رأسًا على عقب ، وتطايرت الرمال فى عنف ، مع دورة مراوح الحوَّامات الضخمة ،

وتعالى الأزيز ليبلغ حدًّا كبيرًا ، وانخفضت الحوَّامات ، لتستقر على رمال الصحراء ، فى نفس الوقت الذى اكتمل فيه قرص الشمس فى الأفق ، وراح يتخلَّى رويدًا رويدًا عن ألوانه الملتهبة ، ليكتسب صفرة هادئة ، والأشعة الذهبية تغمر المكان كله ، وتنعكس بتألقات مدهشة ، على الأجسام المعدنية للحوامات الثلاث ..

وفى توتر .. التقطت الدكتورة (ليلى) نفسًا عميقًا ، وهى تغادر حوَّامتها ، قائلة :

- يا له من فراغ مخيف ؟! لماذا اخترتم هذه البقعة بالذات ؟!

أجابها زميلها الدكتور (إسحاق) فى هدوء :

- إننا لم نختر شيئًا .. الأقمار الصناعية الاستكشافية هى التى تولَّت هذا .

انضمَ إليهما باقى أفراد الفريق العلمى ، وقالت الدكتورة (مارى) فى اهتمام شديد :

- أأنتم واثقون من أنها نفس البقعة ، التى سجلتها الأقمار ؟!

أجابها الدكتور (خالد) ، رئيس الفريق :

- بكل تأكيد .. لا يمكن حدوث أية أخطاء ، مع بحث إليكترونى دقيق كهذا .

ثم أشار بيده إلى المنطقة ، مستطردًا :

- الصور كلها تؤكِّد أن هذه المنطقة بالتحديد قد استقبلت ، منذ ملايين السنين ، واحدًا من أكبر النيازك ، التى نجحت فى اختراق غلافنا الجوى ، والارتطام بكوكبنا ، وأن ذلك النيزك مدفون تحت ثلاثين مترًا من الرمال والصخور ، ولولا وسائل التصوير والبحث المتقدِّمة ، التى اعتمدت على قياس كثافة القشرة الأرضية ، لما تم كشفه قط .

تابعت الدكتورة (ولاء) ، أصغر أفراد الفريق ، ذلك النشاط البالغ ، الذى امتدَ إلى المنطقة كلها ، دون أن تشارك زملاءها فى حديثهم العلمى ، مع انشغالها بما بدا لها وكأنه قمة النظام والتنسيق ، فى العالم أجمع ..

فما إن هبطت الحوامات الثلاث ، حتى اندفع منها حشد من الرجال والمعدات ، وراح الكل يعمل فى سرعة مدهشة ، لتركيب الخيام المكيفة ، وإعداد الأجهزة الحديثة ، وتنسيق أماكن العمل ومواقع البحث ، كما لو أن كل مخلوق يعرف عمله ومهمته بدقة بالغة ..

وفى أعماقها ، شعرت بمزيج من الانبهار والخوف والقلق ..

الانبهار بتلك التكنولوجيا المدهشة ، التى تتيح لعالمة (جيولوجيا) شابة مثلها أن تفحص جسمًا يختفى تحت ثلاثين مترًا من الرمال ، دون أن تضطر لحفر سنتيمتر واحد منها ..

والخوف من تلك الصحراء ، التى تمتدّ حولها إلى مدى البصر ، فى كل الاتجاهات ..

الصحراء التى لم تلتق بها وجهًا لوجه ، إلا اليوم فقط ..

أساليب الدراسة التماثلية الإليكترونية الحديثة ،

لم تضطرها قط للتواجد فى مناخ صحراوى حقيقى ، ما دام الكمبيوتر يمكنه محاكاة كل الأجواء والتضاريس بدقة مدهشة ، تجعلك تشعر وكأنك هناك بالفعل ..

أو أن هذا ما كانت تتصوَّره ..

حتى هذه اللحظة ..

المواجهة الحقيقية جعلتها تُدرك أن المحاكاة شىء ، والواقع شىء آخر .

تمامًا ..

لقد جابت برامج محاكاة الصحارى أكثر من خمسين مرة ..

ولكنها لم تشعر قط بذلك القلق ، الذى تشعر به ، وهى تواجه صحراء حقيقية ..

صحراء تبعث فى نفسها رهبة عجيبة ، وقلقًا مبهمًا ، لا يستند إلى أية افتراضات أو استنتاجات علمية صحيحة ..

« الرجال سينتهون من إعداد كل شىء ، خلال نصف الساعة القادمة .. »

انتزعتها عبارة الدكتور (خالد) من شرودها ، فالتفتت إليه قائلة :

ـ هل نبدأ عملنا على الفور ؟!

حملت عبارتها كل عصبيتها وتوترها ، دون أن تقصد هذا ، فتبادل الجميع ابتسامة مشفقة ، وربَّتت الدكتورة (مارى) على ظهرها فى حنان ، قائلة :

ـ اطمئنى .. ستعتادين هذا بسرعة .

ارتبكت الدكتورة (ولاء) ، وهى تغمغم :

ـ كنت أسأل عن ...

قاطعها الدكتور (إسحاق) بابتسامة هادئة :

ـ نعم .. ما إن ينتهوا من إعداد كل شىء ، حتى نبدأ على الفور .

سأله الدكتور (خالد) فى اهتمام :

ـ كم سيستغرق هذا فى رأيك ؟!

هزَّ الدكتور (إسحاق) كتفيه ، وقال :

ـ لم أستخدم هذه الأجهزة الحديثة من قبل قط ، ولكن الدراسات تقول ، إنها تعتمد على اختراق المواد المتماثلة ، بموجة من الأشعة ، التى ترتد بمجرَّد الاصطدام بجسم يختلف عن مادة الاختراق ، فى عناصره ، أو كثافته النوعية ، وبإمكانها استخدام التحليل الطيفى حينذاك ، لتحديد هويته وتكوينه .

سألته الدكتورة (ليلى) :

ـ وماذا لو أن ذلك الجسم مجرَّد صخرة عادية ؟!

أجابها بهدوء واثق :

ـ عندئذ يمكنك إعادة برمجة الموجة ، لتعود إلى اختراق ذلك الجسم أيضًا ، مع كل المواد المشابهة له فى التركيب ، والتوقُّف مرة أخرى عند أوَّل جسم جديد مختلف .

غمغم الدكتور (خالد) :

ـ فكرة عبقرية .

أشار الدكتور (إسحاق) بسبَّابته ، قائلاً :

ـ وبسيطة أيضًا ، ولكن كان على العالم أن ينتظر ، حتى تتطوَّر أجهزة الفحص الإشعاعى ، ليصبح تنفيذها ممكنًا .

همَّ الدكتور (خالد) بالتعليق ، لولا أن اتجه نحوه رجل فى زى عسكرى ، وأدَّى التحية العسكرية ، قائلاً :

ـ معدَّات المراقبة جاهزة للعمل .

أشار إليه الدكتور (خالد) ، قائلاً :

ـ ابدأ إذن .

أدى الرجل التحية العسكرية مرة أخرى فى قوة ، ثم دار حول نفسه ، وعاد إلى حيث يقف زميلان له ، لينفذ الأوامر ، فغمغمت الدكتورة (ولاء) فى عصبية :

ـ أكان من الضرورى أن يصحبنا العسكريون إلى هنا ؟!

أجابها الدكتور (خالد) فى هدوء :

ـ الأجهزة التى نستخدمها حديثة وغالية الثمن ، و ...

صمت بضع لحظات ، قبل أن يضيف فى حزم :

ـ وسرية .. للغاية .

بدت الدهشة على وجوه الآخرين ، وهم يتبادلون نظرة متوترة ، قبل أن تسأله الدكتورة (مارى) فى عصبية :

ـ ولماذا يندرج أى جهاز علمى تحت قائمة السرية البالغة ؟! إنه ليس سلاحًا عسكريًّا ..

ثم امتقع وجهها ، وهى تضيف ، بصوت ملؤه الذعر :

ـ أليس كذلك ؟!

صمت الدكتور (خالد) فترة أطول هذه المرة ، فتبادل العلماء نظرة هلعة هذه المرة ، قبل أن يسأل الدكتور (إسحاق) فى حذر :

ـ قل لى يا دكتور (خالد) : هل لعملك فى إدارة الأبحاث ، التابعة للمخابرات العلمية ، أى شأن بهذا الأمر ؟!

انعقد حاجبا الدكتور (خالد) فى صرامة ، لم يعتدها منه رفاقه ، وأشاح بوجهه فى صمت استغرق ما يزيد على دقيقة كاملة هذه المرة ، فشحب وجه الدكتورة (ولاء) بشدَة ، وراح قلبها يخفق فى قوة ، فى حين هتفت الدكتورة (ليلى) فى عصبية بالغة :

ـ لا بد أن نعلم .

أجابها الدكتور (خالد) فى صرامة ، دون أن يعيد وجهه إليهم :

ـ أعتقد أنه حقك .. حقكم جميعًا .

ودار بصره فى المعدات التى يتمّ تجهيزها ، وتوقَّف لحظة عند العسكريين الثلاثة ، الذين يتابعون أجهزة المراقبة بمنتهى الدقة ، ثم أعاد بصره إلى أفراد فريقه العلمى ، وهو يقول :

ـ كل هذه الأجهزة عسكرية .

شهقت النساء الثلاث ، فى حين اتسعت عينا الدكتور (إسحاق) عن آخرهما ، وهو يقول بصوت مبحوح ، من شدة الانفعال :

ـ عسكرية ؟!

أشار الدكتور (خالد) بيده ، قائلاً :

ـ ربما كانت هذه الأجهزة مثالية ، للبحوث العلمية والتكنولوجية ، ولكن الواقع أنها لم تعدَ فعليًا لهذا الغرض ، وإنما صنعت كأجهزة بحث عن الألغام القديمة ، المتخلِّفة عن الحرب العالمية الأولى ، والتى قُدِّر عددها ، فى (مصر) وحدها ، بأكثر من مليون لغم(*) ، وعن أية ألغام أخرى ، قد توجد فى عمق الصحراء ، ولقد قدَّر صانعوها أنه من الممكن أن يمتدَ استخدامها إلى البحث عن الآثار ، والتنقيب عن البترول ، وأمور جيولوجية أخرى عديدة ، ولكن أكبر فائدة يمكن الحصول عليها منها هى زرع أجهزة المراقبة الحديثة ، والتى يمكن أن تستقر على عمق عشرين مترًا من سطح الأرض ، وتعمل فى الوقت ذاته على جمع وبث المعلومات ، من خلال هوائى بالغ الدقة ، بحيث يمكن تمريره عبر تجويف شعرة بشرية .

(★) حقيقة .

هتفت الدكتورة (مارى) مبهورة :

ـ ألدينا أجهزة كهذه ؟!

أجابها الدكتور (خالد) ، فى سرعة وحزم :

ـ لدينا ولدى العدو أيضًا ، وكلانا يعلم استحالة العثور على تلك الأجهزة الرقابية الدقيقة ، لذا فكل جانب يبذل قصارى جهده ، للبحث عن وسائل جديدة لكشف تلك الأجهزة ..

ثم فرد قامته ، مضيفًا فى اعتداد مزهو :

ـ ولقد ربحنا نحن السباق ، حتى هذه اللحظة .

غمغم الدكتور (إسحاق) ، فى توتر بلا حدود :

ـ والعدو طبعًا لن يألو جهدًا ، فى سبيل الحصول على نتائج السباق .

صمت الدكتور (خالد) بضع لحظات ، ثم قال فى حزم :

ـ لست أرغب فى إخافتكم ، ولكن الحقيقة أن العدو لن يتورَّع عن سحقنا جميعًا ، بلا أدنى رحمة ، أو شفقة ، للحصول على الجهاز الرئيسى هنا ، والذى أطلقنا عليه اسم (المسبار الموجى ـ ١) ، أو (م م ـ ١) .

اتسعت عينا الدكتورة (ولاء) فى ارتياع ، وشهقت الدكتورة (مارى) فى ذعر ، ورفعت الدكتورة (ليلى) يديها ؛ لتسدَّ أذنيها ، وهى تُغلق عينها ، وكأنما تحاول عزل نفسها معنويًا عما يحدث حولها ، أما الدكتور (إسحاق) ، فقد غمغم :

ـ يا إلهى ! يا إلهى !

انقسمت ابتسامة على شفتى الدكتور (خالد) ، وكأنما راق له التأثير ، الذى تركه فى الجميع ، وشدَّ قامته أكثر ، وهو يقول :

ـ هيا أيها السادة .. الأجهزة معدَّة تمامًا ، وسنبدأ عملنا فورًا .

وبخطوات متوترة متثاقلة ، اتجه الكل نحو الأجهزة ، وراح كل منهم يؤدى دوره فى صمت ، فيما عدا الدكتور (إسحاق) ، الذى استقر أمام شاشة (م م ـ ١) ، وهو يتمتم بعبارات عصبية غير مفهومة ، والشاشة

تحمل شوشرة منتظمة ، استمرَّت بعض الوقت ، قبل أن يظهر فجأة جسم كروى ، جعله يقول فى توتر بالغ :

ـ ها هو ذا .

اتجه الجميع إليه فى انفعال ، وراحوا يتطلَّعون مبهورين إلى ذلك الجسم ، الذى احتلَّ معظم الشاشة ، وغمغمت الدكتورة (مارى) :

ـ أهذا هو النيزك الأثرى ، الذى يتحدثون عنه ؟!

قالت الدكتورة (ليلى) فى انبهار :

ـ إنه هنا منذ ملايين السنين .

وتألَّقت عينا الدكتور (خالد) ، مع قوله :

ـ كان ينتظر قدومنا ، كل هذا الزمن ..

تردَّدت الدكتورة (ولاء) بضع لحظات ، قبل أن تقول ، فى خفوت حذر :

ـ إنه لا يبدو لى نيزكًا حقيقيًا .

انتفض جسدها مع ذلك الأثر العنيف ، الذى أحدثته كلماتها الخافتة ، عندما التفت إليها الجميع فى حدة مندهشة مستنكرة ، فتراجعت متمتمة فى توتر شديد :

ـ إنه .. إنه مجرَّد رأى .

سألها الدكتور (إسحاق) فى عصبية :

ـ ماذا تعنين ؟!

لوَّحت بيدها ، قائلة :

ـ لا .. لا شىء .. إنه مجرَّد ..

قاطعها الدكتور (خالد) ، فى اهتمام بالغ :

ـ ماذا تقصدين بأنه لا يبدو كنيزك حقيقى ؟!

تردَّدت فى توتر أكثر ، ولكن العيون كلها كانت تحمل تساؤلاً كبيرًا ، مما جعلها تقول فى قلق :

ـ إنه جسم كروى منتظم ، منحنياته هادئة ناعمة ، وهذه ليست سمات نيزك عادى ، جاب الفضاء طويلاً ، وارتطم بملايين الصخور الصغيرة وذرات الرمال ، ثم اخترق غلافًا جويًا ، تحوَّل فيه إلى كتلة من اللهب ، قبل أن يرتطم بالأرض ، ويبرد فوقها ، ثم يتعرَّض لعوامل التعرية والتغطية ، لأكثر من مليون عام ، و ...

لم تستطع إكمال عباراتها ، من فرط توترها وعصبيتها ، فسعلت بافتعال ، متمتمة :

- إنه مجرَّد رأى .

ظلَوا يحدقـون فيهـا بضـع لحظـات ، بنفس النظرة المقلقـة ، قبل أن تغمغم الدكتـورة (مـارى) ، فـى اهتمام بالغ :

- رأى جدير بالبحث والدراسة .

هتفت الدكتورة (ولاء) :

- حقًّا ؟!

لم يبال أحدهم بهتافها ، وهـم يلتفتـون مـرة أخـرى إلى الشاشة ، والدكتور (خالد) يقول فى حماس :

- بالتأكيد .. ذلك الجسم مستدير متكوِّر على نحو أكثر إتقانًا بكثير ، مما يمكن أن يكون عليه نيزك عادى !

هتفت الدكتورة (ليلى) ، وقد انتقل إليها حماسه :

- انظروا أيضًا إلى قراءات الكمبيوتر .. المفترض أن هذا الجسم مدفون هنـا منـذ ملاييـن السنين ، كمـا تؤكِّد صور الأشعة الفضائية ، وعلى الرغم من هـذا ، فالسطح لا يعانى أية تآكلات ، أو شقوق ، وهذا أيضًا لا يتفق مع نيزك عادى .

بدا وكأن عدوى الحماس قد سرت فيهم جميعًا ، عندما قالت الدكتورة (مارى) فى انفعال عجيب :

- ربَّاه ! قراءات مقياس الطيف .. هل انتبـه إليها أحدكم ؟!

استدارت عيونهم جميعًا إلى شاشة مقياس الطيف(*)، وانطلقت مـن حلوقهـم شـهقة قويـة ، قبـل أن يهتـف الدكتور (خالد) فى ذهول :

- مستحيل !

أدار الدكتور (إسحاق) سبَّابته إلى مؤشر آخر ، وهو يقول بصوت مبحوح ، من فرط الانفعال الجارف :

- والكثـافة أيضًـا .. ذلـك الجسـم الكروى ليس .. ليس ..

(*) مقياس الطيف (Spectro Scope) : جهاز يستخدم لتحليل ألوان الطيف ، الناشئة أو المنعكسة عن أية مادة ، اعتمادًا على حقيقة علمية ، تؤكد أن لكل مادة فى الكون طيفًا يختلف عن أية مادة أخرى .

لم يستطع إكمال عبارته ، من شدَة انفعاله وجفاف حلقه ، فاكتفى بهزة رأس ، وتلويحة سبابة ، جعلتا حلوق الجميع تجف بشدَة ، حتى إن صوت الدكتور (خالد) خرج من حلقه شاحبًا ممتقعًا ، وهو يقول :

- لا بد من إبلاغ القيادة على الفور .

ثم انتزع نفسه من مكانه بصعوبة ، واتجه نحو جهاز الاتصال فى الحوامة الأولى ، متابعًا :

- من يدرى ؟! ربما قادتنا ملاحظتك هذه يا دكتورة (ولاء) ، إلى أعظم كشف علمى ، فى القرن الحادى والعشرين .

ردَدت الدكتورة (ولاء) بانبهار أكثر :

- حقًا ؟!

أومأ الدكتور (خالد) برأسه مؤيِّدًا ، وهو يواصل طريقه نحو الحوامة ، و ...

« دكتور (خالد) .. »

هتف قائد العسكريين الثلاثة باسمه ، فتوقَّف الرجل ، والتفت إليه ، مع عيون الجميع القلقة المتوترة ، فاتجه الضابط نحوه ، وقال فى عصبية :

- هناك شىء ما يقترب منا .

فى ظروف أخرى ، كان يمكن أن يستقبل الجميع هذه العبارة بشكل أو بآخر ..

أما فى تلك الظروف ، فقد كان رد فعلهم عجيبًا حقًّا ..

لقد تراجع الدكتور (إسحاق) بحركة حادة ، وشهقت الدكتورة (ليلى) والدكتورة (مارى) ، وقفزت الدكتورة (ولاء) من مكانها فى ذعر ، فى حين هتف الدكتور (خالد) :

- شىء ما ؟! ماذا تعنى بعبارة شىء ما هذه ؟!

هزَّ الرجل رأسه بنفس العصبية ، وهو يشير بيده إشارة مبهمة ، قائلاً :

- شىء ضخم ، هائل الحجم والارتفاع ، ولكنه ليس جسمًا ماديًّا ، كما تشير أجهزة المراقبة .

غمغمت الدكتورة (ولاء) بصوت مبحوح :

- ضخم هائل ، وليس ماديًّا .

ثم خطت بسرعة نحو جهاز المراقبة ، وألقت نظرة عليه ، قبل أن تهتف فى هلع :

- ربّاه !

سألها الدكتور (خالد) فى توتر :

- ماذا وجدت ؟!

استدارت إليه ، هاتفة فى ذعر :

- إنها عاصفة .. عاصفة رملية هائلة .

شهق الجميع فى ذعر شديد ، وهتفت الدكتورة (مارى) :

- عاصفة رملية ؟! مستحيل ! لقد راجعت نشرة التنبؤات الجوية بنفسى قبل أن نقلع ، و ...

قبل أن تتم عبارتها ، اتسعت عيون الجميع فى رعب ..

الجميع بلا استثناء ..

العلماء ..

والعاملون ..

وحتى العسكريون ..

فمن الأفق ، وأمام قرص الشمس ، الذى ارتفع كثيرًا ، تعالى حائط هائل من الرمال ..

حائط بدا أشبه بموجة محيط عاتية ، تكفى لإغراق حاملة طائرات عملاقة كاملة ..

حائط صنعته عاصفة رهيبة ..

ومباغتة ..

ومن كل الحلوق الملتاعة ، انطلقت صرخة هائلة ..

صرخة تحمل كل رعب الدنيا ..

أو كل رعب الكون ..

وقبل حتى أن تكتمل تلك الصرخة الهائلة ، كانت العاصفة تنقض مع حائط الرمال ، على كل شىء ..

وكان المشهد رهيبًا ..

رهيبًا بكل ما تحمله الكلمة من معان ..

كان أشبه بصفعة قوية ، من كف عملاق ضخم ، على وجه طفل فى الثانية من عمره ..

لقد أطاحت بكل شىء ، فى عنف ليس له مثيل ..

الخيام ..

والأجهزة ..

وحتى البشر ..

وراحت الدكتورة (ولاء) تُطلق صرخات عنيفة متلاحقة ، والعاصفة تقتلعها من مكانها ، وتلقى بها وسط بحر من الرمال ..

بحر يحيط بها من كل صوب ، ويطير بها بعيدًا ..

وأخذت العالمة الشابة تصرخ ..

وتصرخ ..

وتصرخ ..

لم تكن ترى شيئًا من حولها ، بعد أن حجب حائط الرمال ، الذى تدفعه العاصفة ، قرص الشمس ، وأحال ضوء النهار إلى ظلام دامس ..

ولكنها شعرت بجسد يرتطم بها ..

جسد بشرى ..

وسمعت صرخة ..

بل صرخات ..

صرخات تحمل كل رعب الدنيا ..

مع رائحة مخيفة ..

رائحة الموت ..

وضاق صدرها ، من شدة الرعب والألم ..

وانحبست أنفاسها ..

واختنقت أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

وكأنما اختفى الأكسجين من الهواء ..

تمامًا ..

وبكل ما تبقَّى فى صدرها ، أطلقت الدكتورة (ولاء) صرخة أخيرة ..

ثم فقدت وعيها دفعة واحدة ..

وبمنتهى العنف ، راحت العاصفة الرهيبة تدفعها بعيدًا ..

بعيدًا ..

بعيدًا ..

وفجأة ، وبلا مقدمات ، وتمامًا كما بدأت ، انتهت العاصفة بغتة ..

وعادت أشعة الشمس الذهبية تغمر ذلك الجزء من الصحراء ، الذى استعاد حالة الهدوء التام ..

هدوء الموت .

* * *



٢ - بلا أثر ..

سرت موجة قوية من التوتر ، فى كيان (نشوى) ، عندما تحرَّك ذلك الخيط من الليزر الأزرق على وجهها ، وراح يتذبذب بإيقاع منتظم ، وهى تجلس على مقعد كبير ، داخل قاعة الاستجواب الخاصة ، فى مقر إدارة المخابرات العلمية المصرية ..

كانت تعلم ، بحكم دراستها وخبرتها ، أن ذلك الخيط الليزرى الأزرق يصنع صورة ثلاثية الأبعاد لوجهها ، الذى يُعرض على شاشة كبيرة ، فى حجرة المحققين ، لدراسة ردود أفعالها ، مع كل سؤال ..

وعبر مكبرات صوتية خاصة ، تضفى على صوت المتحدِّث رنينًا يبعث الرهبة فى النفوس ، أتاها صوت صارم ، يقول :

- سيدة (نشوى نور الدين) .. أنت متهمة باختراق نظام عسكرى دفاعى على أعلى مستوى ، وتعريض



وعبر مكبرات صوتية خاصة ، تضفى على صوت المتحدِّث رنينًا يبعث الرهبة فى النفوس ، أتاها صوت صارم ؟

أمن وسلامة البلاد لخطر داهم .. ما أقوالك إزاء هذه التهمة(*).

التقطت نفسًا عميقًا ، وحاولت أن تسيطر على انفعالاتها ، التى تنقلها الشاشة الكبيرة إلى المحققين بمنتهى الدقة ، وهى تجيب :

- الظروف كانت تحتم تجاوز النظم التقليدية ، وكنت أعلم أن هذا لن يعرِّض أمن وسلامة البلاد لأية أخطار .

سألها الصوت بنفس الصرامة :

- وكيف يمكنك معرفة هذا ؟!

أجابته فى سرعة :

- أنا خبيرة كمبيوتر ، ومسئولة عن متابعة نظم الأمن العام .

قال الصوت فى خشونة :

- وهل تصوَّرت أن هذا يمنحك الحق فى تجاوز النظم والقوانين ؟!

(*) راجع قصة (القوة) .. المغامرة رقم ١٣٠

لم تستطع إخفاء توترها هذه المرة ، وهى تجيب :

ـ الأمور كانت تحتاج إلى تصرُّف عاجل ، وهذا ما أثبتته الأحداث فيما بعد .

سألها الصوت :

ـ أيَّة أحداث ؟!

تردَّدت لحظة ، قبل أن تجيب فى حزم عصبى :

ـ هذا مسجَّل فى التقرير رقم (٧١٩١ ـ د) ، فى المخابرات العلمية .

سألها الصوت :

ـ وما الذى يحويه ذلك التقرير ، السالف الذكر ؟!

تردَّدت بضع لحظات ، ثم أجابت فى حزم :

ـ كل التفاصيل .

انعقد حاجبا وزير الدفاع ، الذى يدير التحقيق بنفسه ، وتطلَّع فى غضب إلى النموذج ثلاثى الأبعاد ، الذى تصنعه خيوط الليزر لوجه (نشوى) ، بكل خلجاته وانفعالاته ، قبل أن يلتفت إلى القائد الأعلى

للمخابرات العلمية ، الذى يجلس إلى جواره ، داخل حجرة التحقيقات الخاصة ، قائلاً فى عصبية :

ـ ما الذى تفعله هذه المرأة بالضبط ؟!

أخفى القائد الأعلى ابتسامته ، وهو يجيب فى حزم :

ـ تنفذ الأوامر .

هتف الوزير فى حدة :

ـ أية أوامر ؟!

أجابه بنفس الحزم :

ـ الأوامر التى تحتم عليها عدم كشف أية أسرار خاصة بالعمل ، إلا فى حضور مندوب رسمى من المخابرات العلمية ، وبناء على طلب قانونى ، موقَّع من رئيس الجمهورية شخصيًا .

ازداد انعقاد حاجبى وزير الدفاع ، وهو يقول فى غضب :

ـ ما الذى يعنيه هذا ؟! هل ستفلت من العقاب ، بسبب تعقيدات قانونية سخيفة كهذه ؟!

هزَّ القائد الأعلى رأسه ، قائلاً :

ـ (نشـوى) اعتـرفت بالذنب ، وأصبحت ـ من الناحية القانونية ـ تستحق أقصـى عقاب ينصّ عليه القانون ، ولكننا نتحدَث عن أمر قانونى آخر .

رسم الغضب خطوطه الغائرة على وجه الوزير ، وهو يقول فى صرامة :

ـ ستحصل على أقصى عقاب ، هى وفريقها كله .. خذها منى كلمة بهذا .

قال القائد الأعلى فى حزم :

ـ القانون لا يعاقب فريقًا كاملاً ، بسبب خطأ أحد أفراده .

نهض الوزير ، قائلاً بصرامة أكثر :

ـ ولكن القانون نفسه ينصّ على أن القائد مسئول مسئولية مباشرة عن أخطاء رجاله .

والتقط قبعته الرسمية ، وارتداها فى حدة ، مضيفًا :

ـ وأنا أعدك بأن تلك المهمة غير الرسمية ، التى جعلت رجالك يقتحمون شبكة أسرارنا ، على هذا النحو الفج ، ستكون آخر مهمة للمقدَم (نور الدين) وفريقه العائلى .

ثم انحنى يضغط زر الاتصال الصوتى ، قائلاً فى صرامة عصبية :

ـ سيِّدة (نشوى) .. انتهى الاستجواب .

واعتدل ليغادر حجرة التحقيقات كالعاصفة ، تاركًا (نشوى) خلفه ، ترتجف من فرط التوتر والانفعال ، والقائد الأعلى وقد انغرس فى مقعده ، وامتزج حاجباه فى توتر شديد ، وقد سيطر على ذهنه سؤال واحد ..

أهى بالفعل نهاية فريق (نور) ؟!

هل انتهى هنا تاريخهم كله ؟!

هل ؟!

★ ★ ★

مرة أخرى اخترق أزيز الحوَّامات تلك المنطقة ، التى نسيها العمران ، فى قلب صحراء (مصر) الغربية ..

وفى هذه المرة ، كان الأزيز قويًا ..

هادرًا ..

وغزيرًا ..

أكثر من ثلاثين حوامة نفاثة ، حلقت فوق المنطقة ، وراحت تدور حولها ، فى دائرة نصف قطرها ستة كيلومترات كاملة ، وبداخلها فريق ضخم من رجال الجيش ، والعلماء ، وخبراء الأمن ..

ولساعة كاملة ، انهمك الكل فى البحث عن المفقودين ، وفحص المنطقة بأكملها ، قبل أن يضغط قائد الفريق زر جهاز الاتصال فى حوامته ، قائلاً :

ـ من الفريق (دال) إلى القيادة .. لا يوجد أدنى أثر لفريق البحث الجيولوجى أو معداته ، فى المنطقة كلها .. بل ولا أثر لحدوث اشتباك أو قتال من أى نوع .

أتاه صوت قائده ، قائلاً فى توتر :

ـ ما الذى يعنيه عدم وجود أدنى أثر ؟! الفريق

هبط فى تلك البقعة بالتأكيد ، كما سجلت أجهزة الكمبيوتر ، وصور الأقمار الصناعية ، ووسائلهم اللاسلكية .. لابد من وجود أثر للهبوط على الأقل .

أجابه قائد الفريق الجديد :

ـ لا يوجد أدنى أثر يا سيدى .. المنطقة هادئة تمامًا ، وتعرجات الرمال المنتظمة المتناسقة ، توحى بأن قدمًا لم تطأها ، منذ عدة سنوات على الأقل .

هتف رئيسه :

ـ مستحيل ! هناك شىء خطأ حتمًا .

قال قائد الفريق :

ـ هل نواصل البحث ؟!

أجابه رئيسه فى حزم :

ـ بالتأكيد .. وبصورة مباشرة .. اهبطوا فى المنطقة ، وانتشروا فيها .. افحصوا كل شبر منها ، ولا تعودوا قبل أن تحصلوا على دليل .. أى دليل يرشدنا إلى ما حدث .

قال قائد الفريق :

ـ عُلِمَ وسينفَّذ يا سيِّدى .

وبإشارة لاسلكية ، هبطت عشرون حوَّامةً على رمال الصحراء ، وانتشر رجالها فى المنطقة ، شاهرين أسلحتهم ، للبحث عن المفقودين ، فى حين بقيت عشر حوامات تحلِّق فى السماء ، لحمايةِ الباقين ، ومواصلة عمليات البحث الجوى .

ولكن الصورة من أسفل لم تختلف كثيرًا عنها بأعلى ..

كل شىء ظلَّ هادئًا صامتًا ، باستثناء آثار أقدام فريق العسكريين والعلماء ، التى أفسدت نسق ورتابة تعرجات الرمال ..

وبعد ساعة كاملة من البحث ، أجرى قائد الفريق اتصاله مرة أخرى بالقيادة :

ـ النتائج سلبية .. لا يوجد أدنى أثر ، تم فحص المنطقة بكاملها ثلاث مرات .

جاوبه الصمت بضع دقائق ، بدت أشبه بدهر كامل ، قبل أن يأتيه صوت رئيسه ، قائلاً :

ـ من القيادة إلى الفريق (دال) .. انتهت المهمة .. اجمع فريقك ، وعد فورًا .

مطَّ القائد شفتيه ، وكأنما لا يروق له إنهاء المهمة بهذا الأسلوب ، وقال :

ـ فريق العلماء أمكنه تحديد موقع الهدف الرئيسى ، ويطلب الإذن بالبقاء ؛ لمتابعةَ البحث العلمى ، لعله يجد فيه تفسيرًا لما حدث ..

أجابه رئيسه فى صرامة :

ـ سلبى .. عد فورًا .. انتهى الاتصال .

وفى ضيق واضح ، أنهى قائد الفريق الاتصال ، واستدار إلى رئيس الفريق العلمى ، قائلاً :

ـ غير مسموح لكم بالبقاء .

هتف رئيس الفريق العلمى مستنكرًا :

ـ ولكن هذا غير عادل .. لقد حملنا معنا كل الأجهزة اللازمة ، و ...

قاطعه القائد فى صرامة ، تحمل الكثير من الضيق :

ـ الأوامر هى الأوامر .

وبإشارة من يده ، عاد الجميع إلى الحوامات ، التى أقلعت لتنضمَ إلى رفيقاتها فى سماء المنطقة ، ثم انطلق السرب كله عائدًا إلى (القاهرة) الجديدة ..

ومرة أخرى ، غرقت المنطقة فى صمت تام ..

وهدوء عجيب ..

بلا حدود ..

وبلا أثر ..

★ ★ ★

« وزير الدفاع يصرّ على حل الفريق ، وتقديمكم جميعًا إلى محاكمة عسكرية يا (نور) .. »

نطق القائد الأعلى للمخابرات العلمية العبارة فى ضيق شديد ، ولوَّح بيده فى عصبية لم يحاول إخفاءها ، وهو يضيف :

ـ المشكلة أنه يهدِّد بالاستقالة ، لو لم يعتمد السيد رئيس الجمهورية قراره هذا .

شعر (نور) بغصة فى حلقه ، وهو يقف أمام القائد الأعلى ، منعته من التعليق على ما يسمعه ، فاكتفى بوقفته العسكرية المشدودة ، محاولاً إخفاء مرارته وضيقه ، فتطلَّع إليه الدكتور (جلال) لحظة ، قبل أن يقول فى حنق :

ـ هذا ظلم .. الأمر لا يستحق كل هذا .

هزَّ القائد الأعلى رأسه ، قائلاً :

ـ القرار له مبرراته ، من الناحية القانونية المحضة ، وسيادة وزير الدفاع يستند إلى عدم حق أى مواطن ، فى اختراق شبكات الدفاع العسكرية ، تحت أية ظروف ، ومهما كانت الأسباب والمبررات .

وتنهَّد فى عمق ، مضيفًا :

ـ ثم إنه يعتبر الأمر إهانة شخصية .

انتزع (نور) نفسه من كل انفعالاته ، ليقول :

ـ هذا لا يهم يا سيِّدى .

خرجت العبارة من بين شفتيه خشنة جافة ، على الرغم منه ، فتطلَّع إليه الرجلان فى دهشة ، قبل أن يهتف القائد الأعلى مستنكرًا :

ـ لا يهم ؟!

تنحنح (نور) فى توتر ، وقال :

ـ ما أقصده هو أن فريقى سيبذل حياته دومًا ، فى سبيل (مصر) ، سواء أكان يحتلَّ منصبًا رسميًا أم لا .

تطلَّع الرجلان إليه لحظة فى صمت ، قبل أن يغمغم الدكتور (جلال) بابتسامة حنون :

ـ أنا واثق من هذا .

أما القائد الأعلى ، فقد تراجع فى مقعده ، وتمتم :

ـ يا لسخافة الرسميات .

شدَّ (نور) قامته ، قائلاً :

ـ سيِّدى .. هل تسمح لى بتقديم استقالة جماعية للفريق ؟!

تبادل الرجلان نظرة ملؤها الألم والأسى ، قبل أن ينهض القائد الأعلى من خلف مكتبه ، قائلاً :

ـ لم يعد هذا مجديًا يا (نور) .

ثم وضع يده على كتفه ، وزفر فى أسى ، مضيفًا :

ـ لقد صدر قرار جمهورى بإعفائكم جميعًا من مناصبكم ، وتقديمكم إلى محاكمة عسكرية ، بتهمة تجاوز التعليمات والقوانين ، على نحو عرَّض أمن وسلامة البلاد للخطر .

وقفزت غصة أخرى إلى حلق (نور) ..

غُصة أضخم من سابقتها ..

ألف مرة ..

ومن كل ذرة فى كيانه ، تصاعدت مرارة ..

فيض من المرارة ، غمر مشاعره كلها ، وأغرق كل خلية من خلايا نفسه .

وحاول أن يقول شيئًا ..

أى شىء ..

ولكن كل إرادته وقوته عجزتا عن تجاوز الموقف .

عيناه وحدهما ، عبرتا عن كل ما يشتعل فى أعماقه ، حتى إن الدكتور (جلال) هتف فى حنق ساخط :

ـ فلتذهب كل الرسميات إلى الجحيم .

أما القائد الأعلى ، فقد تطلَّع إلى عينى (نور) الحزينتين ، ثم ربَّت على كتفه ، قائلاً فى صوت خافت :

ـ لن يمكنهم الاستغناء عنك طويلاً يا (نور) .. صدقنى .. لن يمكنهم الاستغناء عن فريق كفريقك قط .

هزَّ (نور) رأسه ممتنًا للمجاملة ، ومعلنًا تفهُّمه للأمر ، ولكن تلك الغصة فى حلقه واصلت إصرارها على منعه من الكلام ، فتراجع خطوة واحدة ، وأدى التحية العسكرية فى قوة ، ثم دار على عقبيه ، وغادر حجرة القائد الأعلى ..

وفى أعمق أعماقه ، تضاعف نهر المرارة ألف مرة ، وفاض حتى طغى على كل مشاعره الأخرى ، وهو يستقل ذلك المصعد الأسطوانى ، الذى ينبعث داخله ذلك الضوء البنفسجى الهادئ ، صاعدًا إلى حيث يغادر مبنى الإدارة كله ..

وفى اللحظة التى تجاوز فيها أبواب المبنى ، بعد أن سلَّم سلاحه وهويته ، هوى قلبه فى عنف بين

قدميه ، وصرخ الألم والأسى فى أعماقه ، يعلنان أنه يغادر المخابرات العلمية لآخر مرة ..

وإلى الأبد ..

* * *

عضَّ (أكرم) شفتيه ، فى مرارة بلا حدود ، وهو يهتف بكل غضب الدنيا :

ـ مستحيل ! مستحيل أن يفعلوا بنا هذا ، بعد كل ما قدمناه لهم ! مستحيل !

قال (نور) فى ضيق ، وهو يلقى سترته الجلدية على أقرب مقعد إليه :

ـ إننا لم نقدم كل هذا لهم ، ولكن للوطن .

هتفت (نشوى) :

ـ وهكذا يكافئنا الوطن .. أليس كذلك ؟!

أشاح (نور) بوجهه ، و(سلوى) تضيف فى حزن :

ـ كان ينبغى أن يعاقبونا وحدنا .. (نشوى) وأنا .. لقد أسأنا بحماقتنا لكم جميعًا .

ابتسم (رمزى) فى وهن ، وهو يشير بيده ، قائلاً :

- حماقتكما هذه أنقذت حياة ثلاثتنا .. (نور) و (أكرم) ، وأنا .

واحتضنتها (مشيرة) فى امتنان ، قائلة :

- هذا يعنى أننى أدين لكما بحياتى أيضًا .

وتبادلت نظرة دلال مع زوجها (أكرم) ، قبل أن تضيف :

- وبروحى أيضًا .

تنهّد (أكرم) ، وهزّ رأسه ، قائلاً :

- عجبًا ! هذه المرأة الدافئة الحنون تشبه زوجتى ، ولكن ..

اعتدلت (مشيرة) ، هاتفة فى شراسة :

- ولكن ماذا ؟!

ضحك هاتفًا :

- آه .. ها أنذا أتعرّفها .. إنها زوجتى بكل تأكيد .

كان يتوقّع أن يضحك الجميع لدعابته ، ولكن صمتًا ثقيلاً زاد الحجرة لحظات ، جعله يتنحنح فى حرج ، قائلاً :

- المهم أننا جميعًا بخير ، والعمل لا يقتصر فى الدنيا على عالم المخابرات العلمية .

نهضت (مشيرة) ، واتجهت نحوه ، وطوّقته بذراعيها ، قائلة :

- على الأقل ، عندما تعملون فى وظائف مدنية ، ستنتهى حالة الهلع ، التى كنت أحيا فيها ، كلما خرجتم لمهمة ما ، من تلك المهام المفزعة الرهيبة ، التى اعتدتم القيام بها .

تبادل أفراد الفريق نظرة صامتة ، قبل أن يغمغم (رمزى) :

- صدقينى .. سأشتاق كثيرًا إلى تلك الحياة .

غمغم (أكرم) فى أسى :

- لقد اشتقت إليها بالفعل .

عضت (نشوى) شفتيها فى ألم ، وأرقدت (محمود) الصغير على الأريكة المجاورة فى رفق ، ثم ربّتت على كتف زوجها (رمزى) فى إشفاق ، قائلة فى حزن جارف :

ـ من الواضح أننا قد أسأنا إليكم كثيرًا .

وانفجرت فجأة باكية ، وهى تضيف :

ـ ولكننى كنت مضطرة .

قفزت إليها (سلوى) ، واحتوتها بين ذراعيها فى حنان مشفق ، فى حين أمسك (رمزى) يدها ، قائلاً :

ـ عزيزتى .. كل منا يؤدى واجبه فحسب ، ولا يمكننا قط أن نستنتج أو نتيقّن من النتائج .. ولو أننى فى موضعك ، لفعلت حتمًا ما فعلتماه ، (سلوى) وأنت .

أضاف (نور) فى حزم :

ـ ثم إننى واثق مما قاله القائد الأعلى .

وصمت لحظة ، ثم أضاف :

ـ لن يمكنهم الاستغناء عنا طويلاً ..

قالها ، وازدرد غصة جديدة ، برزت مرة أخرى فى حلقه ، وتطلّع فى عيونهم جميعًا وقبضة باردة كالثلج تعتصر قلبه ..

وكان من الواضح أن أحدًا لم يصدق ما قاله ..

أو يشعر به ..

لقد نمت فى حلوقهم جميعًا غصة واحدة ..

غصة هائلة ..

ومؤلمة ..

إلى أقصى حد ..

* * *

لم تكن الشمس قد أشرقت بعد ، على تلك البقعة الغامضة من صحراء (مصر) الغربية ، عندما ارتفع فيها أزيز الحوامات العسكرية للمرة الثالثة ..

أربع حوامات عملاقة ، حلّقت فى السماء ، واتجهت مباشرة نحو البقعة نفسها ، لتهبط على رمال الصحراء ..

وقبل حتى أن تستقر فوقها ، كان الجنود يثبون منها ، ويندفعون لإحاطة المكان كله بدائرة كبيرة منهم ، حاملين أقوى أسلحتهم وأحدثها ، ومتحفزين لمواجهة أى خطر .. أى خطر ..

وعندما هبطت الحوامات العملاقة ، انضمت إليهم أربع سيارات مدرعة ثقيلة ، على متن كل منها مدفع ليزرى قوى ، وفريق من قوات الصاعقة ، المدربة على مواجهة جيوش بأكملها ..

وأخيرًا خرج أربعة من العلماء ، مع معدات بحث جديدة ، على رأسها نسخة أخري من (م م ـ ١) ..

ولم يتبادل الرجال حرفًا واحدًا ..

لقد اتخذ كل منهم موقعه ، وبالذات فريق العلماء الصغير، الذى راح يعمل على تشغيل الأجهزة العلمية ، وجهاز (م م ـ ١) ، وتوصيل كل هذا بأجهزة بث خاصة ، تنقل المشاهد والنتائج لحظة فلحظة ، إلى الجهاز العلمى للقوات المسلحة ..

وما إن انتهى العلماء من إعداد كل شىء ، حتى بدءوا عملية البحث الرئيسية ..

وأطلق (م م ـ ١) موجاته عبر الرمال ..

عبر ثلاثين مترًا منها ..

وعلى الشاشة ، بدت تلك الشوشرة المنتظمة لبعض الوقت ..

ثم ظهر الجسم الكروى ..

وراحت الأجهزة تسجل بياناتها ..

وترسلها فورًا إلى الجهاز العلمى العسكرى ..

وفى انبهار ، هتف أحد العلماء :

ـ ربّاه ! إنه لا يبدو لى كنيزك عادى !

هتف آخر :

ـ بالتأكيد .. إنه كامل الاستدارة ، منتظم ، و ...

وكأنما يعيد التاريخ نفسه ، راح الأربعة يتبادلون نفس العبارات ـ تقريبًا ـ التى تبادلها علماء الفريق الأوّل ..

وفى الوقت ذاته ، كان وزير الدفاع شخصيًا يتابع ما ينقله (م م ـ ١) ، على شبكة كبيرة ، داخل الجهاز العلمى العسكرى ، وهو يهتف :

ـ مستحيل ! لا يمكن أن يكون الأمر كذلك .

أجابه رئيس الجهاز العلمى فى عصبية :

ـ الصور ونتائج الفحص واضحة تمامًا يا سيادة الوزير .. راجع بنفسك نتائج الفحص المباشر ، وقراءات مقياس الطيف .. من المستحيل أن يكون ذلك الشىء مجرَّد تكوين عشوائى .

هتف الوزير مبهورًا :

ـ ولكنه هناك ، منذ ملايين السنين .

أجابه العالم فى حسم :

ـ لا يوجد أدنى شك فى هذا .. كلِ النتائج الأولية ، لفحص الأقمار الصناعية الجديدة تؤكد هذا .

قال الوزير فى عصبية :

ـ كيف إذن ؟

قاطعه العالم فى سرعة :

ـ ولماذا يتعارض هذا وذاك ؟!

حدَّق الوزير فى وجهه بدهشة عارمة ، قبل أن يقول فى عصبية زائدة :

ـ أى قول هذا ؟! من الطبيعى أن يتعارض الأمران ، فما دام ذلك الشىء ليس تكوينًا طبيعيًا عشوائيًا ، فهو ...

قبل أن يتم عبارته ، هتف أحد المراقبين فى توتر :

ـ سيِّدى .. شىء ما يحدث هنا .

تطلَّع الوزير ورئيس الجهاز العلمى إلى بعضهما فى دهشة عصبية ، قبل أن يندفع كلاهما إلى المراقب ، والأوَّل يتساءل :

ـ أى شىء بالضبط ؟!

أشار المراقب إلى شاشة جهازه ، وهو يجيب بصوت غلبه الانفعال :

ـ شىء عجيب .. جدًا .

انعقد حاجبا الوزير فى شدة ، وشهق رئيس الجهاز العلمى ، وهو يهتف :

ـ ربَّاه ! ما هذا بالضبط ؟!

فأمام عيون الجميع ، على شاشة المراقبة ، التى



ثم قفز يختطف جهاز الاتصال ، صائحًا برجاله هناك :
ـ من القيادة إلى الفريق (هاء) .. انسحبوا فورًا ..

تنقل صورها الأقمار الصناعية مباشرة ، برز جدار من الرمال من قلب الصحراء ، على مسافة خمسة كيلومترات من موقع فريق البحث العلمى الجديد ..

ثم انقضّ على مركز الدائرة بغتة ، على نحو عاصف رهيب ..

وهتف وزير الدفاع ، بكل دهشة وارتياع الدنيا :

ـ مستحيل !

ثم قفز يختطف جهاز الاتصال ، صائحًا برجاله هناك :

ـ من القيادة إلى الفريق (هاء) .. انسحبوا فورًا ، وبأقصى سرعة ممكنة .. الانسحاب بالأفراد وحدهم .. أكرِّر .. انسحبوا فورًا دون أية معدات .

صاح رئيس الجهاز العلمى :

ـ وماذا عن (م م ـ ١) ؟! هل يتركونه خلفهم ؟!

استدار إليه الوزير بكل صرامة الدنيا ، هاتفًا :

ـ إننى أتحدَّث عن رجال يا رجل .. هل تفهم ؟! عن بشر .

فى نفس اللحظة ، التى نطق فيها عبارته ، كان قائد الفريق يهتف برجاله ، فى قلب الصحراء :

- انسحاب فورى .. الأفراد فقط .. هيا .. بأقصى سرعة .

اتسعت عيون العلماء الأربعة ، وهتف أحدهم بدهشة مستنكرة :

- انسحاب ؟! مستحيل !

لم يكد ينطقها ، حتى غاب قرص الشمس ، خلف جدار رملى هائل ، هوت لمرآه القلوب بين الأقدام ، وصرخ معه أحد الرجال :

- ربّاه !

ومع صرخته ، انقضّت العاصفة ..

بكل القوة ..

والعنف ..

والشراسة ..

لم تمهل الرجال لحظة واحدة لبلوغ حواماتهم ..

بل ولم ترحم الحوامات نفسها ..

لقد انقضّت تقتلع كل شىء من مكانه بمنتهى العنف ..

حتى العربات المدرّعة الثقيلة ..

وانطلقت الصرخات وطلقات الليزر ، من كل مكان ..

وعلى شاشة المراقبة ، بدا المشهد رهيبًا ..

رهيبًا ..

رهيبًا ..

إلى أقصى حد ..

عاصفة عاتية من الرمال ، تدور حول نفسها بعنف لا مثيل له ..

ثم توقّف كل شىء بغتة ..

ودون مقدمات ..

توقّف ، كما لو أن الشاشة قد انتقلت بغتة إلى موضع آخر ..

موضع لا أثر فيه لأية صورة من صور الحياة الحالية ..

أو الماضية ..

وساد المنطقة هدوء رهيب عجيب ، بعد أن اختفت القافلة الجديدة ، دون أن تترك خلفها أى رجل ..

أو أدنى أثر .

★ ★ ★



٣ ـ العـودة ..

انطلقت صرخة (طارق) الصغير فجأة ، فانتفضت (سلوى) ، وهبَّت إليه ، لتحمله فى حنان بالغ ، وتهزه فى رفق ، قائلة :

ـ ماذا أصابك يا صغيرى ؟! هل أحنقك أنت أيضًا ما فعلوه بنا ؟!

حاول (نور) أن يبتسم ، وهو يقول :

ـ لا تقحمى الصغير فى هذه الأمور قبل الأوان .

ابتسمت فى حنان ، قائلة :

ـ كلانا يعلم أنه سيعانى منها حتى النخاع فى مستقبله(*).

غمغم :

ـ بالتأكيد .

(*) راجع قصة (الفارس الثانى) .. المغامرة رقم ١٢٠

ثم اتجه إلى النافذة المطلة على الحديقة ، ووقف يتطلَّع عبرها فى صمت حزين ، فأرضعت (سلوى) صغيرها ، وأعادته إلى مهده ، قبل أن تتجه إليه فى حنان ، هامسة :

- كل شىء سيعود إلى ما كان عليه بإذن الله .

ابتسم فى حزن ، قائلاً :

- ما انكسر لا يمكن إصلاحه أبدًا .

قالت فى تعاطف :

- لا تقل هذا يا (نور) .. (نور) الذى أحببته وتزوَّجته لا يصاب باليأس بهذه السهولة .. أنت قلتها ألف مرة من قبل .. كلنا سنخدم (مصر) من أى موقع كان .. أنسيت أننا قد قاتلنا من أجل العالم كله ، عندما لم تكن هناك مخابرات علمية ، أو غير علمية(*).

تنهَّد ، وهو يقول فى مرارة :

(*) راجع قصة (الاحتلال) .. المغامرة رقم ٧٦

- المشكلة ليست مشكلة إعفائنا من مناصبنا يا (سلوى) .. إن ما يثير ألمى ومرارتى ، هو أن تنتهى حياتنا الحافلة بمحاكمة عسكرية ، تتهمنا بتهديد أمن وسلامة الوطن .. الوطن الذى ضحينا من أجله بكل غال ونفيس ، ولم نتردَّد لحظة واحدة ، فى بذل حياتنا نفسها من أجله .

انتقلت إليها مرارته ، وهى تقول :

- لا يمكن أن يفعل بنا الوطن هذا .. بل لا يمكن أن يفعل بنا اللَّه (سبحانه وتعالى) هذا .. لقد راعيناه فى كل خطوة خطوناها ، ولقد وعد (عزَّ وجل) من يتقيه بأن يجعل له مخرجًا ، ويرزقه من حيث لا يحتسب(*).

تمتم ، وهو يخفض عينيه فى خشوع :

- ونعم باللَّه .

(*) بسم اللَّه الرحمن الرحيم : ﴿ ومن يتق اللَّه يجعل له مخرجًا ، ويرزقه من حيث لا يحتسب ﴾ . [صدق اللَّه العظيم] القرآن الكريم (سورة الطلاق) ، الآية (٣)

لم يكد ينطقها ، حتى توقَّفت أمام منزله سيارة عسكرية كبيرة ، تحمل شعار وزارة الدفاع ، فارتجف قلب (سلوى) بين ضلوعها ، وهى تقول :

ـ يا إلهى ! ليس بهذه السرعة .

أما (نور) ، فقد انعقد حاجباه ، وهو يتابع ببصره اثنين من العسكريين ، قفزا بأسلحتهما من السيارة ، واندفعا نحو المنزل ، ثم لم يلبث أن شدَّ قامته فى اعتداد ، وقال لزوجته فى حزم :

ـ أحضرى سترتى .

خفق قلبها فى عنف ، وهى تسرع لإحضار سترته ، فى نفس اللحظة التى دق فيها الباب فى قوة ، فاتجه (نور) نحوه برأس مرفوع ، وفتحه فى هدوء ، وهو يقول :

ـ المقدَّم (نور الدين) .

لم يكد ينطق اسمه ، حتى اعتدل الرجلان ، وأديا التحية العسكرية فى قوة ، وقال كبيرهما فى احترام بالغ :

ـ يسعدنا ويشرفنا أن نلتقى بك يا سيِّدى .

ثم ارتسمت على شفتى الثانى ابتسامة كبيرة ، وهو يضيف :

ـ سيادة وزير الدفاع يطلب مقابلتك فورًا يا سيِّدى .

بدت الدهشة على وجه (نور) و(سلوى) ، وناولته الأخيرة سترته ، وهى تردَّد :

ـ الوزير شخصيًّا ؟!

قال أحد الرجلين فى سرعة :

ـ وفورًا يا سيِّدتى ..

تبادل (نور) و (سلوى) نظرة متوترة ، قبل أن يرتدى هو سترته ، ويقول فى حزم :

ـ هيَّا بنا .

ولم تمض دقيقة واحدة ، حتى كانت السيارة العسكرية تنطلق به عبر شوارع (القاهرة) الجديدة ، فى طريقها إلى وزارة الدفاع ، وسؤال واحد يلح على رأسه بلا توقُّف ..

تُرى لماذا يطلب الوزير مقابلته شخصيًا ، فى ظل هذه الظروف ؟!

لماذا ؟!

لماذا ؟!

★ ★ ★

« (مصر) بحاجة إلى خدماتك أيها المقدَّم .. »

نطق وزير الدفاع العبارة فى حزم متوتر ، فشدَّ (نور) قامته ، وأخفى دهشته وسعادته فى أعماقه ، وهو يقول :

ـ فريقى كله رهن إشارة (مصر) يا سيِّدى .

مطَّ الوزير شفتيه ، وكأنما لا يروق له كل هذا ، وقال :

ـ سيادة رئيس الجمهورية يؤكِّد أنكم الوحيدون ، الذين يمكنهم مواجهة أمر كهذا ، لذا فقد أصدر عفوًا شاملاً عنكم ، وأسند إليكم هذه المهمة رسميًا .

تمتم (نور) فى دهشة :

ـ بهذه السرعة ؟!

مطَّ الوزير شفتيه مرة أخرى ، وأشاح بوجهه ، قائلاً فى عصبية :

ـ نعم .. بهذه السرعة .

كان من الواضح أن الظروف وحدها ، هى التى تضطره لكل ما يفعله ، وهو يتجه نحو باب جانبى ، قائلاً فى حدة :

ـ اتبعنى .

تبعه (نور) إلى حجرة صغيرة ، ما إن دلفا إليها ، حتى أغلق الوزير بابها ، وقال فى حزم :

ـ القمة تبدأ من القاعدة .

وقف (نور) هادئًا إلى جواره ، فسأله فى صرامة :

ـ ألا يدهشك ما قلته هنا ؟!

هزَّ (نور) رأسه نفيًا فى هدوء ، مجيبًا :

ـ ولماذا يدهشنى يا سيادة الوزير ؟! إنك تستخدم بصمة صوتك ، كوسيلة لإشعال جهاز ما ..

بدت الدهشة على الوزير لحظة ، ثم لم تلبث أن تحولَّت إلى شىء من الصرامة العصبية ، وهو يقول :

[٥ - رجل المستحيل عدد (١٣١) العاصفة]

- جهاز مثل ماذا ؟!

أجابه (نور) بنفس الهدوء والبساطة :

- جهاز أمن أو مراقبة ، أو ...

بتر عبارته فجأة ، وهو يفكِّر فى عمق ، فسأله الوزير فى اهتمام حذر :

- أو ماذا ؟!

صمت (نور) بضع لحظات أخرى ، وهو يستعيد عبارة الوزير ، قبل أن يجيب فى حزم واثق :

- أو جهاز لتحريك الحجرة كلها .. أو بمعنى أدق .. للهبوط بها إلى أسفل .

اتسعت عينا الوزير عن آخرهما هذه المرة ، وهتف :

- مستحيل !

ثم استدار بجسده كله إلى (نور) ، متابعًا :

- كيف أمكنك معرفة هذا ؟! الحجرة مصممة بحيث تهبط فى هدوء تام ، دون أن يشعر من داخلها بهذا !

ابتسم (نور) ، مجيبًا :

- هذا صحيح بالتأكيد يا سيادة الوزير .. إننى لم أشعر بالهبوط على الإطلاق ، ولكن العبارة التى استخدمتها ، وطبيعة الحجرة ، الخالية من أية قطعة أثاث ، كانت أمورًا لا تحتمل سوى تفسير واحد .. أنها فى الواقع مجرَّد مصعد خفى ، مهمته أن يهبط بركابه إلى منطقة سفلية سرية ، لا ينبغى أن يدرك وجودها الكثيرون .

اتسعت عينا الوزير فى دهشة بالغة ، ثم امتزجت دهشته بابتسامة إعجاب وهو يغمغم :

- إنك كما يصفونك بالفعل .. كنت أظنهم يبالغون كثيرًا .

تمتم (نور) :

- أشكرك يا سيِّدى .

مع آخر كلماته ، انفتح باب الحجرة دفعة واحدة ، ليكشف عن قاعة كبيرة تحوى أحدث أجهزة المراقبة والمتابعة ، وبداخلها عدد من العلماء ، فى معاطفهم

البيضاء ، التى تحمل على صدرها علامة الجهاز العلمى العسكرى .

وفى حزم ، غادر الوزير الحجرة السرية إلى القاعة ، وهو يقول لأوَّل شخص قابله ، بلهجة آمرة صارمة :

ـ ضعوا بعض الأثاثات البسيطة فى الحجرة ، حتى لا تبدو مفضوحة على هذا النحو ، واستبدلوا كلمة السر بأخرى أكثر بساطة .

تبعه (نور) فى صمت ، عبر تلك القاعة ، التى بدت له شديدة الشبه بإدارة البحث العلمى ، التابعة لجهاز المخابرات ، حتى تجاوزها الوزير إلى حجرة أخرى كبيرة ، بدت أيضًا مماثلة ـ تقريبًا ـ لحجرة القائد الأعلى ، ولقد استقر الوزير خلف مكتبه الكبير ، وهو يقول فى حزم :

ـ إننا نواجه موقفًا غامضًا وخطيرًا ، ويحتاج إلى فريق كفريقك ، أيها المقدَّم ..

قال (نور) فى حزم صادق :

ـ كلنا رهن إشارتك يا سيادة الوزير .

ضغط الوزير زرًا ، وهو يقول :

ـ مستشارى العلمى ، الدكتور (كريم محمود) سيشرح لك الأمر بصورة أكثر وضوحًا .

مضت لحظات من الصمت ، قبل أن يدلف إلى المكان كهل وقور ، هادئ الملامح ، أشيب الشعر ، حيا (نور) بإيماءة رأس وابتسامة ودود ، قبل أن يشير إلى جدار من جدران الحجرة ، قائلاً بصوت رصين ، مع ظهور فيلم متحرك على ذلك الجدار :

ـ تُرى هل تابعت آخر تقارير الأقمار الصناعية ، التى أشارت إلى وجود نيزك قديم ، عمره ملايين السنين ، مدفون فى صحرائنا الغربية أيها المقدَّم .

قال (نور) فى بطء ، وهو يزن كل كلماته :

ـ قرأت شيئًا بهذا الشأن ، قبل عمليتى الأخيرة .

لم يرق حذره للوزير ، الذى عقد حاجبيه فى ضيق ، فى حين تابع الدكتور (كريم) ، بنفس الرصانة والوقار :

ـ حسن .. لقد أرسلنا فريقًا مشتركًا ، مـن علمائنـا وعلماء مركز الأبحاث ، مع واحد من أحدث أجهزة الفحص ، وهو (م م ـ ١) ، لدراسة ذلك النيزك ، وتحديد عمره الفعلى ، وتاريخ هبوطه على الأرض ، عندما ارتطمنا بعدد من الأحداث الغامضة ، و ...

راح يروى له كل ما حدث ، بأدق التفاصيل ، و (نور) يستمع إليه فى اهتمام بالغ ، حتى قال :

ـ وفى المرة الأخيرة ، التى حدثت صباح اليوم فحسب ، نجحنا فى تسجيل كل شىء ، قبل أن نفقد الفريق الثانى أيضًا .

وبضغطة زر ، راحت الصور والمشاهد تتوالى على الجدار ، لتنقل تفاصيل ما حدث بمنتهى الدقة ..

هبوط الحوامات فى المنطقة ..

فحص النيزك ، ونتائجه العلمية ، بكل ما تحمله من معان مخيفة ..

ثم تلك العاصفة الرهيبة العجيبة ..

و ...

« هذا مستحيل !! »

هتف (نور) بالكلمة فى ذهول ، وهو يحدّق فى الصور المقرَّبـة ، التى تُعرض على الجدار ، والتى التقطتها الأقمار الصناعية ، للحظة بدء العاصفة ..

فعلى نحو شديد الوضوح ، بدا جدار الرمال الضخم ، أشبه بكائن عملاق ، ينهض من قلب الصحراء ، لينقض على الكل بمنتهى العنف والقسوة ..

كائن له تكوين مذهل بحقّ ..

تكوين لم يصدِّق (نور) عينيه ، وهو يتطلَّع إليه ..

تكوين آدمى ..

★ ★ ★

« آدمى ؟! »

هتف أفراد الفريق بالكلمة فى ذهول ، وهم يحدقون فى وجه (نور) ، قبل أن يغمغم (رمزى) فى عصبية :

ـ آه .. هـذا فقـط يمكن أن يجبـرهم على إعادتنـا للعمل .

أدار (نور) عينيه فى وجوههم بضع لحظات ، قبل أن يقول فى حزم :

ـ من المؤكد أنها ظاهرة خارقة ، وغامضة .. ومخيفة أيضًا ، ولقد تم إسناد مهمة دراستها وسبر أغوارها إلى فريقنا .

غمغمت (نشوى) :

ـ كان ينبغى أن أشعر بالسعادة ؛ لعودتنا إلى العمل بهذه السرعة ، ولكن الواقع أننى أشعر بخوف .

وارتجف صوتها ، وهى تضيف :

ـ خوف شديد .

تبادل الجميع نظرة صامتة ، وكأنما يعلنون اشتراكهم فى الشعور نفسه ، ثم لم يلبث (أكرم) أن التقط نفسًا عميقًا ، وقال فى توتر :

ـ فليكن .. المهم أننا قد عدنا إلى عملنا .

وحاول أن يبتسم فى توتر ، مضيفًا :

ـ فعلى الرغم من أننى أكره الأعمال المكتبية ،

إلا أننى ، ومنذ أعلنونا بإيقافنا عن العمل ، أشعر بشوق جارف إلى مكتبى ، فى مقر الفريق ، و ...

قاطعه (نور) متنحنحًا ، فالتفت إليه مع الجميع ، وقالت (سلوى) فى قلق :

ـ ما الذى تخفيه عنا بالضبط يا (نور) ؟!

تنحنح (نور) مرة أخرى ، وقال :

ـ الواقع يا رفاق أننا ، وفى هذه المهمة بالذات ، لن نعمل لحساب المخابرات العلمية ..

اتسعت عيونهم فى دهشة مصدومة ، وهتف (أكرم) مستهجنًا :

ـ ماذا تعنى باللّٰه عليك يا (نور) ؟! كيف عدنا إلى العمل ، ما لم نعمل لحساب المخابرات العلمية ؟!

شدّ (نور) قامته ، وهو يجيب فى حزم :

ـ لقد قلناها واتفقنا عليها من قبل يا رفاق .. نحن نعمل من أجل (مصر) ، وليس لحساب جهة بعينها ، وانتماؤنا لها وحدها ، من أى موقع كان ..

تطلّع إليه (رمزى) فى اهتمام ، قبل أن يعتدل ، ويسأله :

- (نور) .. ما الذى حدث فى وزارة الدفاع بالضبط ؟!

أجابه (نور) فى توتر :

- الذى حدث هو أن قرار العفو عنا مشروط .

سأله (أكرم) فى سرعة :

- بماذا ؟!

أجابه فى حزم :

- بأن نتولى هذه المهمة ، لحساب وزارة الدفاع .

سألته (سلوى) فى دهشة :

- ولماذا لحساب وزارة الدفاع ؟! إننا فريق علمى خاص ، يعمل لحساب المخابرات العلمية المصرية ، فلماذا يشترط العفو أن نعمل لحساب وزارة الدفاع هذه المرة ؟!

انعقد حاجبا (نور) ، وبدا عليه مزيج من التوتر والتفكير العميق ، وهو يجيب :

- هذا ما أخبرنى به الوزير .

سأله (رمزى) :

- ولكنك غير مقتنع بصحة هذا .. أليس كذلك ؟!

كان (نور) يدرك أنه ليس باستطاعته خداع خبير نفسى محنك ، مثل (رمزى) ، لذا فقد لاذ بالصمت بضع لحظات ، قبل أن يجيب فى صلابة :

- هذا لا يهم .

وعندما رأى الدهشة على وجوههم ، أضاف فى قوة :

- إننا نعمل من أجل (مصر) .

ثم راح يتحرّك فى عصبية ، متابعًا :

- ومما رويته لكم ، تدركون جميعًا أننا نواجه ظاهرة غير طبيعية ، لا بد من كشف غموضها ، قبل أن تمتد لسبب أو لآخر ، إلى (مصر) كلها .

ران عليهم صمت ثقيل لدقيقة كاملة ، قبل أن تغمغم (نشوى) :

ـ ولكن معداتنا كلها فى مقر الفريق يا أبى ، فكيف ...

قاطعها فى حزم :

ـ وزارة الدفاع ستمنحنا مقرًا مؤقتًا ، يحوى كل الأجهزة اللازمة لعملنا ، داخل جهاز البحث العلمى العسكرى ، وستوضع بين أيدينا كل الحقائق والمعلومات ، التى يمكن أن تفيدنا فى مهمتنا ، مهما بلغت سريتها ، بشرط ألا تخرج عن دائرة جهاز البحث .

غمغم (أكرم) فى عصبية :

ـ من الواضح أنهم يصرّون على سرية الأمر بشدّة .

شدّ (نور) قامته ، مجيبًا :

ـ أكثر مما تتصوّر .

تبادل الجميع نظرة متوترة ، ثم سألت (سلوى) فى خفوت :

ـ ومتى نبدأ عملنا ؟!

أدار (نور) عينيه فى وجوههم ، وقال :

ـ (رمزى) لن يصحبنا هذه المرة ؛ بسبب إصاباته من المواجهة السابقة .

قال (رمزى) معترضًا :

ـ وما صلة إصابتى بأمر كهذا يا (نور) ؟!

أجابه (أكرم) فى صرامة :

ـ ألم تتعلم طاعة الأوامر بعد أيها الجندى ؟!

قال (نور) فى صرامة أكبر :

ـ أنت أيضًا لن تشترك معنا يا (أكرم) .

كاد (أكرم) يقفز من مكانه ، وهو يصرخ فى غضب مستنكر مستهجن :

ـ أنا ؟! من يجرؤ على ...

قاطعه (نور) فى قوة :

ـ السيد وزير الدفاع يصرّ على الاستعانة بالأفراد اللازمين لدراسة الموقف فحسب .

هتف (أكرم) فى غضب :

ـ أيعنى هذا أن وجودى لا يلزم الفريق ؟!

تابع (نور) ، وكأنه لم يسمعه :

ـ من الناحية العلمية .

احتقن وجه (أكرم) ، وهو يهتف :

ـ ماذا تعنى ؟! هه .. ماذا تعنى ؟!

تطلَّع إليه (نور) بضع لحظات فى صمت ، قبل أن يقول :

ـ صدقنى يا صديقى .. إنه ليس قرارى .

ازداد احتقان وجه (أكرم) ، وهو يحدِّق فيه ، قبل أن يقول فى خفوت :

ـ أعتقد أنه باستطاعتى فهم هذا .

ثم ربَّت على كتف (رمزى) ، قائلاً :

ـ أتعشم أن تجيد بعض الألعاب ، فسنقضى الكثير من الوقت هنا .

حاول (رمزى) أن يبتسم ، وهو يغمغم :

ـ ما رأيك بالشطرنج ؟!

مطَّ (أكرم) شفتيه ، هاتفًا :

ـ ربَّاه ! حتى ألعابكم ترهق العقول .

مرة أخرى كان يتوقَّع أن يبتسم أحدهم ، ولكن الجميع بقوا صامتين جامدين ، وهم يتطلعون إليهما بنظرة خاوية ..

ففى أعماق كل منهم ، وُلِدَ شعور كبير بأن هذه المهمة ستختلف ، عن كل المهام السابقة ..

ستختلف كثيرًا ..

المدهش أن نبوءتهم هذه كانت صحيحة تمامًا ..

فهذه المهمة سيكون لها طابع خاص ..

وفريد ..

ورهيب ..

* * *

تنحنح الدكتور (كريم) ، قبل أن يقول بصوته الهادئ الوقور الرصين :

ـ لقد وصل أفراد الفريق ، وتسلموا مقرهم الجديد يا سيادة الوزير .

تراجع وزير الدفاع فى مقعده ، قائلاً :

ـ عظيم .. من منهم وصل بالضبط ؟!

أجابه الدكتور (كريم) :

ـ المقدَّم (نور) ، وزوجته ، وابنته .

مطَّ الوزير شفتيه ، مغمغمًا :

ـ آه التشكيل العائلى .. يا للسخافة !

تطلَّع إليه الدكتور (كريم) بضع لحظات فى صمت ، قبل أن يقول :

ـ أعتقد أنهم خبراء فى مجالهم يا سيادة الوزير .

قال الوزير فى ضيق :

ـ لو لم يكونوا كذلك ، لما أحضرناهم إلى هنا .

تردَّد الدكتور (كريم) لحظة ، ثم سأل فى حذر :

ـ ولكن لماذا أخبرتهم أن السيد رئيس الجمهورية قد أصدر عفوًا مشروطًا عنهم ؟!

سأله الوزير :

ـ وماذا فى هذا ؟!

قال الدكتور (كريم) فى حذر أكثر :

ـ حسب معلوماتى ، لم يصدر أى قرار بهذا الشأن ؛ فما زال قرار إحالتهم جميعًا إلى المحاكمة العسكرية ساريًا .

خُيل إليه لحظات أن الوزير لم يسمعه قط ، فقد بدا شاردًا ، غارقًا فى أفكار غامضة ، إلا أنه لم يلبث أن استدار إليه ، وقال :

ـ إنهم يستحقون العقاب .

اتسعت عينا العالم ، وهو يقول مستنكرًا :

ـ ولكنهم .

قاطعه الوزير فى صرامة :

ـ سيبذلون قصارى جهدهم ؛ لحل هذا اللغز ، وكشف ما حدث فى قلب الصحراء الغربية .. وربما ينجحون فى هذا بالفعل ، أو يلقون مصرعهم من أجله ، فإذا ما نجحوا ، قد يمكننى أن أغفر لهم ما فعلوه ، وأعيدهم إلى عملهم .

هتف الدكتور (كريم) :

ـ وماذا لو لقوا مصرعهم ؟!

صمت الوزير لحظـــة ، قبـل أن يجيـب بابتســامة غامضة :

ـ عندئذ تكون المشكلة قد انتهت .

واتسعت ابتسامته ، وهو يضيف :

ـ أليس كذلك ؟!

وانتفض جسد الدكتور (كريـم) فـى عنـف ، وهـو يحدِّق فى الوزير ..

وفى أعماقه ، نما شعور قوى ..

شعور لم يمكنه الإفصاح عنه ..

قط ..

★ ★ ★

للمرة الخامسة ، راجعت (نشوى) صور الأشــعة ، وتقرير مقياس الطيف ، قبل أن تهزَ رأسها ، قائلة :

ـ مستحيل .. طبقًـا لكل هـذا ، نحن أمـام جسـم كـروى ، يبلغ قطره أربعـة أمتـار ، مصنوع مـن مادة التيتانيوم ، المقاومة للكسر والخدش ، يتم استخدامها منذ النصف الثــانى مـن القـرن العشـرين ، ونظـرًا لتحملها للحرارة الشديدة ، لصنـع مركبـات الفضـاء ، وبعض أقمار الاتصالات .

أضافت (سلوى) ، والحيرة لم تفارق صوتها بعد :

ـ وذلك الجسم الكروى له كثافة منخفضـة ، بشـكل يوحى بأنه مفرَّغ من الداخل .

التقى حاجبا (نور) ، وهو يسألهما :

ـ هل تعرفان ما يعنيه هذا ؟!

تطلَّعتا إليه بتساؤل ، فأضاف فى توتر شديد :

ـ يعنى أننا لسنا أمام نيزك عـادى ، أو أى تكويـن طبيعى آخر .. إننا أمام جسم يصلح لأن يكون ...

وصمت لحظة ، ثم أضاف فى عصبية :

ـ مركبة فضائية .

تبادلتا نظرة متوترة ، وغمغمت (نشوى) :

ـ ولكنها مدفونة هناك ، منذ ملايين السنين ، كما تقول الفحوص الجيولوجية الأولى .

قالت (سلوى) ، وهى تلوّح بيدها :

ـ مستحيل أن تكون هناك مركبات فضاء ، منذ ملايين السنين .

انعقد حاجبا (نور) مرة أخرى ، وهو يتمتم :

ـ من يدرى ؟!

ران على ثلاثتهم صمت ثقيل ، وكل منهم يراجع المعلومات مرة أخرى ، ثم لم تلبث (سلوى) أن قطعت الصمت ، قائلة :

ـ دعونا نراجع ما سجلته الأجهزة ، على نحو مباشر .

غمغمت (نشوى) :

ـ هذا أفضل بالتأكيد .

ضغط (نور) زر العرض ، وراحت (سلوى) تراجع كل البيانات ، التى سجلها (م م ـ ١) لحظة فلحظة ، ثم هزّت رأسها ، قائلة :

ـ من الواضح أن البث لم يكن بالنقاء الكافى ، لينقل الصور فى وضوح ..

قال (نور) :

ـ وماذا عما سجلته الأقمار الصناعية ؟!

هزّت كتفيها ، قائلة :

ـ لا بأس .. ربما يأتى بجديد ..

ضغط (نور) زرًا آخر ، فراحت الشاشة تعرض كل ما سجلته أقمار المراقبة الصناعية ، حتى بلغت تلك اللحظة ، التى نهض فيها العملاق الرملى من قلب الصحراء ، فامتقع وجه (نشوى) ، وهى تغمغم :

ـ يا إلهى ! يا إلهى ! إنه يبدو بالفعل كتكوين آدمى ، ولكن احتمالات الخداع البصرى ...

ولكن (سلوى) هبت من مقعدها فجأة ، وهى تقول فى انفعال :

ـ أوقف العرض يا (نور) .. أوقفه .

أوقف (نور) العرض فى سرعة ، والتفت يسألها :



ومع التغيرات التى أحدثتها فى الصورة ، اتضح المشهد أكثر وأكثر ..

- ماذا هناك بالضبط ؟!

ضغطت أحد أزرار جهاز العرض ، قائلة :

- يخيَّل إلىَّ أننى قد لمحت شيئًا عجيبًا !

أعادت المشهد بضع لحظات إلى الخلف ، ثم أوقفته ، وأشارت إلى الشاشة ، قائلة فى توتر بالغ :

- هل تريان هذا ؟!

تطلَّع كلاهما إلى الرمال ، التى تصنع تكوينًا شبه بشرى ، وغمغم (نور) فى حيرة :

- وما هذا بالضبط ؟!

أسرعت تضغط أزرار الكمبيوتر المتصل بشاشة العرض ، قائلة :

- دعونا نقرِّب المشهد أكثر ، ونرفع درجة تركيزه .. هل تريان ما أراه الآن ؟!

ومع التغيرات التى أحدثتها فى الصورة ، اتضح المشهد أكثر وأكثر ..

واتسعت عيون (نور) و(نشوى) عن آخرهما ..

فعلى شاشة الجهاز ، كان ذلك الجزء الذى أشارت إليه (سلوى) ، وسط التكوين الرملى العملاق ، يبدو بوضوح أشبه بوجه ..

وجه بشرى ، يحمل كل غضب ومقت الدنيا ، على نحو مخيف ..

ورهيب ..

للغاية .

* * *



٤ ـ نبض الصحراء ..

« كم أكره هذا ! »

هتف (أكرم) بالعبارة فى حنق ، وهو يطوّح قطعة الشطرنج بعيدًا ، قبل أن يهبَّ من مجلسه ، مستطردًا فى عصبية :

ـ لماذا لم نذهب معهم ؟! إننا فريق واحد ، وكلمة فريق تعنى أن يعمل الكل معًا .

قال (رمزى) فى هدوء :

ـ هذه المرة استثناء من القاعدة ..

قال (أكرم) فى حدة :

ـ وهذا يملأ نفسى بالسأم .

ضحك (رمزى) فى إجهاد ، قائلاً :

ـ الرفاق انصرفوا منذ ساعة واحدة .

مطَّ (أكرم) شفتيه ، وقال فى عصبية :

- عجبًا ! تبدو لى أشبه بدهر كامل .

هزَّ (رمزى) رأسه ، وقال مبتسمًا :

- سُرعان ما تعتاد الأمر .

قال (أكرم) فى حنق ساخط :

- أى أمر ؟! البقاء فى المنزل ورعاية الصغيرين ؟!

قال (رمزى) :

- كان ينبغى أن تستعين بزوجتك (مشيرة) .

لوَّح (أكرم) بذراعه ، هاتفًا :

- (مشيرة) منشغلة طوال الوقت فى عملها .

وعضَّ شفتيه ، مضيفًا :

- وأنا هنا أرعى الصغار .

تطلَّع إليه (رمزى) بضع لحظات فى صمت ، قبل أن يقول فى جدية :

- لا تلق على نفسك كل هذا العبء النفسى يا (أكرم) .. ما يحدث الآن مجرَّد ظرف طارئ ،

وسينتهى حتمًا ، إن عاجلاً أو آجلاً ، فاطرح عن رأسك تلك الأفكار والتقاليد القديمة ، وتقبَّل الأمور بصدر رحب .

ضمَّ (أكرم) شفتيه فى قوة ، قبل أن يغمغم فى مرارة :

- إننى أحاول .. صدقنى .

ربَّت (رمزى) على كتفه ، وتنهَّد ، قائلاً :

- إننى أصدِّقك .

واستعاد ابتسامته ، التى امتزجت بكثير من الإشفاق ، وهو يتابع :

- خبرتى تساعدنى على فهم وإدراك طبيعة الحرب المستعرة فى أعماقك ، فـ (أكرم) الثائر دائمًا ، المفعم بالنشاط والحيوية ، والذى يكره الروتين والنمطية ، وسيطرة التكنولوجيا الحديثة ، بقدر ما يحب عمله ويعشقه ، يجد نفسه فجأة مستبعدًا من الفريق ، فى مهمة خاصة جدًّا ، لمجرَّد أنه لا يمتلك خبرات علمية كافية ! كم يحنقك ويغيظك هذا !

مطّ (أكرم) شفتيه مرة أخرى ، وقال :

- يغيظنى أكثر قدرتك المدهشـــة ، على قراءة ما أخفيه فى أعمق أعماقى .

ضحك (رمزى) ، وقال :

- إنك لا تستطيع إخفاء مشاعرك قط يا صديقى .

غمغم (أكرم) فى مرارة :

- ربما لأننى لم أحاول أبدًا .

انفرجت شفتا (رمزى) ؛ ليقول شيئًا ما ، لولا أن ارتفع رنين هاتف الفيديو بغتة ، فوثب إليه (أكرم) ، وضغط زره ، قائلاً فى لهفة :

- لعله (نور) .

تعلّقت عينا (رمزى) بشاشة الهاتف ، التى تألّقت لحظة ، ثم ظهرت عليها صورة (مشيرة) ، وهى تهتف فى ارتياع :

- (أكرم) .. ما أمر المحاكمة هذا ؟! لماذا أخفيته عنى ؟!

انعقد حاجبا (رمزى) فى توتر ، فى حين قال (أكرم) فى حدة :

- أية محاكمة ؟!

هتفت :

- المحاكمة التى تقرَّر تقديمكم إليها .. أعنى الفريق كله ، بتهمة تعريض أمن وسلامة البلاد للخطر .

قال فى دهشة :

- وكيف علمت بأمر كهذا ؟!

أجابت فى حدة :

- يا له من سؤال ! إننى رئيسة تحرير أوّل وأكبر جريدة مرئية فى التاريخ ، ولدى عدد من أشهر وأبرع المراسلين وجامعى الأنباء .

لم يرق له تفاخرها هذا ، على الرغم من الغضب الذى رنّ وسط كلماتها ، فقال فى شىء من الصرامة :

- المعلومات التى وصلتك قديمة ، لقد انتهى الأمر ، وصدر عفو شامل عنا ، و ...

قاطعته فى دهشة مستنكرة :

- عفو شامل ؟! ومتى حدث هذا ؟!

أسعده أن يفاجئها بخبر جديد ، فقال فى شىء من الشماتة :

- منذ أكثر من ساعتين .. ألم يبلغك مراسلوك بهذا ؟!

قالت فى حزم :

- مستحيل ! مصدرى داخل مقر الرياسة يحتلّ منصبًا كبيرًا ، ولن تتجاوزه معلومة كهذه ، ولقد أبلغنى بأمر المحاكمة منذ دقائق قليلة فحسب .

بُهت لجوابها ، وقال فى حدة :

- مستحيل ! لقد صدر قرار العفو بالفعل .

أجابت فى حزم أكثر :

- لم يحدث هذا أبدًا .. قرار إحالتكم للمحاكمة هو آخر قرار وقّعه السيد رئيس الجمهورية اليوم .. هذا أمر مؤكّد تمامًا .

اتسعت عيناه فى ارتياع لا محدود ، وهو يردّد :

- أمر مؤكّد .

وشرد بصره مع أفكاره بضع لحظات ، هتفت (مشيرة) خلالها :

- لماذا لم تخبرنى يا (أكرم) ؟!

لم يبد حتى أنه قد سمعها ، وهو يلتفت إلى (رمزى) ، هاتفًا بكل غضب الدنيا :

- الأوغاد .. لقد خدعونا .

وقبل أن يجيب (رمزى) أو يُعلّق ، اندفع (أكرم) خارج المكان كالصاروخ ، و (مشيرة) تصرخ عبر هاتف الفيديو :

- (أكرم) .. ماذا حدث يا (أكرم) ؟! ماذا حدث ؟!

ولكنه ، حتى فى هذه المرة ، لم يسمع حرفًا واحدًا مما نطقته ..

لقد اشتركت حالة التوتر ، التى غرق فيها حتى النخاع ، مع المعلومة التى باغتته بها ، ليفجُرا فى أعماقه قنبلة من المشاعر والانفعالات ..

قنبلة لا يمكن أن تهدأ فى سهولة ..

أبدًا ..

* * *

انعقد حاجبا وزير الدفاع فى شدة ، وهو يتطلع إلى المشهد المكبَّر ، لذلك الجزء من العاصفة الرملية العاتية ، وقال فى حدة :

- مستحيل ! إنه خداع بصرى فحسب .

هزَّ الدكتور (كريم) رأسه ، قائلاً :

- لو أنه كذلك ، فهى أقوى حالة توافق عشوائى رأيتها ، فى حياتى كلها ، تلك التى تصنع وجهًا متقنًا إلى هذا الحد .

قال الوزير فى عصبية :

- لا يمكننى تصديق هذه الخزعبلات .. هذا يذكرنى بذلك الوجه على المريخ ، الذى التهمته عوامل التعرية التى صنعته(*).

قال الدكتور (كريم) فى حزم :

- الأمر هنا يختلف تمامًا يا سيادة الوزير ، فنحن نتحدَّث عن مصادفتين فى آن واحد ، تؤكِّد كل منهما الأخرى ، بحيث تفقدان صفة التصادف .. لقد ميَّزنا ما يشبه تكوينًا آدميًّا ، مصنوعًا بأكمله من الرمال ،

(*) وسط الصور التى أرسلتها المركبة (فويجر) ، فوجئ العلماء بتكوين يشبه تمامًا وجهًا بشريًا ، لكائن وهمى ، يرقد على ظهره ، لقد بلغت مساحة ذلك الوجه عدة كيلومترات ، وبدا متناسقًا متقنًا ، على نحو أكَّد العلماء استحالة حدوثه بفعل عوامل جوية طبيعية عشوائية ، ومنذ ذلك الحين ، وعلى الرغم من أن الوجه قد اختفى تقريبًا ، فى الصور الحديثة ، إلا أن الدراسات والنظريات ، حول منشئه وتعليل وجوده ، لم تنته حتى هذه اللحظة ، ويمكن للدارس متابعة هذا ، عبر الإنترنت ، بالبحث عن عنوان : (Face on Mars) ، عبر أية شبكة معلومات .

ينهض من قلب الصحراء ، ثم رصدنا تضاريس وجهه الغاضب الصارم .

قال الوزير فى إصرار :

ـ مستحيل ! مازلت أصرّ على أنه مجرَّد خداع بصرى .

قالت (سلوى) فى هدوء حازم :

ـ هذا أمر يسهل التأكُّد منه .

التفت إليها ، قائلاً فى حدة :

ـ كيف أيتها العبقرية ؟!

أجابته بنفس الهدوء ، وهى تلتفت إلى جهاز الكمبيوتر :

ـ باستخدام أحد برامج الرسم ثلاثية الأبعاد .

قال فى صرامة :

ـ وبمَ يفيد هذا ؟!

تابعت عملها ، مجيبة :

ـ نستطيع أن نعتبر هذه الصورة مجرَّد هيكل أوَّلى لرسم ثلاثى الأبعاد ، ثم نطلب من البرنامج أن يكسو الرسم بغشاء جلدى آدمى ، وإكمال المشهد كله ، تبعًا لتدرّج الضوء والظل .

انعقد حاجبا الوزير مرة أخرى ، وهو يقول فى حذر :

ـ لست أظن أن ..

قبل حتى أن يتمَّ عبارته ، كان الكمبيوتر قد بدأ عمله بالفعل ..

وبسرعة مدهشة ، راح يكسو الصورة بغشاء له لون الجلد البشرى ..

وازداد انعقاد حاجبى الوزير ، حتى كادا يمتزجان بين عينيه ، فى حين شهق الدكتور (كريم) ، هاتفًا :

ـ يا إلهى ! يا إلهى !

هذا لأن الكمبيوتر لم يكتف بتكوين وجه آدمى بالغ الوضوح ، يحمل كل آيات الغضب والمقت فحسب ..

لقد امتدّ ليكسو الجسد بأكمله ..

الجسد العملاق ..

وخلال دقيقة واحدة ، اكتملت الصورة ثلاثية الأبعاد ..

صورة عملاق هائل أصلع ، حاد القسمات ، غاضب إلى حد الاشتعال ، ثائر كألف ألف بركان ، ينقضّ بشراسة رهيبة على الفريق كله ..

ولدقيقة أخرى ، لم ينبس أحدهم ببنت شفة ..

ثم غمغم (نور) :

- هذا ما نواجهه .

تمتم الوزير ذاهلاً :

- مستحيل !

ثم انتفض فى قوة ، قبل أن يضيف فى صرامة عصبية :

- لا يمكن أن يكون هذا ما نواجهه .

قال (نور) فى حزم :

- ربما يكون أمرًا يصعب تصديقه ، وظاهرة خارقة للمألوف ، يعجز العقل الواقعى عن استيعابها ، ولكنها ما نواجهه بالضبط .

قال الوزير فى حدة :

- هل تحاول إقناعى بأنه هناك مخلوقات من رمال ، هاجمت الفريق العلمى العسكرى كله ؟!

أجابه (نور) بنفس الحزم :

- اللّه (سبحانه وتعالى) قادر على خلق كل شىء ، وبث الحياة فى أى تكوين يشاء .. لقد خلقنا (عزّ وجلّ) من طين ، وخلق الملائكة من نور ، والجن من نار ، ولن يدهشنى أن يخلق (سبحانه وتعالى) كائنات من رمال .

صمت الوزير بضع لحظات ، فى توتر شديد ، قبل أن يقول :

- ولكن حتى هذا لا يفسر ما حدث .

قالت (سلوى) فى سرعة :

- ولكنه يضع أيدينا على أوّل الخيط .

بدت (نشوى) قلقة مهمومة ، إلى حد كبير ، فسألها (نور) :

- ألديك مخاوف أخرى ؟!

انتفضت ، وكأنها تفيق من حلم مخيف ، وحدّقت فى والدها لحظة ، قبل أن تقول فى توتر بالغ :

- إنها كلمة نطق بها سيادة الوزير .

سألها الوزير فى حذر :

- أية كلمة ؟!

ازدردت لعابها فى صعوبة ، قبل أن تجيب :

- كلمة مخلوقات .

أطلّ التساؤل من عيونهم جميعًا ، فتابعت متوترة :

- سيادة الوزير لم يتحدّث عن مخلوق عملاق واحد ، بل تحدّث تلقائيًا ، دون أن يدرى ، عن مخلوقات ، مما جعلنى أتساءل : ترى هل توجد مخلوقات رملية أخرى ، بخلاف ذلك العملاق الرهيب .

اتسعت عيونهم جميعًا فى ارتياع ، مع هذا الافتراض المخيف ، وغمغم الدكتور (كريم) ، فى توتر بالغ :

- وأين يمكن أن توجد مخلوقات كهذه ؟!

أشارت بيدها إلى الشاشة ، مجيبة :

- هنا .

تطلّع الجميع فى توتر بلا حدود ، إلى حيث أشارت ..

إلى ذلك الجسم المعدنى الكروى ، القابع تحت ثلاثين مترًا فى رمال الصحراء ، منذ ملايين السنين ..

ولم ينبس أحد بحرف واحد ..

كان الافتراض مخيفًا مفزعًا رهيبًا ..

ولكنه منطقى ..

إلى حد يضاعف كل هذا ألف مرة ..

وطال الصمت ..

طال أكثر مما ينبغى ، قبل أن يغمغم الوزير :

- ستكون كارثة .

قال (نور) فى صرامة :

- هـذا لو أنه هناك صلة مباشرة ، بين ذلك الجسم الكروى وعملاق الرمال الغامض هذا .

هزّت (سلوى) رأسها ، قائلة :

- ليس لدى دليل مؤكّد يا (نور) ، ولكن كل شـىء يوحى بوجود تلك الصلة .

قال فى حذر :

- ربما توحى كل الأمور بهذا ، ولكن ..

قاطعته ، قائلة :

- لا تنس أننى لم أقم بعملى بعد .

سألها الوزير فى صرامة :

- ما الذى تعنيـه عبارتك هذه ؟! هه .. ما الذى تعنيه ؟! لقد صنعت هذه الصورة .. أليس كذلك ؟!

أجابته فى هدوء عجيب :

- تكوين الصـورة مجرَّد لعبة ، يقوم بها برنـامج رسم ثلاثى الأبعاد ، وهذا ليس مجال تخصصى .. أنـا خبيرة صوتيات .

سألها فى اهتمام :

- وما شأن الصوتيات هنا ؟!

أجابه الدكتور (كريم) هذه المرة ، بصوته الهـادئ الوقور الرصين :

- الموجات الإشعاعية المرتدة ، عن (م م - ١) ، تحمل فيما تحمل ، أية ذبذبات يمكن أن تصدر عنه .

ابتسمت (سلوى) ، قائلة :

- بالضبط .

ثم تابعت فى سرعة :

- وتلك الذبـذبات ، إن وجـدت ، ستمنحنـا الكثيـر والكثير من المعلومات والنتائج .

صمت الوزير بضع لحظات ، قبل أن يقول :

ـ جسم مستقر فى قلب الصحراء ، منذ ملايين السنين .. لست أعتقد أنه يمكن أن تصدر عنه أية ذبذبات .

أجابته فى سرعة أيضًا :

ـ خطأ .

حدَق فى وجهها بدهشة مستنكرة ، إلا أنها تابعت ، وكأنها لم تنتبه إلى هذا ..

ـ لقد لاحظت منذ البداية ، بحكم دراستى وخبرتى ، وجود ذبذبة منتظمة محدودة ، مع الانعكاس الإشعاعى الموجى .

بدا عليه الذهول ، وهو يهتف :

ـ ذبذبة ؟! أية ذبذبة ؟!

هزّت كتفيها ، قائلة :

ـ لم أقم بدراستها بعد .

بدا مزيج من الشك والحذر ، فى ملامح الوزير ، وهمّ بقول شىء ما ، لولا أن ارتفع رنين هاتفه

الخاص بغتة ، فالتقطه من حزامه ، ورفعه إلى أذنه ، قائلاً :

ـ ماذا هناك ؟!

بدا عليه الاهتمام الشديد لنصف دقيقة ، وهو يستمع إلى محدثه فى انتباه ، ثم شدّ قامته ، وقال فى صرامة :

ـ أدخله تحت الحراسة إلى مكتبى ، وسأحضر لمقابلته فورًا .

ثم أنهى الاتصال ، ورفع رأسه إلى (نور) والآخرين ، وهو يقول لـ (سلوى) ، بلهجة حملت شيئًا من الخشونة :

ـ هيا .. ابدئى عملك يا خبيرة الصوتيات والموجات المرتدة ، وسأعود لمعرفة النتائج بعد قليل .

قالها ، وغادر المكان بخطوات عسكرية ثابتة ، وما إن تجاوز أبواب قاعة الفريق ، وأغلقها خلفه ، حتى مال إلى طاقم الحراسة الموجود أمامها ، قائلاً :

ـ لا أحـد يدخـل أو يخـرج ، إلا بإذن خـاص منى شخصيًا .

أدى رجال الحراسة التحية العسكرية فـى قـوة ، وهتفوا فى آن واحد :

ـ تمام يا سيادة الوزير .

تجاوزهم الوزير بنفس الخطوات العسكرية القوية ، وملامحه الصارمة تحمل ألف معنى ومعنى ..

وكلها معـان لا يمكـن أن تشـعر معهـا بالارتيـاح أو الأمان ..

قط ..

★ ★ ★

فى بعض المهن والمجالات ، قد لا تعنى كلمة خبير هـذه سـوى أن شخصًا ما قد مارس المهنة طويلاً ، وأدرك الكثير من أسرارها وخفاياها ..

أما فى العلم ، فالأمر يختلف تمامًا ..

إنك لا تحمـل قط لقـب خبيـر علمى ، إلا بعد أن

تغوص فى ذلك العلم حتى النخاع ، وتمتزج به روحك ونفسك وحواسك ، بحيث يصبح هو اهتمـامك الأوَّل ، الذى تحـرص على التزوُّد منـه ، فـى كل لحظـة من حياتك ، وتجد المتعة ، كل المتعة ، فى التعامل معه ، وسبر أغوار كل جديد فيه ..

وهذا ما يمتاز به كل فريق (نور) ..

دراسة عميقة ..

خبرة طويلة ..

ذكاء نادر ..

وإخلاص بلا حدود ..

وأهم من كل هذا ، قدرة مدهشة على التعامل دومًا بروح الفريق ..

الجميع للفرد .. والفرد للجميع ..

وعندما أعلنت (سلوى) وجود ذبذبة ما ، تمتزج بالموجـة الإشـعاعية المرتـدة ، لـم يشـك (نـور) و (نشوى) لحظة واحدة ، فى أنها على حق ..

على الرغم من أن كليهما لم يلمح تلك الذبذبة قط ..

حتى الدكتور (كريم) ، راح يراجع موجات (م م ـ ١) المرتدة ، قبل أن يقول فى حيرة :

ـ أية ذبذبة تلك ، التى تتحدَّثين عنها يا سيِّدة (سلوى) ؟!

أجابته فى هدوء ، وهى توصل أجهزتها بنتائج (م م ـ ١) :

ـ إنها ضئيلة للغاية ، ولن يمكنك ملاحظتها بسهولة .

هتف :

ـ ولا حتى بصعوبة ! إننى لا ألاحظها على الإطلاق .

ابتسمت ، قائلة :

ـ ولكنها موجودة .

ثم ضغطت زر جهازها ، مستطردة :

ـ وهذا الجهاز يمكنه فصلها عن الموجة الارتدادية ، مهما بلغ ضعفها أو بلغت ضآلتها .

مع آخر حروف كلماتها ، بدأ جهازها يصدر نبضات ضعيفة ..

ضعيفة حتى يمكن سماعها بصعوبة ..

وعلى الرغم من هذا ، فقد انعقد حاجبا (سلوى) فى شدَة ، وهى تغمغم :

ـ مستحيل !

هتف الدكتور (كريم) ، وكأنه لم يسمعها :

ـ ربَاه ! هناك ذبذبات بالفعل .

ثم اندفع نحو (سلوى) فى حماس ، مستطردًا :

ـ أنت عبقرية بالفعل يا سيِّدتى .

استوقفته بإشارة صارمة من يدها ، فتساءل فى حيرة :

ـ ماذا هناك ؟!

أشارت بيدها إلى مسماع جهازها ، قائلة :

ـ هذه النبضات .. من المستحيل أن تكون حقيقية .

سألها (نور) فى اهتمام :

- لِمَ لا ؟

هتفت فى توتر :

- لأن هذا مستحيل !

لم يكن جوابها يكفى ، إلا لمضاعفة غموض الموقف ، فتبادل الثلاثة نظرة حائرة متوترة ، وهم يستمعون جيدًا إلى تلك النبضات ، التى راحت (سلوى) ترفع شدتها رويدًا رويدًا ..

كانت تبدو مألوفة للغاية ، على الرغم من أنها تختلف عن أية ذبذبة إليكترونية معروفة ..

وفى حيرة ، غمغمت (نشوى) :

- لماذا تبدو لى تلك النبضات مألوفة ؟!

أجابتها (سلوى) فى انفعال :

- لأنك تسمعينها دائمًا ، حتى ولو لم تشعرى بوجودها .

سألها (نور) فى حذر :

- أية نبضات تلك ، التى نسمعها دائمًا ، ولكننا لا نشعر بوجودها أبدًا .

هتفت (سلوى) :

- لو كان (رمزى) هنا ، لأدرك طبيعتها على الفور ، ولبلغ ذهوله عشرة أضعاف ذهولى !

سألها الدكتور (كريم) ، فى توتر :

- لماذا ؟! ما طبيعة تلك النبضات بالضبط ؟!

رفعت (سلوى) شدة النبضات أكثر ، وهى تقول :

- ألم تدركوا ماهيتها بعد ؟!

انتبه (نور) إلى الحقيقة ، فى تلك اللحظة بالذات ، عندما ربط عباراتها ببعضها ، وهتف :

- ربّاه ! هل تعنين أنها ...

قاطعته بانفعال :

- نعم يا (نور) .. إنها نبضات قلب .. قلب بشرى ..

وانتفض الجميع فى عنف ..

فقد كانت مفاجأة بحق ..

مفاجأة مذهلة .

* * *

٥ - الرمــال ..

انحفرت الصرامة بكل صورها ، على وجه وملامح وزير الدفاع ، وهو يعقد كفيه خلف ظهره ، ويواجه (أكرم) فى برود ، قائلاً :

- رجالى أخبرونى أنك تصرّ على مقابلتى شخصيًّا .

سأله (أكرم) فى عصبية :

- أين (نور) و (سلوى) و (نشوى) ؟!

سأله الوزير ببرود أكثر :

- وما شأنك بهذا ؟!

قال (أكرم) فى حدة :

- أين الرفاق ؟!

تحرّك الحارسان الخاصان فى توتر ، وامتدَّت يد أحدهم نحو مسدسه ، ولكن الوزير أشار إليهما بالتوقُّف ، وهو يقول :

- هل تدرك أنك تتحدَّث إلى وزير ؟!

قال (أكرم) غاضبًا :

- بل أدرك أننى أتحدَّث إلى رجل خدعنا جميعًا ، وأوهمنا بعفو زائف ، حتى يعمل الفريق لحسابه ، بدلاً من المخابرات العلمية .

انعقد حاجبا الوزير فى توتر شديد ، وهو يقول :

- من أين أتيت بهذه المعلومات السخيفة ؟!

أجابه (أكرم) فى تحدّ :

- من مصدر موثوق به ، داخل رياسة الجمهورية نفسها .. مصدر أكَّد أنه لم يصدر أى عفو عنا ، وأن آخر قرار وقعه رئيس الجمهورية ، هو قرار إحالتنا إلى المحاكمة ، بتهمة تعريض أمن وسلامة الوطن للخطر .

ازداد انعقاد حاجبى الوزير ، وهو يتطلَّع إليه فى غضب ، قبل أن يقول فى بطء شديد الصرامة :

- ما الذى تريده بالضبط ؟!

أجابه (أكرم) فى حزم :

- أريد رفاقى ، ولن أغادر هذا المكان بدونهم قط .

اعتدل الوزير ، وتألقت عيناه فى غضب ، وهو يقول :

- بل لن تغادره على الإطلاق .

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى تحرّك حارساه فى سرعة عجيبة ، و ...

وانقضا على (أكرم) ..

وما إن أمسك أحدهما ذراعه ، حتى دار (أكرم) على عقبيه ، فى سرعة تستحق الإعجاب ، وهوى على فك أولهما بلكمة كالقنبلة ، ثم انحنى يلكم الثانى فى معدته ، ثم يرفعه على ظهره ، ويلقى به أرضًا فى عنف ..

ولكن الرجل الأوّل هبّ واقفًا ، واستلّ مسدسه ، فهتف به الوزير :

- لا دماء .

هتف (أكرم) ، وهو يثب نحو الحارس :

- أشكرك .. هذا يمنحنى فرصة أفضل .

ولكن الحارس الثانى اعترض طريقه بغتة ، وهو يهتف :

- كما تتوهَّم .

ثم لكم (أكرم) فى معدته بعنف ، فى نفس اللحظة التى هوى فيها الحارس الآخر على فكه بماسورة مسدسه ..

ودار رأس (أكرم) فى عنف ، وضرب الهواء بقبضته ، وهو يصرخ :

- أيها الـ ...

قبل أن تكتمل عبارته ، هوى أحد الحارسين على مؤخرة عنقه بضربة عنيفة ، ثم لكمه الثانى لكمتين متتاليتين ، تفجرتا كقنبلتين محدودتين .

وأظلمت الدنيا دفعة واحدة ..

ثم سقط (أكرم) أرضًا .

وفقد الوعى ..

وفى سرعة وغضب ، هبط أحد الحارسين على ركبته ، ورفع قبضته فى قوة ، ليهوى بها على مؤخرة عنق (أكرم) ، و ...

« قلت لا دماء .. »

تجمَّدت قبضة الحارس فى الهواء ، مع انطلاق هتاف الوزير الصارم ، ونهض الحارسان فى وقفة عسكرية ، وكلاهما يلهث فى قوة ، فتابع الوزير :

ـ احتجزوه فى الزنزانة الاحتياطية ، فى مبنى ضباط الحراسة ، حتى أصدر أوامرى بشأنه .

سأله أحد الحارسين :

ـ وماذا عن الآخرين ؟!

هزَّ الوزير كتفيه ، وهو يجيب فى بطء :

ـ ربما يكون أفضلهم حظًا ..

قالها ، وارتسمت على شفتيه ابتسامة ..

ابتسامة غامضة ..

كثيرًا ..

* * *

احتشدت موجة هائلة من الانفعال ، فى صوت ولهجة الدكتور (كريم) ، وهو يلوِّح بسبابته ، سائلاً (سلوى) :

ـ أأنت واثقة مما تقولين يا سيِّدتى ؟! أعنى ألك خبرة بصوت نبضات القلب الطبيعية ؟!

أجابته ، وهى تضغط أزرار جهازها فى سرعة :

ـ الأمر لا يحتاج إلى خبرات شخصية .. انظر إلى المنحنى الذى سترسمه الذبذبات على الشاشة .

اتسعت عيناه عن آخرهما ، وهو يحدِّق فى المنحنى المألوف ، الذى ارتسم على شاشة الجهاز ..

منحنى لا يمكن أن يخطئه أى طبيب ..

إنها نبضات قلبية منتظمة ..

وسليمة ..

نبضات قلب يتمتع بكل الصحة والقوة ..

فى أعماق الصحراء ..

ولثوان ، لم ينبس أحدهم ببنت شفة ، حتى قطع (نور) هذا الصمت ، قائلاً :

- أيعنى هذا أنه يوجد كائن ما ، داخل ذلك الجسم الكروى ؟!

أجابته (نشوى) :

- لو أن هذا صحيح ، فهو كائن بشرى ..

ردَّد الدكتور (كريم) مبهوتًا :

- بشرىَ ؟!

قالت ، (مشيرة) إلى المنحنى :

- هـذا المنحنى ، بإيقاعه ، هو نبضات قلب بشرى سليم ، كما يشير جهاز أمى ، ومعلوماتى المحدودة تدرك أن المنحنى الذى يمكن أن يرسمه قلب حيوان عادى ، يختلف حتمًا عن المنحنى الذى يرسمه القلب البشرى .

قالت (سلوى) فى حزم :

- هذا ما يؤكده جهاز الفحص أيضًا ، فبداخله آلاف الذبذبات المسجلة مسبقًا ، وهو ينتقى منها ما يتشابه مع الذبذبة المعزولة ، ومؤشراته تحدِّد درجة التوافق

والتشابه ، وهى تشير هنا إلى مائة فى المائة ، مما يعنى التطابق التام .

حدَّق الدكتور (كريم) فى منحنى النبضات مرة أخرى ، قبل أن يهتف :

- ولكن هذا مستحيل !

قالت (سلوى) فى حزم :

- النتائج لا تكذب .

أجابها فى توتر :

- لست أتشكَّك فى نتائج أجهزتك ، على الرغم من غرابتها ، ولكننى أتحدَّث عن حقائق علمية محضة .. ذلك الشىء ، أيًّا كانت ماهيته ، مدفون فى رمال الصحراء منذ ملايين السنين ، ولو أن بداخله كائنًا بشريًّا ، له قلب نابض ، فكيف يمكن أن يظلَّ على قيد الحياة ، كل هذا الوقت ؟! أعنى أن نبضات القلب تعنى أن الزمن يمضى به ، مثلما يمضى بنا .. أليس كذلك ؟!

قال (نور) ، فى تفكير عميق :

ـ ربمـا قضى كل تلك المـلايين مـن الأعـوام ، فى حـالـة تجمُّـد ، أو سـبات صـناعى ، على نحـو مـا .

هتف الدكتور (كريم) :

ـ ما الذى أيقظه الآن إذن ؟!

أجاب (نور) فى سرعة وحزم :

ـ جهاز (م م ـ ١) .

انفرجت شفتا الدكتور (كريم) ، ليعترض على هذا التفسير ، إلا أن حاجباه التقيا فجأة ، وهو يردِّد :

ـ الجهاز ؟!

قال (نور) :

ـ نعم .. جهاز (م م ـ ١) .. أو بمعنى أدق ، تلك الموجات ، التى أطلقها (م م ـ ١) ، فى قلب الرمال ، والتى بلغت الجسم الكروى ، قبل أن ترتـد محـدِّدة هويتـه .

هتفت (نشوى) فى حماس :

ـ هـذا احتمـال وارد .. ربمـا كان لموجـات الجهـاز

تأثير جانبى ، لم ندرك ماهيتـه بعـد ، ولكنـه أثَّـر فى الجسـم الكروى ، على نحو أيقظ معه أجهزتـه الداخلية .

قال الدكتور (كريم) فى انبهار :

ـ وأيقظ ذلك الرابض داخله !

هتفت (نشوى) :

ـ بالضبط .

نقلت (سلوى) عينيهـا إليهم ، قبل أن تقول فى حزم :

ـ معـذرة ، ولـكن مـن المسـتحيل أن يـكون هـذا التفسير صحيحًـا .. ليس مائة فى المائة على الأقل .

سألها (نور) فى اهتمام :

ـ لمـاذا ؟!

أشارت إلى نتائج الفحص الموجى ، مجيبة :

ـ طبقًا لما لدينا ، فجسم ذلك الكيان الكروى مصنوع

من مادة (التيتانيوم) ، وهو عنصر فلزى نادر ، كشفه (جريجور) ، عام ١٧٩٠م(*)، وليس منذ ملايين السنين ، ومن أهم سماته أنه غير منفذ للأصوات بسهولة .

سألها (نور) فى حذر متوتر :

- ما الذى يعنيه هذا بالضبط ؟!

أجابت فى حزم :

- يعنى أن تلك النبضات لم تأت من داخل ذلك الجسم الكروى .

(*) التيتانيوم : عنصر فلزى نادر ، يتميز بالصلابة ومقاومة الخدش ، وتضاف نسبة مئوية بسيطة منه إلى الصلب ، لتزيد من متانته ، ومقاومته للشد ، ويعتبره البعض معدن المستقبل ، على الرغم من ندرته ، فى صناعة أقمار الاتصالات ، وبلورات ثانى أكسيد التيتانيوم لها أعلى معامل انكسار معروف (٢ر٧) ، لذا فهى تستخدم فى صناعة الماسات المقلدة ، ولكن ليست لها أية قيمة كأحجار كريمة .

تفجَّرت الدهشة فى وجوههم جميعًا ، و (نور) يسألها :

- من أين أتت إذن ؟!

ازدردت لعابها ، قبل أن تجيب :

- من الجسم نفسه ؟!

وكانت مفاجأة جديدة ..

مفاجأة أكثر عنفًا ..

* * *

« لا يمكننى تصديق حرف واحد من هذا »

هزَّ وزير الدفاع رأسه فى قوة ، وهو ينطق عبارته ، قبل أن يشير بيده فى صرامة ، قائلاً :

- لو أن هذا ما كنتم تفعلونه ، فى جهاز المخابرات العلمية ، فهذا يعنى أننى كنت محقًا تمامًا ، عندما طلبت إلغاءه منذ زمن .

أجابه (نور) فى هدوء :

- هذا بالفعل ما كنا نفعله ، طوال عملنا فى المخابرات

العلمية .. أن نبحث عن الحقائق بأسلوب علمى محض ، حتى لو كانت تلك الحقائق عجيبة غريبة ، وصعبة التصديق .

سأله الوزير ، فى شىء من السخرية :

- وكنتم تحققون النجاح بهذه الخزعبلات .

أجابه (نور) بنفس الهدوء المستفز :

- بل وأنقذنا العالم أكثر من مرة أيضًا .

انعقد حاجبا الوزير فى ضيق ، وهو يقول فى حدة :

- حتى ولو فعلتم هذا ، لن يمكنكم إقناعى قط ، بأن ذلك الجسم الكروى المجهول ، ينبض كأى قلب بشرى .

قالت (سلوى) هذه المرة :

- الاقتناع وعدم الاقتناع لا يعنيان شيئًا هنا يا سيادة الوزير .

استدار إليها فى غضب شديد ، فتابعت :

- معذرة لو أن عبارتى لم تلق قبولاً لديك ، ولكننا علميون ، والعلم لا يدحضه إلا العلم ، وحقائقه لا تقبل الجدل ، إلا بأسلوب علمى أيضًا .. لقد سجل الجهاز نبضات قلبية واضحة ، انعكست عن ذلك الجسم الكروى ، ونحن نبحث عن تفسير علمى لهذا ، ولا يمكننا رفض أو قبول أية نظرية ، إلا بناء على معلومات علمية أخرى .

قال الوزير فى حدة :

- حتى ولو كانت نظرية سخيفة غبية .

أجابته (نشوى) :

- لا توجد فى العلم نظريات سخيفة أو غبية ، لأن كل نظرية تستند حتمًا إلى مجموعة من الحقائق ، أو حتى الافتراضات العلمية ، أو ...

رفع الوزير يده ، يقاطعها فى عصبية :

- فليكن .. لن نناقش هذا طوال الوقت ..

ثم أشاح بوجهه ، فى محاولة لإخفاء غضبه وانفعاله ، قبل أن يتابع :



رفع الوزير يده ، يقاطعها فى عصبية : ـ فليكن .. لن نناقش هذا طوال الوقت .. ثم أشاح بوجهه ، فى محاولة لإخفاء غضبه وانفعاله ..

ـ المهم الآن هو : كيف سنحسم مثل هذا الأمر ؟!

قالت (نشوى) فى سرعة :

ـ هذا يحتاج إلى إعادة فحص ذلك الجسم ، بناء على المعلومات الجديدة ..

خفق قلب الدكتور (كريم) فى عنف ، واتسعت عيناه فى ارتياع ، فى نفس الوقت الذى تألَّقت فيه عينا الوزير ، وكأنما وضع يده على ما أراد ، وهو يقول :

ـ عظيم .. ومن سيقوم بهذا الفحص الجديد ؟!

تبادل (نور) نظرة صامتة ، مع زوجته وابنته ، وانعقد حاجبا الدكتور (كريم) فى توتر بالغ ، فى حين تابع الوزير بابتسامته الغامضة :

ـ هذا يحتاج إلى فريق علمى من طراز خاص ، اعتاد المجازفة ، ومواجهة المخاطر الغامضة ، ويمتلك فى الوقت ذاته الكفاءة العلمية ، اللازمة لكشف أسرار ما يواجهه ، و ...

قاطعه (نور) فى حزم :

- لا يمكننى أن أجازف بفريقى ، فى مهمة كهذه يا سيادة الوزير .

سأله الوزير فى سرعة :

- ولِمَ لا ؟! إنها ليست أوَّل مرة .

أجاب (نور) :

- فى كل المرات السابقة ، كنا نواجه خطرًا يمكن للبشر التصدّى له ، مهما بلغت صعوباته ، أو بلغ عنفه ، أما فى هذه المرة ، فنحن نواجه عاصفة عاتية ، تتخذ تكوينًا بشريًا عملاقًا ، أى أننا نواجه خطرين فى آن واحد ، أحدهما غامض خارق للطبيعة ، والآخر ، وهو الأكثر عنفًا وخطورة ، وهو الطبيعة نفسها .

انعقد حاجبا الوزير ، وهو يسأله :

- ماذا تعنى ؟!

أجاب فى حزم ، لا يخلو من الصرامة :

- أعنى أن أحدًا ، عبر التاريخ كله ، لم ينجح قط ، فى مواجهة الطبيعة .. كل القوى ، التى صنعها البشر ، تنهار تمامًا ، أمام تقلبات الطبيعة .. كل التكنولوجيا الحديثة فشلت فشلاً ذريعًا ، فى منع نتائج الفيضانات والأعاصير ، والزلازل والبراكين ..

ثم شدّ قامته ، مضيفًا :

- الطبيعة ، التى خلقها اللّه (سبحانه وتعالى) ، هى العدو الذى لا يُقهر أبدًا يا سيادة الوزير .

هزّ الوزير كتفيه ، قائلاً :

- المفترض ، طبقًا لنظرياتكم الـ .... العلمية .. أن الأمر ليس طبيعة محضة ، أليس كذلك ؟!

أجابته (سلوى) ، فى حزم بدا شبيهًا بحزم زوجها :

- بلى ، ولكنه يحمل قوة الطبيعة .

صمت الوزير بضع لحظات مفكرًا ، قبل أن يقول :

- هل تخشون أن تقتلعكم العاصفة ؟!

أجابته (نشوى) فى توتر :

- إنها لا تقتلع فحسب يا سيادة الوزير ، وإلا لأمكن العثور على الضحايا ، أو أشلائهم ، أو المعدات ، أو حتى حطامها ، فى مكان ما من الصحراء .. ما يحدث فعليًا هو أنها تسحق كل شىء سحقًا ، حتى لا يتبقَّى منه ما يكفى للعثور عليه ..

وأضافت (سلوى) ، بصوت مرتجف :

- ربما تحوَّل كل هذا إلى رمال .

قال الوزير فى صرامة :

- ولكن لا بد من اقتلاع الشىء من مكانه ، قبل أن يتحوَّل إلى أى شىء آخر .. أليس كذلك ؟!

قال (نور) فى حذر :

- هذا صحيح .

استعاد الوزير ابتسامته الغامضة ، وهو يملأ صدره بنفس قوى ، ويشدَّ قامته عن آخرها ، قائلاً :

- عظيم .. ماذا إذن لو كانت هناك وسيلة مؤكَّدة ، تمنع تلك العاصفة ، أيًّا كانت طبيعتها ، من اقتلاعكم من أماكنكم ؟!

انعقد حاجبا الدكتور (كريم) فى توتر ، فى حين سأل (نور) الوزير :

- وكيف هذا ؟!

أجاب الدكتور (كريم) :

- الواقع أنه ...

قاطعه الوزير فى صرامة :

- أنه ماذا ؟!

احتقن وجه الرجل ، وارتجفت شفتاه ، قبل أن يخفض عينيه فى توتر ، فتبادل (نور) نظرة أخرى ، مع زوجته وابنته ، ثم قال :

- سيادة الوزير .. هل ...

قاطعه الوزير فى صرامة أكبر :

- لم تجب سؤالى بعد .. ماذا لو منعنا اقتلاعكم ؟!

بدا القلق على وجهى (سلوى) و (نشوى) ، وتطلعتا إلى (نور) ، الذى استغرق فى التفكير بضع لحظات ، قبل أن يقول بحذر أكبر :

- فى هذه الحالة ..

قاطعه الوزير :

- عظيم .

بدت الدهشة على وجه (نور) ، ولكن الوزير تجاهل هذه الدهشة ، وهو يواصل فى حزم صارم :

- استعدوا إذن ؛ فستحملكم الحوامات إلى المنطقة (ص) فجر الغد .

ثم أشار إلى الدكتور (كريم) ، مستطردًا :

- اتبعنى .

تردَّد العالم الوقور بضع لحظات ، ثم تبعه خارج قاعة الفريق ..

ولثوان ، لم يُعلِّق (نور) أو (سلوى) أو (نشوى) بحرف واحد ، وثلاثتهم يتطلَّعون إلى الباب ، الذى عبره الوزير منذ لحظات ..

ثم فجأة ، هتفت (سلوى) فى حنق :

- ما هذا الأسلوب ؟!

غمغم (نور) :

- أسلوب الوزير .

قالت (نشوى) فى عصبية :

- هل سنطيع أوامره ؟!

هزَّ (نور) كتفيه ، قائلاً :

- ألديك بديل آخر ؟!

قالت فى حدة :

- هل سنقبل هذه المهمة الانتحارية ؟! كلنا يعلم أن الرحلة إلى المنطقة (ص) رحلة بلا عودة .. هذا ما أصاب كل من سبقنا .

صمت بضع لحظات ، قبل أن يجيب :

ـ ربما كانت هناك وسيلة ما .

قالت (سلوى) فى توتر :

ـ أية وسيلة ؟! أنت قلتها بنفسك يا (نور) .. الطبيعة هى السلاح الوحيد ، الذى لا يمكن لبشر مقاومته .

هزَّ رأسه ، قائلاً :

ـ ولكن يبدو أنه هناك وسيلة ما .. الدكتور (كريم) كاد يفصح عنها ، لولا أن استوقفه الوزير .

مطَّت (نشوى) شفتيها ، قائلة :

ـ إنها وسيلة غير مضمونة حتمًا ، وإلا لاستخدموها مع الفريق السابق .

قال فى حزم :

ـ عندما رحل الفريق السابق ، لم يكن يعلم شيئًا عما سيواجهه .

غمغمت (سلوى) :

ـ هل تعتقد أن هذا هو السبب الوحيد ؟!

انعقد حاجبا (نور) بضع لحظات ، قبل أن يقول فى حزم :

ـ من المؤكَّد أن ذهابنا إلى المنطقة (ص) سيحمل بعض الخطر والغموض ، ولكن هذه مهنتنا ، ولقد اعتدنا مواجهة كل خطر وكل غموض ، ما دام الأمر يحتم هذا .. إننا جنود ، والجنود لا ينصرفون عن المعركة ؛ لأن شبح الموت يحوم فوقها .. سنؤدى واجبنا ، مهما كانت المخاطر ، وسنسعى لكشف الغموض ، ما دام هناك أدنى أمل للنجاة .

ثم شدَّ قامته ، مضيفًا :

ـ أنا ذاهب إلى المنطقة (ص) عند الفجر ، لو اقتنعت بأن تلك الوسيلة ، التى تحدَّث عنها الوزير ، يمكن أن تؤمِّن لنا الحد الأدنى من الحماية .

تبادلت (سلوى) نظرة متوترة مع ابنتها ، ثم قالت :

ـ ونحن سنتبعك إلى الجحيم ، لو اقتضى الأمر .

هزَّت (نشوى) كتفيها ، وهى تقول :

ـ من يدرى ؟! ربما كان الجحيم أقل هولاً .

نقل (نور) بصره بينهما ، ثم قال فى حزم :

ـ المهم أن نؤدى واجبنا .

أومأت (نشوى) برأسها موافقة ، ثم عادت إلى الكمبيوتر ، وضغطت أزراره ، وكأنما تنشغل به عن خوفها المبهم ، من رحلة الفجر ..

وتبعتها (سلوى) فى صمت ، يشف عن أنها تشاركها نفس المشاعر والمخاوف ..

أما (نور) ، فقد انتحى ركنًا ، وراح يفكِّر فيما يحدث ..

لقد دفعهم الوزير دفعًا إلى تلك المغامرة ..

تمامًا كما لو أنه قد دبَّر الأمر كله منذ البداية ..

والسؤال هو : لماذا ؟!

ما الذى يسعى إليه ؟!

بل ما الذى يخفيه عنهم ؟!

أو عن الجميع !

« يا إلهى ! »

انتزعه هتاف (نشوى) من أفكاره ، فالتفت إليها ، هاتفًا :

ـ ماذا حدث ؟!

ارتجف صوتها ، وهى تجيب :

ـ برنامج الرسوم ثلاثى الأبعاد لم يتوقَّف ، منذ مرحلة إعادة تكوين الوجه ، وإنما امتدَّ إلى كل الخامات المشابهة ، فى الصورة كلها ..

سألتها (سلوى) فى دهشة قلقة :

ـ ولماذا أفزعك هذا ؟!

ارتجفت سبَّابة (نشوى) كصوتها ، وهى تجيب ، مشيرة إلى شاشة الكمبيوتر الكبير :

ـ انظرا .

واستدارت عيونهما إلى الشاشة ..

ثم اتسعت عن آخرهما ..

فقد كان المشهد رهيبًا ومخيفًا ..

بشدَّة .

* * *

٦ - الظاهرة ..

ارتفع حاجبا (رمزى) فى دهشة ، وهو يتطلَّع إلى (مشيرة) ، التى بدت فى حالة مزرية للغاية ، على عكس المألوف ، وهى تقف أمام المنزل ، هاتفة فى توتر شديد :

- أين (أكرم) ؟!

أفسح الطريق ، وهو يدعوها إلى الدخول ، مجيبًا :

- لست أدرى .. لقد انصرف من هنا كالصاروخ ، إثر اتصالك ، ولم يُفصح عن وجهته .

اندفعت داخل المنزل ، فى عصبية بالغة ، وهى تقول :

- إنه متهوِّر دائمًا .. أخشى ما أخشاه أن يرتكب حماقة ما ، تزيد من صعوبة الموقف .

سألها (رمزى) فى اهتمام قلق :

- أخبرينى .. هل يمكنك التيقن من خبر عدم صدور عفو شامل ، أو ...

قاطعته متوترة :

- لا يوجد أدنى شك فى هذا .

التقى حاجباه ، وهو يقول :

- فى هذه الحالة ، لابد أن تبلغ القائد الأعلى .

لوَّحت بذراعها فى يأس ، قائلة :

- وما الذى يمكن أن يفعله ؟

قالتها ، وتركت جسدها يهوى على مقعد قريب ، ثم دفنت وجهها فى كفيها ، مستطردة فى مرارة :

- كيف يمكن أن ينتهى الحال بكم هكذا ؟! كيف ؟!

كان يشعر بمثل مرارتها ، ولكنه حاول أن يخفى هذا فى أعماقه ، وهو يتجه نحوَ هاتف الفيديو ، قائلاً :

- ليست هذه هى المشكلة الآن .

هتفت :

- ليست المشكلة ؟! ألا تدركون ما تواجهونه بالضبط ؟! لقد استشرت المستشار القانونى لجريدة الفيديو ، فأكَّد لى أن تهمة كهذه ، فى محاكمة عسكرية ، لا يمكن أن تكون عقوبتها سوى الإعدام رميًا بالرصاص .

تجمَّدت يده فى طريقها لهاتف الفيديو ، وامتقع وجهه بشدة ، وهو يردِّد :

- الإعدام ؟!

لوَّحت بذراعها مرة أخرى ، هاتفة فى ألم :

- ماذا كنتم تتصوَّرون ؟!

لم تكد تتمَّ عبارتها ، حتى ارتفع رنين هاتفها الخلوى ، فالتقطته من حقيبتها فى سرعة ، وهتفت :

- ماذا لديك ؟!

كان من الواضح أنها تستمع إلى أحد مصادرها ، فقد انحفرت على وجهها علامات التفكير العميق ، ولاذت بالصمت طويلاً ، ثم لم تلبث أن سألت محدِّثها ، فى عصبية بالغة :

- أأنت واثق من هذا ؟!

واستمعت لحظات أخرى ، ثم قالت فى حزم متوتر :

- أريد متابعة دقيقة دائمة للموقف .. أبلغنى أية معلومات جديدة على الفور .. هل تفهم ؟!

ثم أنهت المحادثة ، وقالت بصوت أكثر امتقاعًا من وجهها :

- (أكرم) فى وزارة الدفاع .

سألها (رمزى) :

- ماذا يفعل هناك ؟!

ازدردت لعابها فى صعوبة ، قبل أن تجيب بصوت شاحب :

- معتقل .

كاد يثب مكانه ، وهو يهتف :

- ماذا ؟!

أشارت بيدها ، قائلة :

- يقول مصدرى : إنه تشاجر مع الوزير ، الذى أمر باعتقاله ، حتى أوامر أخرى .

انعقد حاجبا (رمزى) ، وهو يسألها :

ـ وماذا عن (نور) و(سلوى) و(نشوى) ؟!

أجابت بصوت حمل رنة أسى واضحة :

ـ كلهم هناك .

ثم هزّت رأسها ، مضيفة فى صوت أقرب إلى البكاء :

ـ ولكن (أكرم) وحده معتقل .

ازداد انعقاد حاجبيه ، وهو يقول :

ـ ولكن لماذا فعل الوزير هذا ؟! لماذا خدعنا جميعًا ؟!

هزّت رأسها ، قائلة :

ـ هذا لا يبدو لى أشبه بالنوايا الطيبة .

غمغم فى حزم :

ـ بالتأكيد .

ثم ضغط زر هاتف الفيديو ، مضيفًا :

ـ لذا فمن المحتم أن نبلغ الإدارة .

تألّقت شاشة الهاتف بضع لحظات ، ثم ظهرت عليها رسالة بحروف كبيرة :

ـ الاتصال بهذه الجهة غير متاح .

اتسعت عينا (مشيرة) ، وهى تقول :

ـ رباه ! لقد اتخذوا احتياطاتهم ، بعد اعتقال (أكرم) .

حدّق (رمزى) فى الشاشة ، قبل أن يقول فى عصبية :

ـ رباه ! ما الذى يحدث بالضبط ؟! ما الذى يحدث ؟!

التقطت (مشيرة) هاتفها الخلوى ، وهى تقول :

ـ ربما يمكننا أن ..

بترت عبارتها بغتة ، وبدت عليها علامات التفكير العميق ، فسألها (رمزى) فى توتر :

ـ فيم تفكرين ؟!

التفتت إليه ، متسائلة :

ـ هل تعتقد أن الاتصال بالقائد الأعلى للمخابرات العلمية يمكن أن يفيد ؟!

قال فى عصبية :

ـ على الأقل هو لن يضر .

نهضت قائلة :

ـ ولن يفيد أيضًا ، وإلا لما صدر قرار إحالتكم للمحاكمة ، على الرغم من أنف الجميع .

تطلَّع إليها لحظة فى حيرة ، قبل أن يسألها :

ـ (مشيرة) .. فيم تفكرين ؟!

استعادت حزمها التقليدى ، وراحت تعدِّل هندامها وتصفيفة شعرها ، وهى تجيب :

ـ فى العبارة التى نطقت بها ، عندما أتيت إلى هنا .

تساءل :

ـ أية عبارة ؟!

أشارت بيدها ، مجيبة :

ـ لا يمكن أن ينتهى بكم الأمر هكذا .

تضاعفت حيرته ، وهو يقول :

ـ وماذا عن العبارة ؟!

هزَّت كتفيها بهدوء عجيب ، قائلة :

ـ إنه ليس رأيى وحدى بالتأكيد .

تطلَّع إليها مرة أخرى فى حيرة ، وخاصة عندما حملت شفتاها ابتسامة غامضة ، على الرغم من دقة الظروف ، وسألها مكررًا فى حذر :

ـ فيم تفكرين بالضبط يا (مشيرة) ؟!

لوَّحت بيدها فى أناقة ، وهى تتجه نحو الباب ، قائلة :

ـ فى اختبار قوة الصحافة .

ثم أطلقت ضحكة أدهشته ، قبل أن تفتح الباب ، مضيفةً :

ـ اهتم برعاية الصغيرين .

قالتها ، وأغلقت الباب خلفها ..

بمنتهى الحزم ..

* * *

ألم شديد ..

صداع ..

دوار ..

كل هذا شعر به (أكرم) ، وهو يستعيد وعيه فى بطء ..

وكفيلم سينمائى بطىء ، استعاد عقله الأحداث الأخيرة ، فى مكتب الوزير ..

المواجهة ..

الصدام ..

القتال ..

وبكل حنقه ، غمغم :

ـ أيها الأوغاد ..

ثم فتح عينيه ، وتطلَّع إلى ما حوله ..

كان يرقد داخل زنزانة صغيرة ، خافتة الأضواء ، رطبة الجدران ، تبدو بنافذتها العالية ، ذات القضبان الفولاذية ، أشبه بواحدة من زنازين القرون الوسطى ،

وخاصة مع الباب الضخم ، الذى يحتل ثلثى أحد جدرانها تقريبًا ..

ونهض (أكرم) ، ليجلس فى ركن الزنزانة ، محاولاً استعادة كامل وعيه وشعوره ..

وفى كل لحظة تمضى ، كان غضبه وسخطه يتضاعفان أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

ثم فجأة ، نهض بمنتهى الحيوية والنشاط ، واتجه نحو الباب الضخم ، ودق بقبضته عليه فى عنف ، هاتفًا :

ـ أخرجونى من هنا .

برز وجه الحارس أمامه ، عبر فتحة صغيرة بالباب ، وهو يقول فى صرامة :

ـ اصمت أيها السجين .

قال (أكرم) فى حدة :



وفى كل لحظة تمضى ، كان غضبه وسخطه يتضاعفان أكثر ..

- لست سجينًا لأحد ، واعتقالى هنا غير قانونى وغير شرعى ، وأطالب بالخروج فورًا .

ابتسم الحارس الضخم فى سخرية ، قائلاً :

- الخروج ؟! لا يمكنك الخروج من هنا ، إلاَّ إذا أصدر سيادة الوزير شخصيًا أمرًا بهذا ، أو ...

بتر عبارته دون مبرِّر ، فقال (أكرم) فى حدة :

- أو ماذا ؟!

تطلَّع إليه الحارس لحظة فى شماتة ، ثم قال فى غلظة ساخرة :

- أو كنت فى طريقك إلى قبرك .

مضت دقيقة كاملة ، وكلاهما يتطلَّع إلى الآخر فى تحد ، قبل أن يبتسم (أكرم) فجأة ، قائلاً :

- فكرة ممتازة .. أشكرك .

ارتفع حاجبا الحارس فى دهشة ، فى حين تراجع (أكرم) ، عائدًا إلى ركن الزنزانة ، وجلس يرتكن إليه مرة أخرى ، وقد نمت فى أعماقه فكرة جديدة ..

وجريئة ..

جريئة للغاية ..

* * *

لم يدر (نور) و(سلوى) كم بقيا يحدقان فى ذلك المشهد الرهيب ، الذى صنعه برنامج الرسم ثلاثى الأبعاد على الشاشة ..

رسم لم يبد فيه ذلك العملاق الأصلع المخيف ، وهو يهاجم فريق البحث الثانى فحسب ..

لقد امتدَ تأثير البرنامج ، ليكسو كل المواد المشابهة ، بذلك الغلاف الشبيه بالجلد الآدمى ..

كل الرمال ..

وهكذا صنع تلك اللوحة الرهيبة ..

لوحة بدا فيها فريق البحث ، وكأنما يقف على جلد آدمى هائل الحجم ، يبرز منه ذلك العملاق الأصلع عند الشرق ، وتبرز منه رءوس وأذرع أخرى عملاقة ، من كل المنطقة المحيطة ..

أو بصورة أدق ، كان الأمر يبدو وكأن عشرات من عمالقة الرمال يشقون الصحراء ، ليلتهموا الفريق العلمى العسكرى ، بكل أدواته وأسلحته ..

ومعداته ..

وغمغم (نور) ذاهلاً :

ـ رباه ! من كان يتصورً هذا ؟!

قالت (سلوى) فى انبهار :

ـ إنه ليس عملاقًا رمليًا واحدًا إذن .

هزَت (نشوى) رأسها فى قوة ، وكأنما تحاول طرد هذه الصورة المفزعة منها ، وهى تقول :

ـ المشهد يبدو وكأن الصحراء كلها تنبض بالحياة .

قال (نور) :

ـ إنها تنبض بالفعل ، ولقد سجلت الأجهزة نبضها ..

هتفت (نشوى) :

ـ الواقع يا أبى أنها أعجب ظاهرة رأيتها ، فى حياتى كلها .. أراهن على أن ما التقطته الأجهزة هو نبض قلوبهم .

قالت (سلوى) فى حزم متوتر :

ـ كلا .. الجهاز لم يلتقط نبضات قلوب ، بل نبض قلب واحد .

سألها (نور) بغتة :

ـ ما حجمه ؟!

أدهشها السؤال فتساءلت حائرة :

ـ ماذا تعنى ؟!

سألها فى اهتمام :

ـ ما حجم ذلك القلب ، الذى سجَّل الجهاز نبضاته ؟! أعنى أهو مجرَّد قلب بشرى عادى ، أم قلب عملاق ؟!

انعقدت حاجباها ، وهى تقول :

ـ لم يخطر هذا ببالى قط .

قال :

ـ ولكن بإمكانك التوصُّل إلى هذا .. أليس كذلك ؟!

بدا عليها التوتر بضع لحظات ، ثم قالت فى تردُّد :

ـ لست أدرى يا (نور) .. لن يكون هذا سهلاً أبدًا .

قال مشجعًا :

ـ ولكنه ليس مستحيلاً .

تردَّدت لحظة أخرى ، قبل أن تقول :

ـ الرمال ليست وسطًا مناسبًا ، لنقل الذبذبات والأصوات ، وذلك الجسم يرقد على عمق ثلاثين مترًا منها ، ولولا قوة جهاز (م م ـ ١) ، والأشعة الجديدة التى يستخدمها ، لما أمكن رصد تلك النبضات أساسًا .

قال فى اهتمام أكبر :

ـ ولكننا حصلنا عليها بالفعل .

تنهَّدت ، قائلة :

ـ هذا صحيح .

وهزَّت رأسها ، مضيفة :

ـ على الأقل يمكننى أن أحاول .

ابتسم ، قائلاً :

ـ عظيم .

لم يكد ينطقها ، حتى اقتحم أحد رجال الحراسة المكان ، فى خشونة غليظة ، وهو يقول :

- سيادة الوزير يطلب مقابلتك .

بدا الغضب على وجه (نور) ، وهو يقول :

- ألم تتعلَّم كيف تدخل أى مكان أيها الجندى ؟!

تجاهل الجندى العبارة ، وهو يكرِّر بنفس الخشونة :

- سيادة الوزير يطلب مقابلتك فورًا .

صاح فيه (نور) بغضب أكبر :

- أد التحية العسكرية أيها الجندى :

- انتفض جسد الحارس رهبة ، وشد قامته ، وهو يضرب كعبيه ببعضها ، ويؤدى التحية العسكرية فى قوة ، فقال (نور) ، وهو يرد التحية العسكرية فى اعتداد صارم :

- هيا .. قدنى إلى الوزير .

ثم التفت إلى زوجته وابنته ، مضيفًا :

- سأعود فى أسرع وقت ممكن .. واصلا عملكما .

تابعتاه ببصرهما ، حتى غادر الحجرة ، ثم غمغمت (سلوى) فى عصبية :

- ما يحدث هنا لا يروق لى .. لا يروق لى أبدًا :

لم تُعلِّق (نشوى) على العبارة ، إلا أن شيئًا ما فى أعماقها كان يشعر أن الأمر أخطر مما تتصوَّر أمها ..

أخطر بكثير ..

★ ★ ★

« كل هذا لا يروق لى أبدًا يا سيادة الوزير .. »

نطق الدكتور (كريم) العبارة فى توتر بالغ ، وهو يهزّ رأسه فى قوة ، متابعًا :

- المدرَّعة (صلب) لم تختبر بعد ، وهى معدَّة أساسًا لحمل قواعد الصواريخ الموجَّهة ، وكل مهمتها أن تمتص رد الفعل ، عن طريق الانتشار الأرضى ، ولا يمكننا أن نضمن صلاحيتها ، فى أمر كهذا ، بعد ما شاهدنا عنف العاصفة .

أجابه الوزير فى برود :

- احتفظ بمخاوفك السخيفة هذه لنفسك ، وسيسير كل شيء على ما يرام .

هزَّ الرجل رأسه مرة أخرى ، وقال :

- لست أعتقد أن (صلب) ستحتمل طويلاً .

ابتسم الوزير ، قائلاً :

- يكفينى أن تحتمل ، حتى ينقل إلينا ذلك المقدم وعائلته كل النتائج .

تساءل الدكتور (كريم) فى قلق :

- ثم ؟!

مطَّ الوزير شفتيه ، مجيبًا فى لا مبالاة :

- ثم فليذهب كل شىء إلى الجحيم .

واستعاد ابتسامته ، مضيفًا :

- وكل شخص .

اتسعت عينا العالم فى هلع ، وهو يحدِّق فى الوزير غير مصدِّق ، ثم لم يلبث أن قال فى عصبية :

- خطأ يا سيادة الوزير .. هذا الأسلوب فى العمل خطأ جسيم .

هتف الوزير بغضب هادر :

- خطأ ؟! كيف تجرؤ على تجاوز حدودك على هذا النحو يا رجل ؟! أنت مجرَّد مستشار علمى ، وليس من حقك أن تتدخَّل فى الاستراتيجية العامة للوزارة .

قال الدكتور (كريم) فى حدَّة ، وكأنما لم يعد بإمكانه احتمال ما يحدث :

- استراتيجية مدمرة ، تذكرنى باستراتيجية الوزارة السابقة ، التى قادتها إلى تجاوز كل قواعد الشرعية ، والتورط فى محاولة انقلاب عقيمة فاشلة ، كان فيها نهايتها(*).

احتقن وجه الوزير فى شدَّة ، وهو ينهض من مقعده ، قائلاً بغضب هادر :

- ما زلت تتجاوز حدودك ؟!

هتف الدكتور (كريم) :

(★) راجع قصة (الغزاة) .. المغامرة رقم ١٢٤

- أظننى أقل من يتجاوز الحدود ، فى هذه الحجرة ، وأقل من ..

قاطعته صرخة هادرة من الوزير :

- اخرس .

وبضغطة زر ، اندفع طاقم الحراسة إلى الحجرة ، فصاح فيهم ، وهو يلوّح بسبّابته فى وجه المستشار العلمى :

- اعتقلوا هذا الرجل .

اتسعت عينا الدكتور (كريم) فى ذعر ، وهو يهتف مستنكرًا :

- سيادة الوزير ..

تابع الوزير فى غضب شديد :

- لقد حاول اغتيالى .

دارت عينا الدكتور (كريم) فى محجريهما ، وهو يهتف :

- أنا ؟!

رمقه الوزير بنظرة نارية ملتهبة ، وهو يواصل حديثه لحراسه :

- لقد شاهدتم هذا بأنفسكم .. أليس كذلك ؟!

مال أحد الحراس ، وانتزع مسدسًا مدنيًّا من حذائه ، ودسه فى يد الدكتور (كريم) ، قائلاً بابتسامة ساخرة :

- بالتأكيد يا سيادة الوزير .

حدَّق المستشار العلمى فى المسدس بذعر ، ثم ألقاه أرضًا فى حدة ، هاتفًا :

- أهذه هى الاستراتيجية ، التى تتحدَّث عنها ؟! أن تتحوَّل وزارة الدفاع ، درع البلاد وسيفها ، إلى منظمة إجرامية حقيرة ، كل مهمتها تجاوز القوانين وتلفيق التهم للأبرياء .

برقت عينا الوزير ، وهو يقول فى غضب صارم :

- أضيفوا تهمة إهانة وزير ، وهو يؤدى عمله ، وتحفظوا على هذا المسدس ، فهو يحمل بصماته ، ويعد الدليل المادى المؤكد ، على محاولته اغتيالى .

احتقن وجه الدكتور (كريم) ، وهو يصرخ :

ـ يا للحقارة !

أشار الوزير بيده فى حدة ، هاتفًا :

ـ خذوه .

جذب رجال الحراسة الرجل فى غلظة وقسوة ، وهو يصرخ :

ـ لن تنجو بفعلتك هذه .. لن تنجو أبدًا .

تألّقت عينا الوزير ، وهو يتمتم :

ـ أنت لا تفهم شيئًا أيها الغبى .

وعاد يجلس على مقعده ، وعيناه تتألقان أكثر وأكثر ، على نحو عجيب ، وهو يستدير ليلقى نظرة على صورة وجهه ، المنعكسة على زجاج النافذة المجاورة ..

ولثوان ، بدا وكأن الزجاج يهتزّ على نحو غريب .. ولكن الواقع أن الزجاج لم يهتزّ أبدًا ..

وجه الوزير هو الذى فعلها ..

لقد راح يرتجّ ، ويتموّج على نحو مدهش ، كما لو أنه جسم جيلاتينى مرن للغاية ..

أو كأننا أمام ظاهرة أخرى خارقة ..

ظاهرة غير بشرية ..

وعلى شفتى الوزير ، ارتسمت ابتسامة عجيبة .. ابتسامة شيطانية ..

ولكن فجأة ، دق باب الحجرة ، وارتفع صوت من خلفه ، يقول فى احترام :

ـ المقدّم (نور) يا سيادة الوزير .

وبسرعة مدهشة ، توقّفت التموجات ، واستعاد وجه الوزير هيئته البشرية ، فتحسّسه بيده ، قائلاً فى صرامة :

ـ أدخله .

دلف (نور) إلى حجرة الوزير ، وأدى التحية العسكرية ، قائلاً :

ـ المقدم (نور الدين) .

تراجع الوزير فى مقعده ، وهو يسأله فى برود :

- هل استعد فريقك لأداء المهمة فجر الغد ؟!

قال (نور) فى حزم :

- ليس قبل أن نطمئن إلى وسيلة الحماية يا سيادة الوزير .

مطَّ الوزير شفتيه ، وهو يقول :

- هكذا .

ثم نهض من خلف مكتبه ، مستطردًا فى صرامة :

- وماذا لو قلت لك : إنه أمر مباشر أيها المقدَّم ؟!

هزَّ (نور) كتفيه ، وقال :

- لا يمكنك أن تصدر لأى مخلوق أمرًا بالانتحار يا سيِّدى .

قال الوزير فى صرامة :

- لو أمرت طاقم حراستى بإطلاق النار على نفسه الآن ، لفعل بلا تردُّد .

ابتسم (نور) فى هدوء ، وهو يقول :

- سيسعدنى فى الواقع أن أرى تجربة عملية لهذا .

انعقد حاجبا الوزير فى غضب ، وهو يتطلَّع إليه بنظرة نارية أخرى ، ثم لم يلبث أن اعتدل ، قائلاً :

- إجابة ذكية وخبيثة أيها المقدَّم .. فليكن .. سأريك وسيلة الحماية .

ثم اتجه إلى أحد جدران مكتبه ، وضغط زرًّا خفيًّا فيه ، فخفتت أضواء الحجرة ، وأضيئت شاشة كبيرة ، تحتلّ معظم الحائط ، وراحت تعرض بعض المشاهد المتتابعة لعربة مدرعة كبيرة ...

وفى شىء من الزهو والثقة ، قال الوزير :

- هل تبدو لك مناسبة ؟!

ولم يجب (نور) ..

بل وربما لم يسمع حتى سؤال الوزير ..

لقد شغلته تلك المشاهد تمامًا ..

المشاهد التى تثبت أن وسيلة الحماية مناسبة .. مناسبة للغاية .

* * *

٧ - كل الخطر ..

لم تكد عقارب الساعة تعلن تمام التاسعة ، حتى أشار رئيس الجمهورية إلى مساعده الأوّل ، قائلاً :

- موعد نشرة الأخبار الرئيسية ، لجريدة (أنباء الفيديو) .. دعنا نر كيف تسير الأمور والأحداث .

أشعل مساعده جهاز الهولوفيزيون المجسّم ، وهو يبتسم ، قائلاً :

- المفترض أننا من يصنع الأحداث يا سيادة الرئيس .

تنهّد الرئيس ، قائلاً :

- ربما هذا ما يتصوّره الناس ، ولكن الحقيقة أن الأحداث تجرى دائمًا بأسرع مما يسمح للبشر بصنعها كلها .

غمغم المساعد ، وهو يتراجع إلى مقعده :

- بالتأكيد يا سيادة الرئيس ..بالتأكيد .

اعتدل الرئيس فى مقعده ، وتطلّع فى اهتمام إلى الشاشة المجسمة ، التى عرضت الموسيقى المميزة لنشرة الأخبار الرئيسية ، قبل أن تظهر (مشيرة) على الشاشة ، فابتسم الرئيس ، قائلاً :

- لا بد أنه خبر بالغ الأهمية ، ذلك الذى دفع رئيسة تحرير الجريدة نفسها إلى الظهور ، فى بداية النشرة .

مع آخر كلماته ، بدأت (مشيرة) حديثها ، قائلة فى حزم :

- سيداتى آنساتى سادتى .. خبر اليوم مدهش وعجيب .. ولكنه مؤكد أيضًا .. خبر اليوم لم يكن من الممكن قط أن نتصوَّر سماعه بالأمس القريب .

انعقد حاجبا الرئيس فى اهتمام مترقّب ، فى حين غمغم مساعده :

- تُرى أى خبر هذا ؟!

تابعت (مشيرة) بنفس الحزم :

- لسبب ما ، لم يتم الإعلان عنه ، أو الإفصاح عن أسبابه ، قرَّرت القيادة السياسية إحالة المقدَّم (نور الدين محمود) ، بطل التحرير ، وقاهر غزاة الفضاء والذى حرَّر الأرض كلها من احتلال قهرى رهيب ، وأعاد إليها حريتها وحضارتها ، مع فريقه كله ، إلى محاكمة عسكرية ، بتهمة الإضرار بأمن وسلامة البلاد .

اتسعت عينا المساعد عن آخرهما ، فى حين انتفض جسد الرئيس فى قوة ، وغمغم فى توتر لا محدود :

- مستحيل ! كيف حصلت على هذه المعلومة ؟!

تابعت (مشيرة) :

- ونحن كجريدة ، تابعت تاريخ فريق المقدَّم (نور) المشرِّف ، وتضحياته العديدة من أجل الوطن .. بل من أجل الأرض كلها ، نتساءل ، كما سيتساءل المليارات ، فى كل أنحاء العالم : أية جريمة بشعة رهيبة تلك ، التى ارتكبها فريق المخابرات العلمية ، حتى يحمل تهمة عقوبتها الإعدام ؟!

التقى حاجبا الرئيس فى شدة ، وهتف مساعده فى حنق :

- تلك اللعينة تحاول إحراجنا.

هزَّ الرئيس رأسه ، مجيبًا فى صرامة :

- بل لقد أحرجتنا بالفعل .

هتف المساعد :

- سيِّدى الرئيس .. إننا ..

قاطعه الرئيس بإشارة صارمة من يده ، فابتلع باقى عبارته فى توتر ، فى حين قال الرئيس فى ضيق :

- لقد أحرجتنا أمام أنفسنا ، قبل أن تحرجنا أمام مواطنينا ، ومواطنى العالم أجمع.. كيف فعلنا هذا حقًا ؟! كيف نسينا كل ما فعله (نور) وفريقه من أجلنا ؟! كيف اتخذنا قرارًا بمحاكمتهم ، دون أن نلتفت إلى تاريخهم كله ؟!

قال المساعد :

- إصرار وزير الدفاع يا سيادة الرئيس .

قال الرئيس فى حدة :

- إصراره هذا كان أسخف شىء فعله ، فى تاريخه كله .. لست أدرى حتى لماذا فعل هذا ؟!

ثم التقط سمَّاعة الهاتف ، متابعًا فى حزم :

- ولكن كل شىء يمكن إصلاحه .

سأله المساعد فى قلق :

- ماذا تنوى أن تفعل يا فخامة الرئيس ؟!

أجابه الرئيس فى صرامة :

- أنوى إصلاح الخطأ فورًا .

سأله المساعد فى قلق أكثر :

- كيف ؟!

أجابه ، وهو يضغط أزرار هاتف الفيديو أمامه :

- بطرق الحديد وهو ساخن .

ثم ارتسمت على شفتيه ابتسامة ، فور أن بدأ الهاتف عمله ، وهتفت (مشيرة) على الشاشة ، فى اللحظة نفسها فى انفعال :

- سيداتى آنساتى سادتى .. مفاجأة لم نكن نتصوَّر حدوثها .. فخامة رئيس الجمهورية يشرفنا باتصال مرئى مباشر .. مساء الخير يا سيادة الرئيس ، مرحبًا بك على شاشة (أنباء الفيديو) .

وانعقد حاجبا مساعد الرئيس فى توتر بالغ ..

فالذى يفعله الرئيس الآن ، سيسبِّب حتمًا أزمة أخرى ..

أزمة سياسية ..

أو عسكرية ..

وهذا الأكثر خطورة ..

* * *

« وسيلة آمنة إلى حد مدهش .. »

نطق (نور) العبارة فى ارتياح كبير ، جعل (سلوى) و (نشوى) تتساءلان فى آن واحد :

- حقًّا ؟!

أشار (نور) بيديه ، قائلاً :

- سيارة مدرَّعة جديدة ، تم تصميمها بحيث تحمل قاعدة صواريخ بعيدة المدى ، ولأن رد فعل إطلاق تلك الصواريخ قوى للغاية ، فقد زوِّدت المدرَّعة بنظام تثبيت خاص ، بحيث تخرج من أمامها وخلفها وجانبيها أعمدة من الصلب القوى ، تنغرس لأربعة أمتار فى الرمال ، بالإضافة إلى ثقلها البالغ ، بحيث يصبح اقتلاعها من مكانها ضربًا من المستحيل .

تساءلت (نشوى) :

- حتى مع عاصفة كهذه ؟!

أجابها (نور) :

- رجال الجهاز العلمى العسكرى درسوا هذا الأمر ، وقاموا بقياس قوة العاصفة ، مما سجلته الأقمار الصناعية ، ووجدوا أن تلك المدرعة يمكنها الصمود فى وجه العاصفة طويلاً .

سألته (سلوى) :

- من أبلغك هذا ؟!

صمت لحظة ، قبل أن يجيب :

- الوزير شخصيًا .

بدا عليها التوتر ، وهى تقول :

- لست أدرى لماذا لا أشعر بالثقة تجاهه !

تنهَّد (نور) ، قائلاً :

- أنا أشاركك هذا الشعور ، ولكننى لم أجد مبررًا لخداعنا ، فى أمر كهذا .. لقد استعانت بنا وزارة الدفاع ، للقيام بهذه المهمة ، باعتبارنا أفضل فريق علمى ، وليس من مصلحتها تعريضنا لأى خطر كان .

تبادلت (نشوى) نظرة صامتة مع أمها ، قبل أن تقول :

- هذا منطقى بالتأكيد ، ولكن ..

سألها فى اهتمام:

- ولكن ماذا ؟!

تردَّدت لحظة ، ثم قالت فى حزم :

- لماذا لا نفحص هذا الأمر بأنفسنا ؟! ألا يمنحنا هذا شعورًا أكبر بالثقة والأمان ؟!

لم تدر أبدًا كم كان سؤالها عـادلاً منطقيًا ، بالنسـبة لـه ..

ربما لأنه جال بخاطره قبلها ..

بل وطرحه على الوزير مباشرة ..

لحظتها أجابه الوزير ، قائلاً :

ـ رجالنـا أيضًا علمـاء وخبـراء فى مجالهم أيهـا المقدَم ، ثم إن المدرَعة الجديدة (صلب) تعدَ أحد الأسرار العسكرية بالغة السرية ، ولن يمكننا منحكم تصميماتها ومقاييسها بهذه السهولة .

ثم ربَت على كتفه ، مضيفًا :

ـ ثق بنـا أيهـا المقـدَم .. نحن أصـحاب المصلحة الأولى ، فى أن تنجح مهمتكم هذه .

تبريره أيضًا كان عادلاً منطقيًا ..

حتى ولو كان يتعارض مع رغبته ، ورغبة فريقه ..

وبصوت ، حاول أن يجعله مقنعًـا ، أجاب (نـور) ابنته :

ـ أعتقد أنه ينبغى أن نمنحهم بعض الثقة .. أليـس كذلك ؟!

لم تجب (نشوى) ، ولكن أمها قالت فى ضيق :

ـ مقابل ماذا يا (نور) ؟! إننا معزولون هنا تقريبًـا .. لا اتصالات أو محادثـات .. لقد منعونـا حتـى مـن حمـل هواتفنـا الخاصـة ، وأى جهاز اتصـال آخـر ، داخلـى أو خارجى ، أو حتى محدود الموجة ، ثم إننا لا نستطيع مغادرة هـذه القاعة ، إلا بنـاء على استدعاء رسمى ، وبصحبة حارس .. هـل تعتقد أنه من الممكن أن تمتـد جسور الثقة ، بين السجين وسجَانه ؟!

كـان يرغـب فـى تـبرير الأمـر وتخفيفـه ، إلا أن طبيعته المنطقية جعلته يجيب فى حزم :

ـ كلاً .

ثم استدرك فى سرعة :

ـ ولكن من واجبنا أن نقوم بالمهمة .

تنهَدت (نشوى) ، قائلة :

ـ لو أنه لا يوجد سبيل آخر .

ثم استدارت إلى جهاز الكمبيوتر الخاص بها ، متابعة :

- وعلى أية حال ، يمكننى القيام بفرضية جدلية ، لاختبار وسيلتهم هذه .

ولم يعترض (نور) ..

أو يُعلِّق ..

ففى أعماقه ، كانت تلك المهمة ترتبط بموجة قوية من الخوف والقلق ..

موجة بلا حدود ..

* * *

مطَّ الحارس الضخم شفتيه فى حنق ، عندما ارتفعت دقات (أكرم) العنيفة مرة أخرى ، على باب زنزانته ، فاتجه نحوه فى حدة ، قائلاً :

- ماذا تريد هذه المرة ؟!

أجابه (أكرم) فى هدوء عجيب :

- ما زلت أصرّ على الخروج من هنا .

قال الحارس فى خشونة :

- لو واصلت إصرارك هذا ، ستكون العواقب وخيمة .

هزَّ (أكرم) رأسه بنفس الهدوء ، قائلاً :

- خطأ يا هذا .. العواقب الوخيمة ستحدث ، لو أنكم أصررتم على بقائى هنا ؛ فالشىء الذى ينبغى أن تدركه ، هو أننى أحد رجال المخابرات العلمية .

قال الحارس بنفس الخشونة ، وهو يهم بإغلاق الفتحة الصغيرة :

- هذا لا يعنينى .

اعترض (أكرم) طريق الفتحة الصغيرة بأصابعه القوية ، وهو يقول :

- قد تتصوَّر هذا ، ولكن الواقع أن الأمر يعنيك كثيرًا ؛ لأننا ، بحكم عملنا ، نعرف الكثير من المعلومات والأسرار ، التى لا يمكن السماح بوقوعها فى يد أى مخلوق ، فى الخارج أو الداخل .

جذبت كلماته انتباه الحارس الضخم ، فتساءل فى حذر :

- وماذا فى هذا ؟!

رفع (أكرم) قبضته المضمومة ، وهو يجيب :

- التعليمات لدينا هو ألا نسمح لأى مخلوق بانتزاع المعلومات والأسرار منا ، حتى ولو كان الثمن هو حياتنا ، لذا فإما أن يُطلق سراحنا ، أو ..

هتف الحارس فى توتر :

- أو ماذا ؟!

لوَّح (أكرم) بقبضته ، مجيبًا :

- أو نتناول هذا القرص السام .. تكفى ضغطة واحدة بأسناننا عليه ، حتى ينتشر السم فى الجسد ، ويلقى المرء مصرعه ، قبل مضى دقيقة واحدة .

انعقد حاجبا الحارس ، وهو يحدِّق فى قبضة (أكرم) ، قبل أن يهز رأسه فى قوة ، قائلاً :

- لست أصدِّق هذا .

قلب (أكرم) شفتيه ، قائلاً :

- هذا ما توقعته للأسف .

ثم ألقى قرصًا صغيرًا فى فمه ، مستطردًا :

- إنك لم تترك لى الخيار إذن .

نطقها ، واتسعت عيناه عن آخرهما ، وانحنى يمسك معدته ، ثم هوى أرضًا ، وهو يطلق آهة ألم مكتومة ..

وارتبك الحارس بشدة ..

ماذا يفعل ؟!

هل يتركه ليموت ؟!

أم يبلغ الوزير ؟!

وهل سيجد الوقت ليفعل ؟!

كان أخشى ما يخشاه أن يلقى السجين مصرعه .. ويلقى هو جزاء هذا ..

ولكن الوقت يمضى بسرعة مخيفة ..

وآهات (أكرم) تخفت ..



نطقها ، واتسعت عيناه عن آخرهما ، وانحنى يمسك معدته ، ثم هوى أرضًا ، وهو يطلق آهة ألم مكتومة ..

وتخفت ..

وتخفت ..

ولم يعد هناك مجال للتردُّد ..

لذا ، فقد أسرع الحارس الضخم يفتح باب الزنزانة ، واندفع نحو (أكرم) ، فى محاولة لإسعافه ، و ..

وفجأة ، استعاد (أكرم) كل نشاطه وحيويته ، وهو يركل الحارس الضخم فى معدته ، ركلة كالقنبلة ، قائلاً :

- هل تعلم أن (نور) كان على حق ..

وفى نفس اللحظة ، التى انثنى فيها الحارس ، من ألم الركلة القوية ، وثب (أكرم) واقفًا على قدميه ، وكال له لكمتين ساحقتين متعاقبتين ، فى أنفه وفكه ، مستطردًا :

- الهدوء يربح أكثر .

وبوثبة مرنة ، دار حول نفسه ، وركل الحارس فى أنفه مباشرة ، وهو يضيف فى سخرية :

- والعقل ينتصر دائمًا على القوة .

دفعت الركلة الأخيرة الحارس إلى الخلف فى عنف ، فارتطم بالجدار فى قوة ، ثـم جحظت عينـاه ، وهوى على وجهه أرضًا ..

وبسرعة ، ودون أن يضيع لحظة واحدة ، انحنى (أكرم) يختطف مفاتيح الزنزانة ، وسلاح الحارس ، وهو يقول :

- هيا .. استمتع بإقامتك هنا ، وسأكمل أنا مهمتى .

تحرَّك فى خفة ، فأغلق باب الزنزانة الضخم ، ثم راح يتحرَّك فى الممر المواجه لـه فى حذر ، ممسكًا سلاحه فى تحفز ..

كان من الواضح أنها منطقة قديمة ، لم تمتدّ إليها يد التكنولوجيا الحديثة بعد ، فهى عبارة عن ممر طويل ، مضاء بمصباح واحد ، وبه عدد من الزنـازين الفارغة ، و ..

وفجأة ، لمح رجلاً يجلس داخـل أقرب زنزانـة إلى باب الخروج ..

رجل وقور أشيب ، تبدو ملامحه أقرب إلى رجال العلم ، منه إلى العسكريين ، الذين يزخر بهم المكان ..

وفى نفس اللحظة لمحه الرجل ، ولمح السلاح فى يده ، فهبَّ من مجلسه مذعورًا ، وتراجع حتى التصق بالجدار ، وهو يهتف :

- ما .. ماذا ستفعلون بى ؟! ألم يكفكم تلفيق التهم الظالمة ، والاعتقال بهذا الأسلوب الـ ..

قاطعه (أكرم) فى صرامة :

- اهدأ يا رجل .. لست هنا مـن أجلك .. لقد كنت معتقلاً مثلك .

اتسعت عينا الرجل ، وهو يقول :

- معتقل ؟!

ثم التقـى حاجبـاه ، وهـو يتطلَّـع إلـى (أكرم) فى اهتمام ، قبل أن يهتف :

- رباه ! إننى أعرفك يا رجل .

قال (أكرم) بنفس الصرامة :

- لست أعتقد أننا قد التقينا من قبل .

لوَّح الرجل بسبَّابته ، هاتفًا :

- ولكننى قرأت ملفك كله ، عندما كنت أراجع كل المعلومات الخاصة بفريق المقدَّم (نور) .. أنت (أكرم) .. أليس كذلك ؟!

حدَجه (أكرم) بنظرة حذرة ، وهو يسأله :

- من أنت يا رجل ؟!

هتف الرجل :

- أنا الدكتور (كريم محمود) .. المستشار العلمى لوزير الدفاع .

قال (أكرم) فى دهشة :

- المستشار العلمى؟! فيم وجودك هنا إذن يا رجل ؟!

أجابه فى مرارة :

- الوزير .. الوزير لم يعد كما عرفته .. إنه يتصرَّف بجنون مخيف ..

لقد اعتقلنى بتهمة محاولة اغتياله .. تهمة ظالمة ملفقة ، وطاقم حراسته سيشهد بهذا زورًا ، و ..

ثم اتسعت عيناه بغتة ، وهتف فى ارتياع :

- ولكن دعنا لا نضيع الوقت .. رفاقك فى خطر .. المقدَّم (نور) ، وزوجته وابنته يواجهون الخطر .. كل الخطر .

انعقد حاجبا (أكرم) ، حتى كادا ينعقدان ، وهو يهتف :

- الخطر ؟! ماذا سيصيب الرفاق يا رجل ؟! ماذا سيصيبهم ؟!

هزَّ الدكتور (كريم) رأسه ، فى توتر بالغ ، وهو يجيب :

- الوزير سيرسلهم فى الفجر إلى المنطقة (ص) ، حيث سحقت العاصفة الغامضة من سبقهم ، وسيجرون كل أبحاثهم من داخل المدرَّعة (صلب) ، وهم يتصوَّرون أنها آمنة تمامًا ، وقادرة على مقاومة العاصفة ، ولكن كل دراساتنا أكَّدت أنها لن تصمد فى مواجهتها ، أكثر من دقائق عشر .

سأله (أكرم) فى توتر بالغ :

- وبعدها ؟!

عضَّ الدكتور (كريم) شفتيه ، مجيبًا فى مرارة وأسى :

- وبعدها يلحقون بمن سبقوهم .

اتسعت عينا (أكرم) عن آخرهما ، وهوى قلبه بين قدميه فى عنف ..

الرفاق يواجهون الخطر ..

كل الخطر ..

ومن المستحيل أن يقف مكتوف اليدين ..

مهما كان الثمن ..

وبكل توتره وغضبه ، هتف :

- قل لى : كيف يمكن إنقاذهم يا رجل ؟! أخبرنى .

ألقى الدكتور (كريم) نظرة على ساعته ، وارتجف صوته بشدة ، وهو يقول فى توتر :

- إنها الخامسة صباحًا .. يا للخسارة ! قضى الأمر .. لن يمكنك إنقاذهم يا ولدى .. لن يمكنك إنقاذهم قط .

ومرة أخرى ، هوى قلب (أكرم) بين قدميه ..

وبمنتهى العنف ..

★ ★ ★

لم تشعر (سلوى) بالارتياح قط ، منذ وقعت عيناها على المدرَّعة (صلب) لأوَّل مرة ..

كانت مركبة ضخمة ، بلا أية نوافذ ، يعلوها طبق إرسال رقمى قوى ، وتسير على جنزير من قطع الصلب القوى ..

وفى توتر ، غمغمت :

- يخيل إلىَّ أننى سأختنق داخل هذا الشىء .

كان صوتها خافتًا للغاية ، وعلى الرغم من هذا ، فقد أجابها الوزير :

- إنها مكيفة الهواء .

رفعت عينيها إليه بدهشة ، فابتسم ابتسامته الغامضة ، مضيفًا :

- وبها كل وسائل الرفاهية العسكرية .

سأله (نور) :

- ما المقصود بالرفاهية العسكرية ؟!

هزَّ الوزير كتفيه ، قائلاً :

- مقاعد وثيرة ، ومياه باردة ، وتكييف هواء .

سألته (نشوى) :

- وهل ستكفى كل الأجهزة ؟!

أجاب فى اقتضاب :

- بالتأكيد .

ثم أشار إلى حوامة عسكرية كبيرة ، فأسرع الجنود يمدون منها سلاسل فولاذية ضخمة ، أحاطوا بها المدرعة (صلب) ، فتساءل (نور) فى قلق :

- هل يمكن بالفعل نقلها بهذا الأسلوب ؟!

أشار الوزير إلى الحوامة الكبيرة ، مجيبًا :

- تلك الحوامة يمكنها رفع مائة طن ، وهى تكفى لحمل المدرعة (صلب) وحمل الفريق والمعدات ، وطاقم الحراسة أيضًا .

هتفت (سلوى) مستنكرة :

- طاقم حراسة ؟! هل سيصحبنا طاقم حراسة ؟!

أجاب الوزير فى حزم :

- بالتأكيد .

قال (نور) فى قلق :

- ولكن هذا يعرِّضهم لـ ..

قاطعه الوزير فى صرامة :

- هذا أمر غير قابل للنقاش .

انعقد حاجبا (نور) فى توتر ، وتبادل نظرة عصبية ، مع زوجته وابنته ، فى حين تابع الوزير عمل جنوده ، قبل أن يقول :

- أهم ما فى الأمر هو أن توصلوا جهاز (م م - ١) بطبق الإرسال مباشرة .. نريد أن نتابع النتائج لحظة فلحظة .

غمغمت (سلوى) :

- بالتأكيد .

كان الرجال قد انتهوا من ربط المدرَعة (صلب) بالهليوكوبتر العسكرية الضخمة ، فأشار الوزير بيده ، قائلاً :

- ستهبطون فى موقع ذلك الجسم الكروى مباشرة ، مع شروق الشمس ؛ لأن هذا أنسب وقت لعمل المسبار الموجى (م م - ١) ، كما أكَّد العلماء ، وعليكم بدء العمل ، فور إعداد الأجهزة .

سأله (نور) :

- وماذا سيفعل طاقم الحراسة ؟!

ابتسم الوزير نفس الابتسامة الغامضة ، وهو يجيب :

- سيقوم بحراستكم بالطبع .

قالت (نشوى) فى سرعة :

- لحمايتنا ، أم لمنعنا من الفرار ؟!

انعقد حاجبا الوزير فى غضب ، فأسرعت (سلوى) تقول :

- وهل ستكفى المدرعة كل هذا العدد ؟!

أجابها فى صرامة :

- سيبقون خارجها .

اتسعت عيونهم فى دهشة ، وهتف (نور) معترضًا :

- وماذا إذا ما هبت العاصفة ؟!

قال الوزير فى صرامة أكثر :

- سيحتمون بالمدرَعة .

قال (نور) فى توتر :

- لن يكفى هذا ، فالعاصفة ستخفض نسبة الأكسجين فى الهواء ، والرمال ستملأ صدورهم ، وتحرق أنفاسهم ، و ...

قاطعه الوزير صارمًا :

- هذا هو الفارق بين رجالى ورجالكم ، يا أفراد المخابرات العلمية .. رجالى لا يبالون بهذه السخافات ، وسيلقون أنفسهم فى قلب الجحيم ، بإشارة واحدة منى .

غمغمت (سلوى) :

- هذا لو أنهم يعلمون أنه جحيم .

حملت عبارتها رنة ساخرة ، جعلت حاجباه ينعقدان فى غضب أكثر ، وهو يلتفت إليها صارمًا ، ويحدجها بنظرة كاللهب ، قائلاً :

- إنهم يعلمون .

كان يجب أن تتوقف عند هذا الحد ، إلا أنها وجدت نفسها تقول :

- حقًا ؟!

خُيِّل إليهم أن جذوة من اللهب قد اشتعلت فى عينيه ، قبل أن يقول :

- نعم .. حقًا يا زوجة المقدَّم (نور) .

ثم أشاح بوجهه ، وأشار إلى حوامة ثانية ، مستطردًا فى صرامة :

- هذه ستحملكم مع طاقم الحراسة ، إلى المنطقة (ص) .. هيا .. اذهبوا إليها .

تبادل الثلاثة نظرة صامتة ، ثم أدى (نور) التحية العسكرية ، قائلاً :

- كما تأمر يا سيادة الوزير .

واتجهوا نحو الحوامة ، التى احتشدت فيها معداتهم ، و (سلوى) تغمغم :

- أراهن على أن رجاله لا يعلمون ما ينتظرهم .

غمغم (نور) فى حزم :

- اطمئنى .. سأحرص على أن يعلموا .

فى نفس اللحظة ، التى نطق فيها عبارته ، أشار الوزير إلى رئيس طاقم الحراسة المصاحب للفريق ، فأسرع الرجل إليه ، وأدى التحية العسكرية فى احترام ، قائلاً فى قوة :

- أوامرك يا سيادة الوزير .

أشار إليه الوزير بخفض يده ، قبل أن يميل نحوه ، متسائلاً فى صرامة :

- هل تعلم من هؤلاء ؟!

أجابه الرجل فى سرعة :

- الفريق العلمى يا سيادة الوزير .

قال الوزير :

- بالضبط .. إنهم فريق علمى ، يعمل لحسابنا بصفة مؤقتة ، ولا يمكننا أن نمنحهم ثقتنا كاملة ، ولهذا كان على رجالك أن يصحبوهم إلى موقع البحث ، هل تفهم ؟!

قال الرجل فى حزم :

- أفهم يا سيادة الوزير .

وضع الوزير يده على كتف الرجل ، وهمس فى أذنه :

- احترس أنت ورجالك .. ربما يحاولون خداعكم ، وإيهامكم بأمور غامضة غير مفهومة ، حتى يكسبوكم إلى صفهم .

قال الرجل فى حزم :

- لن نمنحهم الفرصة لهذا .

ابتسم الوزير ، قائلاً :

- بالضبط .. لا تسمحوا لهم بالتحدُّث إليكم .. امنع رجالك من الاستماع إليهم ، مهما كانت الأسباب .. هل تفهم ؟!

هتف الرجل :

- أفهم يا سيادة الوزير .

قال الوزير بلهجة صارمة :

- أما لو لاحت منهم أية بادرة أو محاولة للفرار ، فأطلقوا النار عليهم دون إنذار .. مفهوم ؟

تراجع الرجل خطوة ، وأدى التحية فى قوة ، قائلاً :

- مفهوم يا سيادة الوزير .

أشار الوزير بيده ، وهو يقول :

- انصراف .

أسرع الرجل عائدًا إلى جنوده ، وانتحى بهم جانبًا ؛ لينقل إليهم أوامر الوزير ، قبل أن يهرعوا جميعًا إلى الحوَّامة ، التى ارتفعت مع زميلتها ، التى تحمل

المدرَّعة (صلب) ، وانطلقت الحوامتان نحو الغرب ..

نحو الخطر ..

كل الخطر .

* * *



٨ ـ الخدعة

لم تكن الشمس قد أشرقت بعد ، على مبنى المخابرات العلمية ، عندما توقَّفت سيارة (مشيرة) أمام البوَّابة الرئيسية ، وهبطت هى منها ، قائلة :

ـ لدى موعد مع الدكتور (جلال) .. مدير مركز الأبحاث .. أنا (مشيرة محفوظ) ، رئيس تحرير جريدة (أنباء الفيديو) المرئية .

أشار إليها رئيس فريق الحراسة ، قائلاً فى احترام :

ـ مرحبًا بك يا سيِّدتى .. الدكتور (جلال) فى انتظارك .

ثم تنحنح ، مضيفًا :

ـ ولكننى مضطر لإخضاعك لنظم الأمن ، طبقًا للقوانين .

غمغمت فى عصبية :

ـ لا بأس .. لا بأس ..

شعرت بتوتر بالغ ، وهو يقودها إلى حجرة الفحص ، حيث قام شعاع من الليزر الدقيق بمراجعة بصمات أصابعها ، وتوزيع مسامها العرقية ، وبصمة قزحيتها ، قبل أن يصحبها أحد رجال الحراسة ، عبر ممر طويل ، إلى مبنى مركز الأبحاث العلمية ، حيث استقبلها الدكتور (جلال) فى مكتبه ، وصافحها فى احترام ، قائلاً :

ـ مرحبًا يا سيِّدة (مشيرة) .. لقد حضرت إلى هنا فور اتصالك ؛ فلقد شعرت من صوتك ولهجتك ، أن الأمر خطير وعاجل ، على الرغم من أننى علمت ، عبر شاشتك بالتحديد ، من خلال الاتصال المباشر لسيادة الرئيس ، أنه قد صدر عفو شامل عن (نور) وزوجك وباقى الفريق .

قالت فى توتر :

ـ الشىء الذى لا تعلمه يا دكتور (جلال) ، هو أن الفريق يعمل لحساب وزارة الدفاع ، منذ صباح أمس .

اتسعت عيناه بدهشة بالغة ، وهو يهتف :

ـ وزارة الدفاع .

ثم مال نحوها ، مستطردًا بلهجة مستنكرة :

ـ ولكن هذا مستحيل ! إنه وزير الدفاع شخصيًا ، الذى أصرَّ على عزلهم ومحاكمتهم .

أشارت بسبَّابتها ، قائلة :

ـ بالضبط .

ثم لوَّحت بيدها كلها ، مضيفة فى عصبية :

ـ وهو نفسه الذى خدعهم ، وأوهمهم بأنه قد صدر عفو شامل عنهم ، بشرط أن يعملوا لحساب وزارة الدفاع ، فى مهمة أجهل كل شىء عنها ، ولكنها حتمًا عاجلة وخطيرة ، حتى إنه يمنع أى اتصال بهم ، بعد أن اعتقل زوجى (أكرم) ، لمجرَّد أنه طلب رؤيتهم .

التقى حاجبا الدكتور (جلال) فى شدة ، وهو يحدِّق فى وجهها ، ويتراجع فى مقعده ببطء ، قبل أن يقول :

- سيدة (مشيرة) .. هل تدركين مدى خطورة ما تقولين ؟!

أجابته فى حدة :

- ما أدركه هو أن كل حرف نطقت به حقيقى تمامًا ، ومن مصدر موثوق به ، إلى درجة لا يمكن أن يتطرق إليها الشك .. وما أدركه أكثر هو أن كل لحظة تمضى قد تعنى الكثير للكل .. (نور) و(أكرم) ، و(سلوى) ، و (نشوى) .. بل وربما للمخابرات العلمية كلها .

ازداد التقاء حاجبيه ، وهو يتطلع إليها فى اهتمام ، ثم اعتدل فجأة ، وضغط زر هاتفه المرئى ، قائلاً فى حزم :

- فى هذه الحالة ، ينبغى أن نتحرك بأقصى سرعة .

انتفض قلبها فى انفعال ، وهى تقول :

- بالتأكيد .

وعلى شاشة هاتفه ، ظهرت صورة القائد الأعلى للمخابرات العلمية ، فقال فى انفعال شديد :

- سيادة القائد الأعلى .. معذرةً للاتصال فى هذا الوقت ، ولكن الأمر عاجل بالفعل .. عاجل وخطير ، حتى إنك لن تصدق ما سأخبرك به ..

وانتفض قلب (مشيرة) مرة أخرى فى عنف ..

ومن كل ذرة فى كيانها ، انطلق سؤال قوى ..

ترى هل يمكن أن يتحرك أحد ؛ لإنقاذ زوجها ورفاقه ؟!

وفى الوقت المناسب ؟!

هل ؟!

* * *

فجأة ، انقض (أكرم) على جندى الحراسة ، الذى يقف عند مدخل قبو الزنازين ..

وعلى الرغم من أن ذلك الحارس كان قويًا ضخم الجثة ، ومدربًا على مواجهة أعتى المخاطر ، إلا أن المفاجأة قد أخذته تمامًا ، خاصة وأنه لم يكن يتوقع قط أن تأتيه الهجمة من الداخل ، بعد أن أمروه بمنع أى مخلوق من دخول المكان ، إلا بأمر الوزير شخصيًا ..

وفى عنف ، سقط (أكرم) وغريمه أرضًا ، وتدحرجا عبر الممر ، الممتد أمام مدخل قبو الزنازين ..

ثم استعاد الحارس المدرَّب توازنه أوَّلاً ..

وهبَّ واقفًا على قدميه ..

ورفع مدفعه الليزرى ..

وانقضَّ عليه (أكرم) مرة ثانية ..

وفى هذه المرة ، هوى الحارس على فكه بكعب مدفعه ..

وبمنتهى القوة ..

ومع عنف الضربة وشدتها ، طار جسد (أكرم) ، ليرتطم بالجدار ..

وأدار الحارس فوهة مدفعه نحوه ، وهو يهتف :

ـ أنت جنيت على نفسك .

وتعلَّقت عينا (أكرم) بالفوهة القاتلة ..

وبسبَّابة الحارس ..

وفى اللحظة المناسبة تمامًا ، وثب جانبًا ..

وانطلقت أشعة الليزر ، لترتطم بالجدار ، بصوت أشبه بفحيح ألف أفعى ..

وفى نفس اللحظة ، وثب (أكرم) نحوه ..

وكال له لكمة كالقنبلة ..

ثم انحنى فى سرعة ، ولكمه لكمة كالمطرقة فى معدته ..

وثالثة فى أنفه مباشرة ..

ورابعة على مؤخرة عنقه ..

وانطلق من الحارس صوت عجيب ، وهو يسقط على وجهه أرضًا ، ولكن (أكرم) هتف به ، وهو يدفع مدفعه الليزرى بقدمه ، ويحيط عنقه بساعد كالفولاذ :

ـ لا .. لا تفقد الوعى يا رجل .. ما زال هناك ما أرغب فى سماعه منك .

زمجر الحارس فى غضب وضعف ، وهو يهتف :

ـ لن تحصل منى على حرف واحد .

ضغط (أكرم) عنقه ، فى قوة وقسوة ، قائلاً :

ـ هل تراهن ؟!

ارتفعت من حلق الرجل حشرجة مؤلمة ، وهو يضرب الهواء بذراعيه ، ويديرهما حول ظهره ، محاولاً الإمساك بخصمه ، ولكن (أكرم) تراجع فى حرص مدروس ، وهو يسأله :

ـ أين المقدَّم (نور) وزوجته وابنته ؟! أين هم ؟!

انطلقت من الحارس حشرجة أخرى ، وجحظت عيناه ، وهو يهتف :

ـ قلت : لن تحصل منى على حرف واحد .

صاح به (أكرم) فى غضب :

ـ أخبرنى أو ..

صرخ الرجل بصوت مختنق :

ـ لن تعرف أبدًا .

برز الدكتور (كريم) فى تلك اللحظة ، وهو يقول ، بصوته الوقور الرصين :

ـ لن يخبرك .

رفع (أكرم) عينيه إليه فى غضب ، ورآه ينحنى فى هدوء ، ويلتقط المدفع الليزرى ، متابعًا بنفس الوقار والرصانة :

ـ الحراس الخاصون بمبنى الوزارة ، يتم اختيارهم من أفضل العناصر ، وأكثرها قوة وجلدًا وتدريبًا ، وكلهم من طراز خاص ، حتى إنك لن تنجح فى إخافتهم ، مهما فعلت .

ثم رفع فوهة المدفع ، وصوَّبها نحو رأس الحارس ، مستطردًا :

ـ لذا فأفضل ما تفعله هو أن ..

وصمت لحظة ، قبل أن يكتسب صوته صرامة مباغتة ، وهو يضيف :

ـ تتخلَّص منه نهائيًا .

جحظت عينا الحارس ، وهو يحدِّق فى وجه العالم ، الذى بدا صارمًا قاسيًا شرسًا ، وسبَّابته تهمّ بضغط زناد المدفع ، و ..

« لقد رحلوا .. » ..

هتف بها الحارس فى هلع ، وهو يرفع يده ليحمى وجهه ، فارتفع حاجبا (أكرم) لحظةً فى دهشة ، ثم انخفضا فى سرعة ، وهو يسأله فى صرامة :

- إلى أين ؟!

أجابه بصوت مختنق :

- إلى المنطقـة (ص) .. الحوامات حملتهم مع المدرَّعة الجديدة إليها ، منذ عشر دقائق تقريبًا .

انعقد حاجبا (أكرم) ، وهو يهتف :

- أيها الأوغاد !

ومع هتافه ، هوى على مؤخرة عنق الحارس بلكمة قوية ، جحظت لها عينا هذا الأخير ، قبل أن يهوى فاقد الوعى ، فنهض (أكرم) ، قائلاً :

- تصوَّرت لحظة أنك ستطلق النار عليه بالفعل .

ألقى الدكتور (كريم) المدفع الليزرى من يده فى حدة ، وهو يطلق زفرة ملتهبة ، قائلاً :



ومع هتافه ، هوى على مؤخرة عنق الحارس بلكمة قوية ، جحظت لها عينا هذا الأخير ، قبل أن يهوى فاقد الوعى ..

ـ إنها أصعب لحظات حياتى ، ولكننى كنت أعلم أن هذا هو الأسلوب الوحيد ، الذى سيدفعه للكلام .. أن يدرك أننا لا نهزل أو نهدِّد فحسب ، بشأن قتله .

ربَّت (أكرم) على كتفه ، قائلاً :

ـ لقد لعبت دورك بمنتهى البراعة .

زفر الرجل مرة أخرى ، وهو يهزّ رأسه فى قوة ، فانعقد حاجبا (أكرم) ، وهو يقول فى توتر :

ـ ولكن دعنا من هذا الآن ، وأخبرنى : ألا توجد وسيلةَ للحاق بالرفاق ، قبل أن يواجهوا الخطر ؟!

ألقى الرجل نظرة على ساعته ، قائلاً :

ـ لقد رحلوا منذ عشر دقائق تقريبًا ، ومع حوامات نفاثةَ قويةَ كهذه ، تستغرق الرحلة ثلاث عشرة دقيقة ، وهذا يعنى أنهم سيهبطون فى المنطقة (ص) ، خلال ثلاث دقائق على الأكثر .

غمغم (أكرم) فى عصبية :

ـ رباه !

تابع الدكتور (كريم) فى انفعال :

ـ إعداد الأجهزة للعمل يحتاج إلى عشر دقائق أخرى ، ولو أن نظرية المقدَّم (نور) صحيحة ، وأن موجات الأشعة ، التى يطلقها (م م ـ ١) ، هى السبب المباشر فيما يحدث ، فهذا يعنى أن أمامهم خمس عشرة دقيقة من الآن ، قبل أن ..

وامتقع وجهه تمامًا ، وغارت عيناه ، وهو يكمل بصوت شاحب :

ـ قبل أن تسحقهم العاصفة سحقًا .

اتسعت عينا (أكرم) عن آخرهما فى ارتياع ، وهو يقول :

ـ رباه ! هذا يعنى أنه من المحتم أن نعثر على وسيلةَ لبلوغ المنطقة (ص) ، خلال دقيقتين فحسب .

ثم أدار عينيه إلى الدكتور (كريم) فى حزم شديد ، مضيفًا :

ـ ولابد أن تكون هذه الوسيلةَ هى حوَامة نفاثة أخرى .

أمسك الرجل ذراعه فى قوة ، وهتف فى انفعال :

ـ حوَّامة الوزير .

تألَّقت عينا (أكرم) ، وهو يقول :

ـ أرشدنى إليها .

تراجع العالم بوجه شاحب ، وهو يقول :

ـ إنها .. إنها فى الفناء الخلفى ، ولكن .. ولكن ..

هتف به (أكرم) :

ـ ولكن ماذا ؟!

أجاب فى توتر بالغ :

ـ ولكنها محاطة بحراسة قوية ، ثم إننا لن نستطيع قيادتها .

قال (أكرم) فى حزم :

ـ لا تقلق نفسك من هذه الناحية .. أرشدنى إليها فحسب .

تطلَّع إليه العالم بضع لحظات فى تردُّد ، قبل أن يحسم أمره ، قائلاً :

ـ هيا بنا .

ثم توقف ، ليسأله ، مستعيدًا قلقه :

ـ ولكن كيف ستتجاوز الحراسة ؟!

هزَّ (أكرم) رأسه ، قائلاً :

ـ ومن قال إننى سأفعل ؟!

بدت الدهشة على وجه العالم ، فتابع (أكرم) ، وعيناه تتألقان على نحو عجيب :

ـ أنت ستفعل .

واتسعت عينا مستشار الوزير فى ارتياع ، على الرغم من أنه لم يفهم ما يعنيه (أكرم) ..

لم يفهم أبدًا ..

* * *

بدت ملامح القائد الأعلى للمخابرات العلمية المصرية جامدة صارمة ، وهو يواجه (مشيرة) فى مكتبه ، بعد أن أعادت القصة كلها على مسامعه ، قائلاً :

ـ هل تدركين ما الذى يعنيه ما تقولين يا سيِّدة (مشيرة) ؟!

أجابته فى عصبية :

ـ تمام الإدراك .. ومستعدة لتحمل كافة النتائج والمسئوليات .

ثم بدت لهجتها أشبه بالتوسُّل ، وهى تضيف :

ـ المهم أن تسرعوا .

رمقها القائد الأعلى بنظرة صارمة ، وهو يقول :

ـ كلامك هذا يعنى أن السيِّد وزير الدفاع ، قد تجاوز كل صلاحياته الرسمية ، والسياسية ، والعسكرية ، وأنه قد جنَّد فريقًا للمخابرات العلمية ، بوساطة التمويه والخداع ، للقيام بمهمة تجهل حتى القيادة السياسية كل شىء عنها .

هتفت :

ـ بالضبط .. المهم أن تسرعوا باتخاذ أية إجراءات ، قبل أن يضيع الوقت ، ونفقدهم جميعًا .

قال الدكتور (جلال) :

ـ اهدئى يا سيدةَ (مشيرة) .. سيادة وزير الدفاع لن يسعى لإيذائهم حتمًا .

هتفت محنقة هذه المرة :

ـ حقًّا ؟! دعنى أذكرك إذن أن وزير الدفاع هذا هو نفس الشخص ، الذى سعى لعزلهم من وظائفهم ، وهدَّد بالاستقالة ، لو لم تتم محاكمتهم ، وهو نفس الشخص ، الذى جعل المحاكمة عسكرية ، حتى تتم تحت قيادته شخصيًّا ، وهو يعلم أن عقوبة التهمة الموجَّهة إليهم هى الإعدام .

تبادل الدكتور (جلال) نظرة متوترة ، مع القائد الأعلى ، ثم قال الأخير فى حزم :

ـ اطمئنى يا سيِّدة (مشيرة) .. إننا نقلق بشأن المقدَّم (نور) وفريقه ، بأكثر مما تفعلين ، ولن نتخلَّى عنهم قط ، أو ..

قبل أن يتمَّ عبارته ، ارتفع رنين هاتفه الخاص ، فالتقط سمَّاعته فى سرعةٍ ، دون أن يضغط زر الاتصال المرئى ، وقال :

ـ ماذا لديك ؟!

كان من الواضح أنه يعرف صاحب الاتصال ويتوقَّعه ، لذا فقد استمع إليه فى اهتمام شديد ، شاركه إياه الدكتور (جلال) و (مشيرة) ، وكلاهما يتطلَّع إليه فى قلق ، حتى غمغم :

ـ فليكن .

وعندما أنهى الاتصال ، لم تكن ملامحه توحى قط بالتفاؤل ، لذا فقد سألته (مشيرة) ، وقلبها يخفق فى عنف :

ـ ما .. ماذا حدث ؟

انطلقت من أعمق أعماق القائد الأعلى زفرة بركانية ، وهو يقول :

ـ يبدو أن الأمور قد أفلتت من بين أيدينا .

شحب وجهها بشدة ، واتسعت عيناها فى ارتياع ، فتابع :

ـ المهمة بدأت بالفعل .

وانطلقت من حلقها صرخة ..

صرخة حملت كل ارتياعها ..

كله ..

★ ★ ★

تحرَّكت كاميرات المراقبة مع عيون رجال الحراسة ، نحو الدكتور (كريم) ، فى نفس اللحظة ، التى خطا فيها إلى مهبط الحوامة ، الخاصة بوزير الدفاع ، وارتفعت فوهات المدافع الليزرية فى تحفز ، فتراجع العالم بدرجة حادة ، وهو يهتف :

ـ رويدكم .. إنه أنا .

نطقها ، وهو يتمنى فى أعماقه ألا تكون أخبار إلقاء القبض عليه قد بلغتهم ..

ومن حسن حظه أن كان هذا صحيحًا ؛ فلقد انخفضت فوهات مدافعهم ، وأحدهم يهتف بدهشة :

ـ دكتور (كريم) ؟! ماذا تفعل هنا ؟! معذرة يا سيِّدى .. أعنى فى هذه الساعة ؟!

تقدَّم الرجل نحوهم بساقين مرتجفتين ، وهو يقول :

ـ إنه كشف علمى دورى ، على نظم الأمن الإليكترونية ، فى حوَّامة الوزير الخاصة .

قال الرجل فى دهشة ، امتزجت بلمحة من الشك :

ـ فى هذه الساعة ؟!

هزَّ الدكتور (كريم) كتفيه ، قائلاً ، وهو يبذل قصارى جهده وأعصابه ، ليرسم على شفتيه ابتسامة :

ـ العمل لا يعرف المواعيد يا رجل .

ثم استدار خلفه ، هاتفًا :

ـ أحضر المعدات .

برز (أكرم) من خلف قائم كبير ، وهو يحمل حقيبة كمبيوتر صغيرة ، اتجه بها بخطوات ثابتة نحو حوَّامة الوزير ، وتابعه الحراس ببصرهم فى عصبية ، قبل أن يعترض قائدهم طريقه ، قائلاً فى صرامة :

ـ معذرة .. لا بد من استئذان الوزير أوَّلاً .

خفق قلب الدكتور (كريم) فى عنف ، وهو يتظاهر بالدهشة ، هاتفًا :

ـ فى هذه الساعة ؟!

أجابه قائد الحرس فى صرامة :

ـ الأوامر هى الأوامر .

صاح به العالم فى صرامة مصطنعة :

ـ هل جننت يا رجل ؟! سيادة الوزير لم يحظ بدقيقة واحدة من النوم ، منذ صباح أمس ، والمفترض أننا نراجع كل شىء فى حوامته الخاصة ، حتى ينطلق بها فور استيقاظه ، فهل ستقلقه الآن ، حتى نسأله عما إذا كان يسمح لمستشاره الخاص ، ورئيس جهازه العلمى العسكرى ، بمراجعة إجراءات الأمن فى حوامته ، وهو الذى لا يخطو خطوة واحدة ، قبل استشارتى ؟!

بدا التردُّد على وجه قائد الحرس ، وهو يقول :

ـ ولكن الأوامر تحتم أن نتلقى إشعارًا مسبقًا ، فى مثل هذه الأمور .

جفَّ حلق الدكتور (كريم) ، وهو يلوِّح بيده ، قائلاً :

ـ ليس فى مثل هذه الظروف .. ألا تدرك ما يحدث هذه الأيام .

كرَّر قائد الحرس فى صرامة :

ـ الأوامر هى الأوامر .

همَّ الدكتور (كريم) بقول شىء ما ، لولا أن قال (أكرم) فى هدوء :

ـ لا ترهق نفسك يا سيِّدى .. من الواضح أن الرجل عنيد للغاية ، فى مثل هذه الأمور .

ثم تطلَّع إلى قائد الحرس ، متابعًا فى شىء من السخرية :

ـ دعه يجرى اتصاله بسيادة الوزير ، ويوقظه من نومه ، فى مثل هذه الساعة .. على الأقل هو الذى سيتلقَّى غضبه كله .

واتسعت ابتسامته الساخرة ، مستطردًا :

ـ هيا يا رجل .. أجر الاتصال .. هيا .

تردَّد قائد الحرس بضع لحظات ، ثم لم يلبث أن قال فى توتر :

ـ فليكن .. سأحتاج توقيعًا رسميًا للقيام بهذا .

تنفس الدكتور (كريم) الصعداء ، وهو يقول :

ـ لا بأس .. أحضر أوراقك .

تراجع الرجل لإحضار الأوراق ، فزفر الدكتور (كريم) فى شدة ، جعلت (أكرم) يبتسم ، قائلاً :

ـ مرة أخرى يثبت (نور) أنه على حق .. الهدوء يربح أكثر .

أحضر قائد الحرس الأوراق ، فوقَّعها الدكتور (كريم) ، وأعادها للرجل ، وهو يقول لـ (أكرم) فى توتر :

ـ هيا .. دعنا نختبرها أوَّلا ، قبل أن نجرى أية تعديلات .

هتف قائد الحرس :

ـ تختبرها ؟! هل تعنى أنكما ..

قاطعه (أكرم) فى صرامة :

ـ سنقلع بها فى دورة اختبارية بالطبع .. هل تجهل هذا أيضًا ؟!

ثم هتف الدكتور (كريم) :

ـ ماذا دهاكم ؟! أنا مستشار الوزير، ولست خصمه الأول .

تردَّد قائد الحرس بضع لحظات أخرى ، ثم تراجع خطوة ، وأدى التحية العسكرية ، قائلاً :

ـ معذرة يا سيِّدى .

اتخذ (أكرم) مقعد القيادة داخل الحوَّامة ، وجلس الدكتور (كريم) إلى جواره ، وهو يقول بصوت مرتجف :

ـ لست أصدِّق أننى قد فعلت هذا .

ضغط (أكرم) أزرار القيادة ، قائلاً فى حزم :

ـ كانت هذه هى الوسيلة الوحيدة ، فحتى لو نجحنا فى الاستيلاء على الحوامة بالقوة ، كانوا سيطاردوننا فى شراسة ، ويضيع الوقت كله ، فى محاولة الفرار منهم .

غمغم الدكتور (كريم) ، وهو يتطلَّع إلى الحراس فى عصبية :

ـ أأنت واثق من قدرتك على قيادتها ؟!

جذب (أكرم) ذراع الحوَّامة ، قائلاً :

ـ ما رأيك أنت ؟!

ارتفعت الحوَّامة النفاثة إلى أعلى فى بطء ، ثم ضغط (أكرم) أحد أزرارها ، فانطلقت إلى الأمام بفرقعة مكتومة ، و (أكرم) يهتف :

ـ كم بقى أمامنا من وقت .

ارتجف صوت الدكتور (كريم) ، وهو يقول :

ـ أقل قليلاً من عشر دقائق .

اتسعت عينا (أكرم) فى ارتياع ، وهو يهتف :

ـ رباه !

وضغط ذراع القيادة ، لتضاعف الحوَّامة سرعتها ، وتنطلق بأقصى سرعة تسمح بها محركاتها النفاثة ..

فطبقًا لما أخبره به الدكتور (كريم) ، فالرحلة إلى المنطقة (ص) تحتاج إلى ثلاث عشرة دقيقة كاملة ..

وهذا يعنى أنه يفتقر إلى ما يزيد على ثلاث دقائق ، كاملة ..

ويعنى أيضًا أنه لن ينجح فى بلوغ (نور) و (سلوى) ، قبل أن تنقضَ عليهم العاصفة ..

لن ينجح أبدًا .

* * *



٩ - عمالقة الرمال ..

تحرَّكت (سلوى) فى عصبية ، فوق صحراء (مصر) الغربية ، فى محاولة للسيطرة على ذلك التوتر الشديد ، الذى يلازمها كظلها ، منذ هبطت بهم الحوَّامتان ، فى المنطقة (ص) ، وتعلَّقت عيناها بالرمال ، الممتدَّة إلى الأفق ، وقلبها يخفق فى عنف ، وكأنما ترى ذلك العملاق الرملى الرهيب ، وهو ينهض من قلب الصحراء ، وينقضّ عليهم بكل الغضب والمقت والوحشية ..

وعلى بعد خطوات منها ، وقفت (نشوى) صامتة ، تراقب الرجال ، وهم ينقلون جهاز (م م - ١) إلى المدرعة (ص) ، ثم خفضت بصرها إلى الرمال فى خوف ، وعقلها يستعيد ذلك المشهد الرهيب ، للعمالقة الذين يبرزون من قلب الصحراء ، وينقضون على الفريق السابق ..

أما (نور) ، فقد اتجه نحو قائد طاقم الحراسة ، وسأله فى اهتمام :

- قل لى يا رجل : ألديكم فكرة عما يمكن أن يحدث هنا .

انعقد حاجبا الرجل فى صرامة ، وأشار إلى رجاله فى حزم ، حتى لا يستمعوا إلى (نور) ، وهو يقول فى خشونة :

- معذرة يا سيادة المقدَّم ، ولكن لدى أوامر بعدم التحدُّث معك ، أو مع أى فرد فى الفريق العلمى .

تجاهل (نور) هذا القول ، وهو يواصل :

- هناك احتمال أن تهبَّ عاصفة عاتية رهيبة ، و..

قاطعه الرجل فى حدة :

- سيادة المقدَّم .. إنك تتجاوز الأوامر .

مرة أخرى تجاهله (نور) ، وهو يقول فى صرامة :

- تلك العاصفة سبق لها أن اقتلعت الفريق السابق ، بكل أسلحته ومعداته ، و...

تراجع الرجل فى حركة عنيفة ، ورفع فوهة مدفعه الليزرى فى حدة ، صارخًا :

- كفى يا سيادة المقدَّم .. لا تجبرنى على تنفيذ الشق الثانى من الأوامر ، فى حالة إصرارك على مواصلة الحديث .

هتفت (سلوى) فى ارتياع :

- احترس يا (نور) .

تطلَّع (نور) إلى الرجل فى أسف ، قائلاً :

- فليكن .

ثم اتجه إلى زوجته وابنته ، مواصلاً :

- لا فائدة .. لقد اتخذ الوزير كل الاحتياطات اللازمة .

غمغمت (نشوى) فى غضب :

- فليذهبوا إلى الجحيم ، ما داموا حمقى إلى هذا الحد .

تنهَّد (نور) ، وهو يهزّ رأسه ، قائلاً :



صمت الثلاثة بعد كلمتها ، وراحوا يتطلعون إلى المدرعة (صلب) ، وهى تغرس أذرعها الأربع فى قلب الرمال ..

- إنهم يتصورون أنهم يؤدون واجبهم فحسب .

هزَّت (سلوى) رأسها بدورها ، مغمغمة :

- يا للمساكين !

صمت الثلاثة بعد كلمتها ، وراحوا يتطلعون إلى المدرعة (صلب) ، وهى تغرس أذرعها الأربع فى قلب الرمال ، ثم غمغمت (نشوى) فى قلق :

- هل تعتقدان أنها ستصمد ؟!

تمتم (نور) :

- دعينا نأمل هذا .

تلفَّتت (نشوى) حولها ، هامسة :

- بالتأكيد .

وصمتت لحظة ، وهى تستعيد ذلك المشهد المخيف ثانية ، ثم أضافت بصوت مرتجف :

- فليس أمامنا سوى أن نأمل .

مع آخر حروف كلماتها ، اتجه قائد طاقم الحراسة نحوهم ، وأدى التحية العسكرية ، قائلاً بلهجة جافة :

- كل شىء معد يا سيادة المقدَّم .. يمكنكم البدء فورًا .

خفق قلب (نشوى) فى عنف ، وانعقد حاجبا (سلوى) فى توتر ، فى حين شدَّ (نور) قامته ، والتقط نفسًا عميقًا ، قبل أن يقول :

- لا بأس .. هيا بنا .

جروا أقدامهم جرًا إلى المدرعة (صلب) ، التى بدت أضخم مما ينبغى ، وهم يتسلقون سلمها المعدنى ، ويهبطون داخلها ، واحدًا بعد الآخر ..

كانت فسيحة رحبة ، جيِّدة التأثيث من الداخل بالفعل ، وكانت تحوى خمسة مقاعد وثيرة ، إلى جوار المعدات اللازمة ، وجهاز (م م - ١) ..

وما إن استقرَّ الثلاثة فى أماكنهم ، حتى هبط اثنان من طاقم الحراسة إلى المدرعة ، واتخذا المقعدين الآخرين ، فسألتهما (سلوى) :

- هل قرَّرتم الانضمام إلينا ؟!

أجابها أحدهما فى صرامة :

- الأوامر أن نبقى هنا ، فى حين يتولَّى رفاقنا الأربعة الآخرون حراسة المدرعة من الخارج .

قال (نور) فى هدوء :

- ولماذا لا تنضمون جميعًا إلينا ؟! أعتقد أن المكان يتسع للكل .

ظلَّت ملامح الجنديين جامدة صارمة ، على نحو يشفَّ عن عدم استعدادهما للحديث والمناقشة ، فتمتمت (نشوى) ، وهى تضغط أزرار الكمبيوتر :

- لا بأس .. دعنا لا نشغل أنفسنا بشأنهم .

ضغطت (سلوى) أزرار جهازها بدورها ، وهى تقول فى حزم :

- أنت على حق .

ثم استدار إلى جهاز (م م - ١) ، وتردَّدت لحظة فى توتر ، فأشار إليها (نور) ، قائلاً فى حزم :

- على بركة الله .

وضغطت (سلوى) زر الجهاز ..

وانطلقت موجات الأشعة ..

★ ★ ★

« رباه ! ساعدنا على الوصول فى الوقت المناسب .. »

هتف (أكرم) بالعبارة ، وهو يدفع جسده مع عصا القيادة إلى الأمام ، وكأنما يتصوَّر أن هذا سيضيف سرعة جديدة إلى الحوَّامة ، التى تنطلق بأقصى سرعتها بالفعل ..

كان الوقت يمضى بسرعة مخيفة ، دون أن يمكنه تعويض سوى دقيقة واحدة ، من الفارق الزمنى ، بينه وبين (نور) ..

وفى يأس مرير ، غمغم الدكتور (كريم) :

ـ لن نصل فى الوقت المناسب .. لن نصل أبدًا .

صرخ (أكرم) فى حدة :

ـ اصمت .

كان توتره ويأسه يبلغان ضعفى ما يشعر به العالم الكهل ، إلا أنه لم يكن يستطيع احتمال الفشل فى هذا الأمر ..

لا يستطيع احتماله قط ..

وكل ما يتمناه ، فى حياته كلها ، هو أن يبلغ المنطقة (ص) ، قبل أن تهبَّ العاصفة ..

مهما كان الثمن ..

« من القيادة إلى (نسر ـ ١) .. »

ارتفع الصوت الصارم فجأة ، عبر جهاز الاتصال المحدود ، فانتفض جسد الدكتور (كريم) فى عنف ، وهتف فى ارتياع :

ـ رباه ! إنه الوزير .

انعقد حاجبا (أكرم) فى شدة ، وهو يتجاهل النداء تمامًا ، ولكن الوزير تابع فى غضب شديد :

ـ لقد ارتكبتما خطأ رهيبًا ، باعتدائكما على حوَّامتى الخاصة واختطافها ، وأنا آمركم بالعودة فورًا ، وإلا فستكون العواقب وخيمة .

هتف (أكرم) فى غضب :

ـ إذهب إلى الجحيم .

اتسعت عينا الدكتور (كريم) عن آخرهما ، وهو يهتف فى ارتياع :

ـ لا تقل هذا للوزير .. لا تقل هذا .

ولكن الوزير هتف فى غضب هادر :

ـ فليكن يا سيِّد (أكرم) .. سنرى من منا سيذهب إلى الجحيم .

ثم ترك جهاز الاتصال ينقل أوامره ، وهو يتابع :

ـ من القيادة العامة إلى كل المطارات الحربية ، فى الصحراء الغربية ، والواحات الخارجة والداخلة .. (نسر ـ ١) تم اختطافها ، من قبل تنظيم إرهابى .. لا يمكن السماح لهم بالحصول على أسرارها الأمنية.. اتجهوا جميعًا إلى الهدف .. انسفوا (نسر ـ ١) .. هذا أمر مباشر .. انسفوها بلا إنذار .

غاص الدكتور (كريم) فى مقعده برعب هائل ، وهو يهتف :

ـ يا إلهى ! يا إلهى !

أما (أكرم) ، فقد ازداد انعقاد حاجبيه ، وهو يقول :

ـ أجهزة الاتصال ! كيف لم يخطر هذا ببالى ؟!

ثم هتف بالدكتور (كريم) :

ـ قل لى يا رجل : هل تعرف موجة الاتصال بتلك المدرعة (صلب) ؟!

أجابه الدكتور (كريم) ، وهو يرتجف بشدة :

ـ بالتأكيد ، ولكن ..

قاطعه فى صرامة :

ـ اضبط أجهزة الاتصال عليها إذن .. هيا .

لم يكن يبالى بالمقاتلات ، التى انطلقت كلها فى إثره ..

أو حتى بما يمكن أن ينتظره ، بعد أن سرق حوَّامة الوزير ..

كل ما كان يعنيه هو أن ينقذ (نور) ، و(سلوى) ، و (نشوى) ..

فى الوقت المناسب ..

وبأى ثمن !

أى ثمن !

* * *

خفق قلب (سلوى) فى شدة ، وهى تتطلَّع إلى شاشة جهاز (م م ـ ١) ، وشاشة جهازها الخاص ، والكمبيوتر الملحق به ، هاتفة :

ـ رباه ! إنه جسم صناعى بالفعل ، وغارق فى قلب الرمال ، منذ أكثر من ثلاثة ملايين عام .. إننى لا أرصد أى منحنى قلبى .

سألتها (نشوى) متوترة :

ـ كيف ؟! قلت من قبل : إنه شديد الوضوح !

أومأت (سلوى) برأسها إيجابًا ، وهى تقول :

ـ هذا صحيح .. فى الفحص السابق بدا المنحنى واضحًا للغاية ، أما هذه المرة ، فلا وجود له على الإطلاق .

سألها (نور) فى اهتمام :

ـ هل يمكنك رصد أية حركة أخرى ؟!

هزَّت رأسها نفيًا ، قائلة :

ـ ليس على السطح .

قالت (نشوى) فى حماس ، وهى تضغط أزرار الكمبيوتر :

ـ وماذا لو عدلنا شدة موجات (م م ـ ١) ؛ لاختراق جسم ذلك الشىء ، حتى يمكننا رصد ما بداخله ؟!

هتفت (سلوى) :

ـ هذا ما كنت سأفعله الآن .

لم يكد هتافها ينطلق ، حتى ارتفع صوت (أكرم) ، عبر جهاز الاتصال ، وهو يهتف :

ـ (نور) .. (سلوى) .. (نشوى) .. توقفوا .. لا تبدءوا ذلك الفحص أبدًا .

تفجَّرت الدهشة فى وجوههم ، و (نور) يهتف :

ـ (أكرم) ؟! من أين تتحدَّث ؟!

أجابه (أكرم) فى لهفة :

- من حوَّامة وزير الدفاع يا (نور) ، ولكن لا عليك من هذا الآن .. المهم أن تستمعوا إلىَّ جيدًا .. لا تبدءوا ذلك الفحص أبدًا .. المدرَّعة (صلب) لن تصمد أمام العاصفة .. كل النتائج والمعادلات تؤكد هذا .. لا تبدءوا الفحص يا (نور) .

تبادل الثلاثة نظرة مذعورة ، وهتفت (نشوى) :

- كنت أعلم هذا .. كنت أعلم هذا .

وانعقد حاجبا (سلوى) فى شدة ، وهى تقول :

- ربَّاه ! إننا نخترق سطح الجسم الكروى بالفعل .

أما (نور) ، فقد قال : بكل توتر الدنيا :

- سبق السيف العزل يا صديقى .. لقد أطلقنا موجات الجهاز بالفعل .

لم يكد (نور) ينطقها ، حتى هتفت (سلوى) فى رعب :

- يا إلهى ! انظر يا (نور) .. انظرى يا (نشوى) ..

لقد اخترقنا الجسم الكروى .. انظرا .. لقد التقط الجهاز نبضات القلب فى وضوح الآن :

قبل أن يلتفت كلاهما إلى شاشة الجهاز ، أتى صوت من الخارج ، عبر جهاز اتصال محدود ، يحمل نبرات قائد الطاقم ، وهو يهتف :

- عاصفة رملية تنقضّ علينا .. عاصفة رهيبة .

امتقع وجه الجنديين فى الداخل ، وانتفض جسد (نشوى) ، وهى تطلق صرخة رعب ، بلغت مسامع (أكرم) ، عبر جهاز الاتصال الخاص ، فصرخ :

- اصمدوا يا رفاق .. اصمدوا .. أنا فى طريقى إليكم .

لم يتلقَّ جوابًا هذه المرة ، بعد أن انقطع الاتصال بغتة ، فصاح مذعورًا :

- (نور) .. (سلوى) .. (نشوى) .. أين أنتم ؟!

ومرة أخرى ، لم يتلق أى جواب ، فى حين هبَّ الدكتور (كريم) من مقعده ، واتسعت عيناه فى ارتياع شديد ، وهو يلوِّح بسبَّابته ، هاتفًا :

ـ انظر .. انظر .

وانتقل اتساع العينين إلى (أكرم) أيضًا ..

فبعيدًا ، فى نفس موضع المنطقة (ص) ، كانت هناك عاصفة رملية عاتية محدودة ، تحيط بكل شىء ..

كل شىء بلا استثناء ..

وبكل رعب الدنيا ، صرخ (أكرم) :

ـ لا .. ليس (نور) و(سلوى) و(نشوى) .. لا .

قالها ، وهو يتجه نحو العاصفة مباشرة ، فتعلَّق الدكتور (كريم) بذراعه ، فى رعب هائل ، وهو يصرخ :

ـ لا .. استحلفك بالله ألاَّ تلقىَ بنا إلى التهلكة .. تلك العاصفة تسحق كل شىء .. كل شىء بلا رحمة .

دفعه (أكرم) بعيدًا فى عنف ، هاتفًا :

ـ اصمت .. اصمت ..

ومال بالحوَّامة نحو العاصفة مباشرة ، هاتفًا :

ـ ليس هم يا إلهى .. ليس هم .. أرجوك .

كان يتجه نحو العاصفة العنيفة ، عندما توقَّف كل شىء بغتة ..

توقَّف دفعة واحدة ، كما لو أنه لم يكن سوى خداع بصرى ، أو وهم خيالى ..

وفى لحظة واحدة ، استعادت المنطقة هدوءها وصمتها ..

واتسعت عينا (أكرم) فى رعب هائل .

لقد امتدَّت الصحراء أمامه ، فى المنطقة (ص) ..

ولم يكن هناك أثر لأية مدرعات أو معدات ..

أو بشر ..

لم يكن هناك أدنى أثر .

* * *

[انتهى الجزء الأول بحمد الله

ويليه الجزء الثانى بإذن الله]

(الرمال الحية)

العاصفة

- ماسر ذلك الجسم العجيب ، المدفون فى رمال الصحراء ، منذ ملايين السنين ؟!
- كيف يمكن لـ (نور) ورفاقه أن يواجهوا أقوى وأعتى عاصفة عرفها الكون ؟!
- ترى هل تعصف الرمال بالأرض كلها ، أم ينجح الفريق فى مواجهة (العاصفة) ؟!
- اقرأ التفاصيل المثيرة ، وقاتل مع (نور) وفريقه .. من أجل الأرض ..



العدد القادم : الجزء الثانى



د. نبيل فاروق

ملف المستقبل
سلسلة روايات بوليسية للشباب من الخيال العلمى

131

الثمن فى مصر ٢٠٠ قرشاً
ومايعادله بالدولار الأمريكى فى سائر الدول العربية والعالم



روايات مصرية للجيب

ملف المستقبل
سرى جدًّا!!

الرمال الحية

132

الجزء الثانى

د. نبيل فاروق

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع
ت : ٥٩٠٨٤٥٥ - ٢٨٣٥٥٥٤ - ٢٥٨٦١٩٧
فاكس : ٠٢-٢٨٢٧٠٠٢

ملف المستقبل

فى مكان ما من أرض (مصر) ، وفى حقبة ما من حقب المستقبل ، توجد القيادة العليا للمخابرات العلمية المصرية ، يدور العمل فيها فى هدوء تام ، وسرّية مطلقة ؛ من أجل حماية التقدُّم العلمى فى (مصر) ، ومن أجل الحفاظ على الأسرار العلمية ، التى هى المقياس الحقيقى لتقدّم الأمم .. ومن أجل هذه الأهداف ، يعمل رجل المخابرات العلمية (نور الدين محمود) ، على رأس فريق نادر ، تم اختياره فى عناية تامة ودقة بالغة ..

فريق من طراز خاص ، يواجه مخاطر حقبة جديدة ، ويتحدّى الغموض العلمى ، والألغاز المستقبلية ..

إنها نظرة أمل لجيل قادم ، ولمحة من عالم الغد ، وصفحة جديدة من الملف الخالد ..

ملف المستقبل .

د. نبيل فاروق

١ ـ الضياع ..

اعتدل ضابط طاقم الحراسة الرئيسى ، عند بوّابة وزارة الدفاع ، وضرب كعبيه بعضهما ببعض فى قوة ، وهو يرفع يده بالتحية العسكرية ، هاتفًا بطاقمه :

ـ انتباه .

انخفضت المدافع الآلية للجنود ، وهم يؤدون التحية العسكرية بدورهم ، وعيونهم معلّقة بتلك السيارة السوداء الكبيرة ، التى عبرت البوّابة ، دون المرور بقسم الفحص الأمنى الخاص ، والتى تحمل لوحاتها المعدنية رقمًا من وحدة واحدة ، مع شعار خاص ، يشفّ عن هوية راكبها ، الذى قلما يستخدم تلك الرسميات فى تحركه ..

وعبرت السيارة الكبيرة ساحة الوزارة ، قبل أن تتوقّف أمام المبنى الرئيسى ، ويهبط سائقها فى سرعة ، مرتديًا زيًّا عسكريًّا بترولى اللون ، لايشبه الأزياء العسكرية المألوفة لأى سلاح من أسلحة الجيش

التقليدية ، وفتح باب السيارة الخلفى ، وهو يقول فى احترام بالغ :

ـ مكتب وزير الدفاع ، يا سيادة القائد الأعلى .

لم يكد القائد الأعلى للمخابرات العلمية المصرية يغادر السيارة ، حتى هرع إليه مدير مكتب وزير الدفاع ، وهو يهتف فى ترحاب متوتر :

ـ مرحبًا بك فى وزارة الدفاع يا سيِّدى .. معذرة لأننا لم نتبع الرسميات الواجبة ، لاستقبال سيادتكم ، ولكن الوقت مبكر جدًا كما تعلم ، و ...

قاطعه القائد الأعلى فى صرامة :

ـ كان ينبغى أن يحضر الوزير شخصيًا لاستقبالى .

ارتبك مدير المكتب ، وهو يقول :

ـ الواقع أن سيادة الوزير قد .. احم .. أعنى ..

قاطعه القائد الأعلى مرة ثانية ، بصرامة أكبر :

ـ أين (نور) و فريقه ؟!

انتفض جسد مدير المكتب فى عنف ، وحدَّق فى

وجه القائد الأعلى بذهول مذعور ، وهو يقول بصوت مرتجف :

ـ (نور) ؟! أتقصد المقدَّم (نور) وفريقه ؟! وما شأننا نحن بـ ...

صاح به القائد الأعلى فى غضب هادر :

ـ أين هم ؟!

انتقلت الارتجافة إلى جسد مدير المكتب كله ، وهو يقول :

ـ أقسم لك يا سيِّدى إن ..

صرخ فيه القائد الأعلى :

ـ إياك أن تنطقها .

ثم جذبه فجأة من سترته فى قسوة ، متابعًا :

ـ لو أنك قد نسيت من نحن ، فدعنى أذكرك .. إننا رجال المخابرات العلمية .. مخزن أسرار الدولة ، وأفضل جامعى معلومات فى العالم أجمع ، باعتراف كل الدول .. العدو منها قبل الصديق .. ولأننا كذلك ، فقد

علمنا أنكم تتحفظون على (نور) وفريقه هنا ، فى وحدة سرية ، تابعة لمركز البحث العلمى العسكرى ، و ..

قاطعه فجأة صوت صارم جاف ، يقول :

ـ معلومات قديمة يا ملك الأسرار .

رفع القائد الأعلى عينيه فى حركة حادة ، يتطلّع إلى وزير الدفاع ، الذى هبط فى درجات السلم فى تؤدة ، متابعًا :

ـ ها قد حضرت لاستقبالك بنفسى كما أردت .. أرجو أن يسعدك هذا .

اعتدل القائد الأعلى ، وابتسم فى سخرية ، قائلاً:

ـ آه .. من الواضح أن آلات المراقبة هنا تنقل الصوت والصورة بوضوح كاف .

أشار الوزير بسبّابته ، قائلاً :

ـ وبكفاءة تامة .

غمغم القائد الأعلى :

ـ بالتأكيد .

ثم أضاف فى صرامة :

ـ والآن أين (نور) وفريقه ؟!

هزّ الوزير كتفيه فى برود ، وهو يقول :

ـ كلمة (فريقه) هذه لا تنطبق على الموقف تمامًا ، فليس لدينا سوى عائلة (نور) .. هو وزوجته وابنته فحسب .

قال القائد الأعلى فى حزم :

ـ وماذا عن (أكرم) ؟!

مطّ الوزير شفتيه ، وقال :

ـ لم يدعه أحد إلى هنا .

قال القائد الأعلى فى صرامة :

ـ ولكنه هنا .

هزّ الوزير رأسه فى بطء ، وهو يقول فى عمق :

ـ لا أحد منهم هنا .

صاح به القائد الأعلى :

ـ ماذا فعلت بهم ؟!

تألَّقت عينا الوزير ببريق عجيب ، وهو يجيب :

ـ أرسلت عائلة (نور) فى مهمة خاصة .

هتف القائد الأعلى مستنكرًا:

ـ مهمة ؟! ومن أعطاك الحق فى هذا ؟!

أجابه الوزير بصرامة شديدة :

ـ مصلحة (مصر)..

ومن المؤكَّد أن عبارته كانت صحيحة إلى حد كبير ، على الرغم من أنه لم يعن فعليًا أى حرف واحد منها .. فلقد بدأ الأمر كله بعاصفة ..

عاصفة عاتية ، انقضَّت فجأة ، على فريق بحث علمى عسكرى ، فى قلب صحراء (مصر) الغربية ، فى أثناء فحصه لنيزك قديم ، كشفت الأقمار الصناعية وجوده ، غارقًا على عمق ثلاثين مترًا ، فى قلب الرمال ، منذ ملايين السنين ..

وفى نفس اللحظة ، التى كشف فيها فريق البحث ،

أنه ليس أمام نيزك عادى ، وإنما جسم كروى معدنى منتظم ، تخفيه الرمال منذ ملايين السنين ، كانت العاصفة تقتلع الجميع ..

بل تسحقهم سحقًا بلا هوادة ..

دون أن تترك لهم أدنى أثر ..

وعلى الرغم من أن (نور) وفريقه قد تَم إيقافهم عن العمل ، وتحويلهم إلى محاكمة عسكرية ، بسبب تجاوز غير قانونى ، خلال عمليتهم السابقة(*) إلا أن وزير الدفاع قد قرر الاستعانة بهم لكشف لغز العاصفة ..

تلك العاصفة ، التى بدت على شاشات الرصد ، أشبه بعملاق من الرمال ، ينقضّ بكل غضب ومقت الدنيا على الكل ..

وكان على (نور) و(سلوى) و(نشوى) أن يبذلوا قصارى جهدهم ، لكشف اللغز ..

ولكن العاصفة ضاعفت من الغموض ألف مرة ، عندما سحقت فريق بحث آخر ، فى البقعة نفسها ..

(★) راجع قصة (القوة) .. المغامرة رقم (١٣٠)

ودون أن تترك أيضًا أدنى أثر ..

ثم إن فحص ذلك النيزك ، قد جلب مفاجأه جديدة ..

لقد كان ينبض ، فى أعماق الرمال ..

ينبض ، تمامًا كقلب بشرى ..

وراح الغموض يتضاعف ..

ويتضاعف ..

ويتضاعف ..

ولم يعد هناك سوى سبيل واحد ، لكشف الحقائق كلها ..

المواجهة المباشرة ..

مواجهة الصحراء ..

ورمالها ..

تلك الرمال النابضة ..

الحية ..

وحتى لا تقتلعهم العاصفة ، منحهم وزير الدفاع أقوى مدرعة ، ابتكرتها العقول العلمية العسكرية المصرية ..

المدرَّعة (صلب) ..

ولكن (أكرم) كشف خداع الوزير لـ (نور) ورفيقتيه ..

ذلك الوزير ، الذى يوحى كل شىء فيه بأنه لا ينتمى إلى (مصر) ..

أو حتى إلى كوكب الأرض كله ..

وسقط (أكرم) فى قبضة حراس الوزير ..

وفى الوقت ذاته ، انطلق (نور) و(سلوى) و (نشوى) ، مع فريق من الجنود ، والمدرَّعة الفائقة (صلب) ، إلى نفس الموقع (ص) الذى اختفى عنده فريقا البحث السابقان ..

موقع الرمال الحية ..

القاتلة ..

ولم يحتمل (أكرم) البقاء حبيسًا ، ورفاقه يواجهون خطر الموت ، فى قلب الصحراء ..

وبمهارة مدهشة ، فرَّ من سجنه ، واستولى على طوَّافة الوزير ، بمعاونة مستشاره العلمى العسكرى ، الدكتور (كريم) ..

وبينما انطلق (أكرم) والدكتور (كريم) فى الطوَّافة ، وخلفهم المقاتلات النفاثة ، التى أرسلها الوزير لإسقاطهما ، كان (نور) ورفيقتاه ، وفريق العسكريين معهم ، يواجهون ثورة الطبيعة الهائلة ، القاسية ، الغامضة ..

ويواجهون عاصفة الرمال ..

الحية ..

وعندما بلغ (أكرم) و الدكتور (كريم) الموقع ، كانت العاصفة قد انتهت ..

ولم يكن هناك أثر لـ (نور) والباقين ..

أدنى أثر(*) ..

(*) لمزيد من التفاصيل ، راجع الجزء الأول (العاصفة) .. المغامرة رقم (١٣١) .

« مصلحة (مصر) أم مصلحتك الشخصية .. » ؟!

قطع القائد الأعلى أفكار الوزير بعبارته الحادة هذه ، فأدار عينيه إليه فى برود ، قائلاً :

ـ لا فارق بين مصلحتى الشخصية ومصلحة (مصر).

أجابه القائد الأعلى ، فى صرامة شديدة .

ـ رأيك يختلف كثيرًا مع رأيى ..

ثم انعقد حاجباه فى شدة ، وهو يضيف بصرامة أكبر :

ـ ومع رأى رئيس الجمهورية أيضًا .

تفجر الغضب فى ملامح الوزير وصوته ، وهو يقول :

ـ رئيس الجمهورية ؟! هل ..

قاطعه القائد الأعلى فى صرامة :

ـ لقد أبلغت سيادة الرئيس بما فعلته ، وهو فى طريقه إلى هنا ، للتحقيق بنفسه فى الأمر ، ومعرفة الأسباب الحقيقية ، التى دفعتك إلى تجاوز كل القوانين والأعراف ، على هذا النحو المستفز .

اشتعلت عينا الوزير بلهيب مخيف ، وهو يقول :

ـ الرئيس شخصيًا ؟!

ثمّ اعتدل ، وشدّ قامته على نحو عجيب ، مضيفًا بسخرية وحشية :

- عظيم .. دعه يأتى .

التقى حاجبا القائد الأعلى فى دهشة قلقة ، وهو يتطلّع إلى وزير الدفاع فى شك حذر متوتر ..

لقد كان رد فعله عجيبًا !!

عجيبًا بحق !

ثم إن ملامحه قد بدت مختلفه ، عما اعتاده القائد ، منذ كان زميلين ، فى صفوف الجيش ..

شىء فيه تغيّر ..

تغيّر كثيرًا ..

ولكن القائد الأعلى طرد ذلك القلق من رأسه فى سرعة ، وهو يكرّر سؤاله :

- المهم الآن : أين (نور) و(سلوى) و(نشوى) ؟!

ارتسمت ابتسامة شامتة عجيبة ، على شفتى القائد الأعلى ، وهو يجيب :

- اختفوا .

هتف القائد الأعلى بدهشة مذعورة :

- اختفوا ؟! ما الذى تعنيه ؟!

أشار الوزير بيده ، وهو يقول ، بنفس اللهجة الشامتة العجيبة :

- سترى الفيلم ، الذى التقطته الأقمار الصناعية العسكرية بنفسك ..

ثم اتسعت ابتسامته ، وهو يضيف :

- لقد سحقتهم عاصفة صحراوية عاتية .

اتسعت عينا القائد الأعلى فى ارتياع ، والوزير يتابع فى ظفر :

- أما زميلهم الوقح (أكرم) فأعتقد أن مقاتلاتنا قد نسفته نسفًا الآن .. فى البقعة نفسها .

واكتسى صوته بأضعاف شماتته الأولى ، وهو يضيف :

ـ للأسف .. لقد وصلت متأخرًا يا رجل .. لقد انتهى أمر فريق (نور) .. انتهى تمامًا .

واتسعت عينا القائد الأعلى للمخابرات العلمية أكثر وأكثر ، فى نفس اللحظة التى ظهرت فيها حوَّامة رئيس الجمهورية فى السماء ..

وكان من المستحيل أن يصدِّق ما نطق به وزير الدفاع فى سهولة ..

إلا أن عقله انطلق يتساءل فى ارتياع : تُرى ماذا أصاب (نور) وفريقه فى قلب الصحراء الغربية ؟!

ماذا ؟!

ماذا ؟!

★ ★ ★

« مستحيل ! .. »

انطلقت الصرخة من حلق (أكرم) حاملة كل ذعر وهلع وانزعاج الدنيا ، وهو يدور بالحوَّامة فوق المنطقة (ص) التى بدت هادئة ، ساكنة ، خالية تمامًا ، من أدنى أثر للحياة ..

أو حتى للموت ..

كان كل شىء يبدو كما لو أن المنطقة ما زالت بكرًا ، لم يطأها بشر قط ..

وبكل ذعره وارتياعه ، هتف (أكرم) :

ـ أأنت واثق من أن هذه هى المنطقة (ص) ؟!

اتسعت عينا الدكتور (كريم) فى هلع ، وهو يجيب :

ـ ألم تر العاصفة بنفسك ؟!

هزَّ (أكرم) رأسه فى قوة ، غير مصدِّق لما رأته وتراه عيناه ، وهو يردِّد :

ـ ولكن هذا مستحيل ! مستحيل !

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى انبعث من اللاسلكى صوت صارم ، يقول :

ـ من السرب السابع المقاتل إلى (نسر ـ ١) .. استسلم فورًا ، أو نطلق النار .. هذا هو الإنذار الأوَّل والأخير والوحيد .. سنمنحك عشر ثوان فحسب .

صاح الدكتور (كريم) مذعورًا :

ـ رباه ! سينسفوننا نسفًا .. ولابد أن نستسلم .. لابد .

صاح به (أكرم) فى عصبية :

ـ لو استسلمنا سيسحقنا وزيرك سحقًا .

صرخ الدكتور (كريم) :

ـ ليس أمامنا خيار آخر .. لامفرّ هنا منهم قط .

انعقد حاجبا (أكرم) فى شدة ، وراح ينخفض بالحوّامة ، نحو رمال الصحراء ، فى نفس الوقت الذى دارت فيه المقاتلات دورة واسعة ، وارتفعت إلى عنان السماء ، استعدادًا للانقضاض على الحوّامة ، والدكتور (كريم) يواصل صرخاته :

ـ أعلن الاستسلام .. أعلن الاستسلام ، قبل أن يظفروا بنا .

ولكن (أكرم) واصل الانخفاض فى سرعة ، وعيناه معلقتان بالساعة الرقمية الصغيرة ، التى تشير إلى أنه لم يعد أمامهما سوى أربع ثوان ..

ثلاث ..

اثنتان ..

وبكل قوته ، دفع باب الهليوكوبتر ، ثم جذب إليه الدكتور (كريم) ، هاتفًا :

ـ هيا بنا .

انطلقت صرخة رهيبة مذعورة ، من بين شفتى الدكتور (كريم) ، وهما يهويان من ارتفاع سبعة أمتار ..

وفى اللحظة نفسها ، ضغط قائد المقاتلات زر الإطلاق ..

وانطلق صاروخ صغير نحو الحوّامة ..

حوّامة وزير الدفاع الشخصية ..

ومع ارتطام جسديهما بالرمال ، ارتطم الصاروخ بالحوّامة ..

ودوى الانفجار ..

انفجار عنيف ، تردّد صداه فى الصحراء كلها تقريبًا ، وانطلقت منه موجة من اللهب ، كادت نيرانها تلفح الرجلين ، وتحيل جسديهما إلى جمرتين مشتعلتين ..

وراح الدكتور (كريم) يصرخ ويصرخ ، وهو

يضمّ ساقيه إلى صدره ، ويخفى وجهه فى الرمال ، فى حين انبطح (أكرم) أرضًا ، وعضّ شفتيه فى ألم ، مع الشظية الملتهبة ، التى اخترقت فخذه اليسرى ، ومع غضبه وغيظه وثورته ، على كل ما يحدث منذ البداية ..

ولثوان ، بدا الانفجار وتوابعه وكأنهما سيستغرقان دهرًا كاملاً ، وتناثرت معهما عواصف عنيفة من الرمال ، فى حين ارتفعت المقاتلات مرة أخرى ، وقائدها يقول عبر اللاسلكى ، بصوت بارد جاف :

ـ تم التعامل مع الهدف .. النتائج إيجابية .

كان يتوقَّع جوابًا من وزير الدفاع شخصيًا ، إلا أنه فوجئ بصوت يصرخ فى أذنيه ، عبر موجة اللاسلكى الفائقة :

ـ أى هدف أيها التعس ؟! لقد ارتكبت الآن أبشع جريمة أخلاقية فى الدنيا .

ارتفع حاجبا القائد ، فى توتر عصبى ، وهو يقول :

ـ لقد كنت أنفذ أوامر الوزير شخصيًا .

صاح صاحب الصوت ، فى غضب أكثر :

ـ وزيرك أيضًا سيدفع ثمن ما فعله غاليًا .

تراجع حاجبا القائد ، ثم انعقدا فى عصبية زائدة ، وهو يهتف :

ـ من المتحدِّث ؟!

هتف صاحب الصوت فى حدة :

ـ ألم تتعرَّفنى يا رجل ؟!

ثم أضاف فى غضب هادر :

ـ أنا الرئيس .. رئيس الجمهورية .

امتقع وجه قائد المقاتلات ، واحتبس صوته فى حلقه ، فلم ينبس ببنت شفة ، فى حين تابع الرئيس فى لهجة صارمة غاضبة :

ـ عد فورًا إلى القاعدة ، وانتظر استدعاءك لتدلى بشهادتك فى هذه المهزلة الدموية .

غمغم قائد المقاتلات فى مرارة :

ـ أوامرك يا سيادة الرئيس .

وفى نفس اللحظة ، التى استدارت فيها المقاتلات ، عائدة إلى القاعدة ، سعل الدكتور (كريم) فى عصبية ، وقال بصوت مختنق :

ـ هل ابتعدوا ؟!

رفع (أكرم) عينيه إلى السماء ، ونفض الرمال عن وجهه ، وهو يغمغم :

ـ نعم .

سعل الدكتور (كريم) مرة أخرى ، وانقلب على ظهره ، وهو يلهث قائلاً :

ـ رباه ! تصوَّرت لحظة أنهم سينسفوننا بصاروخ آخر .

نهض (أكرم) ، وتابع المقاتلات المبتعدة ببصره ، وهو يتمتم فى توتر :

ـ ربما أخفتنا سحب الرمال عن أعينهم .

هزَّ الدكتور (كريم) رأسه ، وغمغم :

ـ مستحيل ! لقد صممت أجهزة مقاتلاتهم بنفسى .. إنها تحوى أجهزة كشف حرارية دقيقة .

هزَّ (أكرم) رأسه بدوره ، وهو يقول :

ـ أجهزة حرارية ، وسط كل هذه النيران والرمال الملتهبة ؟! لست أعتقد أن أية أجهزة فى الوجود ، يمكن أن تبلغ هذه الدقة .

تمتم الدكتور (كريم) فى ألم :

ـ ربما .

ثم تأوَّه ، مستطردًا :

ـ لقد تحطَّمت كل ذرة فى عظامى .. إنك لم تنتبه إلى فارق السن بيننا ، عندما قمت بهذه القفزة الحمقاء .

تجاهله (أكرم) وهو يتطلَّع إلى الرمال الممتدَّة إلى ما لا نهاية ، مغمغمًا :

ـ هل كنت تفضِّل الاحتراق ، داخل هيكل الحوَّامة ؟!

عضَّ الدكتور (كريم) شفته السفلى ، قائلاً فى مرارة :

ـ من يدرى أيهما أكثر رحمة .. إننا هنا وحدنا ، فى بقعة غامضة مخيفة من الصحراء يا رجل .. ألم تدرك هذا بعد ؟!

مطَّ (أكرم) شفتيه ، وهو يدير بصره فيما حوله ، قائلاً :

- المهم أننا فى نفس الموقع ، الذى اختفى فيه (نور) و(سلوى) و(نشوى) .

نفض الدكتور (كريم) الرمال عن صدره ، قائلاً :

- لا تتعجَّل يا هذا .. قريبًا ربما أمكنك أن تضيف اسمينا إلى القائمة ، أو تضع رأسينا فى الـ ..

بتر عبارته بغتة ، وهو يحدِّق فى يده بتوتر بالغ ، قبل أن يعتدل جالسًا ، وهو يهتف :

- رباه ! هذه الرمال ..

التفت إليه (أكرم) ، متسائلاً :

- ماذا بها ؟!

بدا الرجل متردِّدًا ، وهو يتمتم :

- ألا لا تبدو .. أعنى أن الرمال فى المعتاد .. أقصد أن ...

زفر (أكرم) فى عصبية ، قائلاً :

- هذا ما كان ينقصنا .. وسواس قهرى ، فى قلب صحراء قاحلة .

انحنى الدكتور (كريم) يفحص الرمال فى اهتمام ، وهو يغمغم :

- صدقنى .. إنها ليست ..

لم يتمّ عبارته كالمعتاد ، فزفر (أكرم) مرة أخرى ، وأشاح بوجهه عنه ، وهو يشير بيده إلى أطنان الرمال ، التى تحيط بهما من كل صوب ، قائلاً :

- استيقظ يا دكتور (كريم) .. استيقظ .. هذه الرمال هى نفس الرمال ، التى تحيط بنا من كل جانب .. انظر .. إنها هنا .. وهنا .. وهنا .. لا يخلو شبر واحد منها .. أتدرى لماذا ؟!

سمع من خلفه شهقة مكتومة ، فمطَّ شفتيه فى سخط ، وهزَّ رأسه ، متابعًا فى ضجر عصبى متوتر :

- لأن هذه هى الصحراء .. الصحراء يا رجل .. تلك المساحات الصفراء ، التى كنا ندرسها فى خرائط الجغرافيا القديمة ، قبل أن يرتبط كل شىء بالكمبيوتر والإليكترونيات .. انظر إليها ، و ...

التفت إليه مرة أخرى ، وهو يلقى كلمته الأخيرة ، فاحتبست حروفها فى حلقه ، وتحجَّرت على لسانه ، وهو يحدِّق فيما حوله ذاهلاً مذعورًا ..

فمنذ ثوان معدودة ، سمع شهقة الدكتور (كريم) ..

أما الآن ، فهو يقف وحده ، وسط صحراء شاسعة ، مترامية الأطراف ..

ولم يعد هناك أثر للدكتور (كريم) ..

على الإطلاق .

★ ★ ★

٢ ـ الرمــال ..

شفَّت كل ذره فى كيان رئيس الجمهورية عن الغضب والثورة ، وهو يواجه وزير الدفاع ، فى مكتب هذا الأخير ، قائلاً :

ـ هل لك أن تفسِّر لنا ما فعلته ؟!

أجابه الوزير فى هدوء مستفزّ :

ـ كنت أحمى (مصر) .

صاح الرئيس :

ـ بأية وسيلة ؟! الغش ، والخداع ، والتحايل ، ودفع خيرة شباب الوطن إلى موت محتوم .

هزَّ الوزير كتفيه فى برود ، قائلاً :

ـ ومن أدرانى أن هذا سيحدث لهم ؟!

قال القائد الأعلى فى حدة :

ـ طبقًا لما رأيناه وقرأناه ، ولكل التقارير العلمية الرسمية ، كان من الطبيعى أن نتوقَّع هذا .

مطّ الوزير شفتيه ، قائلاً بنفس البرود :

ـ لقد منحتهم أقوى مدرعة اخترعتها عقولك .. عقولنا ، وكان المفترض أن تنجح فى حمايتهم والحفاظ عليهم .

قال الرئيس فى غضب :

ـ من تخدع بالضبط ؟!

ارتسمت على شفتى الوزير ابتسامة مستفزة ، وهو يقول :

لست بحاجة إلى خداع أحد .

لوّح الرئيس بسبّابته فى وجهه ، قائلاً فى غضب :

ـ بل تحتاج إلى خداع الجميع يا رجل .. هل أخبرك لماذا ؟! لأنك نسخة طبق الأصل من سلفك .. لا تعرف للقوة بديلاً ، لحل أية مشكلة تواجهك ، وتؤمن بأن العسكريين ، والعسكريين وحدهم ، هم القادرون على إنقاذ البلاد من أية مخاطر ، وتأمينها ضد أية نوائب أو كوارث .

شدّ الوزير قامته ، قائلاً فى صرامة :

ـ هذا صحيح بكل تأكيد .. الشعوب المقاتلة وحدها تبقى لتحصد غنائم النصر فى النهاية .

قال القائد الأعلى فى امتعاض :

ـ أى مبدأ حقير هذا ؟!

اشتعلت عينا الوزير على نحو مخيف ، وهو يجيب :

ـ مبدأ الأقوياء .

انعقد حاجبا الرئيس فى توتر بالغ ، وهو يحدّق فى عينى الوزير ، فى حين تراجع القائد الأعلى بحركة حادة ، وهتف :

ـ يا إلهى !

وبصوت رنان عجيب ، تابع الوزير ، وعيناه تتسعان ، وتكتسبان استدارة مخيفة ، وهيئة لا تمت للبشر بأدنى صلة :

ـ مبدؤنا نحن ..

بدا وكأن رئيس الجمهورية قد أصيب بصاعقة مباغتة ، وهو يثب وثبة خلفية ، جعلته يرتطم بالجدار ، وهو يصرخ:

ـ رباه ! إنك لست .. لست .

ارتسمت ابتسامة وحشية على شفتى الوزير ، وبرز من خلف شفتيه الرفيعتين نابان طويلان جعلاه أشبه بمصاصى الدماء ، فى أفلام الرعب الغربية ، وهو يقول بصوته العجيب ، الذى بدا أشبه بأجراس نحاسية مكتومة :

ـ لست بشريًّا .. أليس كذلك ؟!

مع آخر حرف من حروف كلماته ، اقتحم حارساه الشخصيان الحجرة بغتة ، وانقضَّا على الرئيس والقائد الأعلى ، فاستلّ الأخير مسدسه الليزرى فى سرعة ، وهو يهتف :

ـ مستحيل ! مستحيل !

انطلقت من مسدسه طلقة صائبة ، اخترقت رأس أحد الحارسين ، الذى انتفض فى عنف ، ثم هوى أرضًا ، وراحت ملامحه تتبدّل فى سرعة ، لتكتسب هيئة شبيهة بهيئة الوزير ..

أما الحارس الآخر ، فقد انقضّ على الرئيس ، وانحنى يتفادى لكمة سريعة منه ، قبل أن يدفع أصابعه ، لتغوص فى معدة الرئيس ، الذى انتفض



وبرز من خلف شفتيه الرفيعتين نابان طويلان جعلاه أشبه بمصاصي الدماء ..

جسده كله بمنتهى العنف ، واتسعت عيناه عن آخرهما ، ثم هوى أرضًا ، وعيناه متسعتان عن آخرهما ، فى حين راح وجهه يكتسيِ بزرقة مخيفة ، جعلت القائد الأعلى يندفع نحوه ، هاتفًا فى ارتياح :

- رباهُ ! سيادة الرئيس .. يا إلهى .. يا إلهى !

ولم يكد يلمسه بأصابعه ، حتى تراجع بمنتهى العنف ، واتسعت عيناه ، حتى كادتا تلتهمان وجهه كله ، وهو يهتف :

- يا رب العالمين !! إنه بارد جامد كالثلج :

لم يكد ينطقها ، حتى سمع صوت الوزير الرنان ، من خلف أذنه مباشرة ، وهو يقول ، بصوت أشبه بالسخرية ، على الرغم من خلوه من أية نبرات واضحة :

- لا تجعل هذا يدهشك .

ثم انغرست فى كتفه أصابع كالفولاذ ، انبعثت منها موجة جليدية ، سرت فى كل ذرة من كيانه ، والوزير يتابع بنفس لهجته :

- فستلحق به بعد لحظة واحدة .

اتسعت عينا القائد الأعلى ، وانتفض جسده بمنتهى العنف ، قبل أن يهوى إلى جوار الرئيس ..

وفى هدوء ، عادت ملامح الوزير تستعيد هيئتها البشرية ، وحارسه يقول فى غضب :

- كان ينبغى أن يموتا .. لقد قتلا (سينور) .

أجابه الوزير فى صرامة ، بلغة لا مثيل لها على كوكب الأرض كله :

- ليس بعد .

ثم أشار إلى شاشة الرصد ، قائلاً :

- ينبغى أن ننهى أولاً أمر ذلك الشىء .

استدار حارسه إلى الشاشة ، وهو يقول فى توتر :

- أكاد أجن ، كلما تصوَّرت أنه هنا ! كيف فعلوا هذا ؟!

هزَّ الوزير رأسه ، مغمغمًا فى سخط :

- لست أدرى .. لقد كانت مفاجأة حقيقية .

وصمت لحظات ، وكأنما يستجمع أفكاره ، قبل أن يتابع :

ـ ولكن هذا الشىء ينبغى أن يذهب ، قبل منتصف الليلة ، وإلا لصار كل ماسعينا من أجله بلا طائل .

سأله حارسه :

ـ وهل سيمكننا هذا ؟! لقد أصبحنا اثنين فحسب ، بعد مصرع (سينور) .

قال الوزير فى صرامة :

ـ سنفعلها ، حتى ولو أرسلنا كل قوات الجيش المصرى لحسم الأمر .

واستعادت شفتاه تلك الابتسامة الساخرة الباردة ، وهو يتابع :

ـ سنقاتل حتى آخر قطرة دم .. أرضية .

ألقى الحارس نظرة على جسدى الرئيس والقائد الأعلى ، قائلاً :

ـ وماذا عما حدث هنا ؟! لقد شاهد الكل رئيس الجمهورية ، وهو يدخل إلى هنا ، و...

قاطعه الوزير ، وهو يتجه بخطوات واسعة ، نحو الجسدين المتجمدين :

ـ وماذا يا رجل ؟! هل نسيت ما بلغته تكنولوجيتنا المتطوِّرة ؟!

قالها ، وهو ينحنى ، ويلمس جسد الرئيس بسبَّابته ، و ...

وتموَّج وجهه على نحو مدهش ..

ثم ذابت ملامحه ..

وعادت بدلاً منها ملامح جديدة ..

ملامح هى صورة من وجه رئيس الجمهورية ..

صورة طبق الأصل ..

★ ★ ★

جحظت عينا (أكرم) ، ودارتا فى محجريهما ، وهو يعدو فى كل مكان ، حول المنطقة (ص) ، فى ارتياع كامل ، صارخًا :

ـ أين أنت يا دكتور (كريم) ؟! أين ذهبت يا رجل ؟!

كان الموقف فى مجمله يدفع بالفعل للجنون ..

الدكتور (كريم) كان على قيد خطوات قليلة منـه ، منذ لحظات ..

ثم فجأة ، لم يعد له أثر ..

أدنى أثر ..

حتى البقعة الرملية ، التى كان يرقد فوقها ، لم تعد تحمل آثار رقاده ..

لقد بدت وكأنما لم تمسسها يد بشر من قبل ..

أو كأن كل هذا لم يحدث ..

لم يحدث أبدًا ..

وبكل اليأس ، سقط (أكرم) على ركبتيـه ، هاتفًا فى مرارة :

ـ دكتور (كريم) .

كانت الرمال تمتدّ من حوله لآلاف الأمتـار ، خاويـة ، خالية ، منتظمة ، على نحـو يوحى بأنه قد انتقل بغتة عشرة آلاف عام إلى الوراء ..

أو حتى ملايين السنين ، كذلك الشـىء الراقد علـى عمق ثلاثين مترًا من الرمال ..

تلك الرمال الرهيبة ، المخيفة ، الـ ...

وفجأة ، توقّفت أفكاره دفعـة واحـدة ، وقفزت إلـى كيانه كله كلمة واحدة ..

الرمال !

ماذا عن الرمال ؟!

لقد كان آخر ما أشـار إليـه الدكتور (كريم) ، قبل أن يتلاشى تمامًا ، هو الرمال ..

من المؤكّد أن شيئًا ما بها قد جذب انتباهه ..

واهتمامه ..

وبكل لهفته ، وتوتره ، وعصبيته ، غرس (أكـرم) أصابعه فى الرمال ، ورفع فى كفيه حفنة منهـا ، راح يحدّق فيها بكل بصره ..

إنها تبدو له رمالاً عادية للغاية ..

مجرّد ذرات من الكوارتز والسليكون ، و ..

ولكن مهلاً ..

كل شىء فى هذه الرمال يبدو عاديًا ..

إلا شيئًا واحدًا ..

شيئًا لم يدر كنهه بالضبط ..

ولكنه شعر به ..

شيئًا ربما يكمن فى بريقها ..

أو حجمها ..

أو ملمسها ..

ولكنه هناك .. فى أعماقها ..

لا يفصح عن نفسه فى وضوح ، ولكنه يجعلك تدرك ، مع النظرة الفاحصة المدقِّقة ، أنك أمام رمال تختلف ..

تختلف تمامًا ..

وبحركة آلية ، دسَّ حفنة الرمال فى جيب سترته ، ثم نهض مرة أخرى ، وهتف بكل غضب وعصبية الدنيا :

ـ ماذا يحدث هنا ؟! ماذا يحدث ؟!

كرَّر هتافه مرة ، ومرة ، ومرات ..

دون أدنى جواب ..

حتى فى أعماقه ..

ولكن فجأة ، انتفض جسده فى عنف ، واتسعت عيناه عن آخرهما ، وهما تدوران لتحدقا فى جيب سترته بذهول ..

ها هو ذا الدليل ..

إنها بالفعل ليست رمالاً عادية ..

ولقد كشف هذا بوسيلة مخيفة ..

ورهيبة ..

للغاية ..

★ ★ ★

« (أكرم) اختفى .. » ..

هتفت (مشيرة) بالعبارة فى مرارة يائسة ، وتفجَّرت الدموع من عينيها فى غزارة ، وهى تلوِّح بيدها ، متابعة :

ـ (نور) و (سلوى) و (نشوى) أيضًا اختفوا ..

مصدرى يؤكد أن شيئًا ما يحدث فى وزارة الدفاع .. شىء مخيف .. هل تصدق أن الرئيس بنفسه يدير وزارة الدفاع الآن ، بعد أن حضر إليها فجرًا ، دون إنذار مسبق ؟!

انعقد حاجبا (رمزى) فى شدة ، وهو يغمغم :

- يا إلهى !

استمر انعقاد حاجبيه طويلاً ، وهو يفكّر بعمق شديد ، قبل أن يرفع سبّابته ، قائلاً فى حزم :

- ما يحدث فى وزارة الدفاع أمر غير عادى على الإطلاق .

قالت فى سخرية عصبية محنقة :

- حقًا ؟! لقد أدهشتنى .

اعتدل ، قائلاً فى جدية متوترة ، دون أن ينتبه إلى سخريتها المريرة :

- صحيح أن رئيس الجمهورية يعتبر ، من الناحية القانونية والدستورية ، القائد الأعلى للقوات المسلّحة ، إلا أنه لم يحدث أبدًا أن تولّى بنفسه وزارة الدفاع ،

حتى فى حالات الطوارئ القصوى ، فحتى لو أثبتت تحقيقات ما أن وزير الدفاع خائن مثلاً ، أو يسعى للقيام بانقلاب عسكرى ، ضد الحكومة الشرعية ، كما حدث من قبل(*) فرئيس الجمهورية يعفيه فورًا من منصبه ، ويقوم بتعيين وزير دفاع آخر ، خاصةً وأننا لسنا فى حالة حرب ، أو ..

قاطعته فى عصبية زائدة :

- ومن أدراك ؟!

رفع عينيه إليها فى دهشة مذعورة ، هاتفًا :

- ماذا تعنين ؟!

أجابته فى حدة ، وبلهجة توشك على الانفجار :

- أعنى أن التفسير الوحيد لكل ما يحدث ، هو أننا بالفعل فى حالة حرب .. أو نوشك على الدخول فى هذا بالفعل .

هتف :

- ولكن هذا مستحيل !

(*) راجع قصة (الغزاة) .. المغامرة رقم (١٢٤).

كرَّرت فى عصبية :

ـ ومن أدراك ؟!

ثم نهضت من مقعدها ، مستطردة :

ـ ولن أقف ساكنة أمام هذا .

سألها ، وهو ينهض بدوره :

ـ وماذا يمكنك أن تفعلى ؟!

أجابت فى حزم :

ـ أذهب لمقابلة رئيس الجمهورية ، وأواجهه بكل شىء صراحة .

قال فى غضب :

ـ وأجلس أنا لرعاية الصغيرين .. أليس كذلك ؟!

قالت فى عصبية :

ـ الظروف تحتم هذا .

صاح بغضب أكثر :

ـ أية ظروف ؟! إنه عمل يقوم به الرجل ، بأفضل مما تقوم به أية امرأة .

صرخت فجأة :

ـ ليست مشكلة رجل أو امرأة .

انتفض (طارق) الصغير فى مهده ، مع صرختها ، فخفضت صوتها كثيرًا ، وهى تكرِّر :

ـ ليست قضية جنس أو نوع .. إنها حتميات الأمر فحسب .

سألها بصوت عصبى خافت بدوره :

ـ أية حتميات .

أشارت إلى صدرها ، قائلة :

ـ أنا رئيسة تحرير أكبر وأشهر جريدة مرئية ، فى العالم أجمع ، ويمكننى مقابلة الرئيس فى أى وقت ، لطرح تساؤلات الرأى العام عليه ، وهذا يمنحنى مزية للتحرُّك بسرعة أكبر والحصول على نتائج أكثر دقة .

كانت حجتها قوية ، حتى إنه تطلَّع إلى وجهها لحظة ، فى صمت تام ، قبل أن يغمغم :

ـ أعتقد أنك على حق .

غمغمت فى عصبية :

ـ بالتأكيد .

ثم اختطفت حقيبتها ، واندفعت نحو الباب ، مكملة فى حزم :

ـ سأبلغك النتائج أوّلاً فأولاً .

قالتها ، وأغلقت الباب خلفها فى قوة ، تاركة إياه خلفها ، وهو يعضّ شفته السفلى فى مرارة ، ويلقى نظرة على الصغيرين ، الغارقين فى سبات هادئ عميق ، متمتمًا :

ـ مرحى يا (رمزى) .. أعتقد أنك أخيرًا بحاجة إلى طبيب .

وعضّ شفته السفلى ، مضيفًا :

ـ طبيب نفسى .

نطقها ، والمرارة تتصاعد فى أعماقه ..

وتتصاعد ..

وتتصاعد ..

★ ★ ★

« المقاتلات عادت إلى القاعدة .. »

نطق حارس الوزير العبارة فى حزم ، وهو يتطلّع إلى قائده ، الذى صنعت منه تكنولوجية عالمه المتقدّم صورة طبق الأصل من رئيس الجمهورية ، فالتفت هذا الأخير إليه ، والتمعت عيناه بشدة على نحو مخيف ، وهو يقول :

ـ عظيم .. لن نعود بحاجة إليها .

بدا التوتر فى ملامحِ الحارس وصوته ، وهو يقول :

ـ كنت أتصوّر أننا ..

قاطعه الوزير فى صرامة :

ـ أننا ماذا ؟!

ارتبك الحارس ، وهو يجيب :

ـ أنت تعلم أن ذلك الشىء يعوق طريقنا ، والوسيلة الوحيدة لنجاح مهمتنا ، هى أن نتخلّص منه ، قبل منتصف الليلة ، وإلا ...

قاطعه الوزير فى صرامة أكبر :

- اختصر .

ازدرد الحارس ما يشبه اللعاب فى حلقه ، وهو يقول :

- كنت أتصورَّ أننا سنسعى لنسفه .

رمقه الوزير بنظرة نارية ، قائلاً :

- وكيف ننسف شيئًا يكمن تحت ثلاثين مترًا من الرمال ؟!

لوّح الحارس بيده ، قائلاً فى توتر :

- بقنبلة .

قال الوزير بلهجة شرسة مستنكرة :

- قنبلة ؟! حتى قنابلنا ، التى تفوق قنابلهم ألف مرة ، لا يمكنها أن تفعل هذا يارجل ، وخاصةً مع جسم بالغ الصلابة والقوة ، مثل الـ (ميجالون).

مال الحارس نحوه ، هامسًا فى توتر بالغ :

- وماذا عن القنابل النووية والأيونية :

انعقد حاجبا الوزير فى غضب شديد وهو يهتف !

- غبى .

تراجع الحارس بحركة حادة ، فتابع الوزير فى غضب هادر :

- حركة خاطئة حمقاء كهذه تكفى تمامًا ، لتبلغ المهمة التى أتينا من أجلها ذروة الفشل .. لو استخدمنا قنبلة نووية أو أيونية ، ستنسحق المنطقة بأكملها ، وترتفع درجة الإشعاع فيها إلى حد قاتل ، يكفى لمنع قومنا من الوصول إلى هنا بعد كل ما خططنا له وقمنا به .

ارتبك الحارس بشدة ، وهو يقول :

- لم أكن أتصوَّر هذا .

صاح به فى غضب صارم :

- حاول إذن أن تتصوَّره ، فالساعات القادمة لا تحتمل أدنى خطأ .

لم يكد يتم عبارته ، حتى سمع دقات على باب المكتب ، فقال فى صرامة ، وهو يعتدل فى وقفته على نحو عسكرى :

- ادخل .

دلف مدير مكتب الوزير إلى المكان ، وهو يتنحنح فى حرج ، قائلاً :

ـ معذرة يا سيادة الرئيس .. لست أدرى كيف حدث هذا ، ولكننى لا أستطيع العثور على السيد وزير الدفاع ، أو القائد الأعلى للمخابرات العلمية .. أنا واثق من أن أحدهما لم يغادر المكان ، ولكن ..

قاطعه فى صرامة ، بصوت الرئيس :

ـ ماذا لديك بالضبط يا رجل ؟! إنك لم تأت إلى هنا لتقول هذا .. أنا أعلم أين الوزير والقائد الأعلى ، فلا تشغل نفسك بأمرهما .

اتسعت عينا الرجل ، وهو يهتف بكل الدهشه :

ـ تعلم ؟!

انعقد حاجباه فى غضب ، وهو يهتف به :

ـ ماذا جاء بك الآن ؟!

انتفض مدير المكتب ، وتلعثم لحظة ، قبل أن يزدرد لعابه فى صعوبة ، قائلاً :

ـ معذرة يا سيادة الرئيس .. أعلم أن أوامرك تقتضى

عدم إزعاجك ، إلا للضرورة القصوى ، ولكن السيِّدة (مشيرة) هنا ، وتقول : إنها تعلم بوجودك ، وتصرّ على مقابلتك فورًا .

حدَجَه الوزير بنظرة كاللهب ، وهو يقول :

ـ تعلم ؟! ومن السيِّدة (مشيرة) هذه ؟!

أجابه مدير مكتب الوزير فى دهشة :

ـ السيِّدة (مشيرة محفوظ) يا سيِّدى .. رئيسة تحرير جريدة (أنباء الفيديو) .. إنها صديقة شخصية لسيادتكم ، و ..

قاطعه فى صرامة :

ـ آه .. تذكَّرت ..

ثم عاد يسأله فى حدة :

ـ ولماذا تصرُ على مقابلتى فورًا .. المفترض ألا يلتقى رئيس الجمهورية بأى مدنى ، إلا بناءً على رغبته هو ، وعلى موعد سابق .

تنحنح مدير مكتب الوزير فى توتر ، وهو يجيب :

- هذا لا ينطبق على الصحافة ، وبالذات على السيّدة (مشيرة) يا سيادة الرئيس .

هتف به الرئيس فى غضب :

- من قال هذا ؟!

ازدرد مدير المكتب لعابه بمنتهى الصعوبة ، مجيبًا :

- أنت يا سيادة الرئيس .. إنها أوامرك الشخصية .

انعقد حاجبا الرئيس فى شدة ، وهو يردّد :

- أوامرى الشخصية ؟! يا للسخافة !

حدّق مدير مكتب الوزير فى وجهه بدهشة بالغة ، فتابع فى صرامة :

- على أية حال ، دعها تنتظر قليلاً ، فهناك أمور أكثر أهمية الآن .. أمور تتعلّق بأمن وسلامة البلاد .

شفّ صوت وملامح مدير المكتب عن حيرته ودهشته وارتباكه ، وهو يتراجع مغمغمًا :

- كما تأمر يا سيادة الرئيس .. كما تأمر .

ولم يكد يغلق الباب خلفه ، حتى قال الحارس فى توتر :

- أتظنه يشك فى أمرنا ؟!

هزّ الوزير رأسه ، قائلاً :

- عقولهم لم ترق بعد إلى هذا المستوى .

تنهّد الحارس ، قائلاً فى عصبية :

- ليتنى أمتلك هدوءك وثقتك أيها القائد (كونار).

ارتسمت على شفتى الوزير ابتسامة مخيفة ، وهو يقول :

- مستحيل أيها الضابط (بولار) !! مستحيل ! لو أنك تمتلكهما ، لما كنت مجرّد ضابط تابع لقيادتى .

بدا الضيق على وجه الحارس ، وهو يقول فى خفوت عصبى :

- بالتأكيد أيها القائد (كونار) .. بالتأكيد .

تألّقت عينا (كونار) فى ظفر واضح ، وهو يقول فى صرامة :

- دعنا من هذا الآن ، وصلنى بمركز الأقمار الصناعية العسكرية .. أريد أن ..

قبل أن يتمّ عبارته ، تـألّقت شاشـة الكمبيوتـر ، وانبعث منها صوت يقول :

ـ سيادة الرئيس .. لقـد عثـرنا على المدرّعـة (صلب) .

ارتفع حاجبا الحارس فـى دهشـة ، فى حين هتف (كونار) فى ظفر :

ـ عظيم .. كنت أعلـم هـذا .. كنت واثقًا مـن أنـه من المستحيل أن تسـحق العاصـفة كتلـة هائلة كهـذه .

ثم ضغط زر الاتصال ، قائلاً بصوت ولهجـة رئيس الجمهورية :

ـ أين عثرتم عليها بالضبط ، وكم تبعد عن الموقـع (ص) ؟!

صمت صـاحب الصـوت لحظـة ، قبل أن يجيب فى توتر :

ـ لقد عثرنا عليها فى الموقع (ص) نفسه يا سيادة الرئيس .

هتف (كونار) بدهشة حقيقية :

ـ كيف ؟!

أجابه صاحب الصوت :

ـ سترى بنفسك يا سيادة الرئيس .

ومـع آخر حـروف عبـارته ، ظهرت على الشاشة مجموعة من صور أقمار الاستكشاف الصناعية ..

ثم برزت الصـورة الأولى فى الترتيب ، وتضخّمت لتشمل الشاشة كلها ، و ...

واتسعت عيون (كونار) وضابطه عن آخرهما ..

فقد كانت المفاجأة مذهلة ..

إلى أقصى حد .

* * *

٣ ـ منطقة الرعب ..

اتسعت عينا (أكرم) عن آخرهما ، وهو يحدِّق فى حفنة الرمال ، التى التقطها من المنطقة (ص) ، وهى تتسلَّل خارج جيبه فى انسيابية مدهشة ..

نعم .. إنك لم تخطئ قراءة العبارة ..

لقد كانت حفنة الرمال تتسلَّل بالفعل من جيبه ..

كانت قد تجاذب بعضها إلى البعض ، وبدت أشبه بأفعى رفيعة طويلة ، انزلقت خارج جيبه ، وسقطت عند قدميه ، وزحفت مبتعدة ، وهو يحدِّق فيها بكل ذهول الدنيا ..

وعلى مسافة مترين منه ، توقَّفت أفعى الرمال ..

ثم تلاشت بغتة ..

تفكَّكت ذراتها دفعة واحدة ، وتحوَّلت مرة أخرى إلى حفنة من الرمال ..

مجرَّد حفنة من الرمال ..

ولدقيقة كاملة أو يزيد ، تجمَّد (أكرم) فى موضعه ، وبدا أشبه بتمثال من الشمع ، وعيناه متسعتان عن آخرهما ، وعقله يرفض بشدة تصديق ما أبصره ، أو ما شعر به ..

لقد تحرَّكت حفنة الرمال فى جيبه ..

تحرَّكت كما لو أن الحياة قد دبَّت فيها بغتة ..

ومنذ تلك اللحظة وهو فى ذهول ..

ذهول بلا حدود ..

وبكل ذلك الذهول ، تمتم :

ـ مستحيل ! مستحيل !

وبحذر بلغ منتهاه ، تقدَّم نحو حفنة الرمال ، وانحنى يفحصها بمنتهى الدقة ..

كان من المستحيل تمييزها عن الرمال المحيطة بها ، بعد أن امتزجت بها تمامًا ، وتلاشت فيها ، كقطرة ماء سقطت وسط المحيط ..

ولكن كل الرمال كانت تختلف ..

لم تكن أبدًا مجرَّد رمال صحراء عادية ..

كانت كلها ذات طبيعة عجيبة ..

رهيبة ..

مذهلة ..

ونهض (أكرم) وكل ذرة فى كيانه تتفجَّر بانفعال جارف ، وعيناه تدوران فيما حوله ، بكل توتر وتحفز وحذر الدنيا ..

كان يتخيَّل أنه فى أية لحظة ، ستنهض رمال الصحراء الحية ، لتنقضَّ عليه بلا رحمة .. وخفق قلبه بعنف ..

بمنتهى العنف ..

وفجأة ، أدرك كم هو وحيد فى هذه المنطقة ..

منطقة الرعب ..

وحتى فى وضح النهار ، بدت له الصحراء ، لأوَّل مرة فى حياته ، رهيبة مفزعة ، تحمل الموت فى كل ذرة منها ..

كل ذرة رمال ..

ثم وثب إلى ذهنه بغتة خاطر مخيف ، جعل عيناه تتسعان عن آخرهما مرة أخرى ، وهو يحدِّق فى الرمال ، هاتفًا فى هلع :

ـ رباه ! (نور) .. (سلوى) .. (نشوى) !!

تذكَّر مع هتافه أنه ما زال يرتدى ساعته الإليكترونية ، الخاصة بموجة الاتصالات المحدودة الخاصة بالفريق ، فرفعها إلى وجهه فى سرعة ، وضغط زر البث فيها ، وهو يقول فى عصبية بالغة :

ـ (نور) .. هل تسمعنى ؟! هنا (أكرم) .. هل تسمعنى بالله عليك يا (نور) ؟!

كان يكرِّر النداء للمرة الخامسة ، عندما انتفض جسده فى عنف ، واتسعت عيناه عن آخرهما ، وارتدّ إلى الخلف بحركة حادة ..

فعلى بعد متر واحد منه ، نهض عمود من الرمال ، من قلب الصحراء ، ثم التوى ، وتشكَّل فى هيئة أفعى كوبرا هائلة ..

أفعى من الرمال الحية ، انقضَّت عليه مباشرةً ..
ويمنتهى العنف ..

★ ★ ★

فركت (مشيرة) كفيها ، وهى تتحرك فى عصبية ، داخل قاعة الانتظار الرئيسية ، فى وزارة الدفاع ، قبل أن تلتفت إلى مدير مكتب الوزير ، قائلة :

ـ ما الذى يعنيه هذا بالضبط ؟! إننى أنتظر منذ ما يقرب من نصف الساعة ، وهذا لم يحدث أبدًا من قبل .

هزَّ مدير المكتب رأسه ، مغمغمًا فى توتر :

ـ إنها أوامر سيادة الرئيس .

هتفت :

ـ مستحيل ! أنا أعرف الرئيس جيِّدًا ، أكثر مما يعرفه أى أحد منكم ، وهو لن يتركنى هكذا ، دون اعتذار أو تفسير .. إنها ليست أوَّل مرة أتعامل فيها معه .

انفرجت شفتا مدير المكتب لحظة ، على نحو يوحى بأنه يهمّ بالتحدُّث ، إلا أنه لم يلبث أن أطبقهما ، واكتفى بهزَّة رأس ، قبل أن يتمتم فى خفوت شديد :

ـ إنها أوامره .

انعقد حاجباها ، وهى تحدِّق فى وجهه بعصبية ، قبل أن تسأله فى حدة :

ـ ما الذى يحدث هنا بالضبط ؟!

حدَّق الرجل فى وجهها ، بنظرة هى أقرب إلى الذعر ، منها إلى الدهشة ، ثم أشاح بوجهه فى سرعة ، قائلاً :

ـ وما الذى يمكن أن يحدث ؟!

أجابته فى حدة أكثر :

ـ أخبرنى أنت .

أدار إليها عينين زائغتين ، متعبتَين ، فيهما من الحيرة والتوتر والقلق قدر ، يكفى لتفجير ألف سؤال وسؤال ، فهتفت به ، وهى تمسكه بقوة من كتفيه :



انطلقت صيحته ، وهو يهبّ من مقعده ، ويندفع إلى ركن الحجرة ، وكأنما يحاول أن يحتمى بشىء ما ، قبل أن يكرّر ...

ـ ما الذى يحدث هنا بالله عليك ؟!

أزاح كفيها عن كتفيه ، صائحًا :

ـ لست أدرى .

انطلقت صيحته ، وهو يهبّ من مقعده ، ويندفع إلى ركن الحجرة ، وكأنما يحاول أن يحتمى بشىء ما ، قبل أن يكرّر ، فى عصبية مريرة :

ـ أقسم لك .. لست أدرى .

واتسعت عيناها بكل ارتياع الدنيا ..

أسلوبه ولهجته وملامحه كانت توحى بأن سؤالها قد أصاب قلب توتره فى الصميم ..

هناك حتمًا شىء ما ..

شىء يعجز الرجل عن فهمه ..

أو استيعابه ..

أو حتى تقديره ..

شىء يتجاوز كل القواعد ، التى عرفها طيلة عمله ..

أو طيلة عمره ..

شىء يقلقه ..

وربما يخيفه ..

أو يفزعه ..

شىء نطقت به كل ذرة من صوته وكيانه كله ، على نحو جعلها تتجه نحوه ، وتسأله فى صرامة عصبية :

ـ ما الذى يحدث هنا ؟!

تلفت الرجل حوله فى ذعر ، ودارت عيناه فى زوايا السقف ، وكأنما يتوقّع أن يكون مراقبًا من مكان ما ، فمالت نحوه ، هامسة بكل التوتر :

ـ أهو أمر يتعلّق بالرئيس ؟!

ازدرد لعابه فى صعوبة ، هامسًا بدوره :

ـ بل بالجميع .

تراجعت فى دهشة مذعورة ، وهى تهتف :

ـ الجميع ؟!

رفع سبّابته إلى شفتيه فى ذعر ، يدعوها لخفض صوتها ، ثم واصل بكل التوتر ، وكأنما قرّر أخيرًا أن يزيح الحمل عن ظهره :

ـ كل شىء هنا يدور بأسلوب غريب ومختلف ، منذ كشفوا وجود ذلك النيزك .

سألته فى توتر أكثر :

ـ أى نيزك ؟!

أشار بإبهامه إشارة مبهمة ، مجيبًا :

ـ نيزك الصحراء الغربية .

لم تكن تعلم شيئًا عن ذلك النيزك ، إلا أنها لم تشأ أن تفسد الأمر بسؤال فى غير موضعه ، لذا فقد سألته فى اهتمام شديد :

ـ ماذا حدث ، منذ ذلك الحين ؟!

كان من الطبيعى ، بحكم منصب الرجل وموضعه ، ألا يجيب سؤالها هذا ، إلا أنه كان من الواضح أن الحمل قد صار أكثر مما يمكن أن يحتويه صدره ، لذا فقد أجاب فى سرعة وهمس وتوتر :

ـ إننى لم أر الوزير ، فى حياتى كلها ، أكثر اهتمامًا بأمر ما ، منه بهذا الأمر ، حتى إنه جنّد كل إمكانيات القوات المسلّحة لبحثه ودراسته ، إلى الحد الذى جعله يجازف بدفع جهاز (م م ـ ا) إلى الساحة .

لم تكن قد سمعت عن جهاز (م م ـ ا) هذا من قبل ، إلا أنها لم تستوقف الرجل لتسأله عنه ، كما كان يمكن أن تفعل ، فى ظروف أخرى ، وإنما أرهفت سمعها ، ومنحت كل انتباهها واهتمامها لكلماته ، وهو يتابع :

ـ وعندما ابتلعت تلك العاصفة العجيبة كل شىء ، أرسل جهازًا آخر ، دون الرجوع إلى أية جهة أمنية ، على الرغم من أن سر اختفاء الجهاز الأوّل لم ينكشف بعد ، ولقد ابتلعت العاصفة الجهاز الثانى أيضًا .

سألته :

ـ ألهذا استعان بـ (نور) وفريقه ؟!

لوّح الرجل بذراعيه فى عصبية ، وهو يقول :

ـ لقد أرسلهم إلى المنطقة (ص) ، مع جهاز ثالث ، وهو يعلم أنه لا أمل لهم فى النجاه .

اتسعت عيناها ، وهى تهتف بارتياح :

ـ يا إلهى !

تابع الرّجل ، وهو يجفّف عرقه بعصبية بالغة :

ـ وبعدها اعتقل زميلهم .

هتفت :

ـ (أكرم) ؟!

تابع مدير مكتب الوزير ، وكأنه لم يسمعها :

ـ وسرق زميلهم حوّامة الوزير ، بعد أن نجح فى الفرار من زنزانته ، وانطلق بها ، مع مستشار الوزير العلمى ، إلى المنطقة (ص) ، ولكن الوزير أطلق المقاتلات خلفهما ، وأمرها بنسف الحوّامة نسفًا .

انتفض جسدها كله فى ارتياع ، ورفعت كفيها إلى وجهها فى ذعر ، هاتفة :

ـ (أكرم) ؟! يا إلهى ! (أكرم) !!

كانت اللّوعة تسرى فى كل ذرة من كيانها ، وهى تسمع كلماته ، الخاصة بزوجها ، وبكل أصدقائها فى

العالم ، ولكنها كتمت كل مشاعرها هذه فى أعماقها ، ليتابع هو :

ـ ثم فجأة ، حضر القائد الأعلى للمخابرات العلمية ، وكان غاضبًا ثائرًا ، ولحق به بعد قليل السيِّد رئيس الجمهورية شخصيًا ، فى سابقة هى الأولى من نوعها ، واجتمع الثلاثة فى حجرة الوزير ، و .. ، و ..

لم يستطع إكمال عبارته ، مع احتقان وجهه من فرط الانفعال ، وانحباس كلماته فى حلقه ، فسعل بعصبية لا محدودة ، قبل أن يقول بصوت مختنق منفعل :

ـ ثم غادر الرئيس المكتب .

انعقد حاجباها فى شدة ، مع تلك النبرة المقلقة فى صوته ، فانخفض صوتها فى حذر لم تدر سببه ، وهى تسأل :

ـ الرئيس وحده ؟!

أومأ برأسه إيجابًا فى توتر شديد ، فتابعت بصوت أكثر انخفاضًا وحذرًا :

ـ هل بقى الوزير والقائد الأعلى فى المكتب ؟!

هزَّ رأسه نفيًا ، وازدرد لعابه فى صعوبة بالغة ، وهو يجيب :

ـ كلاًّ .. لقد .. لقد ..

سألته مستحثَّة :

ـ لقد ماذا ؟!

خُيِّل إليها أنه يجاهد بشدة ، لتخرج الكلمات من بين شفتيه ، وهو يجيب :

ـ لقد اختفيا ..

حدَّقت فى وجهه مرة أخرى ، بعينين حائرتين مرتبكتين ، قبل أن تكرِّر :

ـ اختفيا ؟! ماذا تعنى بالضبط ؟!

انفرجت شفتاه ليجيبها ، إلا أن عيناه اتسعتا بغتة ، وامتلأتا بذعر لا محدود ، وهو يحدِّق فى شىء ما خلفها ، على نحو جعلها تلتفت فى حركة حادة إلى حيث ينظر ، فارتطم بصرها بحارس الوزير ، الذى التمعت عيناه بنظرة ملتهبة مخيفة ، وهو يقول :

- الرئيس يطلبك .

لغة المذكّر التى استخدمها ، جعلتها تدرك على الفور أنه يقصد مدير مكتب الوزير ، الذى امتقع وجهه ، وارتعدت أطرافه ، وامتلأت عيناه بكل ذعر الدنيا ، وهو يقول :

- يطلبنى أنا .

بدا التحفّز فى وقفة الحارس ولهجته ، وهو يمدّ يده ، قائلاً :

- هيا .

خُيّل إليها أن الرجل سيسقط جثة هامدة ، من فرط الذعر ، وهو يدفع قدميه دفعًا ، نحو الحارس ، الذى أمسك ذراعه فى قوة ، جعلت جسد (مشيرة) يرتجف ، قبل أن يلتفت إليها الحارس ، ويقول بلهجة أكثر صرامة :

- الرئيس ليس لديه الوقت ليقابلك الآن .. واصلى الانتظار لو أردت .

ودون أن يهتمّ بسماع جوابها ، جذب مدير مكتب الوزير خارج قاعة الانتظار فى خشونة ، ثم أغلق الباب خلفه فى قوة ..

واتسعت عينا (مشيرة) فى ارتياع ..

لقد كان (رمزى) على حق ..

ما يحدث فى وزارة الدفاع هذه المرة ليس عاديًا .. ليس عاديًا أبدًا ..

وبحسم حازم ، اختطفت حقيبتها الصغيرة ، واندفعت لتغادر قاعة الانتظار ، و ..

« إلى أين يا سيّدتى ؟! »

قفزت من مكانها مذعورة ، مع ذلك الصوت الخشن الجاف ، وفوهة المدفع الآلى ، المصوبّة إلى رأسها مباشرة ، وهتفت فى عصبية :

- إلى الخارج .. أهناك ما يمنع هذا ؟!

أجابها الجندى بنفس الخشونة :

- الرئيس لم يسمح بانصرافك بعد .

صاحت به :

- لم يسمح بماذا ؟! إننى صحفية يا رجل .. جئت إلى هنا للقيام بعمل محدود ، ولم يمكننى هذا ، والمفترض أننى حرة فى الـ ..

قاطعها الجندى فى غلظة :

ـ لا يمكنك أن تغادرى المكان ، دون أن يسمح الرئيس بهذا .. إنها أوامره .

اتسعت عيناها ، وهى تسأله :

ـ أوامر من ؟!

أجاب بغلظة أكثر ، ومدفعه الآلى مصوَّب إلى رأسها مباشرة ، وسبَّابته متحفزة على زناده :

ـ أوامر السيِّد رئيس الجمهورية .

ظلَّت تحدِّق فيه لحظة بدهشة ، ثم لم تلبث أن هتفت :

ـ وماذا لو أننى أصرّ على الانصراف ؟!

أجاب بكل الغلظة والخشونة :

ـ فى هذه الحالة ستغادرين المكان فى سيارة نقل الموتى .

أدركت ما يعنيه على الفور ، فعادت عيناها تتسعان فى ارتياع ، وتراجعت إلى داخل قاعة الانتظار ، التى

أغلقها الجندى خلفها فى حزم ، وتركت جسدها يسقط على أقرب مقعد صادفها ، وفكرة واحدة تشتعل فى رأسها ، ويلتهب لها كيانها كله ..

لقد انضمَّت إلى القائمة ، وأصبحت أسيرة بدورها فى منطقة نفوذ وزارة الدفاع ..

منطقة الرعب ..

* * *

كان المشهد والموقف أعنف مما يمكن أن يحتمل أى مخلوق ..

حتى (أكرم) ..

رمال الصحراء دبّت فيها الحياة بغتة ، وتحولّت إلى أفعى كوبرا هائلة(*) انقضّت على (أكرم) ، فى عنف يوحى بأنها ستفترسه فى لحظة واحدة ..

(*) الكوبرا : ثعبان سام ، فى (إفريقيا) و (آسيا) ، ينشر عنقه عندما يغضب ، والكوبرا أشهر الثعابين المصرية وأخطرها ، وتكثر على جوانب الترع والمقابر القديمة ، تأكل السحالى والضفادع والطيور ، تحسن السباحة ، وتزحف بسرعة كبيرة .

بلا رحمة .. أو هوادة ..

أو منطق ..

وفى موقف كهذا ، من الطبيعى أن يتجمَّد المرء فى موضعه ، من فرط الرعب ..

وأن يتلقَّى الضربة ، قبل حتى أن يستوعب ما يحيق به ..

ولكن غريزة (أكرم) سبقت عقله بخطوة ..

خطوة واحدة ، جعلته يخفض رأسه ، ويثب جانبًا ، فى نفس اللحظة التى انقضَّت فيها أفعى الرمال ..

وبحركة سريعة ، وبعد أن استعاد عقله وعيه ، واستعادت أعصابه كيانها ، استدار يواجه أفعى الرمال مرة أخرى ..

وكذلك استدارت الأفعى تواجهه ..

وكاد قلبه يتوقَّف رعبًا ، عندما ارتفعت الأفعى الرملية أكثر وأكثر ..

ثم تضخَّم حجمها مرة .

ومرة ..

ومرات ..

وفى لحظات ، تحوَّلت إلى كيان هائل مخيف ..

كيان حدَّق فيه بعينين من الرمال ، تحملان كل غضب ووحشية الدنيا ، ثم تراجع لينقضَّ عليه مرة ثانية ..

ووثب (أكرم) جانبًا ، بكل ما يملك من سرعة وقوة ..

وانقضت أفعى الرمال ..

وثبته جعلته يتجاوز انقضاضتها ..

تقريبًا ..

ففى اللحظة الأخيرة ، شعر بكتلة حادة ضخمة ، ترتطم بذراعه اليسرى ، وتكاد تخلعها من موضعها فى عنف ..

ومع الضربة ، تحطَّم حزام ساعته ، وطارت الساعة فى الهواء ، لتستقر على مسافة متر واحد منه ، على رمال الصحراء ..

ومرة أخرى ، ارتفعت أفعى الرمال ..

وفى هذه المرة أيضًا تضخَّم حجمها ..

وتضخَّم ..

وتضخَّم ..

ولهث (أكرم) فى شدة ، من فرط التوتر والانفعال ، وهو يحدِّق فى جبل الرمال الذى انتصب أمامه ، واستعدَّ للانقضاضة الأخيرة ..

القاتلة ..

وفى هذه المرة ، أدرك (أكرم) أن تفادى انقضاضة كيان رملى هائل كهذا ، أمر شبه مستحيل !

أو هو المستحيل نفسه ..

لذا فقد تجمَّد فى مكانه ، وراح يرفع عينيه ، متابعًا امتداد أفعى الرمال وارتفاعها ، و ...

وفجأة ، انقضَّت الأفعى ..

وجاءت انقضاضتها مباشرة ..

قوية ..

عنيفة ..

وصائبة ..

وانتفض جسد (أكرم) فى عنف ..

ثم اتسعت عيناه عن آخرهما ، وهو يهتف :

ـ يا إلهى ! يا إلهى !

فأفعى الرمال لم تنقض عليه ، وإنما على هدف آخر ..

على ساعة الاتصال الإلكترونية للفريق ..

انقضَّت عليها الأفعى ، بكل عنف وشراسة الدنيا ، ودفعتها فى قوة ، فى قلب الرمال ، حتى اختفت تمامًا ..

وبعدها هوت الأفعى على الرمال ..

وتلاشت فيها دفعة واحدة ..

وفى لحظات ، عاد كل شىء إلى هدوئه ، وصمته ، وسكونه ، واستقراره ..

دون أدنى أثر على الرمال ..

وحدّق (أكرم) فى موضع الساعة بذهول ، وهو يغمغم :

ـ تحت الرمال .. إذن فكل شىء يختفى تحت الرمال .. هذا هو التفسير الـ ..

بتر عبارته بغتة ، واتسعت عيناه حتى بلغتا أقصاهما ، وهو يصرخ :

ـ رباه ! (نور) .. (سلوى) .. (نشوى) .. الدكتور (كريم) !! يا لها من ميتة بشعة ! مستحيل أن يكون هذا ما أصابهم !! مستحيل .

لم يكد يتمّ صرخته ، حتى اخترق أذنيه هدير حوامات تقترب ، فرفع عينيه إلى السماء بحركة حادة ..

ورآها ..

خمس حوّامات نقل عملاقة ، تتجه نحو المنطقة (ص) مباشرة ، حاملة حفارات عملاقة ، تكفى لصنع فجوة هائلة ، فى قلب الصحراء ، وحولها خمس حوّامات مقاتلة أخرى ، تبدو وكأنها تحرسها وتحميها ..

وبسرعة مدهشة ، هبطت الحوّامات المقاتلة ، وأحاطت بـ (أكرم) ، وقفز منها عشرون جنديًّا ، صوّبوا إليه جميعًا مدافعهم الليزرية القوية ..

وفى هدوء واثق ، لحق بهم (بولار) ، حارس الوزير ، وتألّقت عيناه فى ظفر ، وهو يقول :

ـ عجبًا ! لقد التقينا مرة أخرى يا سيّد (أكرم) .

ولم ينبس (أكرم) ببنت شفة هذه المرة ..

لقد انشغل عن كلمات الحارس ، بمتابعة تلك الحفارات العملاقة ، وهى تستقر على رمال الصحراء ..

ومرة أخرى ، وثبت إلى ذهنه الفكرة المخيفة نفسها ..

السر كله يكمن تحت الرمال ، فى هذه المنطقة الرهيبة ..

منطقة الرعب ..

(ص) .

* * *

٤ ـ كونـار ..

للمرة السادسة ، خلال ربع الساعة فحسب ، حـاول (رمزى) الاتصال بـ (مشيرة) ، عبر هاتفها الخلـوى الخاص ، دون جدوى ..

وللمرة السادسة ، شعرت كل خلية فى جسده بتوتر لا محدود ..

الموقف يزداد تعقيدًا فى كل لحظة ..

فى البداية خدعهم وزير الدفاع ..

ثم اختفى كل أفراد الفريق ..

والآن (مشيرة) ..

ولو أضفنا إلى كل هذا ما يفعله رئيس الجمهورية الآن ، فى وزارة الدفاع ، لوجدنا أمامنا لغزًا غامضًا مخيفًا ..

لغز يحتاج إلى ألف تفسير وتفسير ..

ومع كل توتره وقلقه ، لم يجد أمامـه سوى سبيل واحد ، فالتقط سمّاعة هـاتف الفيديـو مـرة ثانيـة ، وضغط أزراره فى سرعة عصبية ، ورأى شاشته تحمل عبارة صارمة :

ـ الاتصال المرئى غير متاح ، من هذا الموقع .

كـان يدرك هذا جيدًا ، قبل حتى أن يسمع صـوت الدكتـور (جـلال) رئيـس مركـز الأبحـاث ، التـابع للمخابرات العلمية ، وهو يقول :

ـ مرحبًا يا (رمزى) .. كيف حالك ؟!

سأله (رمزى) فى توتر ، دون أن يرد تحيته :

ـ هل عاد القائد الأعلى من وزارة الدفاع ؟!

أجابه الدكتور (جلال) فى توتر :

ـ كلاً .. لم يعد بعد .

مع قوله ، ظهرت صورته واضحة ، على شاشات هاتف الفيديو ، فأدرك (رمزى) أنـه قد ضغط زر الاتصال المرئى ، وهو يتابع :

ـ إننى حتى لا أستطيع الاتصـال به ، منذ ما يزيد على الساعة .

اتسعت عينا (رمزى) ، وهو يهتف :

ـ لا تستطيع الاتصال به ؟! يا إلهى !

سأله الدكتور (جلال) ، فى قلق شديد :

ـ ما سر كل هذا الذعر ؟! هل تعلم شيئًا أجهله ؟!

أجابه (رمزى) فى سرعة وتوتر :

ـ إننى عاجز عن الاتصال بالكل .. وبالتحديد بكل من يخطو داخل مبنى وزارة الدفاع .. (نور) .. (سلوى) .. (نشوى) .. (أكرم) .. وحتى (مشيرة) .

انعقد حاجبا الدكتور (جلال) فى شدة ، وهو يغمغم :

ـ رباه ! هذا يدعم الـ ..

بتر عبارته بغتة ، فهتف به (رمزى) :

ـ ماذا لديك بالضبط ؟!

تردَّد الدكتور (جلال) لحظة ، ثم لم يلبث أن حسم أمره ، قائلاً :

ـ لحظات يا (رمزى) .. سننتقل إلى خط هاتفى مؤمَّن .

انقطعت الصورة لحظات ، ثم عادت أكثر وضوحًا ، والدكتور (جلال) يقول فى حزم :

ـ اسمعنى جيِّدًا يا (رمزى) .. أنا واثق تمامًا من أنه هناك شىء ما ، غير طبيعى بالمرة ، يحدث فى وزارة الدفاع ، وكذلك فى المنطقة (ص) .

سأله (رمزى) ، فى حيرة متوترة :

ـ وما المنطقة (ص) هذه ؟!

أشار الدكتور (جلال) بسبَّابته ، قائلاً :

ـ المنطقة (ص) منطقة لم تمتدّ إليها يد العمران أو التنقيب بعد ، فى الصحراء الغربية ، وهى نفس المنطقة ، التى توليها وزارة الدفاع كل اهتمامها ، منذ صباح الأمس .

سأله (رمزى) فى اهتمام :

ـ وماذا عنها ؟!

هزّ الرجل رأسه ، مجيبًا :

ـ لسنا ندرى بعد .. أقمار الرصد الخاصة بنا ، رصدت تحركات غير عادية ، لحوامات وزارة الدفاع هناك ، كما أننا نرصد أيضًا ذبذبة متغيرة ، تفوق قوة أية ذبذبة أرضية معروفة ، فى تلك المنطقة بالتحديد .

سأله (رمزى) ، وقد امتزج اهتمامه بتوتره :

ـ ومن أين تصدر تلك الذبذبة المتغيِّرة ؟!

صمت الدكتور (جلال) لحظة ، ثم قال :

ـ فى البداية ، كانت تلك الذبذبة ضعيفة واهية ، ولكنها تتزايد وتقوى فى سرعة ، و ...

قاطعه (رمزى) فى إصرار :

ـ ومن أين تأتى ؟!

صمت الدكتور (جلال) لحظة أخرى ، وبدا وكأنه يدرس أمرًا ما فى ذهنه ، ثم لم يلبث أن تابع فى سرعة :

ـ ونحن نعتقد أنها ستبلغ خمسة أضعاف شدتها الأولى ، عند منتصف الليل تمامًا ، بحيث تصبح قادرة على ..

قاطعه (رمزى) مرة أخرى ، فى عناد وإصرار أكثر :

ـ من أين تأتى يا دكتور (جلال) ؟! من أين ؟!

تراجع الدكتور (جلال) هذه المرة ، وتطلّع بضع لحظات إلى شاشة الهاتف فى صمت ، قبل أن يعتدل مرة أخرى ، مجيبًا :

ـ إننا نرصدها على ارتفاع عشرين مترًا ، من سطح الأمر ، عند مركز المنطقة (ص) بالضبط .

هتف (رمزى) فى دهشة :

ـ على ارتفاع عشرين مترًا ؟! ومن أين يمكن أن تأتى ذبذبة كهذه ؟!

التقى حاجبا الدكتور (جلال) ، وهو يقول فى حزم :

ـ من عالم آخر .

وكانت مفاجأة لـ (رمزى) ..

مفاجأة حقيقية ..

وعنيفة ..

* * *

تألّقت عينا (كونار) ، بلهيب أشبه بأعمق أعماق الجحيم ، وهو يتطلّع إلى (أكرم) فى ظفر شامت ، وهذا الأخير يدخل حجرة الرصد ، مقيّد المعصمين خلف ظهره ، والحارس (بولار) يدفعه فى غلظة وخشونة ..

وعلى الرغم من أن ملامح (كونار) كانت صورة طبق الأصل من ملامح رئيس الجمهورية ، إلا أن (أكرم) وجد نفسه يهتف :

ـ أنت ؟!

أجابه (كونار) فى ظفر ساخر :

ـ نعم .. هو أنا .

تم اتجه نحوه فى بطء ، متابعًا بنفس اللهجة المستفزة :

ـ عجبًا .. كنت أتصوّرك أقل أفراد الفريق ذكاءً ، كما تقول تقاريرنا ، وعلى الرغم من هذا ، فقد كشفت أمرى بنظرة واحدة .. هل تعلم أنك الوحيد ، الذى أمكنه هذا ؟!

أجابه (أكرم) فى عصبية :

ـ ربما لأنكم أنتم أقل ذكاءً مما تتصوّرون .

اتسعت ابتسامة (كونار) الساخرة ، وهو يشير بيده ، قائلاً :

ـ الساعات القليلة القادمة ، ستثبت أينا الأكثر ذكاءً وبراعة ، ومن منا يستحق أن يرث الأرض ومن عليها .

بتر عبارته بغتة ، عندما تألّقت أطراف أصابعه بضوء أحمر باهت ، دون إنذار أو مقدمات ، فاتسعت عينا (أكرم) فى دهشة مذعورة ، وهو يحدّق فى تلك الأصابع ، التى بدت أشبه بمصابيح إنذار مخيفة ، أبعدها (كونار) بحركة حادة ، هاتفًا فى غضب :

ـ (بولار) .. أيها الغبى .. كان ينبغى أن يخضع الأسير للفحص الإليكترونى ، قبل أن يقف أمامى هنا .

قال (بولار) بدهشة حقيقية :

ـ ولكنه فعل أيها القائد ، وثبت أنه لا يحمل أية أجهزة إليكترونية .

صاح (كونار) فى غضب :

ـ خطأ .. خطأ .

اتسعت عينا (أكرم) أكثر وأكثر ، وهو ينقل بصره بينهما فى ارتياع ..

لقد نطقا عباراتهما السابقة بلغة عالمهما ..

وبأصواتهما ، التى هى مزيج من الرنين المكتوم ، وفحيح الأفاعى ..

وبذهول فزع ، هتف (أكرم) :

ـ رباه ! إنكما لستما أرضيين .

صاح به (كونار) بلهجة مخيفة :

ـ اخرس أيها الأرضى .

تراجع (أكرم) بحركة حادة ، عندما انقلبت سحنة (كونار) بغتة ، واستعاد ملامحه الأصلية ، وأنيابه المخيفة البارزة ، وهو يقول بوحشية :

ـ إنه يحمل أجهزة إليكترونية دقيقة .. مجسَّاتى الفائقة لا يمكن أن تخطئ أبدًا .

هزَّ (بولار) رأسه فى حيرة وتوتر ، مغمغمًا :

ـ مستحيل أيها القائد .. لقد ..

قبل أن يتمّ (بولار) عبارته ، انقضّ (كونار) على سترة (أكرم) كذئب شرس ، وانتزعها فى عنف ، جعل (أكرم) يصرخ :

ـ آه .. احترس أيها الوغد .

تجاهله (كونار) تمامًا ، وهو يفحص السترة الممزَّقة بلهفة وحشية ، قبل أن تتألّق عيناه ، وتتركزا على بقايا من الرمال ، فى قاع جيب (أكرم) ..

وبحركة عجيبة ، دفع أصابعه ، لتلمس تلك الرمال ..

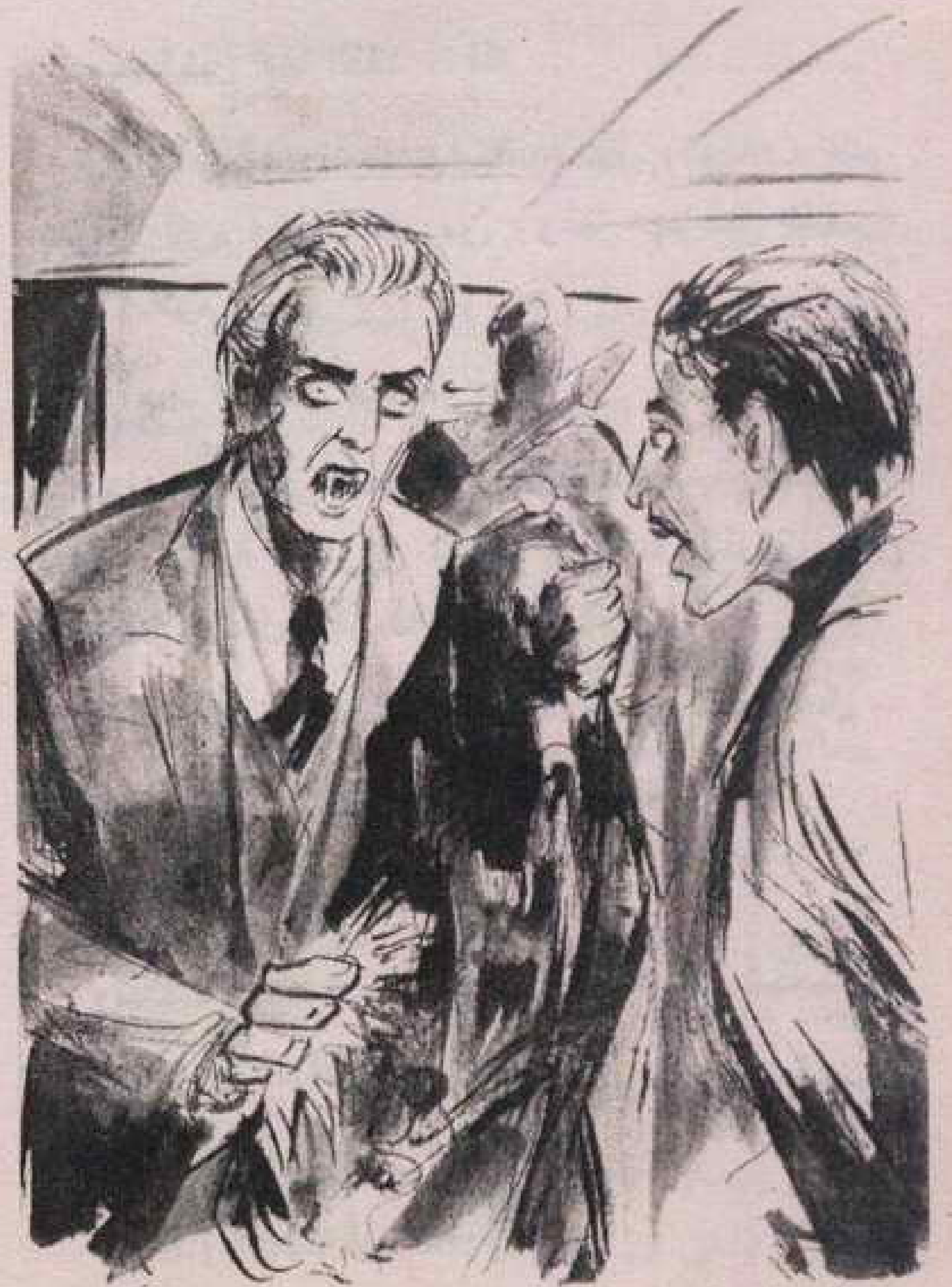
ومرة أخرى ، تألّقت أطراف أصابعه ..

تألّقت بشدة أكبر ..

وتألّقت معها كتلتا اللهب ، فى عينى الجاسوس الفضائى ، وهو يهتف :

ـ آه هنا .

غمغم (أكرم) فى عصبية :



تجاهله (كونار) تماما ، وهو يفحص السترة الممزَّقة بلهفة وحشية ، قبل أن تتألق عيناه ..

ـ إنها مجرَّد رمال .. ذرات رمال .

صاح فيه (كونار) بوحشية أكثر :

ـ قلت لك : اخرس .

وفى لهفة شديدة ، رفع الرمال إلى عينيه ، وراح يفحصها عن قرب ، قبل أن يناولها إلى حارسه ، قائلا فى صرامة :

ـ اذهب بها إلى القسم الفنى ، واطلب منهم فحصها ، بكل الوسائل الممكنة .

اندفع (بولار) لتنفيذ الأمر ، فى حين هتف (أكرم) بتوتر شديد :

ـ أنتما لستما بشريين .. أليس كذلك ؟!

قلب (كونار) شفتيه فى ازدراء ، وهو يقول :

ـ بالتأكيد .

صاح به (أكرم) :

ـ أيها الوغد .. ماذا فعلت بالجميع ؟! ماذا فعلت بالوزير الحقيقى ، ورئيس الجمهورية ، و (نور) ورفاقى كلهم .

صمت (كونـار) بضع لحظات ، وهو يتطلَّع إلـى الشاشة أمامـه ، ويعقد كفيه خلف ظهره ، متجاهلاً (أكرم) تمامًا ، فصاح هذا الأخير بغضب هادر :

- ماذا فعلت بهم ؟!

أشار (كونار) إلى الشاشة فى برود ، قائلاً :

- (نور) وعائلته هنا .

اشرأبَّ (أكرم) بعنقه ، وهو يتساءل فى لهفة :

- أين ؟!

خفض (كونـار) سبَّابته ، وهو يجيب ، فى لهجة حملت رائحة شماتة قوية :

- هنا .

مال (أكرم) برأسه أكثر ، ليلقى نظرة على الشاشـة ، فى الموضع الذى أشـار إليـه (كونار) بسبَّابته ، قبل أن تتسع عيناه ، ويتراجع كالمصعوق ، هاتفًا :

- رحماك يا إلهى ! رحماك .

فعلى الرغم من أنه كـان يتوقَّـع هذا إلـى حد مـا ، إلا أن رؤيـة الأمـر مباشرة كـانت صدمـة حقيقيـة .. صدمة اقتحمت كل ذرة من مشاعره ..

بلا رحمة ..

* * *

كل شىء كانت تحيط به رمال كثيفة ..

كل شىء ..

وشعرت (سلوى) بأنفاسها تضيق ..

وتضيق ..

وتضيق ..

وبكل قوتها ، حاولت أن تدفع أطنـان الرمـال بعيدًا عن صدرها ..

عن رأسها ..

عن كيانها كله ..

ولكن أنفاسها راحت تضيق أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

ومن بعيد ، تسلّل إلى مسامعها صوت دقات قلب ، راحت تتعالى ..

وتتعالى ..

وتتعالى ..

وبسرعة ، تحولّت إلى دوى قوى ، أشبه بدوى عشرات الطبول الضخمة ، التى تكاد تمزّق أذنيها ، وتخترق عقلها ومخها ..

وبكل ذعرها ، صرخت تستنجد بزوجها (نور) ..

« أنا هنا يا حبيبتى .. اطمئنى .. »

تسلّل الصوت إلى أذنيها فى نعومة ، على الرغم من الدوى ، فانتفض جسدها كله فى عنف ، وهتفت ، وقد تحرّر ذراعها وصدرها أخيرًا :

ـ (نور) .. (نور) .. أين أنت ؟!

أجابها صوته الرقيق الحنون :

ـ هنا يا (سلوى) .

شعرت فجأة بذراعيه حول كتفيها ، وبأنفاسه الحارة على وجهها ، ففتحت عينيها ، وتطلّعت إليه باتساعهما ، وهو يبتسم فى حنان ، متمتمًا :

ـ حمدًا لله على سلامتك .

مع آخر حروف كلماته ، برز إلى جواره وجه (نشوى) بعينين مغرورقتين بالدموع ، وهى تهتف :

ـ أماه ! أأنت بخير ؟! حمدًا لله .. حمدًا لله ..

تلفّتت (سلوى) حولها فى هلع ، واصطدمت عيناها بعينى العسكريين ، اللذين رافقا (صلب) ، وقد شفّت كل خلجة من خلجاتهما عن الارتياع والذعر ، فهتفت :

ـ رباه ! أين نحن يا (نور) ؟!

أجابها ، بصوت سيطر تمامًا على نبراته :

ـ إننا داخل المدرّعة (صلب) .

اعتدلت هاتفة :

ـ من الواضح أننى قد فقدت الوعى لفترة ما ، ولكن هذا لا يمنعنى من سؤال تال : وأين المدرَّعة (صلب) ؟! الثبات ودرجة الميل الحادة ، يؤكدان أننا لا نستقر على رمال الصحراء .. أليس كذلك ؟!

تبادل (نور) و(نشوى) نظرة صامتة ، قبل أن يقول هو :

ـ كلنا فقدنا الوعى لبعض الوقت ، فقد واجهنا تلك العاصفة الرهيبة ، التي اقتلعت كل شىء من مكانه ، وسحقت الرجال سحقًا فى لحظات ، ولولا وجودنا داخل (صلب) ، لما اختلف مصيرنا عن مصيرهم .

امتقع وجهها ، وهى تهتف :

ـ يا إلهى ! يا له من مصير بشع ! يا إلهى !

ثم اتسعت عيناها فى ارتياع ، وهى تستطرد مذعورة :

ـ وما مصيرنا نحن ؟! ما مصيرنا نحن يا (نور) ؟!

عضَّ شفته السفلى ، دون أن يجيب ، فى حين سالت الدموع من عينى (نشوى) ، وهى تقول فى مرارة :

ـ العاصفة لم تنجح فى اقتلاعنا .

كان من الواضح أن العبارة غير مكتملة ، لذا فقد اعتدلت (سلوى) أكثر ، وهى تسأل :

ـ ثم ؟!

صمتت (نشوى) ، وتبادلت نظرة أخرى مع والدها ، الذى قال فى بطء :

ـ لقد ابتلعتنا الرمال .

هتفت (سلوى) :

ـ ماذا ؟!

أجابها بإيضاح أكثر :

ـ رمال العاصفة لم تنجح فى اقتلاع المدرَّعة (صلب) ، لذا فقد تباعدت من تحتها ، وابتلعتها فى أعماق الرمال .

هتفت (سلوى) مذعورة :

ـ أتعنى أننا الآن تحت رمال الصحراء ؟!

أومأ برأسه إيجابًا ، وتابعت (نشوى) بكل مرارة وأسى :

ـ وعلى عمق خمسة عشر مترًا ، من سطح الأرض .. على الأقل .

أطلقت (سلوى) شهقة رعب ، فى حين غمغم أحد الجنديين :

ـ إنها نهايتنا .. لقد دفنتنا العاصفة أحياء .. سنموت هنا ، فى قبر من الصلب .. سنموت .

ثم صرخ بكل قوته :

ـ سنموت .

قالها ، وهو يرفع فوهة مدفعه ، ويده تثب إلى الزناد ، فصرخت (نشوى) :

ـ ماذا تفعل أيها المجنون ؟!

وقبل حتى أن تكتمل صرختها ، كان (نور) قد تحرّك ..

وانقضّ ..

لم يكن فراغ المدرّعة (صلب) يمنحه مساحة كافية للحركة ، إلا أنه ، وعلى الرغم من هذا تجاوز (سلوى) باندفاعة قوية ، وقبض على معصم الجندى ، ليمنع سبّابته من اعتصار الزناد ، فى نفس اللحظة التى انطلقت فيها قبضته الأخرى ، لتلكم الرجل فى فكه لكمة قوية ..

ولكن الجندى لم يترك مدفعه ..

ولم يفقد وعيه ..

لقد واصل الصراخ فى هيستيريا :

ـ دعنى أفعل .. دعنى أنهى حياتى الآن بدلاً من أن يقتلنى الجوع ونقص الهواء .. دعنى أفعلها بالله عليك .

أمسك (نور) عنقه فى قوة ، وهو يصرخ فى وجهه :

ـ إياك أيها الأحمق .. إياك أن تفعلها ، فتموت كافرًا ، وتذوق عذاب الجحيم إلى أبد الآبدين .. هل أعماك الخوف وأفقدك عقلك إلى هذا الحد ؟! كيف تيئس وتقنط من رحمة الله (عزّ وجلّ) يا رجل ؟! إننا ما زلنا على قيد الحياة ، ولعل هذا لحكمة نجهلها .. هل تخشى أن

تتعذّب ليوم أو يومين ؟! ماذا إذن عن عذاب بلا نهاية ؟! ألم تتعلّم أبدًا تلك الحكمة ، التى تقول : « احرص على الموت قبل أن يأتى يوم تتمنّى فيه الموت فلا تجده » ؟! هل أدركت مغزاها الحقيقى ؟! احتمل يا رجل .. تجلّد .. قاتل حتى آخر نفس يتردّد فى صدرك ، ولا تستسلم أبدًا .. هل فهمت ؟!

أجابه الجندى الآخر فى حزم :

ـ هذه هى روح الجندية الحقّة .

ثم شدّ قامته ، وارتفعت يده بالتحية العسكرية فى حزم ، وهو يقول :

ـ الجندى (إسحق) ، من القوات الخاصة ، رهن إشارتك يا سيادة المقدّم .

تصبّب عرق غزير على وجه الجندى الآخر ، وهو ينقل بصره بينهما ، وبين وجهى (سلوى) و(نشوى) ، اللتين تطلّعتا إليه فى قلق ، ثم لم يلبث أن اعتدل فى مقعده ، وهزّ رأسه فى قوة ، مغمغمًا :

ـ كم كنت غبيًا .

ثم رفع عينيه إلى (نور) ، وهو يقول فى حزم :

ـ اعتبرنا جيشك الصغير يا سيادة المقدّم .. أنا

الجندى (عبد المنعم) ، من القوات الخاصة .. أنا وزميلى (اسحق) سننفذ كل ما تأمرنا به .. أيًا كان .

التقط (نور) نفسًا عميقًا ، وهو يقول :

ـ عظيم .

وهنا قالت (سلوى) فى حزم :

ـ ألا ينبغى أن نعرف أولاً ما موقفنا بالضبط ؟!

أشارت (نشوى) إلى الأجهزة الإليكترونية داخل المدرعة ، قائلة :

ـ لقد راجعت الأجهزة .. كل شىء مازال يعمل بكفاءة ، و ...

قاطعها (نور) فى حزم :

ـ كلاً .

بدت الدهشة على وجوه الجميع ، وتساءلت (سلوى) فى حيرة قلقة :

ـ ماذا تعنى يا (نور) ؟!

أجابها فى حزم صارم :

ـ أعنى أنه لن يمكننا استخدام أى جهاز إليكترونى هنا .

قالت (نشوى) فى دهشة :

ـ ولكنها ما زالت تعمل بكفاءة يا أبى .

أشار بسبَّابته ، قائلاً :

ـ هذا هو السبب بالتحديد .

تفجَّرت دهشة أكبر فى وجوههم ، وتساءلت (سلوى) :

ـ ألديك ما لم تخبرنا به يا (نور) ؟!

أجابها (نور) حاسمًا :

ـ بالتأكيد .

ثم واجه الجميع ، متابعًا :

ـ فلأوَّل مرة أشعر أننا فى موقف ، يناسب (أكرم) بالتحديد ، بأكثر مما يناسب أيًا منا ، ربما لأن التكنولوجيا بالتحديد هى سبب ما نعانيه .

هتفت (نشوى) :

ـ ما زلت أجهل ما تعنيه .

اعتدل ، قائلاً :

ـ سأخبرك .. سأخبركم جميعًا .

تطلَّعوا إليه بكل اهتمامهم وانتباههم ، و ...

وأخذ هو يشرح نظريته ..

بمنتهى الدقة ..

وكانت نظرية عجيبة ..

ومخيفة ..

بحق ..

* * *

« تحت الرمال »

هتف (أكرم) بالكلمة فى هلع ، فمطَّ (كونار) شفتيه ، وقال :

ـ مصير مناسب للغاية .

صاح (أكرم) فى غضب ، وهو يندفع نحوه :

ـ أيها الوغد .

استدار إليه (كونار) فى سرعة ، ورفع يده فى مواجهته ، وهو يصرخ فى غضب :

- اخرس أيها البشرى .

كان (أكرم) على بعد ثلاثة أمتار منه ، عندما شعر بشىء بارد كالثلج ، يرتطم بصدره بمنتهى العنف ، فيقتلعه من مكانه ، ويلقى به إلى الخلف فى قوة ، ليسقط أرضًا ، و(كونار) يقول فى صرامة غاضبة :

- إياك أن تحاول فعلها ثانية ، وإلا سحقتك سحقًا فى المرة القادمة .

سعل (أكرم) من فرط الألم ، وهو يهتف :

- أأنت بهذه الحقارة فى عالمك ، أم أنها موهبة مكتسبة فى عالمنا فحسب ؟!

شدَّ (كونار) قامته ، وهو يقول فى غلظة :

- لن يمكنك قط أن تبلغ فى عالمك ، تلك المكانة التى بلغتها أنا فى عالمى .

سعل (أكرم) مرة أخرى ، وهو يقول فى سخرية :

- حقًّا ؟!

تألقت عينا (كونار) ، وبدتا أشبه بكتلة لهب ، وهو يقول بكل الصرامة :

- نعم .. حقًّا ؟!

ومع تألُّق عينيه ، شعر (أكرم) بخنجرين حادين باردين يخترقان عينيه ..

ورأسه ..

ومخه ..

و ...

« القائد (كونار) فى خدمتك أيها الإمبراطور .. »

اعتدل الإمبراطور الكبير ، وتألقت عيناه المخيفتان ، وهو يقول :

- حان الوقت يا (كونار) .

شدَّ (كونار) قامته ، قائلاً :

- أنا رهن إشارتك يا مولاى الإمبراطور .

تراجع الإمبراطور فى عرشه الهائل ، وهو يقول بصوته المخيف :

- إننا ننتظر هذه اللحظة منذ قرون طويلة يا (كونار) .. أجدادنا العظام فشلوا فى اقتناص اللحظة الماضية ، منذ مليون عام من أعوامنا ، وعلينا نحن أن نتفادى ذلك الخطأ ، الذى أفسد غزوتهم الأولى .

سأله (كونار) فى حزم :

ـ بِمَ تأمرنى يا مولاى .

رفع الإمبراطور يده ، قائلاً :

ـ لابد أن نبذل قصارى جهدنا هذه المرة ، حتى لانفقد لحظة التماس العظمى .. لن نسمح بأى خطأ هذه المرة يا (كونار) .. هل تفهم ؟ أى خطأ .

كررَّ (كونار) فى حزم أكثر :

ـ أنا رهن إشارتك يا مولاى .

ولكن الإمبراطور تابع ، وكأنه لم يسمعه :

ـ أشياء كثيرة تغيرَّت فى عالمنا ، خلال المليون عام الأخيرة ، على الرغم من الانهيار العظيم ، الذى كاد يعصف بحضارتنا كلها ، منذ ألفى عام ، ولقد ابتكر علماؤنا وسيلة جديدة ، لإرسال الأحياء إلى العالم الأرضى ، دون انتظار لحظة التماس العظمى .

تألَّقت عينا (كونار) ، وهو يهتف :

ـ حقًا ؟!

هزَّ الإمبراطور رأسه ، قائلاً :

ـ المشكلة أن هذه الوسيلة محدودة للغاية ، ولا يمكنها أن تنقل سوى ثلاثة منا فحسب ، مستهلكة فى هذا طاقة هائلة ، سيؤدى استنزافها إلى حرماننا من كل طاقتنا ، ليومين كاملين .

غمغم (كونار) فى انزعاج :

ـ إلى هذا الحد ؟!

أومأ الإمبراطور برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ يمكنك أن تقول إنه ليس بمقدورنا استخدام وسيلة كهذه سوى مرة واحدة فحسب ، نرسل خلالها ثلاثة من أفضل وأبرع مقاتلينا ، لتهيئة المناخ الأرضى لاستقبالنا ، عندما تحين لحظة التماس العظمى .

أدرك (كونار) ما يرمى إليه الإمبراطور فورًا ، فقال فى حزم :

ـ القائد (كونار) رهن إشارتك يامولاى .

مطَّ الإمبراطور شفتيه ، وكأنما يتوقَّع هذا ، وقال :

ـ التماس سيستمر لثمان وأربعين ساعة أرضية فحسب ، ولو عجزنا عن نقل كل قواتنا ، خلال تلك

الساعات ، سنفقد فرصة أخرى لغزو ذلك العالم ، ولن يمكننا تعويض هذا قبل مليون عام أخرى .. هل تفهم خطورة الموقف ؟!

شدَّ (كونار) قامته ، قائلاً فى حزم :

ـ بالتأكيد يا مولاى .. بالتأكيد .

مال الإمبراطور على عرشه ، وواجه قائده بنظرة صارمة ، قائلاً :

ـ إنها مهمتك يا (كونار) .. ستصحب معك حارسىّ الخاصين (سينور) و(بولار) ، وعلى ثلاثتكم تأمين العبور ، حتى لو كان الثمن هو حياتكم نفسها .. هل تفهم ؟!

تألقت عينا (كونار) ، وهو يجيب ، بكل الحزم والحسم :

ـ بالتأكيد يا مولاى .. بالتأكيد .

« رباه ! »

هتف (أكرم) بالكلمة ، وكل ذرة من كيانه ترتجف ، وذكريات (كونار) تنتزع من رأسه في عنف ، وهذا الأخير يبتسم فى شراسة مخيفة ، قائلا :

ـ هل أدركت الآن من أنا أيها البشرى ؟!

حدَّق (أكرم) فى وجهه ، هاتفًا :

ـ إنه غزو جديد .. يا إلهى !! يا إلهى !

ثم نهض واقفًا ، على الرغم من معصميه المقيدين خلف ظهره ، وهو يهتف فى حدة :

ـ وماذا فعلت بالكل ، من أجل هذا الغزو الحقير ؟! ماذا فعلت بالآخرين ؟!

ابتسم (كونار) فىْ سخرية ، وهو يقول :

ـ أتقصد كبار المسئولين فى دولتك ؟! رئيس الجمهورية ، والقائد الأعلى للمخابرات العلمية ، ووزير الدفاع ، ومدير مكتبه الغبى ؟!

ثم هزَّ رأسه ، متابعًا :

ـ لا تقلق .. ستعرف الجواب قريبًا .. قريبًا جدًّا .

قالها ، ورفع يده إلى وجهه ، مستطردًا :

ـ قريبًا جدًّا ستصبح بين أصابعى .. تمامًا مثلهم .

اتسعت عينا (أكرم) ، وهو يهتف :

- بين أصابعك ؟! ماذا تعنى بعبارتك هذه ؟!

تألقت عينا (كونار) أكثر، ثم تفجَّرت من حلقه ضحكة عالية، قوية، مجلجلة، قبل أن يرفع يده إلى (أكرم)، قائلاً بكل سخرية وشماتة الدنيا :

- ما دمت متعجلاً، فستعرف الآن .

ومع آخر حروف كلماته، تألَّقت أصابعه ببريق أزرق عجيب، ثم انطلق منها شعاع قوى ..

شعاع أحاط بـ (أكرم)، الذى صرخ من الألم :

- ماذا تفعل بى أيها الوغد ؟! ماذا تفعل بى ؟!

كانت هناك قوة هائلة تضغط كيانه كله، وتعتصره اعتصارًا، والشعاع المحيط به ينكمش، وينكمش .. وينكمش ..

ثم تلاشى كل ما حوله بغتة، وانطلقت من حلقه صرخة هائلة ..

صرخة اختفى بعدها تمامًا، من حجرة الرصد ..
اختفى دون أن يترك خلفه أثرًا ..
أدنى أثر .

* * *

٥ - بين أصابعه ..

« كل الدراسات تؤكِّد أن هذا الجسم يرقد هنا، تحت رمال الصحراء، منذ ملايين السنين .. »

نطق (نور) العبارة فى هدوء، وهو يدير عينيه فى وجوه الجميع، الذين تطلَّعوا إليه فى اهتمام بالغ، فتابع :

- وعلى الرغم من وجوده، طوال هذه المدة الطويلة، إلا أنه لم ينشط، أو يبدأ فى تحريك الأمور، على هذا النحو المخيف العنيف، إلا عند استخدام جهاز المسبار الموجى (م م - ١) لأوَّل مرة .

سألته (نشوى) فى اهتمام :

- وما الذى فعله هذا بالضبط ؟!

أشار (نور) بسبَّابته، قائلاً :

- فى البداية تصوَّرت أن الموجات، التى أطلقها (م م - ١)، هى التى أيقظت ذلك الشىء من سباته، وجعلته يطلق تلك العاصفة الرهيبة، للدفاع عن كيانه .

اعتدلت (سلوى) ، هاتفة :

ـ العاصفة ؟! هل تعتقد أنه المسئول عن العاصفة ؟!

التفت إليها (نور) ، متسائلاً :

ـ ألديك نظرية أخرى ؟!

أجابته فى توتر :

ـ لقد رأيت مثلنا تلك العمالقة الرملية المخيفة ، وهى تبرز من قلب الصحراء ، لتهاجم فرق البحث والجنود ، وتسحقهم سحقًا .

سألها فى هدوء :

ـ وما الذى يعنيه هذا فى رأيك ؟!

ارتبكت ، وكأنما باغتها السؤال ، فهزَّت كتفها ، ولوَّحت بيدها ، قائلة :

ـ إنها مخلوقات من الرمال مثلاً .

مال نحوها ، متسائلاً :

ـ ومن أطلقها ؟

غمغمت فى حذر :

ـ ذلك الجسم المدفون منذ ..

هتفت (نشوى) مكملة :

ـ منذ ملايين السنين .

ثم التفتت إلى والدها ، متابعة :

ـ ألا يدهشك أن يمتلك شىء قديم كهذا ، كل هذه التكنولوجيا ، على الرغم من أنه ينتمى إلى مخلوقات من الرمال ؟!

هزَّ كتفيه ، قائلاً :

ـ لا أحد يدرى ما الذى كانت عليه الأرض فعليًا ، منذ ملايين السنين ، فربما شهد ذلك الماضى السحيق حضارات تفوق حضارتنا ألف مرة ، أما موضوع مخلوقات الرمال هذا ، فهو يحتاج إلى وقفة .

سألته (سلوى) فى اهتمام :

ـ لماذا ؟!

صمت لحظة ، قبل أن يهزَّ كتفيه مرة أخرى ، مجيبًا :

- لأننى لست أومن بأنها مخلوقات رملية بالفعل .

سألته بدهشة :

- بعد ما رأيناه بأنفسنا ، على شاشة الفحص ؟!

تنهَّد ، قائلاً :

- أعتقد أنه من الأفضل أن نترك هذا لحينه .

تراجعت ، قائلة :

- عظيم .. هذا يجعل نظريتك بسيطة للغاية إذن .. جسم من حضارة سحيقة ، اختفى تحت الرمال منذ ملايين السنين ، حتى أشعلته موجات إليكترونية قوية ، فانطلق يدافع عن كيانه بشراسة .. هذا يفسر أمر العاصفة ، ولكن ماذا عن نبضات القلب البشرية ، و ...

قاطعها فى هدوء :

- معذرة يا زوجتى العزيزة ، ولكن نظريتى لم تكتمل بعد .

انعقدت حواجب الجنديين ، وهما يتبادلان نظرة متوترة ، فى حين تساءلت (نشوى) فى حذر :

- ما الذى ينقصها ؟!

أجاب فى حزم :

- أن الموجات التى نطلقها لم توقظ ذلك الشىء ، ولكنها دفعته إلى العمل فحسب .

سألته (سلوى) فى حيرة :

- وما الفارق ؟!

أشار إلى أجهزة المدرَّعة ، قائلاً :

- الفارق هو الذى جعلنى أمنعكم من تشغيل أجهزة المدرَّعة الآن .. الفارق هو أن ذلك الشىء ، ولسبب ما ، معدّ بحيث يهاجم أية صورة من صور التكنولوجيا تعترض طريقه ، أو تهدِّد وجوده بالخطر ، فى أية لحظة .

سألته (نشوى) :

- ولماذا لم ينطلق ، طوال ملايين السنين ؟!

أجابها فى سرعة :

- لأن المنطقة ظلَّت بكرًا ، طوال تاريخنا المكتوب

على الأقل ، فلم تقترب منها يد البناء أو التعمير ، أو حتى التنقيب ، ولم تكن ضمن المسارات ، التى شملتها الحرب العالمية الثانية .. باختصار ، لم يكن هناك مبرِّر واحد لعمل الجهاز ، طوال كل هذه الحقبات من الزمن .

هتفت (سلوى) :

- لماذا يوجد فى هذه المنطقة بالذات إذن ، ما دامت لا قيمة لها إلى هذا الحد ؟!

أشار بسبَّابته ووسطاه ، قائلاً :

- هناك تفسيران لهذا .. أولهما أن تلك المنطقة كانت مهمة للغاية ، فى الحقبة التى انزرع فيها ذلك الجسم هنا ، أو أنه هناك سبب نجهله ، يجعل لهذا الموقع بالتحديد أهمية قصوى .

سألته (نشوى) :

- سبب مثل ماذا ؟!

أشار بيده إشارة مبهمة ، وهو يقول :

- ربما كانت منطقة هبوط فضائية ، أو ...

قاطعه الجندى (إسحق) فى هذه اللحظة ، بلهجة تشفَ عن العصبية ونفاد الصبر :

- معذرة أيها القائد ، ولكن هل يبدو الوقت والمكان مناسبين ، فى ظل هذه الظروف ، لمناقشة وتفنيد نظرية كهذه ؟!

التفت إليه (نور) لحظة ، قبل أن يقول بحزم :

- كلاَّ بالتأكيد .

ثم عاد يشدّ قامته ، قائلاً :

- ينبغى أوَّلاً أن نراجع الموقف كله ، فطبقًا للمعطيات الأوَّلية المتاحة ، نحن مدفونون على عمق كبير ، وسط رمال الصحراء ، ولكن طاقة المدرَّعة ما زالت تعمل ، فالأضواء متألِّقة ، ونظام الأكسجين الرئيسى مستمر ، ولكن دون تشغيل الأجهزة ، سنظل نجهل تمامًا باقى المعطيات .

قال الجندى (عبد المنعم) :

- المهم هو ما الذى يمكن أن نفعله ، لنخرج من هنا ، أو ...

قاطعته (سلوى) فى حزم عصبى :

- لا شىء .

اتسعت عيناه فى ارتياع ، وهو يدير بصره إليها ، فأكملت :

ـ دون أجهزة حديثة ، ليس لدينا أمل فى الخروج من هنا .

وارتجفت الكلمات على شفتيها ، وهى تضيف بعصبية زائدة :

ـ أدنى أمل .

وكانت العبارة الأخيرة تكفى ، لتحطيم معنويات الكل ..

تمامًا ..

★ ★ ★

« ما الذى يمكننا أن نفعله إزاء هذا ؟! »

هتف (رمزى) بالكلمة ، فى توتر شديد ، فتراجع الدكتور (جلال) فى مقعده ، ورفع يده إلى ذقنه فى صمت ، جعل (رمزى) يواصل فى عصبية :

ـ لا يمكننا أن نقف ساكنين ، وبعضهم يسعى لاختراق عالمنا ، لسبب لا يعلمه إلا الله (عزَّ وجلَّ) .

قلب الدكتور (جلال) كفيه ، قائلاً فى توتر :

ـ المشكلة أن كل أصحاب القرار غائبون ، و ...

قاطعه (رمزى) فى حزم :

ـ خطأ يا دكتور (جلال) .. المشكلة الحقيقية هى أن كل أصحاب القرار فى خطر ، علينا أن نسعى لإنقاذهم منه .

انعقد حاجبا الدكتور (جلال) فى شدة ، وهو يفكِّر فى هذا الاحتمال الجديد المخيف ، قبل أن يرفع عينيه إلى (رمزى) ، قائلاً :

ـ ولكنه قرار صعب للغاية ، ونتائجه غاية فى الخطورة .

قال (رمزى) بحزم أكبر :

ـ نتائج الصمت أكثر خطورة يا دكتور (جلال) .

انعقد حاجبا الدكتور (جلال) أكثر ، وهو يغمغم فى عصبية :

ـ أنت لا تستطيع تقدير عواقب الأمر .. لو أننا أخطأنا الفهم ، فسيتم تفسير كل ما سنفعله باعتباره محاولة انقلاب .. خيانة عظمى .

ثم رفع عينيه مرة أخرى إلى (رمزى)، متابعًا فى حدة :

- هل تعرف عقوبة الخيانة العظمى ؟!

أجابه (رمزى) بكلمة واحدة حازمة :

- الموت .

ثم مال نحو الشاشة، مستطردًا :

- ولكن ما عقوبة تجاهل محاولة غزو خارجى، لكوكب الأرض كله ؟!

اتسعت عينا الدكتور (جلال) فى ارتياع، وهو يحدق فى الشاشة، فتابع (رمزى) بصرامة، بدت أشبه بصرامة (نور) :

- ربما كان القرار خطيرًا حاسمًا، وخيم العواقب يا دكتور (جلال)، ولكنها واحدة من اللحظات النادرة، التى لابد أن يتخذ فيها المرء قرارًا حاسمًا، وإلا خسر كل شىء .

تردد الدكتور (جلال) أكثر، وراح يدرس الأمر فى ذهنه مرات ومرات، فهتف (رمزى) :

- هيا يا دكتور (جلال) .. دعنا لا نضيع لحظة واحدة .. لقد حاولنا معًا الاتصال بالرئيس، والقائد الأعلى، وحتى وزير الدفاع، بالإضافة إلى (نور)، و(سلوى)، و(نشوى)، و(أكرم)، و(مشيرة) .. والكل لا يستجيب، وفى الوقت نفسه ترصد الأجهزة ذبذبة قادمة من عالم آخر، على نحو يوحى بأنها محاولة لاختراق عالمنا .. ما الذى يحتاج إليه الأمر أكثر من هذا، لندرك أننا أمام محاولة تخريب داخلية، تمهيدًا لغزو خارجى ؟!

كان الدكتور (جلال) يدرك جيدًا، أن حديث (رمزى) منطقى تمامًا، إلا أن طبيعته، كرجل علم صرف، لم تكن تؤهله لقرار قوى حاسم كهذا ..

قرار قد يتوقف عليه مصير دولة بأكملها ..

بل عالم كامل ..

وكان عليه أن يبحث عن حل لهذا ..

حل لذلك العجز فى شخصيته ..

وحل لموقف عالمه المعرض للخطر ..

ولقد طال تفكيره ..

وطال ..

وطال ..

« فيم تفكرٍ بالضبط يا رجل ؟! »

هتف (رمزى) بالعبارة فى توتر ، فرفع الدكتور (جلال) عينيه بحركة حادة ، مجيبًا فى انفعال شديد :

ـ فى الرائد (أيمن) .

تراجع (رمزى) فى دهشة ، وهو يهتف :

ـ الرائد (أيمن) ؟! ألم يلق مصرعه فى عملية سابقة ؟!

زفر الدكتور (جلال) فى عصبيه قائلاً :

ـ تقريبًا .

اتسعت عينا (رمزى) ، وهو يقول :

ـ تقريبًا ؟! ، ما معنى تقريبًا هذه ؟!

تردد الدكتور (جلال) لحظة ، ثم مال نحو الشاشة ، قائلاً :

ـ الرائد (أيمن) يعتبر سلاحًا سريًا فى الوقت الحالى .

ردَّد (رمزى) فى دهشة حذرة :

ـ سلاحًا سريًّا ؟!

زفر الدكتور (جلال) مرة أخرى ، وهو يومئ برأسه إيجابًا ، ويقول فى حزم :

ـ نعم السلاح السرى الوحيد ، الذى يمكن أن يفيدنا ، فى مثل هذا الموقف العصيب .

تراجع (رمزى) ، مغمغمًا :

ـ لست أفهم .

هزَّ الدكتور (جلال) رأسه ، مغمغمًا بدوره :

ـ إنه أمر عسير الفهم بالفعل .

وعاد يرفع عينيه إلى (رمزى) ، قائلاً :

ـ ولكنك تستطيع استيعابه .

قالها وراح يشرح الأمر لـ (رمزى) ..

وكان الأمر بالفعل عسير الفهم ..

إلى أقصى حد ..

ولكن (رمزى) استطاع استيعابه ..

وأدرك أنه ربما كان حل المشكلة بالفعل ..

الحل الوحيد ..

★ ★ ★

ضحكة عالية مجلجلة ، ترددت فى المكان كله ..

ونيران اشتعلت فى كل مكان حول (أكرم) ..

نيران هائلة رهيبة ، لفحه لهيبها ، فتراجع صارخًا :

ـ أيها الوغد .. أيها الوغد ..

ترددت ضحكة (كونار) عالية ساخرة مرة أخرى ، وامتزجت بأصوات صراخ رهيبة مخيفة ..

صراخ آلاف المعذبين ..

صراخ من أعماق الجحيم ..

بل من أعمق أعماقه ..

ووسط اللهب والنيران ، برز وجه (كونار) ..

برز ضخمًا رهيبًا ، هائل الحجم ، تبدو أنيابه فى طول الأشجار الضخمة ، و ..

وانتفض (أكرم) فى عنف ..

ومع انتفاضته ، استيقظ عقله دفعة واحدة ..

لم يكن نائمًا أو فاقد الوعى ، بل كان واقفًا على قدميه ، وسط فراغ ضبابى أخضر .. أو بمعنى أدق ، كان يسبح فى ذلك الفراغ ..

وبكل التوتر ، تمتم :

ـ أين أنا ؟!

تردَّد السؤال داخل كيانه ، حتى لقد خُيِّل إليه أنه يسمع صداه فى أعماقه ، فاتسعت عيناه فى ارتياع ، وهتف :

ـ رباه ! ماذا يحدث ؟! ما الذى فعله بى ذلك الوغد ؟!

« قلصك .. » .

استدار فى حدة إلى مصدر الصوت ، وانعقد حاجباه بشدة ، وهو يحدق فى الضباب الأخضر المتكاثف أمامه ، والذى راح يتكثف ويهتز ..

ثم برزت منه فجأة تلك الأجساد ..

وتراجع (أكرم) بحركة حادة عنيفة ..



استدار فى حدة إلى مصدر الصوت ، وانعقد حاجباه بشدة ، وهو يحدِّق فى الضباب الأخضر المتكاثف أمامه ، والذى راح يتكثّف ويهتز ..

ثم اتسعت عيناه فى ذهول ، وهو يصرخ :

ـ رباه ! سيادة الرئيس ؟! وزير الدفاع ؟! القائد الأعلى .. ماذا تفعلون هنا ؟!

أجابه الرئيس فى مرارة :

ـ إننا أسرى .

هتف مستنكرًا :

ـ أسرى ؟! كيف ؟! وأين ؟!

هزّ الوزير رأسه ، قائلاً :

ـ لسنا ندرى أين ، ولكننا نعلم كيف ؟!

سأله (أكرم) فى لهفة :

ـ كيف إذن ؟!

برز مدير مكتب وزير الدفاع من وسط الضباب ، وهو يقول بصوت مرتجف مذعور :

ـ لقد حوّلنا إلى جراثيم .

سأله (أكرم) مستنكرًا :

ـ حوّلنا إلى ماذا ؟!

أجابه الرئيس فى مرارة :

ـ إلى أقزام يا (أكرم) .. إلى كائنات ضئيلة للغاية ، حتى إن الفأر يبدو بالنسبة لنا أشبه بالديناصور .

نقل (أكرم) بصره بين وجوههم فى دهشة مستنكرة ، قبل أن يهتف :

ـ أى قول أحمق هذا ؟!

لم يكد ينطقها ، حتى أدرك أن عبارته وقحة للغاية ، وخاصة فى حضرة رجال مثلهم ، فتراجع فى سرعة مستدركًا :

ـ أعنى أنه أمر يستحيل تصديقه .

اتسعت عينا مدير مكتب الوزير فى رعب ، وهو يرفع عينيه إلى ما خلف رأس (أكرم) قائلاً بصوت مذعور ، ارتجف كل حرف منه ، كريشة فى مهب الريح :

ـ هل يكفيك هذا الدليل ؟!

استدار (أكرم) فى حدة ، وارتفعت عيناه إلى حيث ينظر مدير مكتب الوزير ..

ثم ارتدّ فى عنف ..

فأمامه مباشرة ، وخلف الضباب الأخضر ، رأى عينى (كونار) الملتهبتين ، تتطلعان إليه بكل سخرية وشماتة الكون ..

ومن موقع العينين ، انطلقت ضحكة رهيبة ..

ضحكة ساخرة ، ظافرة ، شامتة ، لزجة ..

ثم ابتعدت العينان ..

واختفتا ..

ومع اختفائهما ، أدرك (أكرم) أن (كونار) قد ألقى بهم فى جحيم من نوع خاص ..

جحيم بلا رحمة ..

وبلا أمل ..

* * *

« هل تعتقد أننا سنجدهم أحياء أيها القائد ؟! »

ألقى (بولار) سؤاله على (كونار) ، الذى عقد كفيه خلف ظهره ، وارتسمت على شفتيه ابتسامة ساخرة ، وهو يجيب :

ـ تصميمات مدرَّعتهم (صلب) تؤكِّد أن لديهم مايكفى للحياة لمدة ساعتين فحسب ، ولقد مضت ساعة كاملة ، منذ ابتلعتهم الرمال ، ولهذا أصدرت أوامرى بألا يبدأ الحفر ، قبل مرور ساعة أخرى .

وانطلقت منه ضحكة قصيرة ، قبل أن يستطرد :

ـ وبهذا نعثر على الأبطال ، الذين ينبهر بهم عالمهم كله ، ولكن بعد أن أصبحوا جثثًا هامدة .

تساءل (بولار) فى حذر :

ـ وماذا لو .. ؟!

قاطعه فى صرامة :

ـ لا يوجد لو .. إننى أدرس كل شىء بمنتهى الدقة .

ثم التفت إليه ، متابعًا فى صرامة خشنة :

ـ عندما يبدأ الحفر ، بعد ساعة من الآن ، وطبقًا للعمق الذى حدَّدته أقمار الكشف ، سيتم الوصول إلى المدرَّعة (صلب) بعد ساعتين أخريين على الأقل ، وهذا سيعنى أن أبطال الأرض سيقضون ساعتين كاملتين ، فى أعماق رمال الصحراء ، دون ذرة هواء واحدة .

هتف (بولار) مبهورًا :

ـ عظيم .

ثم عاد يتساءل فى قلق :

ـ ولكن لماذا الحفر نفسه ؟!

سأله (كونار) بنفس الصرامة :

ـ ألديك حل آ خر ؟!

أجابه فى تردُّد :

ـ يمكننا توفير الوقت ، لو استخدمنا وسيلة أكثر تقدُّمًا ، و ..

قاطعه فى صرامة :

ـ غبىّ .

انعقد حاجبا (بولار) ، وهو يقول فى عصبية :

ـ لو أننى غبىّ ، كما تصمنى دائمًا ، لما كنت حارسًا خاصًا وشخصيًا للإمبراطور .

قال (كونار) فى سخرية :

ـ الإمبراطور يحيط نفسه بالأقوياء ، وليس بالعباقرة .

قال (بولار) فى حدة :

ـ تُرى هل ينطبق هذا على الجميع ؟!

استدار إليه (كونار) ، بنظرة نارية غاضبة ، وقد أدرك ما يرمى إليه ، فتراجع (بولار) فى توتر ، قائلاً :

ـ كنت أعنى أن ..

قاطعه (كونار) مرة أخرى ، وهو يقول بصرامة غاضبة :

ـ ألم تدرك بعد أن التكنولوجيا المتقدِّمة ، هى التى أشعلت ذلك الجهاز البغيض ؟!

اتسعت عينا (بولار) ، وهو يهتف :

ـ حقًّا ؟!

أجابه (كونار) فى سخرية صارمة :

ـ حقًّا ؟! هل أدهشك هذا أيها الحارس الإمبراطورى العظيم ؟! وكنت غاضبًا ، لأننى وصمتك بالغباء ؟!

ثم مال نحوه ، متابعًا فى سخرية أكثر ، وصرامة أعنف :

ـ هذه لعبتهم ، التى أدركتها مع المرة الثالثة يا هذا .. بل ولقد أرسلت (نور) وعائلته ، فى ضربة مزدوجة ، نفذتها بمهارة وعبقرية ، فقد كانت مواجهتهم لـ (ميجالون) ستأتى حتمًا بنتيجة إيجابية ، فإما أن ينجحوا فى كشف نقاط ضعفها ، والسيطرة عليها ، قبل أن نبلغ لحظة التماس العظمى ، أو أنها ستنطلق فور تشغيلهم لجهاز (م م ـ ١) ، فتثبت نظريتى .. بالإضافة إلى أنه اختبار لفاعلية نظامها الأمنى وقوته ، فى مواجهة مدرَّعة ثقيلة قوية ، مثل (صلب) .

واعتدل فى زهو ظافر ، مستطردًا :

ـ ثم إن أفضل ما سيحدث ، فى كل الأحوال ، هو التخلُّص من (نور) وعائلته ، الذين أصبحوا رمزًا للتحرير ، ووسيلة لإذكاء نيران الحماس ، فى نفس كل أرضى ، منذ الاحتلال السابق(*) .

نطق عبارته الأخيرة ، وهو يتطلَّع ، عبر شاشة الرصد ، إلى أجهزة الحفر العملاقة ، التى تحتلَّ مواقعها ، فى المنطقة (ص) ، فى انتظار أوامره لبدء الحفر ، وتألَّقت عيناه ، وهو يتابع فى سخرية :

(*) راجع قصة (الاحتلال) .. المغامرة رقم (٧٦) .

- ولكننا سنواجه تكنولوجيتهم ، وأساليبهم الأمنية المتقدّمة هذه ، بأسلوب غاية فى البساطة والمباشرة .. سنحفر الرمال ، حتى نصل إليهم ، ونوقف عمل الـ (ميجالون) .

سأله (بولار) فى حذر :

- هل تعتقد أن الأمر سيكون بهذه البساطة ؟!

هزّ (كونار) رأسه فى قوة ، قائلاً فى حزم :

- مطلقًا .. الأمر سيحتاج إلى منتهى البراعة والذكاء .

وعاد يشدّ قامته ، متابعًا فى ثقة بلغت حد الغرور :

- وهذا ما خُلقت من أجله .

أراد (بولار) أن يقول شيئًا ما ..

أراد هذا بشدة ..

ولكن بقايا حكمة ما فى أعماقه ، جعلته يلزم الصمت ، ويكتفى بعقد حاجبيه ، والإشاحة بوجهه ، فى حين اتجه (كونار) نحو جزء من الجدار ، والتقط كرة خضراء شفافة صغيرة ، ملتصقة به ، وتطلع إليها لحظة ، وهى بين أصابعه ، ثم أطلق ضحكة ساخرة شامتة أخرى ، قبل أن يلصقها مرة أخرى بالجدار ، قائلاً :

- تمتعوا بحياتكم أيها الجراثيم البشرية ، وسط جحيم (كونار) .

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى ارتفع أزيز جهاز الاتصال ، وظهرت على شاشته صورة مدير المعامل المنتدب ، وهو يقول فى انفعال :

- سيادة الرئيس .. لن يمكنك أن تصدّق ما وجدناه ، عندما فحصنا ذرات الرمال التى أرسلتها .

استعاد (كونار) فى سرعة صوت ولهجة وملامح رئيس الجمهورية ، وهو يواجه شاشة الاتصال ، قائلاً :

- ما الذى وجدتموه بالضبط ؟!

أجابه الرجل بانفعال حقيقى :

- لن يمكنك أن تصدّق يا سيادة الرئيس ، لذا فسأنقل إليك صورة لذرة واحدة من الرمال ، تحت الميكروسكوب الأيونى الفائق التكبير ، لترى بنفسك .

ومع كلماته ، اختفت صورته من الشاشة ، وحلّت محلها صورة ذرة الرمال ، تحت الميكروسكوب الأيونى ، مكبّرة ثلاثمائة ألف مرة ..

واتسعت عيون (كونار) و(بولار) عن آخرها ..

فما أبرزته صورة الميكروسكوب الأيونى الفائق كان أمرًا مذهلاً ..

بكل المقاييس العلمية ..

والعقلية ..

و..

والمنطقية .

* * *

٦ ـ ذرة من الرمال ..

تردّد الدكتور (جلال) لحظة ، وهو يقف أمام ذلك القسم الخاص جدًّا ، فى مبنى الأبحاث العلمية وراح يدير الموقف كله فى ذهنه بقلق متوتر ، قبل أن يتمتم :

ـ هيا يا رجل .. لا تضيّع المزيد من الوقت .. احسم أمرك ، وقم بهذه الخطوة الحاسمة ، قبل أن تغرق إلى الأبد فى لجة من الندم .

نطقها ، وأطلق من أعمق أعماق صدره زفرة حارة ، قبل أن يضغط أزرار جهاز الأمن ، المثبت فى بوّابة القسم الخاص ، بتتابع شفرى خاص ، ثم يميل نحو دائرة زجاجية ، وهو يقول :

ـ الدكتور (جلال) .

التقط جهاز الفحص بصمة صوته ، وراجعها على البصمات المسجّلة لديه ، لكل المسموح لهم بدخول ذلك القسم الخاص ، ثم انطلق شعاع رفيع ، من

الدائرة الزجاجية ، وراح يتفحص بصمة قزحيته ، قبل أن ينبعث من جهاز الأمن الدقيق صوت معدنى ، يقول :

- تم التحقُّق من الشخصية .. الدخول متاح .

ومع الصوت ، انزاحت ضلفتا الباب فى نعومة ، فعبرهما الدكتور (جلال) ، فى توتر شديد ، وتقدَّم نحو باب داخلى آخر ، فضغط أزرار رتاجه الإليكترونى ، وانتظر حتى سمع صوتًا يقول فى آلية :

- من القادم ؟!

أجابه بلهجة حملت كل توتره :

- الدكتور (جلال) .

مضت لحظة من السكون ، قبل أن ينزاح الباب الداخلى ، ويظهر خلفه الرائد (أيمن) الذى بدا جافًا ، جامد الملامح ، وهو يقول :

- لقد انتهيت من اختباراتى على الفور .

ترك الدكتور (جلال) الباب يُغلق خلفه ، وهو يغمغم :

- عظيم .. ولكن كل هذه الاختبارات لا تكفى .

تطلَّع إليه الرائد (أيمن) بنظرة متسائلة ، فتابع ، وقد ارتفع صوته بعض الشىء ، واكتسب رنة حازمة :

- إنك تحتاج إلى اختبار حقيقى .

اعتدل الرائد (أيمن) فى وقفته ، وقال فى حسم :

- أنا مستعد تمامًا .

تطلَّع إليه الدكتور (جلال) بضع لحظات فى قلق ، قبل أن يسأله فى حذر واضح ، وهو يشير إلى مجموعة الأجهزة المتقدِّمة ، التى استقرَّت فى ركن القاعة الكبيرة :

- هل تعتقد أنك مؤهَّل للقيام بمهمة خاصة ؟!

أومأ الرائد (أيمن) برأسه ، قائلاً فى حزم :

- بالتأكيد .

زفر الدكتور (جلال) مرة أخرى ، وتحرَّك فى مكانه بعصبية ، قائلاً :

- الواقع أنها ليست بالمهمة السهلة أبدًا .. بل هى

مهمة معقّدة للغاية ، وربما يتوقف عليها مصير (مصر) .. بل مصير الأرض كلها ، ولكن المؤكدً أنه سيتوقّف عليها مصيرى حتمًا .

ثم عاد يلتفت إليه ، متابعًا فى توتر شديد :

ـ ومصيرك أيضًا .

لم يبد الشاب أى انفعال ، وهو يتطلّع إليه فى صمت ، فتابع الرجل :

ـ هناك شكوك كبرى ، تحيط بمصير (نور) وفريقه ورئيس الجمهورية ، ووزير الدفاع .. ومهمتك أن تسعى لكشف ما يحدث بالضبط ، داخل وزارة الدفاع .. وهذا دون أن تحمل إذنًا بالدخول ، أو أية أوراق رسمية ، تحدّد هويتك ، وهوية المكان الذى تنتمى إليه .

أجابه الشاب فى حزم :

ـ أنا ضابط فى المخابرات العلمية المصرية .

هزّ الرجل رأسه ، قائلاً :

ـ ليس هذه المرة .. أعنى ليس بهذه الصفة .

وزفر مرة أخرى ، متابعًا فى عصبية :

ـ ستقوم بالمهمة كمصرى فحسب .

مرة أخرى ، أطلّ التساؤل من عينى الشاب ، فتنهّد الدكتور (جلال) قائلاً :

ـ أعتقد أنك بحاجة إلى مزيد من التفسير .. أليس كذلك ؟!

غمغم الشاب فى حذر :

ـ بالتأكيد .

أومأ الرجل برأسه متفهمًا ، وقال :

ـ فليكن .. فى ظروف كهذه ، من حقك أن تعرف كل التفاصيل .

ثم راح يشرح الأمر كله للرائد (أيمن) ..

بكل العواقب ..

وكل التفاصيل ..

بلا استثناء ..

* * *

« مستحيل ! »

هتف (كونار) بالكلمة فى ذهول ، وهو يحدّق مع حارسه ، فى شاشة الكمبيوتر ، التى تنقل ما التقطه الميكروسكوب الأيونى لذرة الرمال ..

كان من المستحيل ، بعدما يراه أمامه ، أن يطلق عليها اسم ذرة ..

لقد بدت له أشبه بعالم كامل ..

عالم آلى ، بالغ الدقة ، معدّ للقيام بمهام لا محدودة ..

الحركة ..

والرصد ..

والتمويه ..

والبث ..

والاستقبال ..

مهام تحتاج إلى فرقة إليكترونية كاملة ..

على الأقل ..

وبكل ذهوله ، هتف :

ـ لقد سبقونا بأجيال من التطوّر

« من هؤلاء ؟! »

انتبه فجأة إلى أن جهاز الاتصال مفتوح على مركز البحث من الجانبين ، فقال فى خشونة :

ـ الذين صنعوا هذه التحفة الإليكترونيّة بالطبع أيها الغبى .

تراجع العالم فى دهشة مستنكرة ، عندما نقلت إليه أجهزة الاتصال عبارة (كونار) الفظة العنيفة ، وغمغم فى توتر :

ـ سيِّدى الرئيس .. كنت أقصد أن ..

قاطعه (كونار) بنفس الخشونة :

ـ هل درستم الموقف جيِّدًا ، فى ظلّ هذه المعطيات الجديدة ؟!

سأله الرجل فى حيرة :

ـ أية معطيات ؟!

صاح فى غضب :

ـ هـذه الرمال يا رجـل .. مـن أدراك أن أطنــان الرمال ، فى المنطقة (ص) ، ليست كلها كذلك ؟!

أجابه الرجل ، فى توتر محنق :

ـ سنجرى فحوصنا يا سيادة الرئيس ، و ..

صاح (كونار) بغضب هادر :

ـ وماذا تنتظرون ؟! هيا استقلّوا حوّامة كبـيرة مع أجهزتكم ، واذهبوا إلى هناك فورًا ..

هتف الرجل بدهشة عارمة :

ـ هناك ؟! ولكن هذا مستحيل يا سيادة الرئيس ؟!

صاح (كونار) :

ـ ولماذا مستحيل أيها العبقرى ؟!

أجابه الرجل فى عصبية متوترة :

ـ لأن الدقة البالغة لهذه الأجهزة ، الكامنة فـى ذرات الرمال ، تحتاج إلى الميكروسكوب الأيونى لفحصهـا ، ومن المستحيل أن نقوم بنقله إلى هنا .

صاح (كونار) فى ثورة :

ـ ابحثوا عن طريقـة أخرى إذن .. الوقت يمضى بسرعة مخيفة ، وسيحين منتصف الليل ، قبل أن ..

قاطعه الرجل هذه المرة ، دون أن يدرى :

ـ منتصـف الليـل ؟! وما شـأننا بمنتصـف الليـل يا سيادة الرئيس .

ارتسمت ابتسـامة شـامتة سـاخرة ، علـى شـفتى الحارس (بولار) ، فى حين انعقد حاجبا (كونـار) فى غضـب ، وهو يلعن نفسـه ، علـى هفـوة سخيفة كهذه ، إلا أنه قال فى غلظة :

ـ ليس هذا من شأنك يا رجل .. إنها أسرار دولة .

ارتبك الرجل ، وهو يقول :

ـ آه .. معذرة يا سيادة الرئيس .. إننى ..

قاطعه (كونار) فى غلظة صارمة :

ـ ابحثوا عن وسيلة يا رجل .. الحفـارات العملاقـة ستبدأ عملها ، بعـد أربـع وخمسين دقيقـة مـن الآن ، وسأغضب بشدة ، لـو واجهتهم أية مفاجـآت قاتلـة ، والمسؤل سيدفع الثمن حتمًا .

ثم مال نحو الشاشة ، متابعًا فى شراسة :

ـ هل فهمت يا رجل ؟! سيدفع الثمن .

امتقع وجه الرجل فى رعب ، وهو يقول بصوت مرتجف :

ـ فهمت يا سيادة الرئيس .. فهمت .. سنبحث عن وسيلة أخرى بكل تأكيد .

قالها ، وأنهى الاتصال فورًا ، فالتفت (كونار) إلى (بولار) ، هاتفًا فى حنق :

ـ أغبياء !

أجابه (بولار) فى بطء :

ـ هذا أقصى ما لديهم .. لاتنس أنهم لم يبلغوا تكنولوجيتنا بعد .

صاح به (كونار) فى حدة :

ـ تكنولوجيا ؟! لا تتحدَّث عن التكنولوجيا يا هذا .

ثم أشار إلى جهاز الاتصال ، هاتفًا فى حنق :

ـ ألم تر تلك التكنولوجيا المخيفة ، التى تحيط بالـ (ميجالون) وتحميه ؟!

من الواضح أنهم قد بلغوا يومًا أضعاف أضعاف تكنولوجيتنا ، التى تتحدَّث عنها هذه .

تساءل الحارس فى حيرة متوترة :

ـ عجبًا ! لماذا لم يحاولوا احتلالنا ، أو السيطرة علينا أبدًا ؟!

هزَّ (كونار) رأسه فى حدة ، قائلاً :

ـ أغبياء .. حمقى .. حضارتهم السخيفة تعتمد على قواعد معقَّدة ، ومبادئ غبية .

قال (بولار) فى حيرة أكثر :

ـ ولكنهم الأقوى بالتأكيد .

عاد (كونار) يهزّ رأسه فى حدة أكثر ، وهو يقول :

ـ ليس إذا ما ظلوا بهذا الغباء .

مطَّ (بولار) شفتيه ، مغمغمًا :

ـ ربما .

انعقد حاجبا (كونار) ، وهو يهتف فى غضب مستنكر :

- ربما ؟!

قال الحارس فى سرعة ، وكأنما يحاول تشتيت ذهنه :

- كدت تكشف أمرنا لرجل الأبحاث .

تضاعف غضب (كونار) ، وهو يقول :

- محال .

قال (بولار) فى خبث :

- ولكنك أشرت إلى موعد منتصف الليل ، ولحظة التماس العظمى ، و ..

قاطعه (كونار) فى غضب :

- اخرس ..

ثم مال نحوه ، واشتعلت عيناه بلهب مخيف ، وهو يضيف :

- لقد انتقلنا إلى هنا فى مهمة محدودة ، أقسمنا على أن نبذل حياتنا ثمنًا لنجاحها ، لو اقتضى الأمر .. أما زلت تذكر هذا ؟!

تراجع (بولار) ، متمتمًا فى عصبية :

- (سينور) بذل حياته بالفعل .

زمجر (كونار) ، قائلاً :

- حان دورك إذن .

خُيِّل للحارس أنه يرى الموت فى عينى قائده ، فتراجع أكثر ، متمتمًا :

- إننى مستعد لبذل حياتى ، فى سبيل نجاح المهمة ، و ...

قاطعه بوحشية أكثر :

- أطبق شفتيك على لسانك إذن .

تمتم (بولار) ، من بين أسنانه :

- كما تأمر أيها القائد .. كما تأمر .

حدَجَه (كونار) بنظرة أخرى نارية ، قبل أن يتراجع فى وقفته ، قائلاً فى صرامة :

- الـ (ميجالون) ينبغى أن يتوقَّف بأى ثمن ، قبل منتصف الليل .

تراجع (بولار) فى حذر ، وهو يتمتم :

ـ التماس يستمر لثمان وأربعين ساعة أرضية .

قال (كونار) فى شراسة :

ـ ولكنه يبلغ أقصاه مع بدء حدوثه ، عند منتصف الليل ، ثم يقلّ مداه فى سرعة ، مع الساعات التالية ، وهذا يعنى أنه كلما فقدنا ساعة واحدة ، انخفضت احتمالات نقل قواتنا بالكامل درجة كاملة .

وانعقد حاجباه فى شدة ، وهو يضيف :

ـ لذا فلابد أن ننجز المهمة كاملة ، قبل منتصف الليل .. هل تفهم ؟!

هزّ (بولار) كتفيه ، قائلاً :

ـ أنا رهن إشارتك .

صمت (كونار) طويلاً هذه المرة ، وهو يفكّر بعمق شديد ، قبل أن يقول فى صرامة عصبية :

ـ يبدو أننا مضطرون لاتخاذ قرار حازم ، بشأن تلك الرمال .

سأله الحارس فى قلق :

ـ أى قرار ؟!

صمت لحظة أخرى ، قبل أن يجيب :

ـ قرار إما أن يضيع المزيد من الوقت ، أو ..

والتمعت عيناه ، بذلك البريق الوحشى ، مع استطرادته :

ـ أو يربحنا الأرض ومن عليها .

ولم يفهم (بولار) ما يعنيه قائده ، ولكنه كان واثقًا من أن قراره سيكون خطيرًا وحاسمًا ..

إلى أقصى حد ..

* * *

حاولت (سلوى) أن تملأ صدرها بنفس عميق ، مما تبقى من هواء داخل المدرَّعة ، المدفونة فى قلب الصحراء ، وهى تقول فى أسى :

ـ يبدو أنه ما من أمل بالفعل ، دون اللجوء إلى كل

ما لدينا من أجهزة تكنولوجية .. الرمال تطبق على المدرَّعة من كل صوب ، وليس باستطاعتنا دفع فتحتها مليمترًا واحدًا ، حتى لو استخدمنا كل قوتنا .

هزَّ الجندى (عبد المنعم) رأسه ، وخفض مدفعه ، وهو يتمتم فى يأس مستسلم :

ـ كلنا سنموت .. كنت أعلم هذا منذ البداية .

غمغم (نور) :

ـ اللّه أعلم .

ابتسم الجندى (إسحق) فى مرارة ، قائلاً :

ـ ألم يقنعك الموقف بعد يا سيادة المقدَّم ؟!

هزَّ (نور) رأسه ، قائلاً فى حزم :

ـ ليس حتى آخر رمق .

قالها ، واعتدل فى مجلسه ، قائلاً لـ (نشوى) :

ـ أما زال الكمبيوتر يعمل بكفاءة ؟!

أجابته فى ضعف :

ـ أعتقد هذا !

أشار إليه ، قائلاً :

ـ دعينا نر ما سجَّله ، فى اللحظات الأخيرة إذن .

اعتدلت (سلوى) ، قائلة فى خوف :

ـ وماذا عن عواقب استخدام التكنولوجيا ؟!

أجاب فى حزم :

ـ أجهزة التهوية والإضاءة تعمل بكفاءه منذ البداية ، ولم يؤد هذا إلى أية نتائج سلبية .

سأله (اسحق) فى لهفة :

ـ أتعنى أن نظريتك لم تكن ..

قاطعه (نور) فى صرامة :

ـ النظرية صحيحة بالتأكيد ، ولكن الأمر يتوقَّف على نوع التكنولوجيا وشدتها .

هتف (عبد المنعم) ، وكأنما أعادت إليه العبارة الأمل :

ـ حقًّا ؟!

لم يجبه (نور) هذه المرة ، ولكنه أشار إلى ابنته ، التى نهضت على الفور إلى الكمبيوتر ، وأشعلته ، مغمغمة :

ـ رباه ! أمن الممكن أن ..

لم تتم عبارتها .. ولم تشعر حتى أنه من المهم أن تكملها ، وهى تتطلع إلى الكمبيوتر ، الذى راح يعرض كل ما سجّله ، فى اللحظات الأخيرة ، قبل العاصفة مباشرة ، و (سلوى) تتابعه باهتمام كامل ، قبل أن تهتف :

ـ انظروا .. الكمبيوتر سجّل إشارات بالغة القوة ، عند هبوب العاصفة .. إشارات منتظمة ، ذات إيقاع ثابت .. تمامًا مثل ..

بترت عبارتها لحظة ، اتسعت خلالها عيناها عن آخرهما ، فأكمل (نور) فى حزم :

ـ مثل دقات القلب البشرى .

هتفت :

ـ بالضبط .

تبادل الجنديان نظرة حائرة ، وهما يتساءلان عما يعنيه هذا ، فى حين قالت (نشوى) ، فى حيرة حذرة :

ـ وما الجديد فى هذا ؟! إننا نرصد دقات القلب هذه منذ البداية !

هزّت (سلوى) رأسها فى قوة ، قائلة :

ـ ليس بهذه الشدة .. دقّات القلب التى رصدناها فى البداية ، كانت تبلغ واحدًا على ألف ، من تلك التى ترينها الآن .

اتسعت عينا (نشوى) ، وهى تهتف :

ـ إلى هذا الحد ؟!

تنحنح (عبد المنعم) ، وقال :

ـ معذرة أيها السادة ، ولكن هل لنا أن نفهم ، ما علاقة ما نعانيه بدقات القلب ؟!

أجابته (سلوى) فى انفعال :

ـ منذ البداية ، نرصد دقات قلب بشرى ، قادمة من جسم مجهول ، مدفون على عمق ثلاثين مترًا ، فى

رمال الصحراء ، ولكن من الواضح أن هذه الدقات تزداد شدتها وقوتها ألف مرة ، قبل أن ينقض جهاز دفاعيّ ما على كل من يستخدم التكنولوجيا فى المنطقة .

بدت الحيرة فى نظرة (عبد المنعم) وصوته ، وهو يقول :

ـ لم أفهم بعد .

أشارت (سلوى) بيدها ، قائلة :

ـ سأشرح لك فيما بعد .

ثم التفتت إلى (نور) متابعة فى لهفة :

ـ هذا نفس ما يحدث فى الجسم البشرى يا (نور) ، فعندما يبذل المرء جهدًا ما ، ترتفع عدد دقات القلب وشدتها .

انعقد حاجبا (نور) ، وهو يقول :

هل تعنين أن هذه الرمال ..

هتفت (نشوى) فى ذعر :

ـ حية ! هذه الرمال حية يا أبى ، وذلك الجسم المدفون فى أعماقها بمثابة قلب نابض لها .

اتسعت عيون الجنديين فى ارتياع ، وهتف (إسحق) :

ـ أى قول هذا ؟!

وهتف (عبد المنعم) فى عصبية :

ـ قول خرف .

أجابه (نور) فى صرامة :

ـ ولكنه يتفق مع الموقف .

صاح (إسحق) :

ـ أى موقف يا سيادة المقدّم ؟! إنكم تتحدثون عن أمور غيبية ، تبدو لنا غير منطقية تمامًا ، وتنسون الموقف الفعلى ، الذى نحن فيه الآن .

أشار (نور) بسبّابته ، قائلاً :

ـ بل إننا نسعى لإيجاد حل لها يا رجل .

ثم التفت إلى (سلوى) ، متسائلاً فى اهتمام :

ـ أخبرينى .. هل يمكننا إطلاق إشارة بث من هنا ؟!

هزّت رأسها نفيًا ، مجيبة فى أسف :

- مستحيل يا (نور) ! أجهزة البث هنا محدودة ، ولا يمكن لإشاراتها تجاوز خمسة عشر مترًا فى الرمال .

قال فى توتر :

- كيف أمكننا التقاط ذبذبات ذلك الجسم إذن ؟!

أشارت بيدها ، مجيبة :

- كنا نستخدم موجات (م م - ١) الفائقة .

أدار (نور) بصره إلى المسبار الموجى ، وتطلّع إليه لحظة فى صمت وتوتر ، قبل أن يسأل (نشوى) :

- كم تبقّى لنا من هواء ؟!

أجابته فى توتر أكثر :

- ما يكفى لاثنتين وعشرين دقيقة على الأكثر ، دون انفعالات زائدة أو مضاعفة .(*)

(*) عند الانفعال ، تفرز الغدة فوق الكلوية كمية زائدة من هرمون (الأدرينالين) ، مما يؤدى إلى رفع ضغط الدم ، وقوة وعدد النبضات فى القلب ، وزيادة معدلات التنفس ، واستهلاك الأكسجين ، وكذلك نسبة إفراز العرق .

انعقد حاجباه أكثر ، وهو يقول :

- فى هذه الحالة ، ليس لدينا خيار .

سألته (سلوى) فى قلق :

- ماذا تعنى يا (نور) ؟!

أجاب فى حزم :

- إننا نفقد الهواء ، ونفقد معه آخر أمل فى النجاة ، وما دام الموت آت لاريب ، فلنستخدم آخر وسيلة لدينا ، حتى لو جلبت لنا الموت ذاته ، على نحو أسرع .

تساءل (إسحق) فى حذر مذعور :

- ما الذى ترمى إليه بالضبط يا سيادة المقدّم ؟!

أشار (نور) إلى جهاز (م م - ١) ، وهو يقول فى حزم :

- هذا .

ثم أضاف فى سرعة :

- سنستخدم جهاز (م م - ١) ، لبث إشارة استغاثة .

قالت (نشوى) فى ذعر :

ـ وماذا عن العواقب ؟!

هزّ رأسه ، مجيبًا بابتسامة مريرة :

ـ لن تختلف كثيرًا عن الموت اختناقًا يا عزيزتى .

امتقع وجهها ، وهى تغمغم :

ـ صدقت .

أما (سلوى) ، فقد ظلّت صامتة لحظات ، ثم لم تلبث أن استدارت إلى جهاز (م م ـ ١) ، وراحت تضغط أزرار إشعاله ، دون أن تنبس ببنت شفة ..

ودون أن ينبس غيرها بكلمة واحدة ..

ووسط صمت رهيب ، انطلق أزيز الجهاز ، وأضيئت شاشته ، و ..

وأطلقت (سلوى) شهقة قوية ، وهى تهتف :

ـ يا إلهى ! انظروا .

حدّق الجميع فى الشاشة بذعر ، قبل أن يهتف (نور) :

ـ رباه ! لقد تصوّرنا أننا على عمق خمسة عشر مترًا فحسب .

وانهارت (نشوى) على مقعدها ، هاتفة :

ـ إننا إلى جواره .

فعلى مسافة عشرة أمتار أفقية منهم فحسب ، وفى أعماق رمال الصحراء الغربية ، رصد جهاز (م م ـ ١) ذلك الجسم الكروى ..

وكان هذا يعنى أن المدرَّعة (صلب) قد غاصت كثيرًا ، فى أعماق الرمال ..

كثيرًا جدًّا ..

لقد التهمتها تلك الرمال الحية وابتلعتها ، إلى عمق ثلاثين مترًا ..

ومن تلك المسافة القريبة ، بدا ذلك الجسم الكروى هائلاً ..

هائلاً بحق ..

وفى توتر بالغ ، ويأس بلا حدود ، تمتمت (نشوى) :



وفى أعماق رمال الصحراء الغربية ، رصد جهاز (م م ـ ١)
ذلك الجسم الكروى .. وكان هذا يعنى أن المدرَّعة (صلب)
قد غاصت كثيراً ، فى أعماق الرمال ..

ـ لا فائدة .. لا فائدة .

حدَّق (نور) فيها لحظة فى جزع ، ثم هتف بـ (سلوى) :

ـ أطلقى البث .

قالت (سلوى) فى يأس مماثل :

ـ وما الفائدة يا (نور) ؟! حتى لو التقطوا البث فى الخارجى ، كيف يمكنهم الوصول إلينا ، قبل أن ينفد الهواء ؟!

كررَّ فى صرامة :

ـ أطلقى البث يا (سلوى) .

بدا صوتها مثالاً حيًا لليأس والقنوط ، وهى تقول :

ـ لا فائدة يا (نور) .. لا فائدة .

صرخ بكل صرامة الدنيا :

قلت : أطلقى البث .

ثم دفع جسده إلى الأمام ، دون أن ينتظر رد فعلها ، وضغط زر البث ..

وتألّقت شاشة جهاز (م م ـ ١) ..

وانطلقت ذبذباته ..

ولثوان ، حدّق الجميع فى الشاشة بصمت ملتهب بالقلق ..

وبقلوب تخفق فى قوة ..

وهلع ..

ثم فجأة ، ظهرت شوشرة قوية ، على شاشة الجهاز ..

شوشرة لم تكن بحاجة إلى تفسير من (سلوى) أو من أى مخلوق آخر ..

شوشرة اقترنت بصوت مسموع ، استقبلته جدران المدرّعة ، ونقلته بدوى مكتوم داخلها ..

صوت إيقاع منتظم مألوف ..

إيقاع عنيف ثابت ..

إيقاع قلب بشرى ..

فى قلب الخطر .

* * *

٧ ـ السلاح السرى ..

لم يكن من الممكن أبدًا أن يستسلم (أكرم) لذلك الموقف السخيف ..

لم يكن من المنطقى أبدًا أن يقبل بمصير بائس رهيب كهذا ، دون أن يقاتل حتى آخر نفس ، وآخر رمق ..

لذا فقد راح يدفع جسده بكل قوته ، عبر ذلك الضباب الأخضر الكثيف ، فى محاولة لبلوغ نهاية الفراغ الرهيب ، الذى يسبح فيه الجميع ..

وفى يأس شديد ، هتف الرئيس :

ـ ماذا تفعل يا ولدى ؟! لا تزد الأمر تعقيدًا .. إننا جميعًا أسرى ، داخل ذلك الشىء الرهيب

قال (أكرم) فى حدة :

ـ إننى أفضّل الموت .

هتف الوزير فى حزم :

- صدقت يا رجل .

ثم التفت إلى الرئيس ، متابعًا :

- إنه على حق يا سيادة الرئيس .. ما قيمة حياتنا ، داخل ذلك الشيء ؟! وما مصيرنا النهائى فيه ؟! هل سنصبح مجردَّ جراثيم بشرية ، كما قال مدير مكتبى ؟! أم سينتهى بنا الحال كحلية فنية للزينة ، بين أصابع ذلك المخلوق البشع ؟!

انتقل حزمه إلى الرئيس ، وهو يقول :

- ومن يقبل بمصير كهذا ؟!

أجاب (أكرم) ، وهو يواصل السباحة ، عبر الضباب الأخضر :

- دعونا نقاتل إذن .

تبعه الجميع ، ومدير مكتب الوزير يقول فى يأس :

- كيف يمكن أن نواجه مخلوقات رهيبة كهذه ؟! لقد نجح فى تصغيرنا وتقليصنا ، على نحو تعجز عنه كل تكنولوجيتنا ، ومن يدرى ما الذى يمكن أن يفعله أكثر !!

قال (أكرم) فى حزم :

- ليس الكثير حسبما أعتقد .

هتف الرئيس فى دهشة :

- وكيف هذا ؟!

أجابه (أكرم) ، وهو يواصل شق طريقه فى المقدّمة :

- على الرغم من بشاعة خلقته ، والتكنولوجيا التى بهرنا بها ، إلا أنه مجردَّ مقاتل ، فى مهمة خاصة إلى عالمنا ، كلفه إياها إمبراطور عالمه ، ولو أنه رجلٌ خارقٌ لا يُقهر كما تتصوَّرون ، لما أرسل الإمبراطور حارسيه الخاصين لمعاونته .

هتف الوزير ذاهلاً :

- وكيف علمت كل هذا ؟!

أجابه (أكرم) فى حزم :

- هو أرادنى أن أعلم .

ردَّد الرئيس بدهشة كبيرة :

ـ هو ماذا ؟!

أجابه (أكرم) ، وهو يدفع ذراعيه فى إصرار ، عبر الضباب ، الذى تضاعفت كثافته على نحو ملحوظ :

ـ لقد مزج ذكرياته بعقلى .

هتف الوزير :

ـ مزج ماذا ؟!

هزَّ (أكرم) رأسه فى قوة ، قائلاً :

ـ لست أجد تعريفًا آخر ، لأصف به ما حدث ، ولكن ذلك الوغد اخترق عقلى بوسيلة ما ، وغرس فيه ذكرياته ، حتى يزهو بنفسه ، ويخبرنى كم تبلغ مكانته فى عالمه .

ثم عضَّ شفتيه فى غضب ، مضيفًا :

ـ وأراهن على أن هذا أكبر خطأ ارتكبه ، فى حياته كلها .

لم يعلِّق أحدهم على عبارته الأخيرة هذه ، ولكن الرئيس سأل فى اهتمام :

ـ إذن فأنت تعتقد أن باستطاعتنا مقاومته ؟

لوَّح (أكرم) بقبضته ، هاتفًا فى صرامة :

ـ وهزيمته أيضًا .

مع آخر حروف كلماته ، ارتطمت قبضته بحاجز صلب ..

وهنا تجمَّد الكل دفعة واحدة ..

وحدَّقوا بعضهم فى البعض ..

وبعد وهلة من الصمت ، غمغم الرئيس فى انفعال :

ـ إنها الحافة .

تمتم (أكرم) :

ـ بالتأكيد .

نطقها ، ومال بوجهه ، نحو ذلك الحاجز الزجاجى ، فى محاولة لرؤية ما خلفه ..

واتسعت عيناه عن آخرهما ..

فعبر الحاجز نصف الشفاف ، رأى ما جعله يدرك ، كم بلغ صغر حجمهم ..

على بعد بدا أشبه بعشرات الكيلومترات ، كان يقف (كونار) ، هائلاً عملاقًا ، أمام شاشة الرصد ، التى تبدو كبناء إليكترونى مارد ، وعلى مسافة منه يقف حارسه (بولار) ..

وكانت نسبة الأحجام توحى بأن (أكرم) لا يزيد فى مقاييسه على حجم عقلة إصبع صغيرة ..

ولقد زاده هذا رهبة ..

وغضبًا ..

وثورة ..

أما بالنسبة للباقين ، فقد اتسعت عيون الرئيس والوزير ، وبدا عليهما توتر بلا حدود ، فى حين تمتم مدير مكتب الوزير ، وهو يتراجع فى هلع :

ـ ألم أقل لكم إنه لا فائدة ؟! هزيمة هذا الشىء مستحيلة ! مستحيلة تمامًا !!

صاح به (أكرم) :

ـ لا تنطقها .

ثم راح يتحسَّس جيوبه ، بحثًا عن أى شىء ، يصلح للتعامل مع ذلك الحاجز الشفاف السميك جدًا ..

أى شىء ..

ففى أعماقه ، كان يرفض اليأس تمامًا ، ويثق بأنه هناك حتمًا وسيلة للخلاص من كل هذا ..

ولكن كيف ؟!

كيف ؟!

وفى ذلك الموقف ، ووسط الضباب الأخضر الكثيف ، بدا له السؤال غريبًا سخيفًا ..

وبلا جواب ..

على الإطلاق ..

* * *

« لست أفهم هذا ..»

غمغم (بولار) بالعبارة فى عصبية ، فانعقد حاجبا (كونار) ، وعقد كفيه خلف ظهره ، فى وقفة عسكرية صارمة ، وهو يقول :

ـ ما الذى لا تفهمه بالضبط ؟!

أشار (بولار) إلى الشاشة ، قائلاً فى عصبية :

- فى البداية قلت : إنك تخشى أن تبدأ الحفارات العملاقة عملها ، فيفاجئها هجوم عاصف قاتل آخر ، وإنك قد أمرتها بعدم البدء فى الحفر ، إلا بعد مرور تلك الساعة ، التى ينتهى فيها مخزون الهواء ، داخل المدرّعة (صلب) ؛ لتضمن مصرع (نور) وعائلته ، ثم فجأة ، تغير كل أفكارك ، وتأمر ببدء الحفر فورًا ، على الرغم من كل النتائج والعواقب المحتملة ، ومن كل ما كشفه رجال البحث هنا ، عن التكنولوجيا الفائقة المعقّدة ، فى قلب ذرات الرمال .. ما الذى يعنيه هذا بالضبط ؟!

أشار (كونار) برأسه ، وهو يجيب فى صرامة :

- يعنى أننى قائد يا رجل .. قائد حقيقى .. والقائد العبقرى هو الذى يدرك متغيرات الأمور ، ويستوعب الحقائق الجديدة ، ويمتلك القدرة على تغيير استراتيجيته وأسلوبه ، وفقًا لأية معطيات جديدة ، فى ساحة القتال .. ولقد أدركت أن الوقت يمضى فى سرعة ، والأرضيون يحتاجون إلى ساعات طوال ، لإدراك واستيعاب تلك التقنية الرهيبة ، التى تحيط بجسم (ميجالون) ، ونحن

لا نمتلك تلك الساعات ، ولا حتى ربعها ، ثم إننا سنحتاج إلى عدة ساعات ، بكل ما لدينا من معارف وتقنية ، لإيقاف عمل وتأثير الـ (ميجالون) ، قبل أن تحين لحظة التماس العظمى ، مع منتصف الليل ! لذا فمن المحتمّ أن نبدأ العمل على الفور ، وأن ندفع الحفارات العملاقة للعمل ، ولإزاحة أطنان الرمال ، التى تحيط بالـ (ميجالون) ، حتى نتمكّن من السيطرة عليه فى الوقت المناسب .

سأله (بولار) فى حدة :

- وماذا لو أشعل هذا عاصفة جديدة ؟!

قال فى صرامة :

- عندئذ نكون قد حسمنا الأمر ، وأدركنا مصير تلك المحاولة ، وسيكون لدينا الوقت للقيام بمحاولة أخرى ، أو البحث عن وسيلة مختلفة .

ثم مطّ شفتيه ، وألقى نظرة أخرى على الشاشة ، متابعًا :

- ثم إن القراءات الجديدة ، لأقمار الكشف الصناعية ،

تؤكد أن المدرَّعة (صلب) قد غاصت لأمتار أخرى فى الرمال ، خلال الساعة الماضية ، بحيث صارت موازية تقريبًا للـ (ميجالون) .

سأله (بولار) فى حيرة متوترة :

- وما الذى يمكن أن يعنيه هذا ؟!

صمت (كونار) لحظة ، ثم أجاب فى صرامة :

- إما أن تلك الرمال ضعيفة التماسك ، بحيث تتعامل مع الأجسام على نحو أشبه ببحيرات الرمال الناعمة ، أو ...

بتر عبارته ، وهو يفكِّر فى عمق ، فسأله (بولار) فى توتر بالغ :

- أو ماذا ؟!

انعقد حاجبا (كونار) فى صرامة لثوان ، قبل أن يجيب فى صرامة عصبية :

- أو أن الـ (ميجالون) يلعب لعبة جديدة ..

واكتسى صوته بغضب مكتوم ، وهو يضيف :

- لعبة نجهلها تمامًا .. ونجهل أية نتائج ستؤدّى إليها ، سواء بالنسبة لنا أو ...

وازداد انعقاد حاجبيه ، مع استطرادته العصبية :

- أو بالنسبة لكوكب الأرض .

واتسعت عينا (بولار) عن آخرهما ، وعقله يدرس ألف احتمال واحتمال ..

ثم انتفض جسده كله فى عنف ..

فأقل تلك الاحتمالات كان مخيفًا ..

مخيفًا بحق ..

* * *

اعتدل طاقم حراسة مبنى وزارة الدفاع فى تحفُّز ، عندما توقَّفت سيارة الرائد (أيمن) ، أمام المبنى ، ووثب هذا الأخير منها فى خفة ، واتجه نحوهم ، مشيرًا بيده فى صرامة ، وقائلاً :

- أفسحوا الطريق .

ارتفعت فوهات المدافع الليزرية فى وجهه ، وقائد طاقم الحراسة يقول فى لهجة قوية محذرة :

- قف وابرز تحقيق الشخصية فورًا .

تجاهله (أيمن) تمامًا ، وهو يواصل طريقه نحو البوَّابة ، فانعقد حاجبا قائد طاقم الحراسة فى غضب متوتر ، وهو يقول :

- قف وإلا أطلقنا النار فورًا .

واصل (أيمن) طريقه ، وكأنه لم يسمعه ، فتراجع الرجل خطوة ، وهتف :

- طاقم الحراسة .. استعد .

تحفَّزت السبَّابات فوق أزندة المدافع ، واتجهت الفوهات القاتلة نحو (أيمن) الذى استمرّ فى طريقه ، وكأنما لم يسمع شيئًا ، فصاح قائد الطاقم ، وهو يشير بيده فى حزم :

- أطلقوا النار .

وقبل حتى أن تكتمل صيحته ، كانت سبَّاباتهم تعتصر أزندة مدافعهم ، و ...

وفى نفس اللحظة ، التى بدأت فيها سبَّاباتهم رحلتها ، وثب (أيمن) ..

وثب وثبة هائلة مدهشة ، تجاوزت الأمتار الثلاثة ارتفاعًا ، والخمسة طولاً ، على نحو أذهل الكل ، فاتسعت عيونهم عن آخرها ، وهو يهبط خلفهم تمامًا ..

وعندما استداروا لمواجهته ، كشفوا أن حركتهم بالنسبة لحركته بطيئة ، على نحو رهيب ..

لقد تحرَّك هو بسرعة مذهلة ، ودار جسده حول نفسه دورة أفقية قوية ، ركلت خلالها قدمه ثلاثة منهم ، قبل أن تنطلق قبضتاه فى تتابع سريع رهيب ، حطمَّ الفكوك والأنوف فى ثوان معدودة ..

وتراجع قائد طاقم الحراسة فى ذهول ، وهو يصوِّب مدفعه إلى (أيمن) هاتفًا :

- مستحيل ! مستحيل !

ثم رفع فوهة مدفعه فى سرعة ..

ولكن (أيمن) تحرَّك كالبرق ..

وبسرعة مذهلة ، وثب الرائد يختطف مدفعًا آليًّا ، من أسلحة رجال الحرس الفاقدى الوعى ، ثم يرفع فوهته ، ويطلق أشعته ، التى أطاحت بمدفع قائد الحراسة ، قبل أن يضغط هذا الأخير زناد مدفعه ..

وفى ذهول تام ، تراجع قائد الحراسة ، دون أن ينبس ببنت شفة ، وتوقَّع أن يهاجمه (أيمن) ، الذى اكتفى بنظرة باردة عليه ، ثم استدار ، وواصل طريقه نحو مبنى الوزارة ، ملقيًا المدفع خلف ظهره ..

ولثوان ، حدَّق فيه قائد طاقم الحراسة ذاهلاً ، ثم لم يلبث أن انتفض فى عنف ، منتزعًا نفسه من ذهوله ، ليلتقط جهاز الاتصال من حزامه ، ويهتف :

ـ إنذار عام .. إنذار عام .. دخيل فى الوزارة .. دخيل يتجه نحو المبنى الرئيسى ، حيث يوجد السيِّد رئيس الجمهورية .. إنذار عام .

ثم انحنى يلتقط مدفعًا آليًا آخر ، من وسط رجاله ، الذين تراصوا فاقدى الوعى من حوله ، واندفع محاولاً اللحاق بـ (أيمن) ، الذى واصل طريقه بثقة عجيبة ، على الرغم من أن أذنيه الحادتين قد التقطتا كل ما بثَّه القائد عبر جهاز الاتصال ، وأدرك أنه سيواجه خطة الطوارئ رقم (واحد) ..

خطة التصدِّى لهجوم إرهابى ..

وحماية المسئول الرئيسى ..

وعلى مسافة عشرين مترًا منه ، برز جزء من أرضية المكان ، بزاوية حادة ، ليصنع أمامه حاجزًا منيعًا ، مضادًا للرصاصات والقنابل ، وحتى أشعة الليزر ، وليحول بينه وبين المبنى الرئيسى للوزارة ..

المبنى الذى يضمّ مكتب وزير الدفاع ..

وفى اللحظة نفسها ، اندفع فريق من القوات الخاصة ، المدرَّبة على مكافحة الإرهاب ، بأزيائهم الرسمية السوداء ، وترسانة الأسلحة التى يحملونها ..

وفى لحظة واحدة ، اتجهت فوهات كل أسلحتهم نحوه ، وهتف قائدهم :

ـ أطلقوا النار ..

لم يبال (أيمن) بكل ما يحدث ، وهو يواصل طريقه فى ثبات ، واكتفى بضغط زر صغير فى حزامه ، تألَّق على إثره جسده كله ، ببريق فيروزى باهت ..

ثم انطلقت الرصاصات وخيوط الأشعة ..

بل انهالت عليه كالمطر ..

وارتطمت كلها بجسده ..

كلها بلا استثناء ..

ثم ارتدّت فى عنف ..

وتراجع رجال مكافحة الإرهاب فى ذهول ..

ولكنهم واصلوا إطلاق أسلحتهم ..

وواصلت طلقاتهم ارتدادها عن جسده ..

كل ما حدث هو أن الهالة المحيطة به ، راح لونها يتغيّر ، من الفيروزى إلى الأخضر إلى الأصفر ، ثم البرتقالى ..

كان من الواضح أنها تصنع حوله غلافًا واقيًا ، يتفاعل مع كل مايرتطم به ..

وكان على رجال مكافحة الإرهاب أن يطوّروا أسلوبهم وقتالهم ، قبل أن يتجاوز ذلك الدخيل نطاقهم ، ويبلغ أخطر بقعة فى (مصر) ..

لذا ، فقد استخدموا قنابلهم اليدوية ..

وهنا وثب (أيمن) مرة أخرى ..

ووثبته هذه المرة كانت هائلة بحق ..

لقد تجاوز بها فريق مكافحة الإرهاب كله ، تاركًا الانفجارات خلفه ، فى ساحة المبنى ، على نحو أثار انتباه المنطقة كلها ، وجعل (مشيرة) السجينة فى قاعة الانتظار تهرع إلى النافذة ، هاتفة :

ـ رباه ! ما الذى يحدث هنا ؟! ما الذى يحدث ؟!

لم تكد تتمّ عبارتها ، حتى رأت الرائد (أيمن) ، وهو يتجاوز النافذة بوثبة خارقة ، ويتعلّق بحاجز نافذة الطابق العلوى ، فتراجعت هاتفة :

ـ مستحيل ! مستحيل !

كان أكثر ما يحنقها ، فى هذه اللحظة ، هو أن جهاز الاتصال الخاص بها قد توقّف عن العمل ، منذ أصدر الرئيس قراره بالتحفظ عليها ..

وما يحدث حولها يوحى بأن الموقف كله مشتعل للغاية ..

مشتعل على نحو لم يحدث من قبل ..

وعليها أن تجد وسيلة لمعرفة ما يحدث ..

وبأى ثمن ..

لذا فقد اندفعت نحو باب القاعـة ، وضربتـه بكفيهـا فى قوة ، هاتفة :

ـ أخرجونى من هنا .. أخرجونى .. ليس من حقكم أن تحتجزونى هنا .

كرَّرت هتافها مرتين ، دون أدنى استجابة ، فدفعت الباب بكل قوتها ، و ..

ولدهشتها ، انفتح الباب على مصراعيه ..

لم يعد جندى الحراسة هناك ..

من الواضح أن ما يحدث فى المكان قد جذب الكل ، وألهاهم عن مهمة جانبية كهذه ..

ولـم تُضـع (مشيرة) لحظـة واحـدة ، فـى التفكـير أو البحث عن الأسباب والمبرِّرات ..

لقد اندفعت تغادر القاعة ، حاملة حقيبتها الصغيرة ، وانطلقت تبحث عن أية وسـيلة غير مباشرة ، لبلوغ موقع الرئيس ..

أية وسيلة ..

وفى اللحظة ذاتها ، كان قائد فرقة مكافحة الإرهاب يهتـف ، عبر جهـاز اتصـال داخلـى ، بفريـق خـاص للطوارئ :

ـ الاحتجاز فشل .. نفذوا الخطة (ب) .

وفور تلقى الإشارة ، انطلق الفريق الاحتياطى لتنفيذ الخطة (ب) فورًا ..

خطة إنقاذ الطوارئ ..

وبسرعة وعنف ، اقتحم فريق الطوارئ حجرة الوزيـر ، حيث يقف (كونار) ، الذى هتف بهم فى صرامة :

ـ ما الذى يحدث هنا ؟! ما هذه الانفجارات ؟!

وصاح بهم (بولار) فى غضب :

ـ كيف تجرءون على ..

قاطعة قائد فريق الطوارئ ، وهو يندفع مع رجالـه نحو (كونار) :

ـ إنها محاولة اقتحام يا سيادة الرئيس .. نحن نواجه مقاتلاً فوق العادة ، ولا بد أن يتم نقل سيادتكم إلى نفق الطوارئ فورًا .

قالها ، وهم يلتفون حول (كونار) ، ويجذبونه فى قوة ، فصاح بهم فى غضب هادر :

ـ ابتعدوا .. إياكم أن تجذبونى هكذا ..

ورفع (بولار) فوهة مدفعه ، وهو يصرخ بدوره :

ـ ابتعدوا وإلا أطلقت النار ..

هتف به قائد الفريق فى عصبية :

ـ إنها خطة الطوارئ (ب) يا رجل .. حماية القائد فوق كل اعتبار .

التهبت عينا (كونار) ، وهو يقول فى وحشية :

ـ قلت : ابتعدوا .

لم يكد يطلق عبارته ، حتى شعر الجنود بصاعقة قوية تخترق أجسادهم ، وتلقى بهم بعيدًا فى عنف ، وكل منهم يشعر بآلام لا مثيل لها ، تكاد تلتهم كل خلية من خلاياه ، فتراجع قائدهم ، هاتفًا فى ذهول :

ـ ماذا حدث ؟! يا إلهى ! ماذا حدث ؟!

أجابه (كونار) فى غضب ، وبصوته الحقيقى ، الشبيه برنين جرس مكتوم ، امتزج بفحيح أفعى رهيبة :

ـ قلت : ابتعدوا .

تراجع القائد أكثر ، وهو يقول بذهول مذعور :

ـ ولكننا نواجه مقاتلاً فوق العادة بالفعل يا سيادة الرئيس ، و ...

قاطعه (كونار) بصرامة وحشية :

ـ أنا أيضًا مقاتل فوق العادة .

اتسعت عينا الرجل فى ذهول ، وهو يهتف :

ـ رباه ! إنك لست .. لست ..

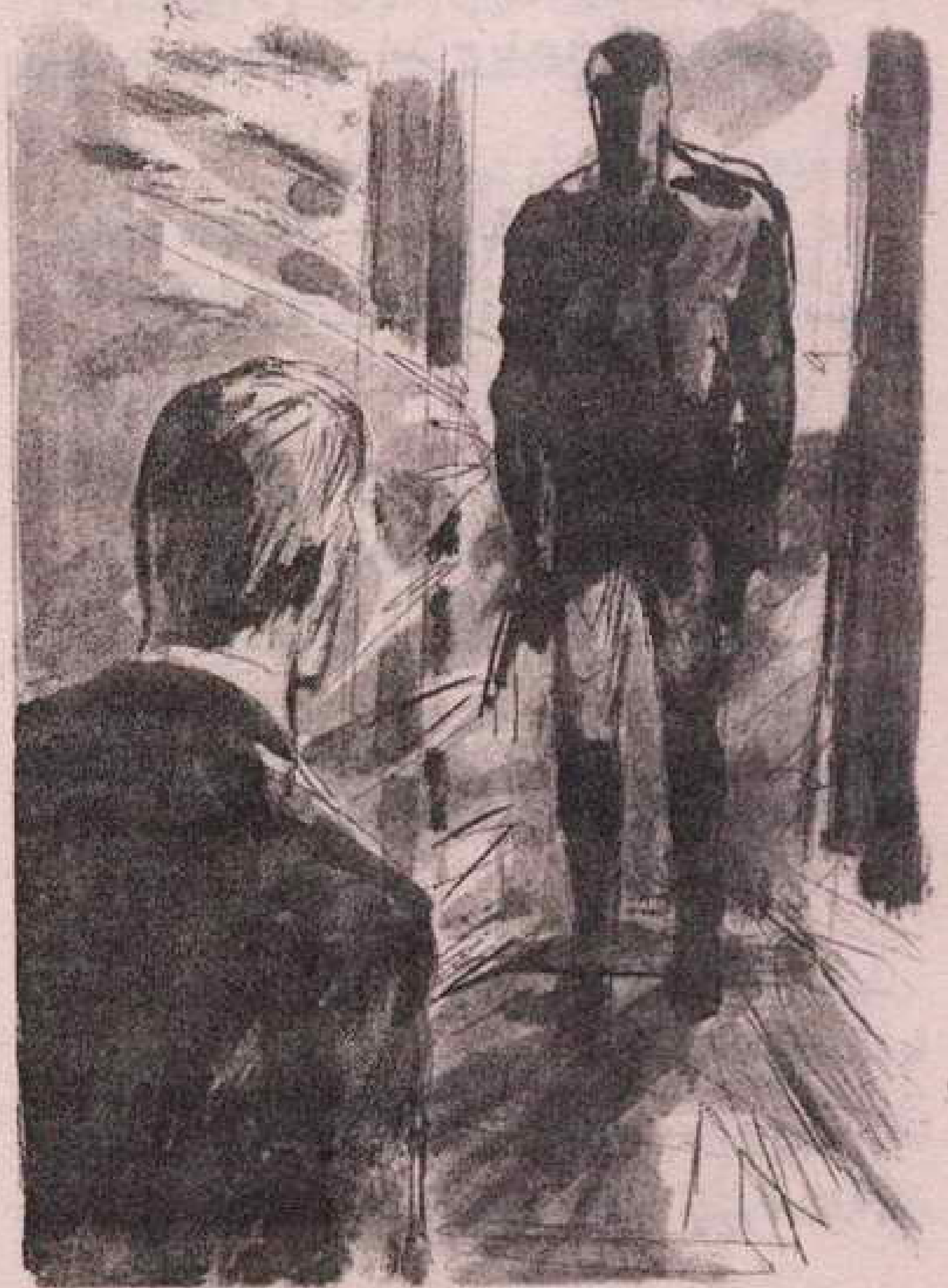
وقبل أن يتمّ عبارته ، ضغط (بولار) زناد مدفعه ..

وانطلقت الأشعة القاتلة ..

ومع صرخة مدوية ، انتزعت دفقة الأشعة الرجل من مكانه ، وألقته عبر الحجرة ، ليرتطم ببابها ، ويسقط معه بمنتهى العنف ..

وما إن سقط الباب ، حتى ظهر الرائد (أيمن) خلفه ..

كان يقف هناك ممشوقًا ..



وما إن سقط الباب ، حتى ظهر الرائد (أيمن) خلفه ..
كان يقف هناك ممشوقًا ..

قويًا ..

صارمًا ..

واثقًا ..

متحديًا ..

ولثوان ، التقط عيناه بعينى (كونار) ..

ثوان كانت كافية ، ليتبادل الاثنان كل مقت وغضب الدنيا ..

وليصرخ (بولار) فى ثورة :

ـ اذهب إلى الجحيم ..

ثم يرفع يده ، بسلاح رهيب من عالمه ، ليطلقه نحو الهدف ..

سلاح لا مثيل له على كوكب الأرض ، ولا طاقة لمخلوق على احتماله ، مهما بلغت مناعته ..

وهدف أرضى متطورٌ ..

هدف يُدعى (أيمن) ..

الرائد (أيمن) ..

★ ★ ★

« رباه ! إنه هو .. »

هتف (أكرم) بالعبارة ، وهو يلصق وجهه بالجدار السميك ، فسأله رئيس الجمهورية فى لهفة شديدة التوتر :

ـ من ذا الذى تتحدَّث عنه ؟! وما الذى يحدث فى الخارج ؟!

هتف (أكرم) :

ـ لست أدرى ما الذى يحدث ، ولكننى أرى الرائد (أيمن) هنا !! لقد كنت أتصوَّره قد لقى مصرعه ، فى مغامرة سابقة .

هتف القائد الأعلى ، فى لهفة مندهشة :

ـ الرائد (أيمن) ؟!

سأله الوزير فى توتر :

ـ من الرائد (أيمن) هذا ؟!

أشار القائد الأعلى بسبَّابته ، قائلاً :

ـ الرائد (أيمن) هو أحد ضباطنا الأكفاء ، ولقد

تعرَّض بالفعل لإصابة عنيفة ، كادت تودى بحياته ، لولا أن أخضعه الدكتور (جلال) ـ ولم يكن عندئذ رئيسًا لمركز الأبحاث ـ لعملية تطويرية خاصة ، صنعت منه ..

بتر عبارته بغتة ، وكأنما أدرك أنه يتجاوز حدود أسرار عمله ، فهتف به الرئيس فى عصبية :

ـ صنعت منه ماذا ؟!

تردَّد القائد الأعلى لحظة ، ثم حسم أمره ، قائلاً :

ـ صنعت منه سلاحًا سريًّا خطيرًا ، كنا ندخره لمواجهة أكثر عنفًا .

سأله وزير الدفاع فى توتر :

ـ ما المقصود بالسلاح السرى ؟!

شدَّ القائد الأعلى قامته ، وهو يقول فى حزم :

ـ باختصار شديد ، ودون الدخول فى تفاصيل فنية أو تكنولوجية ، لقد حوَّلنا الرائد (أيمن) إلى مقاتل فوق العادة .. مقاتل شبه آلى .

هتف الرئيس فى ذهول :

ـ مقاتل ماذا ؟!

لم يكد ينطقها ، حتى صاح (أكرم) :

ـ رباه ! إنه ..

وقبل أن تكتمل كلمته ، دوى انفجار رهيب ، بلغ صداه أعماق ذلك الضباب الأخضر الكثيف ، وانبعث معه وميض قوى ، كاد يغشى أبصار الجميع ..

ففى نفس اللحظة ، التى أطلق فيها (أكرم) هتافه ، كان (بولار) يرفع سلاحه نحو (أيمن) ، الذى تحرك بسرعته المذهلة ، فوثب إلى الأمام ، وهو ينتزع حلقة صغيرة من حزامه ، ألقاها نحو (بولار) بقوة ..

واخترقت الحلقة الحادة معصم (بولار) ، الذى صرخ فى ألم مذعور ، وأفلت السلاح من بين أصابعه ، وسقط عند قدميه ، و ...

وانطلق ..

انطلق بدوىّ عنيف ، مع ضوء مبهر ، وطاقة مخيفة ، مزّقت جسد (بولار) تمزيقًا وحوّلته فى لحظة

إلى كومة من الأشلاء واللحم المفرى ، تبعثرت على أرضية الحجرة ..

وسقطت تلك الكرة الخضراء ، الملصقة بالجدار ..

وارتطمت بالأرض فى عنف ..

وتدحرجت بعيدًا ..

أما (أيمن) ، فقد نهض واقفًا فى سرعة وصرامة ، وارتطمت عيناه بعينى (كونار) ، الذى زمجر مرة أخرى ، فى وحشية رهيبة ، وغضب هادر ، جعلاه يطرح عن وجهه ملامح الرئيس وهيئته ، وهو يقول :

ـ كيف تجرؤ أيها الأرضى ؟!

سأله (أيمن) فى صرامة :

ـ أين سيادة الرئيس والآخرون ؟!

صرخ (كونار) :

ـ كيف تجرؤ ؟!

صمت (أيمن) لحظة ، ثم قال فى صرامة :

ـ لو أنك تتصوّر أننى أعزل من السلاح فأنت مخطئ .

ثم انتزع من حزامه فى هدوء كرة لامعة ، فى حجم كرة التنس ، وهو يكمل :

ـ هذا السلاح ينتمى إلى عالم آخر ، تم تطويره هنا على الأرض ، بحيث يكفى لسحق ديناصور كامل فى لحظة واحدة .

ابتسم (كونار) فى سخرية عصبية ، قائلاً .

ـ يا للقوة !

رفع (أيمن) الكرة نحو (كونار) وقال بكل صرامة الدنيا :

ـ للمرة الأخيرة .. أين الرئيس والآخرون ؟!

هتف (كونار) فى غضب :

ـ يا للسخافة والغرور !

ثم انتزع من ثيابه جسمًا على شكل نصف قوس ، أمسكه بقبضته فى قوة ، وهو يقول فى حدة :

ـ وهذا السلاح ، الذى كنت أحتفظ به لمواجهة خاصة ، يكفى لتحويل ديناصورك هذا إلى حفنة من الرماد فى جزء من الثانية .

تبادلا نظرة متحدية لحظة ، ثم قال (أيمن) فى صرامة :

ـ أنت اخترت .

قالها ، وضغط الكرة ، فى نفس اللحظة التى ضغط فيها (كونار) سلاحه ..

وتألَّقت الحجرة بضوء رهيب ، مع فرقعة أشبه بانطلاق ألف ألف صاعقة ..

ثم انطلقت فى المكان رائحة مخيفة ..

رائحة الدمار ..

والموت .

* * *

٨ ـ السيطرة ..

نهض رئيس الجمهورية من سقطته ، وسط ذلك الفراغ الضبابى الأخضر ، وهو يهتف فى انزعاج شديد :

ـ ماذا حدث ؟! ماذا أصابنا ؟!

أجابه (أكرم) ، وهو يحاول إلصاق وجهه بالجدار السميك مرة أخرى :

ـ لقد سقطت الكرة ، التى يحتجزنا داخلها ذلك الوغد .

قال مدير مكتب الوزير بدهشة مذعورة :

ـ الكرة ؟! وكيف علمت أنها كرة ؟!

أجابه فى عصبية :

ـ أى جسم سواها يمكن أن يتدحرج ، فى كل الاتجاهات ، بهذه الانسيابية المطلقة يا رجل ؟!

اتسعت عينا الرجل ، وكأنما صدمه الجواب ، وانكمش على نفسه فى استسلام ، جعل الوزير يقول فى حدة :

ـ يا لك من رجل ؟! كيف جعلتك يومًا مديرًا لمكتبى ؟! كان المفترض أن ..

قاطعه (أكرم) فى توتر :

ـ مهلاً .. يبدو أن المواجهة ستتم الآن ، بين (أيمن) وذلك الوغد .

هتف القائد الأعلى :

ـ حقًّا ؟! يا إلهى ! يا إلهى !

حبس جميعهم أنفاسهم ، واقتربوا ليلصقوا وجوههم بجدار الكرة السميك ، و ...

ودوت تلك الفرقعة المكتومة ..

وانبعث الضوء المبهر ..

وتراجع الكل مع عنف التأثير ..

وسقطوا وسط الضباب الأخضر الكثيف ..

وعلى مقربة منهم ، ارتطم جسم عملاق ثقيل بالأرض ..

وبكل توتره ، هتف (أكرم) :

- تُرى من الـ ...

بتر عبارته ، التى لم يستطع اكمالها ، فهبَّ من مكانه ، ودفع جسده نحو الجدار السميك ، وألصق وجهه به ، وتطلَّع عبره بكل لهفته وقلقه ، و ...

واتسعت عيناه عن آخرهما ..

فعلى مسافة متر واحد من الجدار السميك ، كان هناك جسد ملقى أرضًا ، ودخان كثيف يتصاعد من صدره ، وقد جمدت ملامحه كتمثال من الحجر ..

جسد الرائد (أيمن) ..

واتسعت عيون الجميع فى ارتياع ..

ومن بعيد ، انطلقت ضحكة ظافرة عملاقة ..

ضحكة (كونار) ، وهو يستعيد وجه وملامح ولهجة الرئيس ، قائلاً :

- مقاتل فوق العادة ! يا للسخرية ! كان ينبغى أن يدرك أنه يواجه أقوى مقاتل فى الكون كله .

تبادل الجميع نظرة ذاهلة ، بائسة ، يائسة ، وقد أدركوا أنهم قد فقدوا الأمل فى النجاة .. آخر أمل ..

* * *

شدَّ (كونار) قامته فى صرامة ، وعقد كفيه خلف ظهره ، مستعيدًا شخصية رئيس الجمهورية ، وهو يشرف على رجال الحراسة ، الذين راحوا يعيدون تنظيم المكان ، وينقلون جسد (أيمن) ، الذى فقد كل أثر للحياة ، وقائد طاقم الحراسة يهتف مبهورًا :

- إذن فقد تغلَّبت عليه وحدك يا سيادة الرئيس ! يا إلهى ! من كان يتصوَّر هذا !! لقد عجزنا جميعًا عن التصدِّى له ، ولقد نجح فى قتل حارس السيِّد الوزير ، وقائد فرقة الطوارئ بلا رحمة .

قال (كونار) فى صرامة :

- كان ينبغى أن تثق بقدرات رئيسك يا رجل .

ارتبك الرجل ، وهو يقول :

- معذرة يا سيادة الرئيس ، ولكننى ..

قاطعه (كونار) فى صرامة :

- لا تعتذر يا رجل .

ثم استدار إلى جهاز الرصد ، قائلاً :

- تُرى أما زال هذا الشىء يعمل بكفاءة ؟!

هزّ الرجل رأسه نفيًا ، مجيبًا :

- كلاّ للأسف يا سيادة الرئيس .. من الواضح أن الانفجار قد أتلف أجهزته كلها .

ثم استدرك فى سرعة :

- ولكن الوصلات الرئيسية كلها سليمة .

مطّ (كونار) شفتيه ، وقال :

- عظيم .

ثم أشار بيده ، مضيفًا بلهجة آمرة :

- استبدله إذن براصد آخر .. أريد متابعة ما يحدث فى المنطقة (ص) لحظة فلحظة .

هتف الرجل فى حماس :

- بالتأكيد يا سيادة الرئيس .. بالتأكيد .

وبإشارة منه ، أسرع أحد رجاله يحمل الراصد ؛ لاستبداله ، فى حين سأل (كونار) قائد طاقم الحراسة فى صرامة :

- من المؤكَّد أن ما حدث قد أثار ضجة كبرى فى المنطقة .. أليس كذلك ؟!

أومأ الرجل برأسه فى أسف ، قائلاً :

- بلى يا سيادة الرئيس .. ولكننا سنصدر بيانًا رسميًا بإذن الله ، نؤكد فيه أن كل ما حدث كان تدريبًا عمليًا ، تحت إشرافكم الشخصى ، حول التصدّى لهجوم إرهابى مباغت ، يستخدم الأسلحة والوسائل التكنولوجية المتقدِّمة .

مطّ (كونار) شفتيه ، متسائلاً :

- وهل يمكن أن يقتنع هذا الشعب ؟!

أجابه الرجل فى سرعة :

- إذا ما تمت صياغة الأمر على نحو جيِّد ،

وباستدلالات منطقية ، وعبر تصريح مباشر من سيادتكم ، من خلال قناة إعلامية عالمية ، تتمتّع بمصداقية خاصة ، و ...

قاطعه (كونار) فى صرامة :

ـ أتقصد شيئًا مثل تلك الجريدة المرئية ، التى تنتمى إليها الصحفية ، التى طلبت مقابلتى اليوم ..

اتسعت عينا الرجل عن آخرهما فى ارتياع ، وهو يهتف :

ـ رباه ! السيِّدة (مشيرة) ؟!

انعقد حاجبا (كونار) فى شدة ، وهو يهتف فى شراسة :

ـ أين ذهبت السيِّدة (مشيرة) ؟! لقد أمرت بالتحفُّظ عليها هنا .. أين ذهبت ؟!

وكاد الرجل ينهار أمامه ، وهو يستعيد مشهد تفتيش المبنى كله ، بعد سقوط الرائد (أيمن) ..

وبالذات مرحلة تفتيش قاعة الانتظار ..

ففى كل شبر من المبنى ، لم يكن هناك أثر للسيِّدة (مشيرة) ..

أدنى أثر ..

★ ★ ★

هرع (رمزى) إلى باب منزله ، استجابة لرنين الجرس المتواصل ، وهو يهتف فى انزعاج :

ـ مهلاً أيها الطارق .. مهلاً .. أنا فى الطريق ..

ولكنه لم يكد يفتح الباب ، حتى اتسعت عيناه فى ارتياع ، وهو يحدِّق فى وجه (مشيرة) ، هاتفًا :

ـ رباه ! (مشيرة) !! ماذا حدث ؟!

كانت شاحبة ، ممتقعة ، توحى كل خلية فيها بأنها قد عانت الكثير ..

والكثير جدًّا ..

وبهلع وارتياع لا حدود لهما ، اندفعت داخل المكان ، هاتفة بصوت ارتجف كل حرف منه :

ـ كارثة يا (رمزى) .. كارثة .

هتف بها فى انزعاج شديد ، وهو يغلق الباب خلفها .

ـ ماذا حدث يا (مشيرة) ؟! أين كنت طوال كل هذا الوقت ؟!

ألقت جسدها على أقرب مقعد إليها ، وهى تهتف فى ارتياع :

ـ كنت محتجزة فى مبنى وزارة الدفاع .. إن ما يحدث هناك رهيب يا (رمزى) .. رهيب إلى حد لا يمكنك تصوُّره .

أمسك كتفيها فى قوة ، فى محاولة لتهدئتها ، وهو يسألها :

ـ ماذا حدث بالضبط يا (مشيرة) ؟!

ارتجفت كل خلية فيها ، وهى تجيب :

ـ بعضهم حاول اقتحام مبني وزارة الدفاع ، مما أحدث اضطرابًا شديدًا ، وارتباكا عامًّا ، خاصة وأن ذلك المقتحم قد نجح فى شق طريقه ، على الرغم من كل الاستحكامات والدفاعات .

هتف مذعورًا :

ـ يا إلهى ! إنها كارثة بالفعل .

هزَّت رأسها فى قوة ، قائلة :

ـ ليست هذه هى الكارثة .

اتسعت عيناه ، وهو يقول فى ارتياع :

ـ أهناك ما هو أكثر خطورة ؟!

أومأت برأسها إيجابًا ، فى اضطراب شديد ، قبل أن تقول بكل انفعالها و ذعرها :

ـ عندما حدث ذلك الاضطراب ، مع فوضى لا محدودة ، أدركت أنها فرصة مثالية للفرار من المكان ، ومن الموقف كله ، ولكن حاستى الصحفية غلبتنى ، ودفعتنى للسعى خلف ما يحدث ، فى محاولة للحصول على سبق صحفى نادر ، مادامت الظروف أقحمتنى فى هذا الموقف .

سألها بكل اللهفة والتوتر :

ـ ثم ماذا ؟!

التقطت أنفاسها فى صعوبة ، وهى تلهث من فرط الانفعال ، قبل أن تتابع فى عصبية زائدة :

ـ مصدرى السرى ، داخل مبنى الوزارة ، أبلغنى ذات مرة بوجود نفق سرى ، يمتدّ من حجرة الوزير ، إلى الساحة الخارجية للمبنى ، ولقد تم إعداده كوسيلة للفرار ، عند حدوث أية طوارئ ، تعجز فرق مكافحة الإرهاب أو الحراسة عن التصدّى لها .. ولأننى أعرف ، بحكم مهنتى وخبرتى ، كيف يفكّر رجال الأمن فى المعتاد ، فقد أدركت أنهم سيحاولون حماية الرئيس ، وكل القادة داخل المبنى ، وتهريبهم عبر النفق السرى ، لذا فقد أسرعت إلى مدخله ، وعبرته قبل أن يفعلوا ، فى محاولة لالتقاط بعض الصور النادرة ، لمحاولة إنقاذ الرئيس والقادة ، حتى بلغت حجرة الوزير .

اتسعت عيناها فى ارتياع كامل ، عندما بلغت هذه النقطة ، وهتفت :

ـ وما رأيته كان رهيبًا .. رهيبًا بحق .

سألها (رمزى) ، وقد بلغ قلقه مبلغه :

ـ وماذا رأيت يا (مشيرة) ؟!

انحدرت دموع الهلع من عينيها ، وهى تقول :

ـ عبر فرجة رفيعة ، فى مدخل النفق السرى ، رأيت مواجهة رهيبة ، بين الرائد (أيمن) ، ورئيس الجمهورية .

هتف (رمزى) .

ـ الرائد (أيمن) ؟! هل نجح فى اختراق نطاق الأمن بالفعل ؟!

قالت فى ارتياع :

ـ المهم هو ما حدث بعد هذا ، عندما اختفت الملامح البشرية بغتة ، من وجه الرئيس ، وظهرت ملامح أخرى مخيفة رهيبة ، لمخلوق غير بشرى .. مخلوق من عالم آخر .

تراجع (رمزى) كالمصعوق ، وهو يهتف :

ـ ماذا ؟!

ثم صاح بارتياع يفوق ارتياعها ألف مرة :

ـ أتقصدين أن الرئيس ليس ..

قاطعته بكل ذعر :

ـ ليس الرئيس يا (رمزى) .. إنه مخلوق من عالم آخر ، سيطر على كل المسئولين فى عالمنا .. لقد سمعت الرائد (أيمن) يسأله أين أخفى الرئيس والآخرين .. إنها كارثة يا (رمزى) .. كارثة بكل المقاييس .. عالمنا يسيطر عليه مخلوق غريب ، يمتلك القدرة على تقمّص هيئة أى مسئول كبير .

اتسعت عيناه عن آخرهما ، قبل أن يندفع نحوها مرة أخرى ، ويمسك كتفيها فى قوة ، هاتفًا :

ـ وماذا فعل الرائد (أيمن) مع ذلك المخلوق يا (مشيرة) ؟! ما الذى فعله ؟!

بكت بمرارة بلا حدود ، وهى تجيب :

ـ انهزم .. انهزم ولقى مصرعه بوسيلة بشعة .

ارتدّ (رمزى) مرة أخرى كالمصعوق ، وهو يحدّق فيها بكل ذعر الدنيا ، وقد أدرك الآن فقط مدى فداحة الكارثة ..

الكارثة التى تهدّد وطنه بالضياع ..

بل عالمه كله ..

وبلا استثناء ..

★ ★ ★

استقرّ (كونار) فى هيئة رئيس الجمهورية ، على مقعد كبير ، فى حجرة الوزير الرئيسية ، وارتكن بذقنه على قبضته المضمومة ، وقد انعقد حاجباه فى شدة ، وهو يطالع الراصد الجديد ..

كانت أعمال الحفر تجرى على الشاشة ، على قدم وساق ، دون أية معوقات أو منغصات ..

ودون أن تهبّ عاصفة جديدة ..

أو تحدث أية ظاهرة خارقة ..

أو حتى عادية ..

وكان هذا يعنى أن استنتاجه صحيح منذ البداية ..

الـ (ميجالون) لا يمكن استفزازه ، إلا بأساليب تقنية متقدّمة ..

أما الأساليب اليدوية ، حتى ولو كانت حفارات عملاقة ، تزيح أطنانًا من الرمال عنه فى كل ساعة ، فهى لاتثير اهتمامه قط ..

كان ينبغى أن يدركوا هذا منذ البداية ..

الـ (ميجالون) معدّ خصيصًا لمواجهة حالة بعينها ..

حالة هى ذروة التقنية والتكنولوجيا فى عالمه ..

ثم إنه هناك منذ سنوات لا حصر لها ..

منذ فشل الغزو السابق ..

ومن المؤكد أنه لم يفترض قط وجود تكنولوجيا متقدّمة فى هذا العالم ..

ليس إلى الحد الذى بلغتة حضارتهم على الأقل ..

هذا هو التفسير المنطقى الوحيد ..

ولكن المشكلة أنه مازال يواصل إطلاق تلك الإشارة السخيفة ..

تلك الذبذبات القاتلة ، التى تعوق عملية الاتصال بين العالمين ..

ولكى تنجح المهمة ، التى جاء من أجلها إلى هذا العالم ، والتى أقسم على بذل حياته فى سبيل نجاحها ، لابد أن يتوقف الـ (ميجالون) عن العمل ..

وبأى ثمن ..

ولابد أن ينزاح (نور) وفريقه أيضًا من الوجود ..

وجودهم سيفسد الأمور حتمًا ..

وسيشعل روح الحماسة ..

والمقاومة ..

والنضال ..

وهذا آخر ما ينبغى حدوثه ..

لابد أن يسيطر شعبه على هذا العالم ، بأدنى خسائر ممكنة ..

ولا بد أن ينجح فى العبور إليه أوّلاً ..

مهما كانت التضحيات ..

ومهما كان الثمن ..

ولقد نجح فى السيطرة على كل الأمور ، حتى هذه اللحظة ، على الرغم من الخسائر الفادحة ..

لقد خسر (سينور) ، و (بولار) ، واضطر للقتال بوجه عار ..

ثم إن تلك الصحفية قد نجحت فى الفرار ..

ولكن كل شىء يمكن إصلاحه ، ما دام الكل يؤمن بأنه الرئيس ..

تلك القدرة المدهشة ، التى زوّدته بها تكنولوجيا عالمه ، جعلته قادرًا على خداع الكل ، وانتحال أية شخصية يشاء ..

وبمنتهى الدقة ..

وهذه هى أقوى مميزاته ..

خاصة وأنه قد أصبح وحيدًا ، واستنفد معظم أسلحته ..

كل ما عليه أن يفعله الآن ، هو أن يبلغ الـ (ميجالون) ..

وأن يطمئن إلى مصرع (نور) وأسرته ..

بل وفريقه كله ..

تراجع فى مقعده ، وداعب ذقنه بأصابعه فى عصبية ، وهو يتابع المشاهد على الشاشة ..

الحفارات العملاقة وصلت إلى عمق يزيد على العشرين مترًا ، فى قلب الرمال ..

والـ (ميجالون) لم يتحرك بعد ..

وعلى شاشات الرصد ظهرت المدرّعة (صلب) ، على مسافة عشرة أمتار من ذلك الجسم الكروى ، تحت الرمال ..

وعبر جهاز الاتصال ، أتى صوت قائد فريق الحفر ، وهو يقول :

ـ عشرة أمتار ونبلغ الهدف يا سيادة الرئيس .. هل تأمر بفحص المدرّعة ، بالموجات فوق الصوتية ، للبحث عن ..

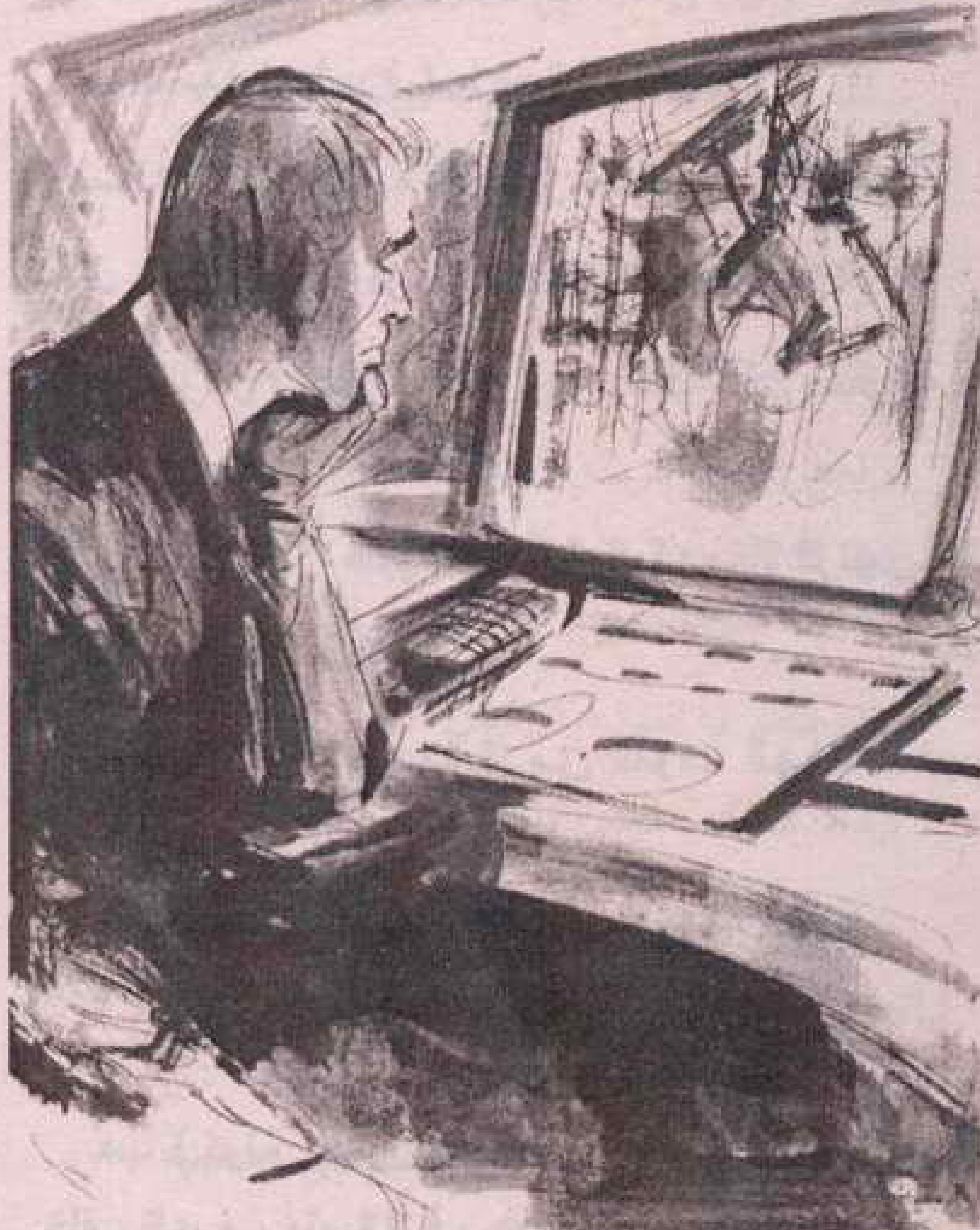
قاطعه (كونار) فى صرامة عصبية :

ـ لا .. لا تكنولوجيا .

قال الرجل :

ـ ولكن يا سيادة الرئيس ، الأمر يحتاج إلى ..

قاطعه فى غضب :



انعقد حاجبا (كونار) أكثر وأكثر، وهو يتابع عملية الحفر بكل كيانه، وعقله يعيد حساباته للمرة الألف ..

ـ قلت: لا تكنولوجيا.

شحب وجه الرجل، وهو يغمغم:

ـ كما تأمر يا سيادة الرئيس .. كما تأمر.

انعقد حاجبا (كونار) أكثر وأكثر، وهو يتابع عملية الحفر بكل كيانه، وعقله يعيد حساباته للمرة الألف ..

ساعات طويلة مضت، منذ اختفت المدرَّعة (صلب) تحت الرمال ..

وأكثر من ثلاث ساعات مرَّت، على بدء عملية الحفر ..

وهذا يعني أنه من المستحيل أن يظلَّ (نور) وفريقه أحياء، حتى هذه اللحظة ..

من المستحيل تمامًا ..

« سيادة الرئيس .. »

رفع عينيه في حدة إلى مصدر الصوت، وأطلَّ منهما غضب هادر، وهو يهتف في قائد طاقم الحراسة:

- ماذا هناك ؟!

أجابه الرجل ، فى توتر شديد :

- السيِّدة (مشيرة) يا سيادة الرئيس .

سأله فى شراسة ، بلا مبرِّر منطقى :

- ماذا عنها ؟! هل تم اعتقالها كما أمرت ؟!

هزَّ الرجل رأسه نفيًا ، وازدرد لعابه فى صعوبة ، وهو يجيب :

- إننا لم نعثر عليها فى منزلها يا سيادة الرئيس .

سأله فى شراسة أكثر :

- وماذا عن الجريدة ؟! من المؤكد أنها ستذهب فورًا إلى هناك .

عاد الرجل يهزّ رأسه ، مجيبًا :

- ليست هناك أيضًا .

هبَّ (كونار) من مقعده فى غضب ، وعقد كفيه خلف ظهره ، متسائلاً فى غضب :

- وماذا فعلتم بالضبط ؟!

أشار الرجل بيده ، فى توتر بالغ ، قائلاً :

- لقد تركت بعض رجالنا حول منزلها ، والبعض الآخر حول مبنى الجريدة ، وفور ظهورها سيـ ...

قاطعه (كونار) بغضب هادر :

- فور ظهورها ؟! هل ستنتظرون ظهورها ؟!

تراجع الرجل فى توتر بالغ ، وخُيِّل إليه أن الرئيس لا يبدو طبيعيًّا أبدًا هذه المرة ، وأن به شيئًا ما ، يبث فى أعماقه خوفًا مبهمًا ، جعله يقول :

- بم تأمر يا سيادة الرئيس ؟!

ازداد انعقاد حاجبى (كونار) ، وهو يقول :

- ابحثوا عنها فى أى مكان يمكن أن تذهب إليه .. وأصدروا نشرة سرية ، بكل أوصافها ، لإلقاء القبض عليها فى أى مكان تذهب إليه .

امتقع وجه الرجل ، وهو يغمغم فى عصبية :

- مستحيل ! يا سيادة الرئيس .

صاح (كونار) بكل الغضب :

ـ مستحيل ؟!

أسرع قائد طاقم الحراسة يقول :

ـ معذرة يا سيادة الرئيس ، ولكن السيِّدة (مشيرة) شخصية عامة مرموقة ، ولها شعبية هائلة ، فى العالم كله ، باعتبارها رئيسة تحرير أوَّل وأكبر صحيفة مرئية ، ومهما حاولنا إحاطة أمر إلقاء القبض عليها بالسرية ، فسيتسرَّب هنا أو هناك حتمًا ، وعندئذ ستصبح فضيحة عالمية ، و ...

قاطعه (كونار) بصرامة غاضبة آمرة :

ـ اصدر نشرة علنية بكل أوصافها .

خُيِّل للرجل أنه لم يسمع العبارة ، فمال نحو (كونار) ، متسائلاً فى دهشة حملت رنة استنكار :

ـ أصدر ماذا ؟!

صاح به فى حدة :

ـ نشرة علنيـة يا رجل .. نشرة تُعلن أن الصحفية

(مشيرة) خائنة ، ومتهمة بالتجسُّس لحساب جهة أجنبية ، وأننا نناشد المواطنين الإبلاغ عن أية معلومات بشأنها .

اتسعت عينا الرجل فى ارتياع ، وهو يهتف :

ـ سيادة الرئيس .. إننى ..

قاطعه بصرخة هادرة :

ـ نفذ الأمر .

تراجع الرجل فى حدة مع الصرخة ، واتسعت عيناه عن آخرهما ، وهو يحدِّق فى ذلك اللهب ، الذى اشتعل فى عينى (كونار) مع صرخته ، ووجد نفسه يهتف فى هلع :

ـ كما تأمر يا سيادة الرئيس .. كما تأمر ..

ثم دار على عقبيه ، واندفع يغادر المكان لتنفيذ الأمر ، دون أن ينتبه إلى أنه لم يؤدِّ التحية العسكرية للرئيس كما ينبغى ..

والواقع أن (كونار) أيضًا لم ينتبه إلى هذا ، أو يبالى به ..

لقد ألقى أمره ، ثم انشغل بكيانه كله ، فى مراقبة شاشة الراصد ، فى انتظار انتشال المدرَّعة (صلب) ..

فعلى الرغم من ثقته بالنتائج ، كان يصر على رؤية الجثث بنفسه ..

جثث (نور) ..

وعائلته ..

كلها ..

★ ★ ★

بكل قوته ، راح (أكرم) يضرب الجدار الشفاف السميك بقبضته ، وهو يصرخ :

ـ أخرجنا أيها الوغد .. أطلق سراحنا أيها الحقير .

هزَّ رئيس الجمهورية رأسه فى أسى ، وهو يقول :

ـ كفى يا ولدى .. كفى باللّـه عليك .. أنت تعلم أنه لا فائدة .

صرخ (أكرم) :

ـ مستحيل ! مستحيل !

ثم عضَّ شفتيه ، بكل مرارة الدنيا ، حتى أدماهما ، وهو يقول :

ـ ألم تسمع ما قاله ذلك الحشرة يا سيادة الرئيس ؟! إنه يطلق الكل خلف زوجتى ، ويتهمها بالعمالة والخيانة .. هل تدرك ما الذى يمكن أن يصيبها ، من جراء هذا ؟

قلب القائد الأعلى كفيه ، قائلاً :

ـ وماذا بيدنا لنفعله ؟!

صرخ (أكرم) :

ـ أى شىء .. أى شىء .

ثم انخفض صوته بمرارة رهيبة ، وهو يضيف :

ـ لا يمكن أن نجلس هنا ساكنين ، ونتركها تواجه الخطر وحدها ..

مستحيل ! مستحيل !

راح مدير مكتب الوزير يهزّ رأسه ، فى انهيار ويأس ، والوزير يقول :

ـ ألديك أية اقتراحات يا سيِّد (أكرم) ؟! إننا مستعدون لمعاونتك ، فى أية فكرة تخطر ببالك :

انغرس قوله هذا ، فى قلب (أكرم) كخنجر ماض ..

إنهم مستعدون لمعاونته ، فى أية فكرة تخطر بباله ..

أية فكرة !

ولكن ما الذى يمكن أن يفعله ؟!

ما الذى يمكن أن يفعلوه جميعًا ، دون سلاح واحد ؟!

أو حتى وسيلة واحدة ؟!

لابد أن يعترف بالحقيقة المرة ..

إنهم سجناء هنا ..

بلا حول ..

ولا قوة ..

ولا أمل ..

وبكل يأسه ، هتف :

ـ ساعدنا يا إلهى ! ساعدنا .

ثم ضرب قبضته براحته ، صائحًا فى عجز :

ـ آه لو لم أفقد ساعتى وسط الصحراء .

قال الرئيس فى توتر :

ـ هل تفيدك معرفة الوقت الآن ؟!

هزَّ رأسه فى قوة ، مجيبًا :

ـ لست أفتقد التوقيت ، بل وسيلة الاتصال .

اعتدل القائد الأعلى ، قائلاً فى اهتمام :

ـ وبم تفيد وسيلة الاتصال ، فى حجمنا هذا ؟!

لوَّح (أكرم) بذراعه ، قائلاً :

ـ يمكننا أن نرسل إشارة استغاثة على الأقل .

هزَّ القائد الأعلى رأسه فى توتر ، وهو يقول :

ـ مستحيل ! مع حجمنا هذا ، وحتى باستخدام أداة اتصال فائقة القوة ، لن يمكن لإشارتنا أن تتجاوز حدود هذه الحجرة ، على أكثر تقدير .

هتف (أكرم) فى حدة :

ـ وكيف يمكنك الجزم ؟!

رفع القائد الأعلى يده ، مجيبًا فى حزم :

ـ لقد أجريت أكثر من محاولة .

حدّق (أكرم) فى الساعة الرقمية ، التى تحيط بمعصم القائد الأعلى ، وهو يقول فى مرارة يائسة :

ـ حقًّا ؟!

كان يتمنى أن يلقى جسده المكدود هذا على أقرب مقعد فى الوجود ، ولكن وسط فراغ رهيب كهذا ، لا يوجد حتى معنى للوقوف أو الجلوس ..

وفى مرارة بلا حدود ، خفض (أكرم) رأسه ، مغمغمًا :

ـ لا فائدة إذن .

تمتم الرئيس ، وهو يربّت على كتفه مشفقًا :

ـ لا تيئس يا ولدى .. رحمة اللّه (سبحانه وتعالى) واسعة ، وتشمل كل شىء .

غمغم (أكرم) :

ـ أعلم هذا بكل تأكيد يا سيادة الرئيس .. أعلم هذا .

كان يشعر بعجز وألم لا حدود لهما ، وهو سجين كجرثومة صغيرة ، داخل كرة شفافة ، مختفية تحت مقعد صغير ، فى حجرة وزير الدفاع ، وزوجته تواجه خطرًا بلا حدود ، على يد ذلك المخلوق الغريب القاتل ..

لا يمكنه أبدًا احتمال هذا ..

لا يمكنه أن يقبل بعجزه فى مواجهة أمر كهذا ..

صحيح أن حياته مع (مشيرة) ليست مستقرة ، وأنهما يختلفان فى كثير من شئون الحياة ، وفى مفاهيمهما المباشرة للأمور ..

ولكنها زوجته ..

وهو يحبها ..

وبكل ذرة فى كيانه ..

ولا يمكن أن يحتمل أبدًا أن يصيبها أدنى مكروه ..

آه لو أمكنه فقط إبلاغ الآخرين بالأمر ..

آه لو أمكنه إرسال استغاثة ..

حتى ولو بأسلوب غير مباشر ..

أو ...

فجأة ، بتر أفكاره دفعة واحدة ، عندما لمح قدمًا هائلة ، تتحرك بالقرب من الكرة ..

ثم انقضَّت عليها أصابع ماردة ، انتزعتها من أسفل المقعد ، ورفعتها إلى أعلى بحركة عنيفة ، جعلت الكل يرتطم ببعضه ، والرئيس يهتف :

ـ رباه ! لقد عثر علينا .

مع آخر حروف كلماته ، ملأت عينا (كونـار) الناريتين المشهد كله ، وبدا صوته أشبه بدوى ألف صاعقة ، وهو يقول :

ـ آه .. أخيرًا عثرت عليكم .

هتف (أكرم) :

ـ أيها الوغد الحقير .

كان من الواضح أنه من المستحيل أن يسمعهم (كونـار) وهم فى هذا الحجم الضئيل ، فقد تابع مباشرة ، وبلهجة ظافرة ، ساخرة ، شامتة :

ـ كنت أخشى ألا تشاهدوا معى المرحلة الحاسمة ، عندما تحين لحظة التماس العظمى .

قال الرئيس فى عصبية :

ـ ما الذى يتحدَّث عنه هذا الوغد ؟!

غمغم القائد الأعلى :

ـ أخشى أننى قد فهمت ما يعنيه .

واصل (كونار) بنفس اللهجة ، وهو يرفع الكرة الصغيرة ، ليلصقها بالجدار :

ـ فى منتصف الليل تمامًا .. أى بعد ما يقرب من خمس ساعات فحسب ، ستتدفَّق قواتنا بلا حدود إلى عالمكم .

كادت عينا مدير مكتب الوزير تقفزان من محجريهما ، وهو يصرخ ، بكل رعب الدنيا :

ـ غزو آخر .. لا .. هذا مستحيل ! مستحيل !

قهقه (كونـار) فى ظفر شامت ، وكأنما سمع صرخته ، قبل أن يتابع :

ـ وخلال ثلاث ساعات فحسب ، سيمكننا السيطرة على بلدكم هذا ، وقبل مرور ثمان وأربعين ساعة ، سنكون قد سيطرنا على عالمكم كله .

ثم استدار يبتعد عنهم ، وهو يكمل :

ـ وأنا حريص على أن تشاهدوا كل هذا بأنفسكم .

هتف (أكرم) :

ـ أيها الوغد الحقير .. أيها الوغد الحقير .

ولكن (كونار) لم يسمع حرفًا واحدًا ..

أو هو تجاهل كل ما سمعه ..

فبكل كيانه ، كان يراقب تلك الدقائق ، من عمل الحفارات العملاقة .

الدقائق التى قد يتوقَّف عليها مصير عالم بأسره ..

الدقائق الأخيرة .

* * *

٩ ـ الأمل الأخير ..

لم يشعر (رمزى) ، فى حياته كلها ، بالقهر والمرارة ، مثلما شعر بهما فى تلك اللحظات ..

رفاقه كلهم مجهولو المصير ..

بل عالمه كله يواجه خطرًا بلا حدود ..

وهو يجلس فى منزله عاجزًا ، لا يجد ما يمكنه أن يفعله ، أو يواجه به الموقف الرهيب ..

يجلس ليرعى ابنه (محمود) ، وابن (نور) و(سلوى) و(طارق) ، و(مشيرة) التى انهارت تمامًا ، إلى الحد الذى اضطره إلى حقنها بمادة منوِّمة ، لتستعيد هدوءها وعقلها ..

وهو لا يدرى حتى ما الذى ينبغى أن يفعله ..

ومن يمكن أن يلجأ إليه ..

فطبقًا لحديث (مشيرة) ومعلوماتها ، لم يعد هناك من يمكن أن يثق به ..

الكل سقطوا ..

الكل بلا استثناء ..

الوزير ..

القائد الأعلى ..

وحتى رئيس الجمهورية ..

كل القيادات أصبحت في قبضة مخلوق من عالم آخر ..

مخلوق يسعى للسيطرة على العالم ..

وغزوه ..

واحتلاله ..

من يمكن أن يتصدّى لأمر كهذا ..

الدكتور (جلال) قدّم كل ما يمكنه ..

قدّم سلاحًا سريًا ، كان يدخره لمواجهة قوية عنيفة ..

أقوى سلاح فى جعبته ..

الرائد (أيمن) ..

أوّل مقاتل شبه آلى ، بعقل بشرى كامل ، فى التاريخ كله ..

ولكن حتى هو انهزم ، أمام ذلك المخلوق ..

وفقد عالمه سلاحه السرى ..

وربما حريته ..

وأمله الأخير أيضًا ..

ومع ذكر الرائد (أيمن) ، وتكوينه شبه الآلى ، قفزت أفكاره إلى (س ـ ١٨)(*) ..

ذلك المقاتل الأطلنطى الخارق ، الذى برز يومًا ، من قلب مقبرة فرعونية قديمة ، ليضيف إلى الفريق قوة بلا حدود ..

والذى أنقذ الأرض كلها يومًا ، من فجوة كادت تلتهمها بلا رحمة ، وتلقى بها فى عالم من القساة الطغاة (**) .

(*) راجع قصة (المقاتل الأخير) ... المغامرة رقم (٤٧) .

(**) راجع قصة (كوكب الطغاة) ... المغامرة رقم (١١١) .

عالم هو الجحيم بعينه ..

كم تمنى لحظتها لو رآه يعود إلى الأرض ، من أعمق أعماق الفضاء ؛ ليتصدَّى للغزاة ، وينقذ الأرض مرة أخرى ..

كم تمنى لو تتحقَّق المعجزة ..

ولكن ليس كل ما يتمناه المرء يدركه ..

والواقع ليس سهلاً بسيطًا هكذا ..

للأسف ..

وبكل مرارته ويأسه ، هتف (رمزى) :

ـ أين أنت يا (س ـ ١٨) ؟! أين أنت ؟! إننا بحاجة إليك .. كلنا بأشدّ الحاجة إليك .

كان يتمنى لو أن صرخته هذه قادرة على اختراق الزمان والمكان ، والوصول إلى (س ـ ١٨) ..

ولكن هيهات ..

حتى لو تحقَّقت المعجزة ، وحدث هذا ، لن يستجيب (س ـ ١٨) أبدًا ..

لن يستجيب إلا لصوت (نور) وحده ..

أين الأمل إذن ؟!

من يمكنه أن يتصدى لما يحدث ؟

من ؟!

من ؟!

وفجأة ، ودون مقدمات ، قفز إلى ذهنه اسم واحد ..

اسم لم يدر كيف غاب عن رأسه طويلاً ..

ومع الاسم ، خفق قلبه فى عنف ..

نعم ..

ربما كان هو الأمل بالفعل ..

الأمل الأخير ..

بعد اللَّه (سبحانه وتعالى) بالطبع ..

وبكل لهفته ، ومع ذلك الأمل ، الذى انتعش فى صدره ، اندفع نحو هاتف الفيديو ، وطلب رقمًا خاصًا ..

ومضت لحظات من الصمت ، قبل أن يظهر على الشاشة وجه فتاة حسناء ، قالت فى هدوء ، وبابتسامة ودود :

ـ مؤسسة الرياسة .. مبنى مستشارى السيد الرئيس .. ما الذى يمكننى تقديمه إليك يا سيِّدى ؟!

هتف (رمزى) بكل لهفته :

ـ أريد التحدُّث إلى المستشار الأمنى الخاص للرئيس .. إلى السيد (أمجد صبحى) شخصيًّا .

قالها ، وقلبه ينتفض مع جسده فى عنف ، وقد بدا له أن هذا الرجل ، صاحب التاريخ المشرِّف فى عالم الأمن ، والذى شاركهم مغامرة سابقة ، وأبلى فيها بلاءً حسنًا(★) . يمكن أن يكون بالفعل أملهم ..

أملهم الوحيد ..

والأخير ..

★ ★ ★

« متر واحد ونبلغ الهدف يا سيادة الرئيس .. »

(★) راجع قصة (الغزاة) ... المغامرة رقم (١٢٤) .

احتشد قدر هائل من الانفعال ، فى كيان (كونار) ، وهو يراقب شاشة الراصد ، ويرى الحفارات العملاقة ، التى صنعت حفرة هائلة ، فى قلب الصحراء ، بلغ عمقها ما يقرب من الثلاثين مترًا ..

ها هو ذا الهدف ، على مسافة متر واحد ..

متر واحد ، ويبلغ الـ (ميجالون) ..

متر واحد ..

ولكن هذا المتر بالتحديد يحتاج إلى منتهى الدقة ..

والحيطة ..

والحذر ..

فلمسة واحدة خاطئة للـ (ميجالون) ، تكفى لإشعال كل أجهزته الدفاعية دفعة واحدة ..

وإفساد كل ما فعله ..

لذا فقد قال فى صرامة ، عبر جهاز الاتصال :

ـ لا تتجهوا إلى الهدف مباشرة .. حاولوا انتشال المدرَّعة أوَّلاً ، ثم سندور حول ذلك الجسم بمنتهى الحذر .

سأله قائد فرقة الحفر :

- أما زلت تصرّ على عدم استخدام التكنولوجيا بأيــة صورة ، يا سيادة الرئيس ؟!

أجاب فى صرامة :

- كل الإصرار .

هزّ الرجل رأسه فى توتر ، وقال :

- ولكن لو حاولنا الدوران حول ذلك الجسم ، سترتكز قاعدته على مرتفع رملى محدود ، وهذا قد يؤدى إلـى انهيار الرمال ، وسقوطه على أحد جانبيه ، على نحـو عشوائى .

أجابه (كونار) ، وهو يفكّر فى الأمر بعمق :

- لن يحدث هذا .. ذلك الجسم مصمَّم بحيث يستقر دومًا على قاعدته ، حتى ولو وضعت تحته كرة تنس .

هتف الرجل فى دهشة :

- وكيف أمكنك معرفة هذا يا سيادة الرئيس ؟!

انعقد حاجبا (كونار) فى شدة ، مع سؤال الرجل ..

كيف تزايدت أخطاؤه فى الســاعات الأخيرة ، إلـى هذا الحد ؟!

كيف ؟!

كيف ؟!

لقد غلبه الانفعال مرة أخرى ، وجعل لسانه يفلت بأسرار لا ينبغى الإفصاح عنها قط ..

أسرار يمكن أن تكشف أمره ..

وتفسد خطته ..

الخطة التى أقسم أن يحمى نجاحها بحياته ..

وكيانه ..

ووجوده كله ..

وهذا يعنى حتمًا أنه بحاجة إلى بعض الراحة ..

وإلى إعادة شحن خلاياه ..

وعقله ..

« سيادة الرئيس .. أأنت واثق من هذه المعلومة ؟! »

انتزعه صوت الرجل من أفكاره الغاضبة ، فهتف به فى شراسة :

ـ لا شأن لك بهذا .. إنها أسرار أمنية عليا .

تراجع الرجل فى شحوب ، مغمغمًا :

ـ أعلم هذا يا سيادة الرئيس .. أعلمه بالتأكيد ، ولكننى كنت أسأل عما إذا كنت سيادتك ..

قاطعه فى صرامة :

ـ نعم .. أنا واثق مما أقول .

تمتم الرجل :

ـ بالتأكيد يا سيادة الرئيس .. بالتأكيد .

كان (كونار) يشعر ، وربما لأوَّل مرة فى حياته ، بتوتر شديد ، يسرى فى كل خلية فى جسده ، وهو يقول :

ـ انتشلوا المدرَّعة (صلب) أوَّلاً .. نريد أن نعرف مصير المقدَّم (نور) وعائلته .

بدا الأسى على وجه الرجل ، وهو يتمتم :

ـ معذرة يا سيادة الرئيس ، ولكننى لست أعتقد أن كائنًا حيًا يمكنه أن ..

قاطعه فى صرامة :

ـ انتشلوها أوَّلاً ..

زفر الرجل فى توتر ، مغمغمًا :

ـ كما تأمر يا سيادة الرئيس .. كما تأمر ..

استند (كونار) مرة أخرى بذقنه على راحته ، وهو يتابع المشهد بذلك التوتر العنيف ..

كانت الحفارات العملاقة تواصل عملها ، عبر الرمال ، لتبلغ (صلب) ..

وفى سرعة ، راحت المدرَّعة القوية تظهر أكثر .. وأكثر ..

وأكثر ..

حتى بدت قمتها واضحة ..

ولثوان ، خيَّم على كل شىء صمت رهيب ، والكل يحدِّق فى فتحة المدرَّعة العلوية بخوف وتردُّد ، حتى قال (كونار) فى عصبية :

ـ ماذا تنتظرون ؟!

انتزعهم قوله من جمودهم وخوفهم ، فاندفعوا نحو المدرَّعة ، وتابعتهم شاشة الراصد ، وهم يتعاونون لفتح قمتها ..

وتضاعف توتر (كونار) ..

تضاعف ألف مرة ، وهو يتابع ما يحدث ..

كان واثقًا من أنه من المستحيل أن يصمد مخلوق حى ، طوال هذه الفترة ، تحت أطنان من الرمال ..

ولكنه كان يرغب فى التأكُّد بنفسه ..

وبكل اهتمامه وانتباهه ، تابع فتح قمة المدرَّعة ، ثم ضغط الأزرار أمامه فى عصبية ، ليغوص الراصد داخل المدرَّعة ، ويضىء تجويفها ، و ...

واتسعت عيناه عن آخرهما ، وهو يقفز من مقعده ، صارخًا :

ـ مستحيل !

فما رآه داخل المدرَّعة ، كان يخالف كل توقعاته ..

بل كل قواعد العقل والمنطق ..

بلا استثناء .

★ ★ ★

انتهى الجزء الثانى بحمد الله

ويليه الجزء الثالث بإذن الله

(نقطة التماس)

الرمال الحية

• كيف اختفى (نور) و (سلوى) و (نشوى) فى قلب رمال الصحراء ؟!

• ما سر ذلك المخلوق ، الذى ينتحل شخصية وزير الدفاع ؟!

• ترى هل يربح الفريق معركته هذه المرة ، أم تبتلعه (الرمال الحية) ؟!

• اقرأ التفاصيل المثيرة ، وقاتل مع (نور) وفريقه .. من أجل الأرض ..

العدد القادم
نقطة التماس



د. نبيل فاروق

ملف المستقبل
سلسلة روايات بوليسية للشباب من الخيال العلمى

132

الثمن فى مصر ٢٠٠ ص
ومايعادله بالدولار الأمريكى
فى سائر الدول العربية والعالم



روايات مصرية للجيب

ملف المستقبل
سري جدًّا!!

133

نقطة التماس

الجزء الثالث

د. نبيل فاروق

طباعة ونشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع
ت: ٥٩٠٨٤٥٥ - ٦٨٣٥٥٥٤ - ٢٥٨٦١٩٧

ملف المستقبل

فى مكان ما من أرض (مصر) ، وفى حقبة ما من حقب المستقبل ، توجد القيادة العليا للمخابرات العلمية المصرية ، يدور العمل فيها فى هدوء تام ، وسرّية مطلقة ؛ من أجل حماية التقدّم العلمى فى (مصر) ، ومن أجل الحفاظ على الأسرار العلمية ، التى هى المقياس الحقيقى لتقدّم الأمم .. ومن أجل هذه الأهداف ، يعمل رجل المخابرات العلمية (نور الدين محمود) ، على رأس فريق نادر ، تم اختياره فى عناية تامة ودقة بالغة ..

فريق من طراز خاص ، يواجه مخاطر حقبة جديدة ، ويتحدّى الغموض العلمى ، والألغاز المستقبلية ..

إنها نظرة أمل لجيل قادم ، ولمحة من عالم الغد ، وصفحة جديدة من الملف الخالد ..

ملف المستقبل .

د. نبيل فاروق

١ ـ مواجهة خاصة ..

انطلقت كرة من كرات التنس ، من جهاز إليكترونى خاص ، وعبرت الملعب الكبير ، بسرعة تتجاوز السرعات الطبيعية المعتادة ، فى مثل هذه المباريات ، وفى اتجاه بعيد عن الرجل ، الذى يقف بزيه الرياضى ، فى الطرف الآخر للملعب ، ولكن الرجل تحرّك بسرعة مدهشة ، فور انطلاق الكرة ، وقطع الملعب كله بوثبتين بارعتين ، قبل أن يقفز كالفهد ، ويستقبل الكرة بمضربه ، ليعيدها إلى نصف الملعب الآخر بضربة قوية ماهرة ، ضربت الأرض عند زاوية الملعب البعيدة ، قبل أن تتجاوزه إلى لوح إليكترونى ، سجّل اللعبة ، ثم انبعث منه صوت آلى هادئ ، يقول :

ـ المستوى التاسع تم اجتيازه بنجاح ، فى

برنامج التدريب على لعبة التنس .. هل ترغب فى الانتقال إلى المستوى العاشر ، أم الدخول فى المستويات فوق المتقدِّمة ؟

كان الرجل يرغب فى الاستمرار فعليًا فى برنامج التدريب ؛ لتنشيط جسده ، وتنمية قدراته على الاستجابة والتفاعل ، إلا أن ساعته الخاصة راحت تتألَّق فى تلك اللحظة ، فألقى نظرة سريعة عليها ، قبل أن يجيب :

- كلاً ، فلنؤجِّل هذا لما بعد .

ثم ضغط زر ساعته ، قائلاً :

- ماذا هناك ؟!

أتاه صوت أحد رجال أمن رياسة الجمهورية ، قائلاً :

- مكالمة عاجلة يا سيِّدى .. الدكتور (رمزى) يطلب التحدُّث إليك فورًا .

انعقد حاجبا الرجل ، وهو يغمغم :

- الدكتور (رمزى) .. عضو فريق (نور) .. سأتحدَّث إليه فورًا بالتأكيد .

ولم يكد يسمع صوت (رمزى) ، ويرى وجهه على الشاشة الصغيرة لساعته ، حتى ابتسم قائلاً :

- أهلاً يا دكتور (رمزى) .. كيف حالك ؟ تصوَّر أننى كنت سأجرى اتصالاً بكم لتهنئتكم على عفو السيِّد رئيس الجمهورية ، و ...

قاطعه (رمزى) فى توتر ملحوظ :

- هناك مشكلة يا سيِّد (أمجد) .. مشكلة كبيرة .

انعقد حاجبا (أمجد صبحى) المستشار الأمنى لرئيس الجمهورية ، وهو يسأله فى قلق حذر :

- وما نوع تلك المشكلة يا دكتور (رمزى) ؟!

أجابه (رمزى) بعصبية شديدة :

- مشكلة لا يمكن التحدُث عنها ، عبر وسائل الاتصال التقليدية يا سيِّد (أمجد) .. إنها تحتاج إلى لقاء مباشر .

سأله (أمجد) فى حزم :

- أين أنت الآن ؟!

أجابه فى سرعة :

- فى منزلى .

قال (أمجد صبحى) بلهجة حازمة حاسمة :

- انتظرنى .. سأصل بأقصى سرعة ممكنة .

أنهى (رمزى) الاتصال ، وهو يشعر بانفعال جارف ، يسرى فى كل خلية من خلاياه ، ويجرى فى عروقه مجرى الدم ..

لقد كان يدرك أن الأمر بالفعل خطير ..

وإلى أقصى حد ..

فهو يتعلَق بمصير رفاقه ..

و (مصر) ..

والعالم كله ..

على الرغم من أنه لا يعرف كافة التفاصيل ..

فالأمر كله بدأ بعاصفة ..

عاصفة عاتية ، اقتلعت فريق البحث العلمى ، والقوات العسكرية المصاحبة له ، فى أثناء اختبار (المسبار الموجى الجديد) (مم - ١) ، فى منطقة لم تمتدّ لها يد بشرى من قبل ، فى صحراء (مصر) الغربية ..

وبمبادرة مدهشة ، قررً وزير الدفاع الاستعانة بنصف فريق (نور) ، لكشف سر تلك العاصفة ..

وكانت مهمة خاصة ..

خاصة جدًا ..

وتوالت فيها المفاجآت بلا انقطاع ..

الفحص أثبت أن تلك العاصفة الرملية كانت عبارة عن عمالقة من الرمال الحية، يهاجمون الكل بغضب هادر ، ومقت شديد ، وقوة بلا حدود ..

وكان قرار وزير الدفاع ، أن يتمّ إجراء اختبار مباشر ..

وإلى نفس البقعة ، طار (نور) و(سلوى) و(نشوى) ، ومعهم فريق عسكرى خاص ، بالإضافة إلى المدرَّعة (صلب) ، أقوى مدرَّعة اخترعتها العقول العسكرية المصرية ..

ولكن وزير الدفاع نفسه لم يكن شخصًا عاديًا ..

لقد كان مخلوقًا آخر ..

وفى عالم آخر ..

وهبَّت العاصفة مرة ثانية ..

وفى هذه المرة ، اختفى (نور) وزوجته وابنته ..

واختفت المدرَّعة (صلب) ..

وتمادى الوزير كثيرًا ، وهو يعتقل (أكرم) ، ومستشاره العلمى الدكتور (كريم) ، ثم يواجه رئيس الجمهورية ، والقائد الأعلى للمخابرات العلمية ..

وعندما تعقَّدت الأمور ، كشف الوزير وجهه الحقيقى ..

وجه القائد (كونار) ، من ذلك العالم الآخر ، الذى يسعى لفتح فجوة بين عالمين .. عالم الأرض ..

وعالم (كونار) ..

وبمواجهة صريحة عنيفة ، سيطر (كونار) على الكل ، وقلَّصهم إلى حجم أقرب إلى حجم الجراثيم ، ليحتفظ بهم جميعًا داخل كرة صغيرة ..

ثم انتحل هيئة رئيس الجمهورية ..

وفى مبادرة خاصة ، وباتفاق بين (رمزى) والدكتور (جلال) ، رئيس قسم الأبحاث ، الملحق بالمخابرات العلمية المصرية ، تم إسناد المهمة للرائد (أيمن) ، الذى تحوّل ، بعد تعديل تكنولوجى خاص ، إلى سلاح سرى شبه آلى ، قادر على التصدّى لجيش كامل بمفرده ..

ولكن الرائد (أيمن) خسر معركته ..

وانتصر (كونار) ..

ورأت (مشيرة) ما حدث ..

وأدركت أن (مصر) فى خطر ..

بل العالم كله فى خطر ..

المشكلة الفعلية هى أن كل أصحاب القرار أصبحوا فى قبضة (كونار) ..

القائد الأعلى ..

وزير الدفاع ..

وحتى رئيس الجمهورية ..

والوقت يمضى بسرعة مخيفة ..

مخيفة للغاية ..

ولهذا لم يكن أمام (رمزى) سوى وسيلة واحدة ..

وأمل واحد ، بعد اللّه (سبحانه وتعالى) ..

المستشار الأمنى لرئيس الجمهورية ..

رجل المخابرات السابق (أمجد صبحى) ، الذى شاركهم من قبل مغامرة عنيفة ، أبلى فيها بلاءً حسنًا ، يتناسب مع سيرته السابقة ، وتاريخه المشرّف(*) ..

(*) راجع قصة (الغزاة) .. المغامرة رقم (١٢٤)

وفى الوقت ذاته ، كان (كونار) ، فى هيئة رئيس الجمهورية ، يتابع الحفارات العملاقة ، التى تسعى لبلوغ المدرَّعة (صلب) ، فى قلب رمال الصحراء ، بعد أن مضى وقت طويل ، يكفى لاستهلاك كل الأكسجين داخلها ..

ولمقتل (نور) وزوجته وابنته ، ومن معهم ..

ولكن الحفارات العملاقة نجحت فى انتشال المدرَّعة (صلب) بالفعل ..

وعندما تم فتحها ، كانت بداخلها مفاجأة .. مفاجأة مذهلة(*) ..

★ ★ ★

لم تكن نصف الساعة قد مضت بعد ، عندما ارتفع رنين جرس باب منزل (رمزى) ، الذى أسرع يفتح الباب فى سرعة ، وهو يهتف :

(★) لمزيد من التفاصيل ، راجع الجزأين ، الأوَّل والثانى .. (العاصفة) و (الرمال الحية) .

ـ حمدًا لله .. إننى أنتظرك بفارغ الصبر يا سيِّد أو ...

بتر عبارته بغتة ، وهو يحدِّق فى وجه الضابط الصارم ، الذى ارتطم به بصره عند باب منزله ، وهو يقول :

ـ دكتور (رمزى) لدى أمر مباشر بتفتيش منزلك .

حدَّق (رمزى) فى وجهه لحظة بذهول مذعور ، قبل أن يزدرد لعابه فى صعوبة ، قائلاً :

ـ تفتيش منزلى ؟! ولماذا ؟!

أجابه بنفس الصرامة :

ـ إننا نبحث عن السيِّدة (مشيرة محفوظ) .

هتف (رمزى) فى هلع :

ـ هنا ؟!

دفع الضابط باب المنزل فى خشونة ، وهو يجيب :

- نعم .. هنا يا دكتور (رمزى) .. إننا نحاصر منزلها وجريدتها ، ولكن الأوامر أن نفتش منازل زملائها وأصدقائها أيضًا .

خفق قلب (رمزى) فى عنف ، وهو يتخيَّل الضابط ورجاله ، ينقضون على (مشيرة) النائمة ، وينتزعونها من فراشها فى عنف ، و ...

« ماذا هناك ؟! »

انبعث الصوت فجأة ، فى صرامة حازمة ، على نحو جعل الضابط يلتفت إلى صاحبه فى سرعة ، ثم يعتدل ، ويشدّ قامته ، فور تعرُّفه صاحبه ، ويرفع يده بالتحية العسكرية فى احترام ، قائلاً :

- معذرة يا سيِّد (أمجد) .. إنها أوامر السيِّد رئيس الجمهورية .

شدّ (أمجد) قامته بدوره ، وهو يقول :

- أعلم هذا .

ثم أشار بيده ، مستطردًا فى صرامة :

- لقد عثرت على السيِّدة (مشيرة) ، وهى الآن فى مكان آمن .

هتف الضابط فى ارتياح :

- حقًّا ؟!

وعاد يؤدى التحية العسكرية ، مستطردًا :

- شكرًا يا سيِّدى .. سأبلغ رؤسائى هذا .

أومأ (أمجد) برأسه ، قائلاً :

- بالتأكيد .

ثم دلف إلى منزل (رمزى) ، وأغلق بابه خلفه ، مضيفًا :

- وأبلغهم تحياتى أيضًا .

تعالى وقع أقدام الضابط وجنوده ، وهم ينصرفون عن المكان ، فاستدار (رمزى) إلى (أمجد) ، وقال فى شحوب عصبى :

- (مشيرة) هنا .

ابتسم (أمجد) ، قائلاً :

- لقد خمنت هذا .

ثم عقد ساعديه أمام صدره ، متسائلاً فى اهتمام شديد :

- والآن .. ما المشكلة التى تحدَّثت عنها .

بدا الانفعال واضحًا ، فى ملامح (رمزى) وصوته ، وهو يميل نحوه ، قائلاً بكلمات مرتجفة :

- الرئيس ، ووزير الدفاع ، والقائد الأعلى للمخابرات العلمية ، فى خطر شديد .

انعقد حاجبا (أمجد) فى شدة ، وهو يشير بيده ، قائلاً :

- مهلاً يا دكتور (رمزى) .. التقط أنفاسك ، وتمالك أعصابك ، وقصّ على الأمر بكل تفاصيله .. هيا .

جلس (رمزى) على أقرب مقعد إليه ، والتقط أنفاسه بالفعل ، وحاول أن يسيطر على أعصابه ، وهو يقول :

- سأخبرك .. سأخبرك بكل شىء ، يا سيِّد (أمجد) .

وطوال ربع ساعة كاملة ، لم ينبس (أمجد صبحى) بحرف واحد ، وهو يستمع إليه بكل حواسه ، حتى انتهى (رمزى) من روايته ، وهتف بكل انفعاله :

- (مصر) فى خطر يا سيِّد (أمجد) .. بل العالم كله فى خطر ، وكل أصحاب القرار واقعون فى قبضة ذلك الشىء ، الذى عجز أقوى سلاح سرى فى (مصر) عن قهره .. والوقت يمضى بسرعة .. بسرعة مخيفة .

التقى حاجبا (أمجد) فى شدة ، وهو يدرس كل حرف نطق به (رمزى) ، ثم راح يتحرَّك فى المكان فى صمت ، وقد بدت على وجهه إمارات التفكير العميق ، قبل أن يلتفت إلى (رمزى) فجأة ، قائلاً :

- أول درس تعلمناه فى عالمى ، قبل حتى أن ألتحق بالمخابرات العامة ، كان ضرورة دراسة أرض العدو ، قبل الانقضاض عليه فيها ، مادمت غير قادر على جذبه إلى أرضك أنت ، أو أى أرض تحفظها كظهر يدك .

سأله (رمزى) فى حيرة :

- وما الذى يعنيه هذا ؟!

شدَّ (أمجد) قامته مرة أخرى ، وهو يقول فى حزم :

- يعنى أن الأمر يحتاج أوَّلاً إلى مواجهة .

وتسلَّلت ابتسامة ساخرة إلى شفتيه ، وهو يضيف :

- مواجهة مباشرة .. وصريحة .

ولم يدر (رمزى) ما الذى يشير إليه (أمجد) .. لم يدر بالتحديد ..

* * *

اشتعلت عينا (كونار) بمزيج مخيف ، من الدهشة والغضب والاستنكار ، وهو يحدِّق فى شاشة الرصد ، التى تنقل إليه صورة المدرَّعة (صلب) ، وقد خلت تمامًا من البشر ..

أى بشر ..

وبكل غضب وسخط الدنيا ، هتف :

ـ مستحيل ! لا يمكن أن يذهبوا خارجها !! مستحيل !! قال رئيس فريق الحفر عن موضع البحث ، فى المنطقة (ص) ، فى توتر مماثل ، ودهشة بلا حدود :

ـ المدرَّعة كانت مغلقة بإحكام ، ثم إنها كانت تحت أطنان من الرمال ، ومن المستحيل أن يغادرها أحد ، إلا إذا ..

بتر عبارته عند هذه النقطة ، فصاح فيه (كونار) فى ثورة :

ـ إلا إذا ماذا ؟!

أجابه الرجل فى سرعة :

ـ إلا إذا كانوا قد غادروها ، قبل أن تغوص فى الرمال .

صرخ (كونار) :

ـ هذا أيضًا مستحيل !

ثم تراجع ، مستطردًا فى عصبية :

ـ لقد شاهدت العاصفة بنفسى .

ألقى جسده فوق أقرب مقعد ، وراح يحدِّق فى الشاشة بذهول ، وهو يسترجع ذلك المشهد الذى نقلته أجهزة الرصد عندما هبَّت العاصفة الأخيرة ..

عمالقة الرمال برزوا مرة أخرى ..

وانقضوا على كل شىء ..

الحوامات ..

والجنود ..

والمدرَّعة ..

ولثوان ، اختفى كل شىء عن شاشات الرصد ..

الرمال كست المكان كله فى كثافة عجيبة ..

ثم تلاشت بغتة ..

وعندما تلاشت ، كان كل شىء قد اختفى ..

كل شىء ..

ومن المستحيل أن يكون (نور) ومن معه قد وجدوا الفرصة للخروج من المدرَّعة !

وهم ليسوا بالجنون ليفعلوا ، فى مواجهة عاصفة رهيبة كهذه ..

مستحيل !

مستحيل !

أين ذهبوا إذن ؟!

أين ؟!

كان أكثر ما يثير غضبه ليس اختفاءهم ، وإنما تلك التكنولوجيا شديدة التقدُّم ، فى ذلك الـ (ميجالون) ، والتى لم يكن يتوقَّعها قط ..

والساعات التى تمضى فى سرعة مخيفة ..

أربع ساعات ونصف فحسب تبقَّت ، على لحظة التماس العظمى ..

وقوات عالمه كلها تنتظر تلك اللحظة بفارغ الصبر ..

والإمبراطور يتوقَّع منه النجاح ..

والانتصار ..

وهو لن يقبل بغير هذا ..

أبدًا ..

سرت الفكرة فى كيانه ، وجرت فى عروقه ..

لو أن له عروقًا ..

ثم هبَّ من مقعده ، وقال فى صرامة :

ـ فليذهب (نور) ورفاقه إلى الجحيم .. المهم أن يصل قومى إلى هذا العالم بنجاح ..

وانعقد حاجباه على نحو مخيف ، وهو يضيف :

- مهما كان الثمن .

وبمنتهى الحسم والحزم ، نهض إلى جهاز الاتصال ، وضغط أزراره ، وهو يقول فى قوة :

- سنبحث سر اختفاء الجميع فيما بعد .. أبعدوا المدرَّعة الآن عن المكان ، ثم واصلوا الحفر حول تلك الكرة المعدنية ، حتى نخرجها من مكانها .

أجابه رئيس فريق الحفر ، بصوت يحمل رنة دهشة واضحة :

- لقد أزلنا معظم الرمال من حولها ، ولكنها ما زالت تستقر على قاعدتها ، على الرغم من أن هذا يخالف كل قواعد التوازن ، التى تعلمناها فى حياتنا .

زمجر (كونار) ، قائلاً :

- دعك مما تعلمته يا رجل ، فنحن أمام ظاهرة جديدة .

غمغم الرجل ، عبر جهاز الاتصال :

- بالتأكيد .

مال (كونار) إلى الأمام ، يراقب الشاشة فى اهتمام ، والحفارات العملاقة تزيل الرمال ، من حول الـ (ميجالون) ، و ...

« كيف حالك يا سيادة الرئيس ؟! »

اخترقت العبارة أذن (كونار) ، على نحو مباغت ، وهو مستغرق بكيانه كله ، فى متابعة عمليات الحفر ، فانتفض جسده فى عنف ، واستدار إلى مصدر الصوت ، هاتفًا فى غضب :

- من جرؤ على اقتحام خلوتى .

أتاه صوت (أمجد) ، وهو يقول فى هدوء :

- إنه أنا ؟!



أتاه صوت (أمجد) ، وهو يقول فى هدوء :

- إنه أنا ؟!

انعقد حاجبا (كونار) فى شدة ، وهو يحدجه بنظرة كاللهب ، فى حين لوَّح (أمجد) بيدِه ، متابعًا بنفس الهدوء :

- طاقم الحراسة لم يحاول منعى بالطبع ، باعتبارى مستشارك الأمنى الخاص .

تألقت عينا (كونار) على نحو واضح ، وهو يقول :

- آه .. بالطبع .

ثم أشاح بوجهه ، ليراقب شاشة الرصد ، قائلاً فى توتر :

- وما الذى تريده الآن ، يا مستشارى الأمنى الخاص ؟!

كانت عينا (أمجد) تفحصان كل شىء فى سرعة وخبرة ، وهو يجيب :

- أردت استشارتك فى أمر عملية (المخاطر) ..

لقد بلغ الأمر مرحلة حرجة ، فهل نواصل العملية ، أم نتوقف الآن ؟!

انعقد حاجبا (كونار) مرة أخرى ، وهو يقول :

- وما فائدتك إذن ، أيها المستشار الأمنى الخاص ، لو أنك ستستشيرنى فى كل خطوة .

قال (أمجد) فى هدوء :

- عملية (المخاطر) لها وضع خاص ، ولقد طلبت منى إبلاغك بالنتائج والتطورات الخاصة بها ، أوّلاً فأوّلاً .

قال (كونار) فى حدة :

- انس ما طلبته منك سابقًا ، ومنذ هذه اللحظة ، سيكون عليك أن تتولّى كل الأمور بنفسك ، ودون الرجوع إلىّ ، وحتى صدور أوامر أخرى .. هل تفهم ؟!

ارتسمت ابتسامة هادئة على شفتى (أمجد) ، وهو يقول :

- بالتأكيد يا سيادة الرئيس .. بالتأكيد .

ومرة أخرى ، جابت عيناه الحجرة كلها ، قبل أن يضيف :

- سأتولّى كل الأمور بنفسى ، ودون الرجوع إلى أحد .

قالها ، ودار على عقبيه ، مغادرًا الحجرة بنفس الخطوات الهادئة ، دون أن يسمع صوت (أكرم) ، الذى راح يدقّ جدار الكرة الشفافة الملصقة بالجدار بقبضتيه ، وهو يصرخ :

- لا تتصرف يا سيِّد (أمجد) .. لا تتصرف .. إنه ليس الرئيس .

أمسك رئيس الجمهورية يده ، قائلاً فى حزم :

- إنه يعلم هذا .

استدار إليه (أكرم) ، قائلاً فى حدة :

ـ وكيف يمكنك أن تجزم ؟!

أشار رئيس الجمهورية بيده ، مجيبًا :

ـ (أمجد) لم يأت إلى هنا ، لمناقشة الرئيس فى أمر عملية ما ، وإنما أتى للتيقن من أمر ما .

سأله وزير الدفاع فى اهتمام :

ـ أى أمر ؟!

أجابه القائد الأعلى للمخابرات العلمية فى حزم :

ـ أظنه جاء للتيقن مما إذا كان هذا الشخص هو رئيس الجمهورية أم لا .

قال رئيس الجمهورية فى حسم :

ـ ولقد أيقن أنه ليس الرئيس .

قال (أكرم) فى مرارة عصبية :

ـ ومن أدراك ؟! لقد التقى برجل هو نسخة طبق الأصل منك .. فى هيئته وصوته وأسلوبه .

هزَّ الرئيس رأسه ، قائلاً :

ـ (أمجد) ليس غبيًّا ، وهو ليس مستشارى الأمنى فحسب ، وإنما أقرب صديق لى ، وهو يعلم أننى لم ولن أعامله قط بهذا الأسلوب الجاف .

قال (أكرم) :

ـ ربما يجد مبررًا لهذا ، مع توتر الموقف .

هزَّ الرئيس رأسه نفيًا مرة أخرى ، وهو يقول :

ـ مستحيل ! لقد غادر المكان موقنًا من أن هذا الرجل ليس رئيس الجمهورية .

مطَّ (أكرم) شفتيه ، متسائلاً فى عصبية :

ـ وكيف توقن بهذا ؟!

التقط الرئيس نفسًا عميقًا ، قبل أن يجيب :

ـ لأنه لا توجد أية عملية ، سابقة أو حالية ، تعرف باسم عملية (المخاطر) .

اتسعت عينا (أكرم) ، واستدار يلقى نظرة ، عبر الجدار الشفاف السميك ، على (كونار) ، الذى يراقب شاشة الرصد ، فى اهتمام وتوتر بالغين ..

وخفق قلبه بمنتهى العنف ..

فمع ظهور (أمجد صبحى) على الساحة ، وتيقنه من أن هذا ، الذى يجلس فى حجرة وزير الدفاع ، ليس رئيس الجمهورية الحقيقى ، ستتغيَّر الأمور حتمًا ..

ستتغيَّر كثيرًا ..

جدًا ..

* * *

٢ ـ الوسيلة ..

« إنه ليس الرئيس حتمًا .. »

نطق (أمجد صبحى) العبارة فى حزم متوتر ، داخل منزل (رمزى) ، الذى هتف فى انفعال جارف :

ـ الآن وقد أيقنت من هذا ، ما الذى يمكننا أن نفعله ؟!

تلاحقت أنفاس (مشيرة) ، وهى تتطلَّع فى لهفة قلقة إلى (أمجد) ، الذى لاذ بالصمت والتفكير لدقيقتين كاملتين ، قبل أن يجيب :

ـ لا شىء .

اتسعت عيناها فى ارتياع ، فى حين هتف (رمزى) مكررًا فى استنكار :

ـ لا شىء ؟! مـاذا تعنـى بقولـك هـذا يـا سيِّد (أمجد) ؟!

أجابه (أمجد) فى هدوء عجيب ، لم يتناسب قط مع الموقف :

ـ هذا مـا توحى بـه ملابسات الموقف كلـه ، فنحن نواجه خصمًا فوق العادة ، من عالم آخر كمـا تقولان ، وكمـا يوحـى الأمر ، وهـو ينتحل هيئـة رئيس الجمهوريـة ، بحيث أن أى هجوم عليـه سيواجه بمنتهى القوة والعنف ، من رجال الحرس الجمهـورى ، وطـاقم حراسـة وزارة الدفـاع ، باعتباره محاولة انقلاب على الحكم الشرعى فى البلاد .

قالت (مشيرة) فى عصبية :

ـ ولا يمكننا أن نتركه يمضى فى طريقه أيضًا ، وإلا خسرنا عالمنا كله .

استدار إليها ، قائلاً فى حزم :

ـ ومن قال إننا سنفعل ؟!

بدأت الحيرة على وجه (رمزى) ، فى حين ألقت (مشيرة) نفسـها على أقرب مقعد إليها ، وهى تقول فى دهشة :

ـ ماذا تعنى إذن ؟!

أشار بسبَّابته ، قائلاً :

ـ أعنى أنه من الناحية المنطقية والرسـمية ، لايمكننا أن نفعل شيئًا لمواجهـة الأمـر ، ولكن لاينسى أحدكما أننى مـازلـت المستشـار الأمنـى الخـاص لرئيس الجمهوريـة ، وهـذا يعنـى أن صلاحياتى تتجاوز مجرَّد تقديم الاستشارة فحسب .

سأله (رمزى) فى لهفة :

ـ وما الذى يمكنك أن تفعله ؟!

أجابه (أمجد) فى حزم :

- من الناحية غير الرسمية ، يمكننى أن أفعل الكثير .

ثم شدّ قامته ، واعتدل ، قائلاً بلهجة آمرة صارمة :

- فى البداية سنعيد الأمور إلى نصابها ، الذى كان منذ الأزل .. السيّدة (مشيرة) ستبقى فى المنزل ، لرعاية الصغيرين ، والدكتور (رمزى) سيخرج معى للعمل .

انعقد حاجبا (مشيرة) ، وكأنما لا يروق لها هذا المنطق ، إلا أنها لم تحاول الاعتراض ، خاصة وأن الكل يبحث عنها بالفعل ، ولن تجد مكانًا آمنًا أفضل من هذا ، فى حين تساءل (رمزى) فى اهتمام :

- أى عمل ؟!

أجابه (أمجد) فى حزم :

- العمل الذى تجيده يا رجل .. التحليل النفسى .

قال (رمزى) فى دهشة :

- وبم يفيد التحليل النفسى هنا ؟!

صمت (أمجد) بضع لحظات فى شرود ، قبل أن يبتسم ابتسامة باهتة ، قائلاً :

- أنا أنتمى إلى جيل عريق يا رجل .. جيل لم يألف التكنولوجيا فى زمنه ، واعتاد الاعتماد كلية على عقله وحواسه وعضلاته ، وأمثالنا لايمكنهم بسهولة تصديق قصة كهذه ، تنتمى كلها إلى الخوارق والعوالم الأخرى .

ثم تطلّع إلى (رمزى) مباشرة ، وهو يضيف فى حزم :

- ومهمتك أن تنتخب لى أفراد الفريق الجديد .

بدت دهشة عارمة على وجه (مشيرة) ، فى حين سأل (رمزى) فى حذر :

- أى فريق جديد ؟!

شدّ (أمجد) قامته أكثر ، وهو يجيب :

- الفريق الذى يمكننى منحه ثقتى ، والقادر على المواجهة يا رجل .. المواجهة الحقيقية .. والحاسمة .

وبعدها لم يضف حرفًا آخر للتوضيح ..

أى حرف ..

* * *

بدا التوتر واضحًا جليًا ، فى صوت وملامح رئيس فريق الحفر ، وهو يقول ، عبر جهاز الاتصال الخاص :

- لقد أزحنا الرمال كلها تقريبًا ، من حول ذلك الجسم الكروى أيها الرئيس ، ولكن ..

سأله (كونار) فى عصبية :

- ولكن ماذا ؟!

أجابه فى توتر أكثر :

- ولكنه ما زال يقف بنفس وضعه الأوّل ، على الرغم من أن قاعدته كلها ترتكز على ما لا يزيد على قبضة اليد من الرمال .

قال (كونار) فى صرامة متوترة :

- لا تجعل هذا يشغلك .. المهم أن تجد وسيلة لحمل ذلك الشىء من هنا ، ونقله إلى منطقة أخرى .. منطقة تبعد مائتى كيلومتر على الأقل .

صمت الرجل بضع لحظات مفكرًا ، قبل أن يقول :

- لا توجد سوى وسيلة واحدة .

سأله (كونار) :

- وما هى ؟!

أشار الرجل بسبَّابته إلى أعلى ، مجيبًا :

ـ الحوَّامات :

انعقد حاجبا (كونار) ، وهو يدرس هذه الوسيلة فى إمعان ..

الرجل على حق بالفعل ..

من المستحيل أن يلجئوا إلى أية وسيلة تكنولوجية ، لنقل ذلك الـ (ميجالون) ، وإلا أشعلوا كل أجهزته ووسائله الدفاعية الرهيبة ..

ولكن من المحتم نقله بعيدًا ، قبل منتصف الليل ..

قبل أن تحين لحظة التماس العظمى ..

ومع ثقل وزنه المحتمل ، لن تكون هناك وسيلة أفضل من الحوَّامات ..

شبكة من الصلب تحيط به ..

ثم تحملها الحوَّامات بعيدًا ..

بعيدًا بقدر المستطاع ..

بعيدًا عن نقطة التماس ..

العظمى ..

وبكل الحزم ، دقّ (كونار) سطح منضدة الفحص بقبضته ، قائلاً :

ـ استخدم الحوَّامات .

بدا الارتياح على وجه الرجل ، وهو يقول :

ـ فورًا ياسيادة الرئيس .

تراجع (كونار) بمقعده ، وهو يراقب مايفعله الرجال هناك ، فى المنطقة (ص) ، وألقى نظرة على ساعته ، التى أشارت عقاربها إلى ثلاث ساعات ونصف الساعة ، قبل منتصف الليل ، ثم راح عقله ـ وعلى الرغم منه ـ يطير نحو تلك النقطة الغامضة ، التى لم يكشف لها تفسيرًا بعد ..

أين اختفى (نور) والآخرون ؟!

وكيف ؟!

كيف ؟!

كيف ؟!

وبقى السؤال حائرًا فى ذهنه طويلاً ..

بلا جواب ..

لذا فقد طرحه عن رأسه مرة أخرى ، وهو يراقب ما تنقله الشاشة فى اهتمام .. كان الـ (ميجالون) يقبع فى مكانه ساكنًا ، والرجال يحيطونه فى حذر بالغ ، بشبكة قوية من الصلب ..

وبقلق بلا حدود ، راقبهم (كونار) ، وغمغم فى توتر بالغ :

- تُرى هل ..

لم يستطع إكمال تساؤله ، من فرط اهتمامه

وانفعاله ، وهو يراقب الرجال ، الذين يغادرون الحفرة الهائلة ، بعد انتهائهم من إحاطة الـ (ميجالون) بشبكة الصلب ، ثم يشيرون للحوّامات ، التى ربطوا إليها الشبكة بحبال قوية ..

ثم بدأت الحوّامات ترتفع ..

وترتفع ..

وترتفع ..

واهتزّ الـ (ميجالون) ..

اهتزّ اهتزازة خفيفة ، ثم بدأ يرتفع عن الأرض ..

وانعقد حاجبا (كونار) أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

و ...

وفجأة ، اهتزَّت الحوَّامات برياح قوية ..

وصرخ (كونار) ، بكل انفعاله :

ـ لا !!!!!!!

ومع صرختـه ، نهض العمالقة ..

عمالقة الرمال ..

وهبَّت العاصفة ..

عاصفـة هائلـة عاتيـة رهيبـة ، انقضَّت علـى الحوَّامات والرجال بلا رحمة ..

أو هوادة ..

وانطلقت صرخـات الرعب والفزع ، التى نقلتهـا شاشة الرصد لثوان معدودة ، إلى أذنــى وعينــى (كونـار) ، الذى احتقن وجهه بشدة ..

ثم انتهى كل شىء ..

غاب وتلاشى ، تحت الرمال القوية الغزيرة ، التى ارتفعت عاليًا ، كحاجز رهيب كثيف مخيف ..

ثم انهالت دفعة واحدة على الحفرة ..

وراحت تغمرها بسرعة هائلة ..

ما أنجزته الحفارات العملاقة ، فى عدة ساعات ، أنهته العاصفة الرملية فى دقائق معدودة ..

ومحدودة ..

وعندما انتهت ، بعد تلك الدقائق القليلة ، كـانت المنطقـة (ص) قد عـادت كمـا كـانت منـذ آلاف السنين ..

هادئة ..

صامتة ..

ساكنة ..

بكرًا ..

ولم يعد هناك أدنى أثر للرجال ..

أو الحوَّامات ..

أو الحفارات العملاقة ..

أو حتى الحفرة الهائلة ..

واحتقن وجه (كونار) أكثر وأكثر ، وهو يلوِّح بقبضته ، وقد اختنقت صرخة قوية فى حلقه وصدره ..

صرخة هزيمة ..

واندحار ..

وغضب ..

وثورة ..

وبنظرة سريعة على ساعته ، اختنقت كل انفعالاته فى أعماقه ..

ثلاث ساعات وربع الساعة تبقَّت ، على اللحظة المنشودة ..

لحظة التماس العظمى ..

وذلك الشىء أصبح مدفونًا مرة أخرى ، تحت ثلاثين مترًا فى الرمال ، يواصل بث ذبذباته فوق الطبيعة ، التى تمنع وصول قومه إلى هذا العالم ، و ....

ولكن مهلاً ..

الـ (ميجالون) يطلق ذبذبات ..

مجرَّد ذبذبات ..

ومهما بلغت تلك الذبذبات من النوع والقوة ، فستظل مجرَّد ذبذبات ..

تردُّدات صوتية ، يمكن رصدها ..

ومواجهتها ..

وبانفعال شديد ، قفز إلى جهاز الاتصال الداخلى ، وضغط زره ، قائلاً :

ـ أريد أفضل خبير اتصالات وصوتيات لدينا .. فورًا .

فقد نبتت فى ذهنه فكرة ، لم يدر كيف لم تخطر بباله من قبل ..

فكرة مدهشة فعَّالة ، قادرة على إيقاف عمل الـ (ميجالون) ، عندما تحين لحظة التماس العظمى ..

أو على الأقل ، قادرة على إفساد مفعوله المضاد ..

وهذا يعنى أنه ـ وعلى الرغم من كل ما حدث ـ سينتصر فى النهاية ..

وسيمنح عالمه فرصة المرور إلى هذا العالم ..

والسيطرة عليه ..

إلى الأبد ..

* * *

دفن (أكرم) وجهه بين كفيه ، فى يأس ومرارة بلا حدود ، وهو يقول :

ـ مستحيل ! حتى (أمجد صبحى) لن يجد وسيلة للقضاء على هذا الشيطان .. الأمر يحتاج إلى معجزة .

قال رئيس الجمهورية فى توتر :

ـ (أمجد) يعلم الآن أن هذا الشىء ليس أنا ، وأنه يهدِّد سلامة البلاد والعالم كله ، وهو لن يقف ساكنًا .

قال وزير الدفاع فى أسى :

ـ وما الذى يمكنه أن يفعله ؟! ذلك الكائن البشع ينتحل شخصيتك ، وإذا ما حاول (أمجد) المساس به ، سيهاجمه الكل ويتصدَّون له بكل قوتهم .

قال الرئيس فى حزم :

ـ لست تعرف (أمجد) كما أعرفه .

قال مدير مكتب الوزير فى عصبية :

- من الواضح أنك تولى ذلك المستشار ثقتك كلها يا سيادة الرئيس .

أجابه الرئيس فى حزم أكبر :

- لأننى أعرفه جيدًا .. وربما أكثر مما يعرفه أى شخص منكم .

هتف وزير الدفاع :

- وما الذى يمكنه أن يفعله ؟!

أشار إليه الرئيس ، مجيبًا فى ثقة :

- سيجد وسيلة .

صمت الكل بضع لحظات ، وهم يتبادلون نظرة متوترة ، قبل أن يغمغم (أكرم) ، وهو يعبث فى جيوبه بلا داع :

- أتعشَّم هذا .

انعقد حاجبا الرئيس فى توتر شديد ، وهمَّ بقول شىء ما ، و ..

« رباه ! »

أطلق (أكرم) الهتاف فجأة ، فالتفت إليه الجميع فى توتر ، وهتف الوزير :

- ماذا هناك ؟!

فتح (أكرِم) يده ، التى تحوى حفنة من الرمال ، هاتفا فى انفعال :

- انظروا ماذا وجدت !!

حدق الجميع فى حفنة الرمال بدهشة واستنكار ، قبل أن يقول مدير مكتب الوزير فى حيرة عصبية :

- وماذا وجدت ؟!

هتف به (أكرم) ، وهو يمدّ يده نحوه :

- ألا ترى يا رجل ؟!

أجابه الرجل ، فى عصبية أكثر :

- أرى حفنة من الرمال .. مجرَّد حفنة رمال .

هتف (أكرم) فى حماس :

ليست رمالاً عادية يا رجل .. إنها تلك الرمال ، التى حدَّثتكم عنها .

قال القائد الأعلى فى انفعال :

ـ الرمال الحية .

هتف (أكرم) :

ـ بالضبط .

عاد الكل يتطلَّع إلى حفنة الرمال ، من هذا المنظور الجديد ، قبل أن يقول الرئيس فى حذر زائد :

ـ ولماذا الانفعال ؟! حتى ولو كانت حفنة من الرمال الحية .. ما الذى يمكن أن تفعله ؟!

صمت (أكرم) بعض الوقت ، قبل أن يهزّ رأسه ، قائلاً :

ـ لست أدرى .

حدَّق الكل فى وجهه بدهشة مستنكرة ، قبل أن يتراجع مدير مكتب الوزير ، قائلاً فى حدة :

ـ يا للسخافة !

هتف (أكرم) :

ـ ربما وجدنا وسيلة ما .

سأله الوزير فى عصبية :

ـ مثل ماذا ؟!

أشار (أكرم) إلى الساعة الإليكترونية التى يرتديها القائد الأعلى ، قائلاً فى توتر شديد :

ـ لست أدرى ، ولكنها تثور بشدة ، عند تشغيل مثل هذه الأشياء .

انعقد حاجبا القائد الأعلى ، ورفع ساعة الاتصال إلى وجهه ، قائلاً :

ـ أنت على حق .

ولكن الوزير هتف محنقًا :

ـ وما الذى يمكن أن يغنيه هذا ؟! إننا نستطيع استفزاز حفنة من الرمال الحية ، داخل هذا السجن البشع ؟!

أجابه القائد الأعلى فى حزم :

- بل يعنى أننا لا نعلم ما الذى يمكن أن يفعله هذا .

ثم انتزع الساعة من حول معصمه ، وأدناها من الجدار الشفاف السميك ، متابعًا فى حماس :

- وخاصة لو ألصقناها بهذا الجدار .

بدا الشك على وجوه الجميع ، وتمتم الرئيس فى توتر :

- وما الذى يمكن أن تفعله حفنة من الرمال ؟!

قال (أكرم) فى سرعة :

- مما رأيته بعينىّ ، ربما تفعل الكثير .

تضاعف الشك فى العيون ، وفى صوت وزير الدفاع ، وهو يغمغم :

- ربما .

كان الأمر يبدو بالنسبة لهم ، أشبه بالقشة ،

التى يتعلَّق بها الغريق ، كآخر أمل فى النجاة ، حتى ولو بدا أمرها غير منطقى ..

ولكنه لا يملك سواها ..

وسوى الأمل ..

خاصة وأن (نور) ورفاقه قد اختفوا تمامًا ، تحت رمال الصحراء ..

تلك الرمال التى ابتلعت كل شىء ..

كل شىء على الإطلاق ..

* * *

« ما الوسيلة المثلى لمواجهة نبذبة منتظمة ؟! »

ألقى (كونار) السؤال فى صرامة عصبية ، على خبير الصوتيات والاتصالات ، فى مركز الأبحاث العسكرى ، فتنحنح الرجل ، وأشار بيده ، مجيبًا فى حذر :

- هذا يتوقَّف على نوعية وتردُّدات تلك الذبذبة يا سيادة الرئيس .

أشار (كونار) بيده إلى شاشة المتابعة الإليكترونية ، قائلاً بلهجة صارمة ، آمرة ، قاسية :

- هذه الذبذبة .

مال خبير الاتصالات بوجهه ، يطالع الذبذبة الفائقة ، التى تسجلها الأجهزة المتقدِّمة قبل أن يقول فى دهشة :

- رباه ! لايوجد أى جهاز ، على الأرض كلها ، يمكن أن يطلق مثل هذه الذبذبة .

قال (كونار) فى عصبية :

- ولكن الأجهزة الأرضية تسجِّلها ، وهذا يعنى أنها قابلة للرصد .. أليس كذلك ؟!

أجابه الرجل ، فى توتر شديد :

- إنها قابلة للرصد بالتأكيد ؛ فهذا يعتمد على كفاءة الأجهزة ، التى يمكنها رصد مساحة واسعة من الذبذبات ، ونوعيات غير متوقَّعة منها ، مثل الذبذبات المنتظمة ، ذات الإيقاف والبدء الحرجين ، ولكن كل الأجهزة الأرضية المعروفة ، لايمكنها إنتاج ذبذبة مماثلة ، وخاصة ذلك الجزء المختصَّ منها بالإيقاف الحرج ، الذى ينقل الذبذبة من أوجها إلى الصفر مرة واحدة ، دون المرور بالمنحنى الهابط التقليدى ، لكل ذبذبة أرضية .

لوَّح (كونار) بيده ، قائلاً فى صرامة عصبية :

- كف عن التفاصيل الفنية السخيفة ، وأجبنى مباشرة .. هل يمكن اعتراض تلك الذبذبة ، وإفساد مفعولها ؟!

صمت الرجل بضع لحظات فى حذر ، قبل أن يقول :

- كل شىء ممكن ، ولكن ..

سأله (كونار) فى عصبية :

- ولكن ماذا ؟!

تردَّد الرجل بضع لحظات أخرى ، قبل أن يجيب فى توتر :

- هذا يحتاج إلى الأجهزة المناسبة ، والـ .. والخبراء المناسبين .

أشار (كونار) بيده ، قائلاً :

- سأمنحكم كل الصلاحيات الممكنة ، للاستعانة بأقوى الأجهـزة وأفضلها ، مهمـا بلغت ندرتها وتكاليفها .. أما عن الخبراء ، فيمكنكم استدعاء أى خبير مناسب ، من أى مكان فى العالم .

هزَّ الرجل كتفيه ، قائلاً :

- لا يوجد فى العالم أجمع سوى خبيرة واحدة ، يمكنها فعل هذا يا سيادة الرئيس .

قال (كونار) فى حزم :

- أرسل فى استدعائها فورًا .

تردَّد الرجل مرة أخرى ، وقال :

- هذا مستحيل عمليًّا يا سيادة الرئيس .

سأله (كونار) فى حدة :

- ولماذا ؟!

أشار الرجل بيده ، مجيبًا فى حذر :

- لأنها قد لقيت مصرعها ، مع زوجها وابنها ، وبعض رجالنا ، فى المنطقة (ص) يا سيِّدى .

اتسعت عينا (كونار) ، وهو يقول :

- هل تقصد ..

هتف الرجل فى سرعة :

- نعم يا سيادة الرئيس .. السيِّدة (سلوى) ، زوجة المقدَّم (نـور) ، كانت أفضـل مـن يؤدى هذا العمل .

انعقد حاجبا (كونار) فى شدة ، وأطلَّ منهما غضب الدنُيا كله ، وهو يقول فى صرامة :

- ابحث عن خبير آخر .

قال الرجل فى توتر :

ـ ولكن يا سيادة الرئيس ..

قاطعه (كونار) بصرخة هادرة مدوية :

ـ قلت : ابحث عن غيرها .. من المستحيل ألا يكون فى (مصر) كلها ، سوى خبيرة واحدة ، يمكنها التصدّى لهذا الأمر .. أريد خبيرًا آخر ، خلال ساعة واحدة من الآن .. هل تفهم ؟! خبيرًا يمكن أن يوقف عمل تلك الذبذبة المنتظمة ، قبيل منتصف الليل ، بأية وسيلة كانت .. هيا .. لاتضيع لحظة واحدة .

امتقع وجه الرجل ، وهو يهتف :

ـ كما تأمر يا سيادة الرئيس .. كما تأمر .

واندفع لتنفيذ الأمر ، تاركًا (كونار) خلفه ككتلة مجسَّمة من الغضب والثورة ..

لقد تبقت ثلاث ساعات فحسب ، قبل لحظة التماس العظمى ..

وهو لن يسمح بإفساد الأمر ، مهما كانت الأسباب ..

سيفتح الطريق أمام قومه وجيوش عالمه ، لتحتلّ كلها هذا العالم ، بأية وسيلة ..

أية وسيلة ..

على الإطلاق .

* * *



٣ ـ الخبــراء ..

سعل (حاتم) مرتين ، وهـو يدسّ مفتـاح منزلـه ، فـى الثقب الخـاص بـه ، وهزّ رأسـه ، وهو يغمغم فى سخرية مريرة :

ـ أظننى الشخص الوحيد ، فى هذا العصر ، الـذى مـا زال يستخدم تلـك المفـاتيح التقليديـة ، والذى ..

بتر عبارته بغتة ، وانعقد حاجبـاه فى شدة ، وهو يحدّق فـى المفتـاح ، قبـل أن يتمتـم فـى عصبية :

ـ عجبًا ! أكاد أقسم إننى قـد أدرت هذا المفتـاح ثلاث مرات ، عندما غادرت المنزل .

توقّف لحظة ، محاولاً استعادة ذاكرته ، ثم لم

يلبث أن سحب مسدسـه التقليدى من حزامـه ، وهو يقول فى صرامة :

ـ نعم .. لقد فعلتها .

دفع باب المنزل فى حذر ، شأن الأيام القديمة ، ثم وثب إلى الداخل فى حركـة مباغتـة ، وأضـاء نور الحجرة ، وهو يرفع مسدسه ، و ..

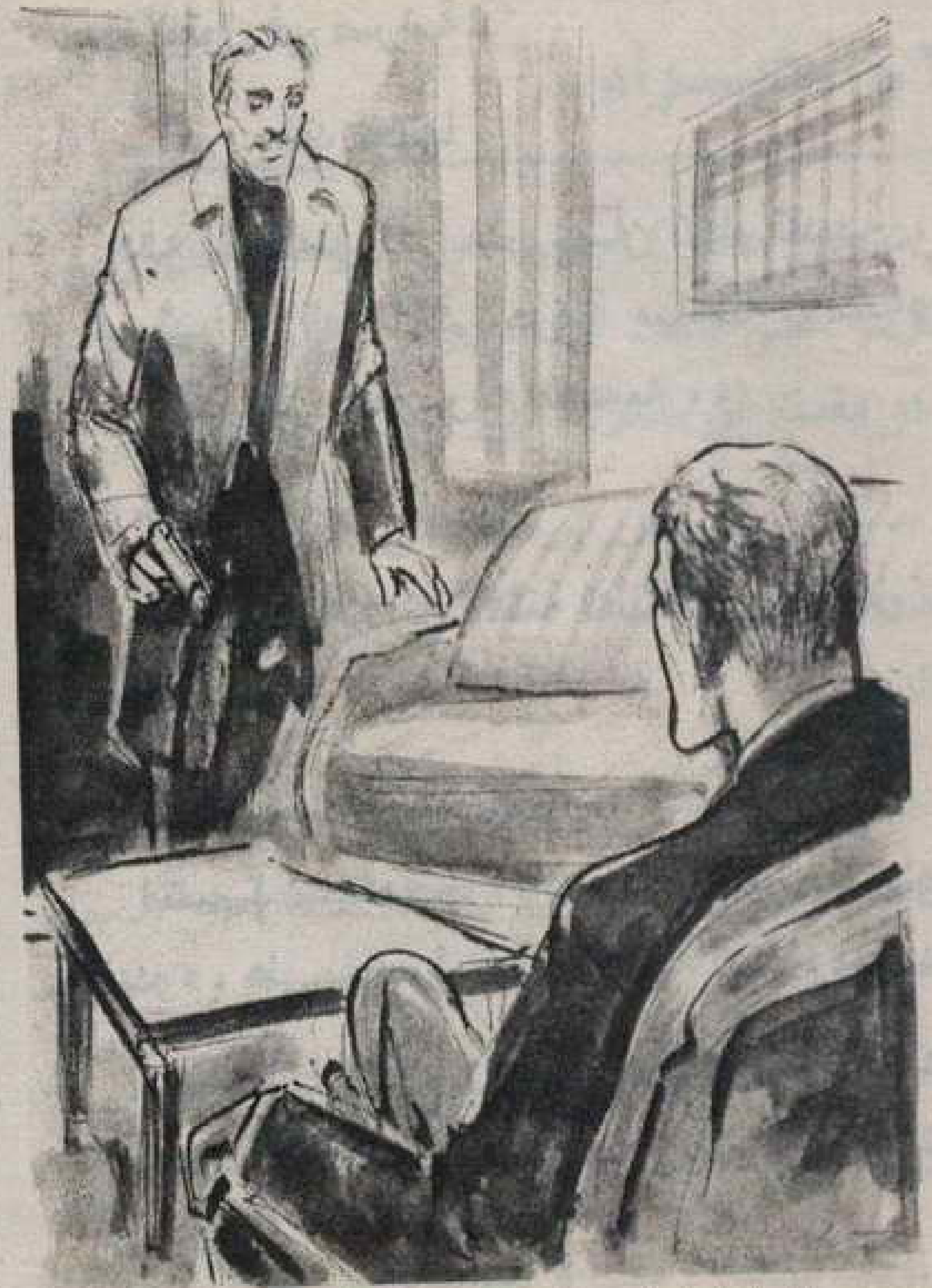
« أنت ؟! » ..

هتف بالكلمة ، بكل دهشة الدنيا ، وهو يعتـدل ، مغمغمًا بنفس الدهشة :

ـ هنا ؟!

ابتسم (أمجد صبحى) ، وهـو يجلس بمنتهى الهدوء ، على مقعد وثير ، فى مواجهة الباب ، وقال :

ـ مرحبًا يا (حاتم) .. من الواضح أنك لم تفقد بعد حاسـتك القديمـة .. حاسـة رجـل المخـابرات المحنّك .



ثم وثب إلى الداخل فى حركة مباغتة ، وأضاء نور الحجرة ، وهو يرفع مسدسه ..

مطَّ (حاتم) شفتيه ، وهو يعيد مسدسه إلى حزامه ، قائلًا :

ـ كان هذا فى الماضى يا سيِّد (أمجد) .

هزَّ (أمجد) كتفيه ، وهو يقول بنفس الهدوء والابتسامة :

ـ ولكنك ما زلت تحتفظ بكل شىء ، باستثناء المهنة والرتبة .. نفس الحذر ، وسرعة البديهة ، والمرونة .. وحتى مسدسك القديم .

تنهدَّ (حاتم) فى عمق ، وأغلق باب منزله ، ثم جذب مقعدًا ، وجلس أمام (أمجد) ، قائلًا فى مرارة :

ـ هل نسيت الذكريات ؟!

أومأ (أمجد) برأسه متفهِّمًا ، وهو يقول :

ـ فى رأيى ، أنك واحد من أفضل من عرفت (مصر) ، فى هذا المضمار .

ابتسم (حاتم) فى مرارة ، قائلاً :

- عظيم .. هل سنحصل على شهادة تقدير ؟!

ضحك (أمجد) ، وهو يشير بيده ، ويقول :

- لقد حصلتم عليها بالفعل يا رجل .

غمغم (حاتم) :

- بالطبع كدت أنسى وجودها ، على الرغم من أنها ما زالت تزين الجدار ، فى حجرة الصالون .

قال (أمجد) فى حزم :

- وتزين حياتك أيضًا يارجل .

مطّ (حاتم) شفتيه ، وهو يغمغم :

- بالتأكيد .

ثم مال نحو (أمجد) ، قائلاً :

- والآن دعنا ننتقل إلى السؤال الحقيقى .. إنك لم تقتحم منزلى ، وتجلس بانتظار عودتى فى الظلام ، لنستعيد معًا ذكريات الأيام الخوالى .. أليس كذلك ؟!

أومأ (أمجد) برأسه ، مجيبًا فى حزم :

- بلى .

ثم مال بدوره نحوه ، وهو يضيف :

- الواقع أن (مصر) بحاجة إليك .

تراجع (حاتم) بحركة حادة ، هاتفًا :

- إلىّ أنا ؟!

أجابه (أمجد) فى حزم :

- إلى كل الفريق يا (حاتم) .. أو كل من تبقّى منه على الأقل .. ولقد أجريت اتصالاتى بالجميع ، وهناك تسعة رجال فى انتظارنا ، لنبدأ أكبر عملية فى حياتنا كلها .. بل فى تاريخ (مصر) كلها .

ردَّد (حاتم) بدهشة بالغة :

- تاريخ (مصر) .

ثم نهض من مقعده ، متسائلاً فى عصبية :

- أى قول هذا يا سيِّدى ؟! إننا لم نعد ننتمى إلى جهاز الأمـن فـى (مصـر) .. أى جهاز أمـن .. لقد أصبحنا مجـرَّد تـاريخ .. هل نسيت هذا ؟! إننا لم نعد نناسب طبيعة الصراع ، فى زمـن التكنولوجيا المتطوِّرة ، و ...

قاطعه (أمجد) فى حزم صارم :

- (مصر) بحاجة إليك يا (حاتم) .

ارتجفت شفتا الرجل ، وهو يغمغـم ، كمـن لايصدِّق نفسه :

- إلىَّ أنا ؟!

نهض (أمجد) بدوره ، قائلاً :

- (مصر) فى خطر .. بل العالم كله فى خطر ، وهناك شخص ينتحل هيئة رئيس الجمهوريـة ، ويخدع الكل بهذا .. ولن يفلح أى أسلوب تقليدى فى مواجهة هذا الموقف .. كل الأساليب الأمنية العادية ستفشل حتمًا .. لذا فالأمر يحتاج إلى رجال حقيقيين .. إلى فريق انتحارى ، لايتردَّد لحظـة فى بذل حياته ، من أجل واجبه .. فريق يمكنه أن يقوم بعمل جنونى ، قد يستنكره العالم كلـه ، لمجرَّد أنه يثق بصحة ما يفعل ، ولا يبالى بما يمكن أن يوصم به بعد هذا .

ثم وضع يده على كتفه ، مضيفًا بكل الحزم :

- باختصار .. الموقف يحتـاج إلـى رجـال .. رجال بمعنى الكلمة .

صمت (حـاتم) طويـلاً ، وازدرد لعابـه فـى صعوبة ، قبل أن يسأل فى خفوت :

ـ وأين الرئيس الحقيقى ؟!

أجابه (أمجد) فى حزم :

ـ لا أحد يدرى .. ربما سجين ، أو أسير ، أو لقى مصرعه بالفعل .. وربما يعتبر الكل ما سنفعله انقلابًا على نظام الحكم الشرعى فى البلاد ، ولكن لو لم نفعله ، فقد نفقد عالمنا كله .. إلى الأبد .

طال صمت (حاتم) مرة أخرى ، فرفع (أمجد) يده عن كتفه ، وعقد كفيه خلف ظهره ، وهو يشدّ قامته ، ويسأله فى صرامة :

ـ والآن .. ما قولك ؟!

تطلّع إليه (حاتم) لحظة ، ثم لم يلبث أن شدّ قامته بدوره ، وارتفعت يده بتحية عسكرية ، لم يؤدها منذ سنوات ، وهو يقول بكل الحزم والحسم :

ـ أنا فى خدمتك يا سيدّ (أمجد) .

وهنا ابتسم (أمجد) ..

ابتسم بكل ارتياح الدنيا ، وقد أدرك الآن أنه يقود فريقًا ..

فريقًا حقيقيًا من الرجال ..

بل من الخبراء ..

الخبراء القادرين على مواجهة المستحيل ..

كل مستحيل ..

* * *

« أظننا نستطيع فعلها يا سيادة الرئيس .. »

نطق خبير الصوتيات والاتصالات العبارة ، فى ثقة شديدة ، على نحو جعل (كونار) يهتف فى لهفة :

- حقًا ؟! هل تستطيع إيقاف عمل تلك الذبذبة ؟!

هزَّ الخبير رأسه نفيًا فى هدوء ، وقال :

- ليست لدينا وسيلة واحدة لإيقافها .

استعاد وجه (كونار) كل غضبه وتوتره ، ولكن الخبير استدرك فى سرعة :

- ولكننا نستطيع إفساد مفعولها .

سأله (كونار) بلهفة أكثر :

- كيف ؟!

أشار الخبير إلى شاشة الفحص ، وهو ينفث دخان غليونه ، قائلاً :

- من الواضح ، طبقًا للرصد ، أن مصدر تلك الذبذبات الفائقة ، أيًا كان ، يوجِّه طاقته كلها إلى نقطة بعينها ، ترتفع عشرين مترًا عن سطح

الصحراء ، وأنه يواصل إطلاق وبث ذبذباته طوال الوقت ، وكأنما يستهدف إحداث تأثير خاص ، وهذا التأثير - كما هو واضح - يعوق موجات أخرى ، تنبعث من مصدر مجهول تمامًا ، وكلاهما يبلغ حدًا لايمكن تحقيقه ، بأى جهاز نعرفه على أرضنا ، و ...

قاطعه (كونار) فى عصبية :

- أخبرنى بما لديك ،دون الخوض فى التفاصيل .

نفث الخبير دخان غليونه مرة أخرى ، قائلاً :

- فليكن .. أعتقد أننا لو أطلقنا ذبذبة خاصة موجَّهة ، تعترض مسار بث الذبذبات الأولى ، فإننا نستطيع إتلافها ، أو الشوشرة عليها ، بحيث لاتصل إلى نقطة الالتقاء بنفس مفعولها ، أو ترددانها .

سأله (كونار) فى اهتمام شديد :

- هل تعنى أنها ستفقد عندئذ مفعولها ، فى مواجهة الموجات الأخرى ، التى تنبعث من الفراغ ؟!

أشار الخبير بيده ، مجيبًا فى حماس :

- بالضبط .

ثم عاد يشير إلى الشاشة ، متابعًا :

- الموجات الأخرى ، ذات المصدر المجهول ، لن تكون حرة تمامًا ، فى هذه الحالة ، ولكنها على الأقل ستواجه بموجات عديمة التأثير عليها ، بحيث يمكنها بلوغ درجتها القصوى وقتما تريد .

هتف (كونار) :

- عند منتصف الليل بالضبط .

نفث الخبير دخان غليونه فى حيرة ، وهو يقول :

- وقتما تشاء يا سيادة الرئيس .

تألَّقت عينا (كونار) ، وهو يقول :

- عظيم .. عظيم .

ثم تلاشى تألُّق عينيه بغتة ، وهو يتابع فى توتر :

- ولكن كيف يمكننا إطلاق تلك الذبذبات الاعتراضية .. لقد أخبرتك أن أية صورة من صور التكنولوجيا تكفى ، لإشعال الوسائل الدفاعية المخيفة ، لذلك الشىء الكامن فى قلب الصحراء ، والذى يبثّ الذبذبة المطلوب اعتراضها .

هزَّ الخبير رأسه ، قائلاً :

- لدينا نحن العسكريين مزية خاصة ، لايمتلكها سوانا يا سيادة الرئيس .

ثم أشار إلى خريطة فضائية كبيرة ، مستطردًا :

- الأقمار الصناعية .

تطلَّع (كونار) إلى الخريطة ، وهو يسأل فى حذر :

- وماذا عنها ؟!

اقترب الخبير من الخريطة ، وهو يقول :

- ما تراه أمامك من أقمار ليس كله موجَّهًا للاتصالات يا سيادة الرئيس ، ولا حتى للمراقبة والرصد .. هناك أيضًا بعض الأسلحة الدفاعية والهجومية ، التى نضعها فى المعتاد ، فى قلب أقمارنا الصناعية ؛ لتذود عنا عند الحاجة ، أو تتحوَّل إلى سلاح فتَّاك ، إذا ما واجهنا اعتداءً غاشمًا ، ومن بين تلك الأسلحة توجد المدافع الصوتية .

ردَّد (كونار) فى حذر :

- المدافع الصوتية .

نفث الخبير دخان غليونه مرة أخرى ، قائلاً :

- نعم ياسيادة الرئيس .. المدافع الصوتية .. إنها مدافع من نوع خاص ، محاطة بغلاف تركيز ، بحيث يمكنها إطلاق نبذبات قوية للغاية ، تجاه نقطة محدودة ، بتركيز يشبه ما يحدث مع الضوء ، فى أشعة الليزر .. إنها أحد أفضل أسلحتنا السرية يا سيِّدى .

عادت عينا (كونار) تتألقان ، وهو يهتف :

- عظيم .. رائع .

ثم تساءل فى حذر :

- ولكن ماذا عن مصدر الذبذبة الرئيسية ؟! ألا يمكنه تعديل شدة ذبذباته أو اتجاهها ، بحيث يتفادى الاعتراض ؟!

أجابه الخبير فى هدوء :

- بالطبع يمكنه هذا .

ثم استدرك فى سرعة :

- إلا إذا ..

قاطعه (كونار) بكل اللهفة :

- إلا إذا ماذا ؟!

تراجع الخبير بمنتهى الثقة ، قائلاً ؟!

- إلا إذا لم نمنحه الفرصة لهذا .

سأله (كونار) :

- وكيف ؟!

أشار الرجل بيديه فى حماس ، وهو يقول :

- لو أننا حددنا التوقيت الدقيق ، لبلوغ الموجات الأخرى أقصاها ، يمكننا ألا نطلق مدافعنا الصوتية ، التى تحمل ذبذبتنا الاعتراضية ، إلا فى تلك اللحظة

بالتحديد ، وبهذا نمنح تلك الموجات مجهولة المصدر ، فرصة بلوغ قوتها العظمى ، بحيث تحقق هدفها ، قبل أن تبدأ الذبذبات الأخرى فى تعديل شدتها أو اتجاهها .

هتف (كونار) :

- عظيم .. عظيم .

ثم ربَّت على كتف الخبير فى قوة ، مستطردًا :

- أنت عبقرى يا رجل .. سأمنحك مكانة خاصة .. خاصة للغاية .

غمغم الخبير ، فى سعادة جمة :

- أنا رهن إشارتك يا سيادة الرئيس .

لوَّح (كونار) بسبَّابته ، قائلاً :

- عظيم .. هيا .. ابدأ عملك فورًا ، لتحويل نظريتك هذه إلى حقيقة .. سأمنحك كل الصلاحيات

اللازمة ، وسآمر الكل بتقديم كل العون لك ، على أن تنطلق النبذبات الاعتراضية فى منتصف الليل تمامًا .. هل تفهم .. فى منتصف الليل تمامًا .

قال الخبير فى حماس :

- حياتى مقابل هذا يا سيادة الرئيس .

ابتسم (كونار) ، قائلاً :

- بالتأكيد .

ثم أشار بيده ، مستطردًا :

- هيا .. اذهب .

لم يكد الخبير يغادر المكان ، حتى تموَّج وجه (كونار) ، ليستعيد ملامحه الأصلية ، وهو يبتسم ابتسامة وحشية ، كشفت عن أنيابه الحادة ، وهو يقول :

- ستحصل بالفعل على مكانة خاصة ، عندما

تحين لحظة التماس العظمى .. ستكون عندئذ آخر من أقتله .

قالها ، وانطلقت من حلقه ضحكة ظافرة مجلجلة عالية ..

لقد كان على حق ..

هناك بالفعل وسيلة لإفساد مهمة الـ (ميجالون) ..

ولتأمين عملية انتقال جيوش عالمه إلى هذا العالم ..

عندئذ فقط سيدرك أن مهمته قد نجحت ..

وأن عالم الأرض قد انتهى زمنه ..

تمامًا ..

* * *

انتهى القائد الأعلى للمخابرات العلمية من

تثبيت ساعته ، فى تلك الجدار الشفاف السميك ، قبل أن يلتفت إلى (أكرم) ، ويسأله فى حذر :

- أأنت مستعد ؟!

مدَّ (أكرم) يده إلى الأمام ، بحفنة الرمال المستقرة فيها ، وهو يقول بصوت بالغ التوتر :

- بالتأكيد .

ازدرد الوزير لعابه ، قائلاً :

- لست أظن هذا ينفع .

أجابه رئيس الجمهورية فى حزم :

- لا ضير من المحاولة .

ثم أشار إلى ما حولهم ، قائلاً :

- إنك لن ترضى بالبقاء فى هذا الجحيم إلى الأبد .

تلفت الوزير حوله ، وضاق صدره مع مرأى ذلك الضباب الأخضر ، الذى يحيط بهم ، وسط فراغ رهيب مخيف ، وهو يتمتم :

- بالتأكيد .

التفت الرئيس إلى القائد الأعلى ، وقال فى صرامة :

- هيا على بركة الله .

رفع القائد الأعلى يده ، وضغط زر البث فى الساعة الإليكترونية ، ثم تراجع عنها فى سرعة ..

ومع الضغط ، انتفض جسد (أكرم) ، وهو يحدِّق فى حفنة الرمال ، وقلبه يخفق بقوة وعنف ..

ولثوان ، لم يحدث شىء ..

أى شىء ..

ثم فجأة ، شعر بالحركة فى راحته ..

وانتفض جسده مرة أخرى ..

وفى بطء ، تكوَّرت حفنة الرمال ..

ثم انتصبت واقفة ..

لم تكن تشبه الأفعى هذه المرة ، وإنما بدت أشبه برأس سهم ..

سهم قوى ، مال فى بطء ، متجهًا نحو الساعة ، التى واصلت بث نبذباتها المنتظمة ، ذات الترددات الفائقة ، و ...

وفجأة ، وثب رأس السهم الرملى نحو الساعة ..

وارتطم بها فى قوة ..

وتردَّد فى الفراغ دوى عنيف ..

دوى بدا أشبه بقرع عشرات الأجراس ، فى آن واحد ..

ولكن الساعة لم تتحطمً ..

لذا فقد تراجع رأس السهم مرة أخرى ، وكأنما يدرس الموقف جيدًا ، قبل أن ينقضَ مرة أخرى على الساعة القوية ..

وفى هذه المرة ، لم يضرب الساعة ..

ولم يتصاعد ذلك الدوى ..

لقد أحاط بها ، فى هدوء ونعومة ، كما لو أنه يذوب حولها ، حتى اختفت تحت الرمال تمامًا ..

وعندئذ ، بدأت الرمال تتألَّق ..

وتتألَّق ..

وتتألَّق ..

وفى خوف ، تراجع مدير مكتب الوزير ، قائلاً :

ـ رباه ! إنها .. إنها ستنفجر .

صاح به الوزير فى غضب :

ـ اصمت .

ثم انعقد حاجباه فى شدة ، وهو يراقب ما يحدث فى انفعال شديد ..

وأمام الجميع ، بدا وكتأن ذلك الجدار الشفاف السميك يذوب ..

ويذوب ..

وأن حفنة الرمال تغوص فيه فى بطء ، مع ساعة القائد الأعلى ..

وغمغم (أكرم) ، فى توتر بالغ :

ـ تُرى هل ..

لم يستطع إكمال سؤاله ، من فرط انفعاله ، وهو يراقب الرمال ، التى أصبحت حمراء اللون كالحمم ، وهى تواصل اختراق ذلك الجدار السميك أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

وغمغم الرئيس فى عصبية :

ـ رباه ! يبدو أنها ستفعلها بحق .

تمتم القائد الأعلى فى انفعال :

ـ المهم أن تواصل عملها هذا ، حتى الجانب الآخر .

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى انطلقت من حلق الوزير شهقة توتر قوية ..

فبنفس البطء المستفز ، راحت أطراف الفجوة ، التى أحدثتها الرمال فى الجدار الشفاف السميك تذوب ، ثم تنهمر داخلها ، وتتجمّع لإغلاق ماحفرته الرمال ..

وهتف (أكرم) فى غضب :

ـ لا .. هذا ليس عدلاً ..

وأمام عيونهم ، كانت حفنة الرمال تواصل رحلتها عبر الجدار ، مع ساعة القائد ، فى حين يواصل الجدار نفسه الالتئام خلفها ، كما لو أنه يتكوَّن من مادة أخرى ذات حياة ..

ثم بلغت الرمال والساعة الجانب الآخر ..

ومع بلوغها إياه حدثت ظاهرة غريبة ..

وعجيبة ..

للغاية ..

لقد راحت ذرات الرمال تكبر وتتضخّم بسرعة مدهشة ..

ثم سقطت مع الساعة أرضًا ..

وعبر الزجاج الشفاف ، شاهد الكل الساعة تسقط أرضًا ، وقد استعادت حجمها الأصلى ، وتتساقط حولها ذرات الرمال ..

ومع ارتطامها بالأرض ، استدار إليهم (كونار) فى حدة ..

وغضب ..

وثورة ..

وبملامح مخيفة رهيبة ، نهض إليهم ، وتطلّع

عبر الجدار الشفاف السميك ، الذى ضاعف من ضخامة ملامحه ، بالنسبة إليهم ، وهو يقول بكل الغضب :

- ماذا فعلتم بالضبط ؟!

ثم لاحت منه التفاتة إلى الساعة الملقاة أرضًا ، فانحنى يلتقطها فى غضب ، ورفعها إلى وجهه ، هاتفًا :

- كيف فعلتم هذا ؟!

ودون أن ينتظر منهم جوابًا ، تابع فى حدة :

- اسمعونى جيدًا .. ليست لدى لحظة واحدة أضيعها معكم ، فى هذه الرحلة بالذات .. حافظوا على وجودكم ، واحرصوا على عدم إثارة غضبى ، وإلا ..

وألقى الساعة أرضًا ، ثم سحقها بقدمه فى عنف ، مضيفًا :

- وإلا سحقتكم هكذا :

ومال نحو الكرة أكثر ، صارخًا :

ـ هل تفهمون ؟!

امتقعت وجوههم ، وهم يحدقون فى ملامحه الهائلة المخيفة ، من موقعهم الضئيل هذا ، قبل أن يتراجع بحركة حادة ، ويعود إلى أجهزته وشاشاته ..

ولثوان ، خيم عليهم صمت تام ، لم يقطعه سوى صوت القائد الأعلى للمخابرات العلمية ، وهو يقول فى خفوت :

ـ هل أدركتم ما يعنيه هذا ؟!

ارتجف صوت مدير مكتب الوزير ، وهو يجيب :

ـ إنه مستعد لسحقنا جميعًا .

هتف به القائد الأعلى فى صرامة :

ـ ليس هذا بالتأكيد .

قال (أكرم) فى انفعال :

ـ أنا لاحظت ما تقصده .. لقد تمدَّدت الساعة ، فور خروجها من هذه الكرة ، وهذا يعنى أن ..

قاطعه القائد الأعلى فى حزم :

ـ ليس هذا ما أعنيه .

سأله رئيس الجمهورية :

ـ ما الذى تشير إليه إذن ؟!

أجابه فى حماس :

ـ الساعة ظلت تعمل ، وتبث إشاراتها ، حتى بعد أن خرجت من الكرة وتمدَّدت .

سأله وزير الدفاع فى حذر :

ـ وبِمَ يفيد هذا ؟!

أجابه القائد الأعلى فى حماس :

ـ هذه الساعة خاصة للغاية ، وتبث إشاراتها

فى نطاق واسع ، بحيث تستقبلها أجهزة مماثلة ، يحملها كل رجال المخابرات العلمية ، الذين ينتمون إلى فرق العمليات الخاصة ، كما سيستقبلها الدكتور (جلال) أيضًا ، وهذا يعنى أنهم سيدركون وجودنا على قيد الحياة .

قال (أكرم) فى توتر :

- ثم ماذا ؟!

سأله القائد الأعلى فى دهشة :

- ماذا تعنى ؟!

أجابه (أكرم) فى عصبية :

- أعنى ما فائدة حدوث هذا ، ما دام الدكتور (جلال) يدرك بالفعل أننا فى ورطة ، ولقد أرسل أقوى أسلحتكم السرية ، وأعنى بها الرائد (أيمن) شبه الآلى ، الذى رأيناه جميعًا يتحطَّم أمام أعيننا هنا ، على يد هذا الشيطان .

انعقد حاجبا القائد الأعلى فى توتر ، وهو يقول :

- الأمل لم ينقطع بعد .

زفر الرئيس فى مرارة وحرارة ، قبل أن يقول فى أسى :

- الواقع أيها السادة أننى أعتقد ، أن أملنا الوحيد ، بعد اللَّه (سبحانه وتعالى) ، كان يتمثَّل فى (نور) وفريقه ، ولكن هو وحده (عزَّ وجلَّ) ، يعلم أين هم الآن ..

نعم يا سيادة الرئيس ..

السؤال الذى يشغل الجميع بالفعل ، هو أين (نور) ورفاقه الآن ؟!

أين ؟!

أين ؟!

* * *

٤ـ من عالم إلى عالم ..

تعالت تلك النبضات ، الشبيهة بنبضات القلب البشرى ، على نحو مخيف ، داخل المدرَّعة (صلب) ، حتى إن وجه الجندى (إسحق) قد امتقع بشدة ، فى حين غمغم الجندى (عبد المنعم) فى ارتياع :

ـ إنها النهاية .

أشار إليه (نور) بالصمت ، وهو يقول فى حزم :

ـ رويدك يا رجل .. شىء ما يحدث هنا .

وغمغمت (نشوى) فى انفعال :

ـ هذا صحيح .. الجهاز يستقبل إشارات عجيبة للغاية .

وتمتمت (سلوى) :

ـ إشارات لامثيل لها ، حتى لكأنها تبدو كالـ ...

بترت عبارتها بغتة ، واتسعت عيناها عن آخرهما ، وهى تهتف فى هلع :

ـ رباه ! انظر يا (نور) !

لم يكن (نور) بحاجة إلى هتافها ، هو وكل من حوتهم المدرَّعة (صلب) ، فما حدث أمام عيون الجميع كان مذهلاً ..

مذهلاً بحق ..

جدار المدرَّعة السميك ، المواجه تمامًا لـ (ميجالون) ، كان يتحوَّل إلى شىء عجيب ..

إلى مادة شفَّافة أشبه بالزجاج ..

مادة بدت الرمال عبرها واضحة جلية ، وهى تفصل بين المدرَّعة ، وذلك الجسم الكروى الخارق ..

وبكل الذهول ، هتف (عبد المنعم) :

ـ مستحيل !

فى حين تمتم (إسحق) :

ـ يارب السموات .

ومع آخر حروف تمتمته ، انطلق ضوء مبهر فى وجوههم جميعًا .. ضوء أغشى أبصارهم جميعًا ، وجعل (سلوى) تهتف :

ـ رباه ! ماذا يحدث لنا ؟! ماذا يحدث ؟!

ولم تكتمل عبارتها أبدًا ..

الجزء التالى منها بدا وكأنه ينطلق فى أعماقها ..

أو فى أعماق شىء ما ..

فقد شملها شعور عجيب بأن كيانها كله يتحلّل ، ويتحولّ من مادة إلى طاقة .. طاقة صافية ، انطلقت بسرعة مذهلة ، نحو الضوء المبهر ..

واعترضها شىء ما ..

حاجز ما ، أشبه بمادة هلامية رقيقة ، اخترقتها فى نعومة وانسيابية ، وهى تواصل انطلاقها ..

والعجيب أن أفكارها كانت صافية للغاية ..

كل شىء فى حياتها بدا وكأنه يمرّ بصورة واضحة أمام عينيها ..

وبنعومة مدهشة ..

ولوهلة ، تصورّت أنها قد لقيت مصرعها ..

وأن هذا هو الموت بعينه ..

ولكن العجيب أنها لم تشعر بالخوف ..

أى خوف ..

لقد كانت ـ على العكس تمامًا ـ تشعر بارتياح عجيب ..

كانت وكأنما تخلّصت من كل مشاعرها السلبية ..

وأحاط بها شعور غامر بالأمان ..

منتهى الأمان ..

ثم فجأة ، اخترق جسدها مرة أخرى ذلك الحاجز الهلامى الرقيق ..

وانطلقت من حلقها شهقة ..

ثم استعاد جسدها كيانه دفعة واحدة ..

وإحساسه بماديته ..

وفى تلك اللحظة فقط ، رأت كل ما حولها ..

ومن حولها ..

لقد كانت تقف وسط ساحة كبيرة لها قبة عالية بيضاء ، مضاءة بضوء هادئ واضح ..

وحولها وقف الكل ..

(نور) ..

و (نشوى) ..

و (الجنديان) ..

وكل العلماء والخبراء ، الذين ابتلعتهم العواصف من قبل ..

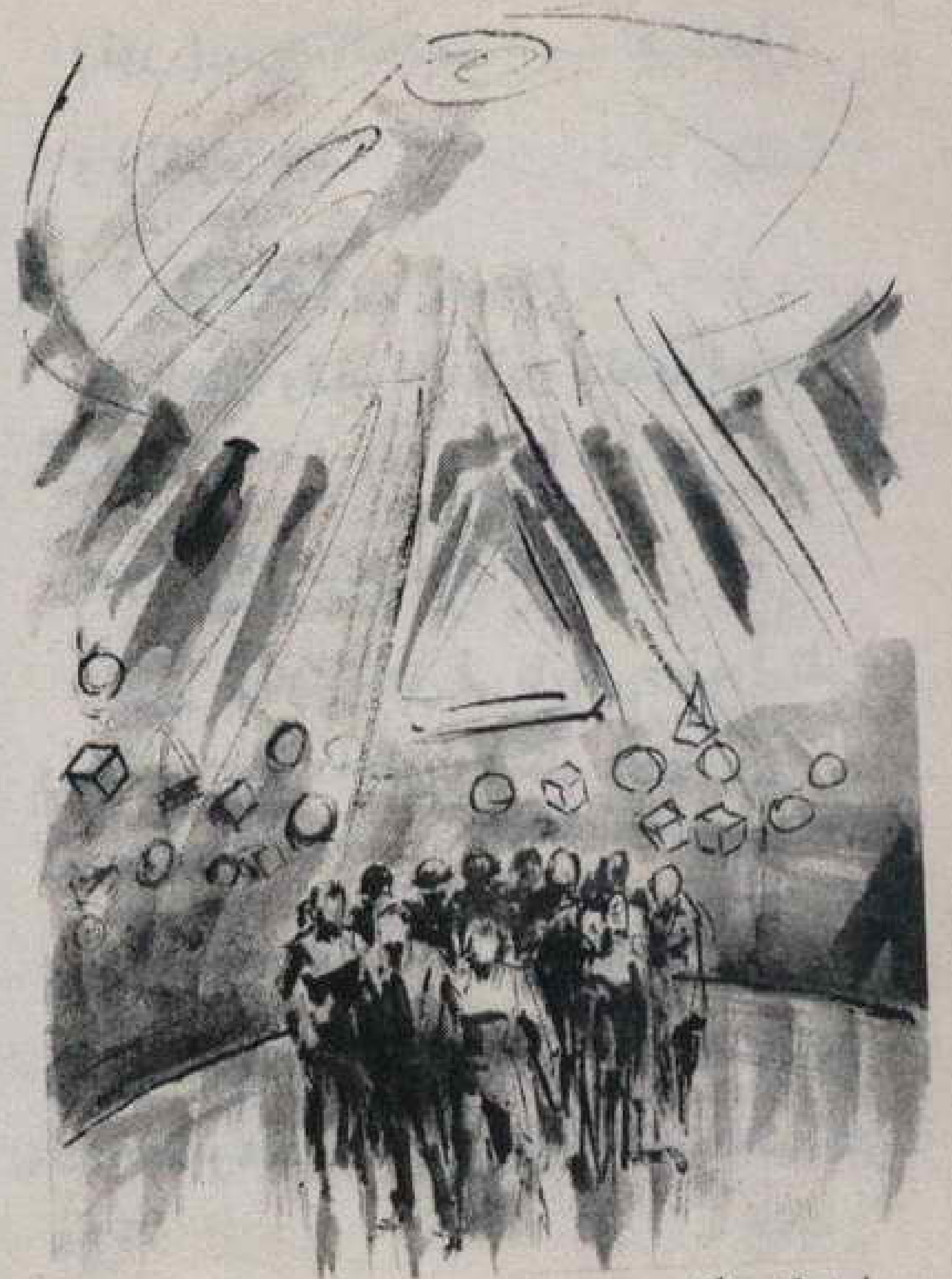
دون أى أثر للمعدات أو الأجهزة ..

ولثوان ، راحت تحدّق فى كل شىء بذهول تام ، وأحاط بها صمت مطبق ، والكل يحدّق فى الكل ، و ...

« حمدًا للَّه على سلامتكم .. »

غمغمت الدكتورة (ولاء) بالعبارة ، فى توتر ملحوظ ، وهى تتطلّع إلى (نور) الذى سألها فى حيرة :

ـ أين نحن ؟!



وحولها وقف الكل .. (نور) .. و(نشوى) .. و(الجنديان) وكل العلماء والخبراء ..

أجابه الدكتور (خالد) ، رئيس فريق البحث الأوَّل :

- لا أحد يدرى .. لقد هاجمتنا عاصفة رهيبة ، واقتلعتنا بكل معداتنا ، وتصوَّرنا بعض الوقت أنها ستسحقنا سحقًا ، إلا أننا فوجئنا بضوء مبهر ، ثم تحوَّلت أجسادنا إلى .. إلى شىء ما ، قبل أن نجد أنفسنا هنا .

وهتفت الدكتورة (ليلى) ، بصوت أقرب إلى البكاء :

- لقد تصوَّرنا فى البداية أن هذا هو الموت .

تلفَّت (نور) حوله ، قائلاً فى حزم :

- هذا المكان من صنع مخلوقات عاقلة .

أضافت (نشوى) فى انفعال :

- هـذا صحيح .. تلك الأشياء هناك أشبه بأجهزة

الكمبيوتر عندنا ، وتلك الفجوة فى الجدار .. الفجوة شديدة الاستضاءة .. أراهن على أننا قد أتينا عبرها .

قالت الدكتورة (ولاء) فى حماس :

- هذا صحيح .

انعقد حاجبا (سلوى) ، وهى تقول فى حذر :

- ولكننا لسنا داخل ذلك الجسم الكروى بالتأكيد .

أشار الدكتور (خالد) إلى المكان الضخم ، الذى يحتويهم ، وهو يقول :

- إنه ليس بهذه الضخامة .

هتفت (سلوى) فى عصبية :

- أين نحن إذن ؟!

أجابها (نور) ، فى هدوء عجيب :

- فى عالم آخر .

هتف الدكتور (خالد) مستنكرًا :

- فى ماذا ؟!

أجاب (نور) فى حزم :

- فى عالم آخر .

ثم أشار بيده لما حوله ، مستطردًا :

- كنت أظن أن الأمر أوضح مما ينبغى .

قالت الدكتورة (مارى) فى سرعة :

- هذا صحيح .

ثم استدركت فى خفوت :

- ولكننا نحاول إيهام أنفسنا بالعكس .

شدّ (نور) قامته ، وهو يقول فى حزم :

- لا فائدة من محاولة خداع النفس يا سيّدتى .. إننا بالفعل فى عالم آخر .. عالم انتقلنا إليه بوساطة

ذلك الجسم الكروى ، الذى يقبع فى أعماق الرمال ، منذ ملايين السنين .. إنه فى الواقع ليس سوى بوَّابة انتقال .. من عالم إلى عالم .. ذلك الضوء المبهر ، الذى انتقل منها ، لم يكن سوى نوع من الأشعة ، التى تقوم بعمل الانتقال الآنى بين العالمين .. كل مهمتها أن تحوِّل أجسادنا إلى طاقة ، ثم تعيد تجميعها هنا ، فى هذا العالم .. ودقات القلب المنتظمة ، التى رصدناها طوال الوقت ، كانت وسيلة تمييز .

قال الدكتور (خالد) فى عصبية :

- وسيلة ماذا ؟!

أجابه (نور) فى هدوء :

- وسيلة فرز وتمييز يا سيِّدى .. ذلك الجسم ، أو تلك البوَّابة الآنية ، مزروعة هنا ، فى كوكب الأرض ، وهى مجهَّزة بحيث تعمل على نقل البشر

وحدهم إلى هذا العالم .. ليس المعدات ، أو الأجهزة ، أو الحيوانات .. أو حتى أية مخلوقات أخرى .. فقط البشر .. ولهذا كان لا بد من تحديد وسيلة لتمييزهم عن كل الأشياء أو المخلوقات الأخرى .. وأفضل وسيلة لهذا هى دقات قلوبهم .

انعقد حاجبا (سلوى) ، وهى تغمغم :

- لا يبدو لى تفسيرًا كاملاً يا (نور) .

أما الدكتورة (مارى) فقد قالت فى عصبية :

- أى قول هذا يا رجل ؟! إنك تتحدَّث عن تلك الأمور العجيبة المعقَّدة ، كما لو أنها نظرية علمية بسيطة ، ينبغى تدريسها لطلبة المرحلة الأولى .

زفر (نور) فى قوة ، قبل أن يقول :

- مع طبيعة عملى وحياتى ، تبدو تلك الأمور كذلك يا سيِّدتى .

وتمتمت (نشوى) :

ـ هذا صحيح .

هتفت الدكتورة (ليلى) :

ـ لماذا يا رجل ؟! من أنت بالضبط ؟!

ارتفع حاجبا الدكتورة (ولاء) ، وهى تقول :

ـ ألم تتعرفيه ؟! إنه المقدّم (نور الدين محمود) .. بطل التحرير ، ورجل المخابرات العلمية الفذ .

اتسعت عيون الجميع فى دهشة ، وهتف أحد رجال القوات المسلحة :

ـ حقًّا ؟!

ثم اندفع نحو (نور) ، هاتفًا :

ـ لقد أرسلك اللَّه (سبحانه وتعالى) لنجدتنا يا سيادة المقدّم .. قل لنا ما الذى ينبغى أن نفعله ، للخروج من هنا ؟!

هتف الجندى (إسحق) :

ـ نعم يا سيادة المقدّم .. مرنا وسننفذ كل أوامرك .

تلفَّت (نور) حوله فى هدوء وبطء ، وكأنما يلقى نظرة عامة شاملة على الموقف كله ، قبل أن يقول فى حزم :

ـ ليست مسألة قيادة أيها السادة ، فنحن لن نُشعل حربًا ، فى عالم نجهل قدراتنا فيه بالضبط .

ثم أشار بسبَّابته ، مستدركًا :

ـ ولن نستسلم للموقف أيضًا .

تساءل الدكتور (خالد) فى يأس :

ـ ماذا سنفعل إذن ؟!

التفت (نور) إلى ابنته (نشوى) ، وقال فى حزم :

- منذ دقائق ، قلت : إن تلك الأشياء هناك تشبه أجهزة الكمبيوتر ، فهل يمكنك التعامل معها من هذا المنطلق ؟!

قالت الدكتورة (ليلى) فى حنق :

- لقد حاولنا هذا وفشلنا .

تجاهل (نور) تعليقها هذا ، وهو يسأل ابنته مرة أخرى فى إصرار :

- هل يمكنك هذا ؟!

ألقت (نشوى) نظرة قلقة على الأجهزة العديدة ، قبل أن تغمغم :

- يمكننى أن أحاول .

قال فى حزم :

- هذا يكفى .

هتف أحد رجال الجيش ، وهى تتجه فى حذر نحو الأجهزة :

- ابحثى عن وسيلة لإطعامنا .. إننا نكاد نهلك جوعًا هنا .. لقد تجاهلونا تمامًا منذ وصولنا ، ولو استمر هذا الأمر ، سنموت جوعًا وعطشًا حتمًا .

انعقد حاجبا (نور) ، وهو يغمغم :

- حقًّا !!

كانت الأفكار تدور فى رأسه بسرعة ، وابنته تقف أمام تلك الأجهزة ، وتفحصها بنظرات قلقة متوترة ..

وفى صمت وهدوء ، اتجهت إليها أمها (سلوى) ، وقالت فى خفوت :

- الأمر يبدو عسيرًا ، ولكننى لست أظنه مستحيلاً ..

هزَّت (نشوى) رأسها ، قائلة :

- لا توجد أزرار أو شاشات .. مجرَّد كرات متناثرة ، بلا ترتيب محدود ، ومكعبات شفافة عجيبة .

قالت (سلوى) :

- ولكنك قلت : إنها تشبه أجهزة الكمبيوتر لدينا .

هزَّت كتفيها ، قائلة :

- كانت تبدو كذلك من بعيد ، أما من هنا ، فهى لا تشبه أى شىء رأيته على الأرض .

تنهدَّت (سلوى) ، وقالت :

- تخيَّلى أنك تنظرين إليها من بعيد ، وابحثى فيها عن أى شىء يشبه ما لدينا .

غمغمت (نشوى) :

- إننى أحاول .

عادت مرة أخرى تلقى نظرة شاملة على تلك الأجهزة ، محاولة استيعابها فى مشهد واحد كامل ، ثم لم تلبث أن تمتمت :

- ربما أن هذه ..

ودون أن تكمل عبارتها ، امتدَّت سبابتها تضغط أحد المكعبات البعيدة ، فى رفق ..

ثم أبعدت يدها بحركة حادة ..

فما إن لامست أصابعها ذلك المكعب ، حتى ابتعد عن يدها فى خفة ونعومة ، وكأنما ينزلق فوق بحيرة صافية هادئة ..

ومع انزلاقه ، تألَّقت البقعة من الفراغ ، التى تعلو الأجهزة مباشرة ..

وتراجع الكل فى خوف ورهبة ..

واتسعت عيونهم عن آخرها ..

وفى نعومة مدهشة ، تكوَّنت صورة ضبابية مجسَّمة ، فى ذلك الفراغ ..

صورة لكائن شبه آدمى ، له رأس ضخم ، وعينان واسعتان ، وأنف دقيق ، وفم رفيع ، وبشرة ساطعة البياض ..

وبهدوء شديد ، وعمق بلا حدود ، نطق ذلك الكائن عبارة ما ، بلغة لم يفهمها أحد الموجودين ..

لغة لا تشبه أية لغة معروفة فى عالم الأرض ..

أو زمن الأرض ..

وفى حيرة ، غمغمت (نشوى) :

ـ لست أفهم شيئًا .

لم تكد تنطقها ،حتى تألّقت إحدى الدوائر المتناثرة ، ثم انتقل التألُّق منها إلى دائرة ثانية .. فثالثة ..

وفى حيرة وقلق ، غمغمت الدكتورة (مارى) :

ـ ماذا يحدث بالضبط ؟!

انعقد حاجبا (سلوى) ، وهى تقول :

ـ اختبار لغة على الأرجح .

هتف الدكتور (خالد) :

ـ اختبار ماذا ؟!

مع آخر حروف كلماته ، عاد ذلك الكائن الأبيض ، فى الصورة المجسَّمة ، يقول :

ـ مرحبًا بكم فى عالمى .

اتسعت عيونهم فى دهشة ، وأحد العسكريين يهتف :

ـ رباه ! إنه يتحدَّث العربية .

غمغمت (سلوى) :

ـ بالضبط .

وقال (نور) فى اهتمام :

ـ لقد اختبرت الأجهزة عبارة (نشوى) ، وأدركت أنها تتحدَّث العربية .

هتفت الدكتورة (ولاء) :

ـ ومن أين عرفت الأجهزة اللغة العربية ؟!

أتاها الجواب من الصورة الهولوجرافية الضبابية ، والكائن فيها يقول بالعربية :

ـ سماعكم هذه الرسالة يعنى أن الأرض قد بلغت مرحلة كبيرة من التطوّر بحيث صار هناك

من يمكنه فهم أجهزتنا وتشغيلها ، فلقد توقفنا عن مراقبتكم ورصد تطوركم ، منذ ما يقرب من ألف عام من أعوامكم .

سأله (نور) فى اهتمام :

ـ من أنتم بالضبط ؟! وأين عالمكم ؟!

أجابه الكائن فى هدوء عميق :

ـ شعبنا يُدعى (موك) ، وعالمنا يبعد عنكم ملايين السنوات الضوئية ، بحيث إننا لن نبدو لمراصدكم أكثر من نقطة صغيرة ، فى الفضاء السرمدَى ..

سألته (سلوى) :

ـ وأين نحن الآن ؟!

أجابها الكائن :

ـ فى عالمنا .

هتف الدكتور (خالد) فى دهشة مستنكرة :

ـ الذى يبعد ملايين السنوات الضوئية ؟!

أجابه فى هدوء :

ـ بالضبط .

هتفت الدكتورة (ولاء) :

ـ ولكن هذا مستحيل !

أجابها الكائن بنفس الهدوء :

ـ بالفعل هو مستحيل ، بكل قوانين وقواعد وعلوم وتكنولوجيا عالمكم ، ولكن لدينا نحن وسيلة لاختصار الزمان والمكان إلى لحظات ، مهما تباعدت المسافات .

سأله (نور) :

ـ أهو نوع من الانتقال الآنى ؟!

مع سؤاله ، تألَّقت بعض الكرات بتتابع آخر ، فغمغمت (نشوى) :

ـ ما الذى تدرسه الأجهزة هذه المرة ؟!

أجابها (نور) فى حزم :

- مستوى معلوماتنا .

كان محقًا فى هذا ، فقد ابتسمت صورة الكائن ، وهو يجيب ، بعد فترة الصمت ، التى اختبرت فيها الأجهزة الأمر :

- كلاً .. ليس انتقالاً آنيًا .. إنه شىء أكثر تطورًا من هذا بكثير .

صاح الدكتور (خالد) فى حدة :

- السؤال الأكثر أهمية الآن هو : لماذا هاجمتمونا بهذا العنف ، وأسرتمونا هنا ؟!

أجابه الكائن ، دون أن يفقد رصانته وهدوءه :

- حضارتنا كلها قامت على السلام والأمن .. لسنا قوم حرب ، مثل الـ (هور) ، وهم أعداؤكم الحقيقيون ، وكل ما فعلناه ، ونفعله حتى هذه اللحظة ، هو محاولة لحمايتكم منهم .

قالت الدكتورة (ليلى) فى توتر :

- لم نسمع قط عن هؤلاء الـ (هور) .

أجابها الكائن فى عمق :

- إنهم قادمون .

همت بقول شىء آخر ، ولكن (نور) اندفع يسأله فى قلق :

- متى ؟!

أجابه الكائن :

- بتوقيتكم أنتم ، عند منتصف الليل تمامًا .

اتسعت عينا (نور) فى ارتياع وهو يهتف :

- الليلة ؟!

أجابه الكائن بهدوء شديد :

- نعم .. الليلة .

ثم تابع ، دون أن يسأله أحدهم :

- الـ (هور) قوم محاربون ، وأعمارهم طويلة

للغاية مثلنا ، بالنسبة للمقاييس والمعايير المعتادة فى عالمكم ، فنحن وهم يمكننا أن نحيا فى المتوسِّط لخمسة آلاف من أعوامكم .. وعلى الرغم من أن عالمينا يبعدان عن بعضهما بملايين السنوات الضوئية أيضًا ، إلا أن كلاً منا يدرك وجود الآخر جيِّدًا ، ويتابع تطوراته وإنجازاته ، منذ ملايين الأعوام بمقاييس عالمكم .. وتطوراتنا التكنولوجية متشابهة كثيرًا ، إلا أننا قد نجحنا فى التفوق عليهم ، بسبب كارثة هائلة ، تسببوا فيها لأنفسهم ، مع اهتمامهم وتركيزهم على صنع أسلحة ووسائل الدمار الشامل .. ومنذ مليون عام تقريبًا ، حاول الـ (هور) غزو عالمكم ، فى لحظة التماس العظمى ، وهى اللحظة التى تتفتح فيها فجوة كبرى بين العالمين ، يمكن خلالها ، ولثمان وأربعين ساعة من زمنكم ، نقل أعداد هائلة من القوات والمعدات ، تكفى لغزو عالمكم ، وسحقه بالكامل .

اتسعت عيون الجميع فى ارتياع ، وشهقت

(نشوى) فى هلع ، فى حين ردَّدت (سلوى) بكل الرعب :

- يا إلهى ! يا إلهى !

وتابع الكائن ، دون أن يتخلَّى عن هدوئه :

- وفى ذلك الزمن ، أرسلنا الـ (ميجالون) ، لمنع تكوّن تلك الفجوة بين العالمين ، مما أفشل محاولة الغزو .

غمغمت الدكتورة (ولاء) :

- حمدًا للَّه .. حمدًا للَّه .

ولكن الكائن أكمل :

- ولقد قررَّ الـ (هور) إعادة الكرَّة ، بعد أن مرَّ مليون عام ، وحانت لحظة تماس عظمى جديدة ..

هتف (نور) :

- الليلة .

أجابه الكائن :

- فى منتصف الليل تمامًا .

سألته (نشوى) فى هلع :

- وهل يمكنكم منع هذه الغزوة ، كما فعلتم من قبل ؟!

صمت الكائن بضع لحظات ، قبل أن يجيب :

- الـ (ميجالون) مجهَّز بحيث يعمل فى قوة ، مع شعوره بوجود أية تكنولوجيا متطوِّرة ، باعتبار أن عالمكم لم يعرف التكنولوجيا المتطوِّرة ، حتى آخر مرة رصدناه فيها ، منذ ألف عام من أعوامكم .. وسيسعى لإبعاد كل البشر عن نقطة التماس ، حماية لهم من الغزو ، كما حدث معكم ، وسحق كل أثر للتكنولوجيا سحقًا بلا رحمة ، مع إطلاق ذبذبة منتظمة ، لمنع تكوّن فجوة الانتقال ، فى لحظة التماس العظمى ، و ...

قاطعه (نور) فجأة :

- السؤال هو : لماذا توقفتم عن رصد عالمنا ، منذ ألف عام مضت ؟! لماذا لم تدركوا أنه أصبح يمتلك الآن تكنولوجيا متطوِّرة .

صمت الكائن لحظة ، قبل أن يجيب :

- لأن عالمنا قد فنى عن آخره ، ولم يعد له وجود ، منذ ألف عام من أعوامكم .

اتسعت عيون الجميع فى دهشة ، و (سلوى) تتساءل :

- ولكن كيف ؟! إنك تتحدَّث إلينا الآن .

أجابها بنفس الهدوء :

- أنا مجرَّد برنامج معدّ مسبقًا ، وهذا المكان الذى يضمكم ، هو آخر معقل للحضارة والتطوّر فى عالمى ، بعد أن فنينا جميعًا ، إثر وباء طاحن ، لم نجد علاجًا قط .. ولكن لا تقلقوا .. قبل أن ينتهى أمرنا ، أعددنا الـ (ميجالون) ، ليتصدّى لغزو الـ (هور) هذه المرة .. ولآخر مرة .. لأننا نثق بأنكم ستصبحون قادرين على التصدّى للغزوة القادمة ، بعد مليون عام أخرى .

قال (نور) فى صرامة :

ـ هذا يعنى حتمية أن نغادر هذا المكان فورًا ، وأن نعود إلى عالمنا الآن ، حتى يمكننا تحذيره من الغزو القادم .

قال الكائن فى أسف :

ـ أخشى أن هذا مستحيل !

هتفت (سلوى) فى ارتياع :

ـ مستحيل أن نعود إلى عالمنا ؟!

أجابها فى أسف مماثل :

ـ بل مستحيل أن تعادوا إلى عالمكم ، قبل أن يمرّ موعد الغزو ، فالبرنامج الذى أعددناه للحماية ، سيبقيكم فى مأمن هنا ، حتى ينتهى كل الخطر فى عالمكم .

صاح (نور) :

ـ لا بد من تعديل هذا البرنامج الآن .. عالمنا فى خطر .

أجابه الكائن فى هدوء مستفز :

ـ عالمك يحميه الـ (ميجالون) .. وأنتم هنا فى أمان تام ، و ...

قاطعه (نور) فى عصبية :

ـ لو فشل الـ (ميجالون) فى عمله ؟!

أجابه الكائن :

ـ وجودكم هنا يعنى أنه ما زال يعمل بكل كفاءة .

قال (نور) فى حدة :

ـ ألف عام من التطوّر يمكن أن تفعل الكثير .. أكثر مما يمكن لبرنامجكم حسابه ألف مرة .. ماذا لو أن هؤلاء الـ (هور) قد بلغوا قفزة تطورية مباغتة ، خلال هذه الفترة ؟!

قال الكائن فى هدوء :

ـ لو أنهم فعلوا فلن يمكنكم التصدّى لهم أبدًا .

صاح (نور) فى غضب :

ـ ليس هذا شأنكم .. ربما قمتم بحمايتنا منذ مليون عام ، ولكن هذا لا يعنى أن تفرضوا وصايتكم علينا .. أعيدونا إلى عالمنا ، واتركوا لنا مهمة الدفاع عنه .

صمت الكائن طويلاً هذه المرة ، قبل أن يقول :

ـ أخشى أن هذا مستحيل تمامًا .. برنامج إعادتكم لن يبدأ ، بأى حال من الأحوال ، إلا بعد أن يمرّ موعد الغزو ، ويتم منع الـ (هور) من الوصول إلى عالمكم .

سأله الدكتور (خالد) فى ذعر :

ـ وماذا لو أنهم نجحوا فى غزوهم ؟!

أجاب الكائن فى بطء :

ـ هذا لم يوضع فى البرنامج ، ولو كاحتمال ضئيل .

سألته الدكتورة (ولاء) فى هلع :

ـ ماذا تعنى ؟!

أجابها فى أسف :

ـ أعنى أنه لو نجح الغزو ، فستبقون هنا .

هتف أحد العسكرين مستنكرًا :

ـ نبقى هنا ؟!

أجابه الكائن فى بطء آسف :

ـ حتى ينتهى الغزو .

اتسعت عيون الكل فى ارتياع ، وتبادلوا نظرة ملؤها الذعر والفزع ، وهتفت (نشوى) :

ـ يا إلهى ! أبى .

وغمغم أحد العسكريين فى ذعر :

ـ هل سنموت جوعًا وعطشًا هنا ، لو نجح ذلك الغزو ؟!

وبكت الدكتورة (ولاء) ، هاتفة :

ـ كنت أعلم أننا لن نخرج من هنا أحياء .. كنت أعلم هذا .. كنت أعلم .

أما (نور) ، فلم ينبس ببنت شفة ، وكيانه كله يفكر فيما يواجهه عالمه الآن ، وهو أسير على بعد ملايين السنوات الضوئية منه ..

ومن أعمق أعماقه ، وثب إلى رأسه تساؤل مخيف ..

ما الذى يمكن أن يحدث ، لو نجح الغزو هذه المرة ؟!

ولم يحصل عقله على جواب شاف ، ولكن الاحتمال بدا له مخيفًا ..

ورهيبًا ..

إلى أقصى حد .

* * *

٥ ـ المحاربون ..

« ساعة واحدة من زمن الأرض ، ويبدأ الغزو يا مولاى الإمبراطور .. »

تألقت عينا إمبراطور الـ (هور) ، واشتعلتا كجمرتين ملتهبتين ، وارتسمت على شفتيه ابتسامة وحشية كبيرة ، عندما نطق قائد قواته العبارة ، وأشار إليه بيده ، قائلاً :

ـ هل استعدَّت القوات كلها ؟!

أجابه القائد فى حزم :

ـ كلنا فى انتظار لحظة التماس العظمى يا مولاى .

غمغم الإمبراطور :

ـ عظيم .

ثم استرخى على عرشه الضخم ، قائلاً :

ـ هل من دلائل على أن (كونار) قد نجح فى مهمته هناك ؟!

هزَّ القائد رأسه ، قائلاً :

ـ لن يمكننا الجزم ، إلا عندما تحين لحظة التماس العظمى يا مولاى .

مطَّ الإمبراطور شفتيه الغليظتين ، وهو يقول :

ـ ليس أمامنا إذن سوى أن ننتظر .

ابتسم قائده ، وهو يقول :

ـ سنفعلها هذه المرة يا مولاى .. (كونار) قائد عظيم ، ولن يسمح بفشل المهمة أبدًا ، مهما كان الثمن .

قال الإمبراطور فى بطء :

ـ المهم ألا يكون قد فشل بالفعل .



ثم استرخى على عرشه الضخم قائلاً :
- هل من دلائل على أن (كونار) قد نجح في مهمته هناك ؟!

هزَّ القائد رأسه ، قائلاً فى ثقة :

ـ لست أعتقد هذا يا مولاى .

ثم شدَّ قامته فى اعتداد ، متابعًا :

ـ نحن شعب محارب يا مولاى ، وأجدادنا العظماء كانوا أفضل محاربين فى الكون ، ونحن مثلهم .. محاربون مقاتلون ، لا يشقّ لنا غبار .

وأشار بيده إلى شرفة القصر الإمبراطورى ، قائلاً :

ـ ألق نظرة واحدة يا مولاى .. ألق نظرة واحدة على جيشك ومحاربيك ، وستدرك أننى على حق .

نهض الإمبراطور من عرشه ، وسار فى مهابة إلى شرفة قصره المنيف ، ولم يكد يبرز فيها ، حتى انطلقت صيحة قوية هادرة ، من حناجر محاربيه ، كادت تشق الفضاء ..

وأمام عينيه الوحشيتين ، تراصت جيوشه إلى مدى البصر ..

محاربون أشداء ، وعتاد قوى ، وأسلحة كافية لسحق كوكب بأكمله ..

وانتفخت أوداج الإمبراطور فى زهو ، وقائده يقول :

ـ مهما بلغت قوة الأرضيين ، لن يمكنهم الصمود أمامنا ليوم واحد .

قال الإمبراطور فى زهو :

ـ أنا واثق من هذا .

ثم استدار إلى قائد جيوشه ، مضيفًا :

ـ المهم أن ننجح فى عبور الفجوة بين العالمين .

قال القائد فى حزم :

ـ سنعبرها يا مولاى .. (كونار) سينجح .

ومال نحو الإمبراطور ، مضيفًا بابتسامة كبيرة :

- ثم إن أمامه ثمانية وأربعين ساعة من زمنهم ، ليمنحنا فرصة العبور إليهم ، حتى لو تجاوز لحظة التماس العظمى .

قال الإمبراطور فى ضيق :

- كل ساعة نفقدها ، تعنى المزيد من القوات ، التى لن تجد فرصة العبور .

قال القائد ، بكل ثقة الدنيا :

- نصف جيوشنا تكفى لسحقهم سحقًا يا مولاى .

التقط الإمبراطور نفسًا عميقًا ، وقال :

- أعلم هذا أيها القائد .. أعلم هذا .

ثم التقط نفسًا عميقًا ، ملأ به صدره القوى ، وهو يعود إلى عرشه الضخم ، ويستقر فوقه ، قائلاً :

- عندما تصلون إلى عالمهم ، أريد منكم أن تسحقوا كل مقاومة سحقًا ، بلا هوادة أو رحمة .

مطَّ قائده شفتيه ، وهو يقول :

- رحمة ؟! وما الذى تعنيه كلمة الرحمة هذه يا مولاى الإمبراطور ؟!

تألَّقت عينا الإمبراطور بوحشية ، وهو يقول :

- أريد نصرًا ساحقًا ، يتحدَّث ، عنه الكون كله .. نصرًا يعيد أمجاد جنس الـ (هور) .. إلى الأبد .

قالها ، وعيناه تلتمعان ببريق مخيف ..

بريق كاللهب ..

أو كالدم ..

* * *

بدا التوتر الزائد على وجه (رمزى) ، وهو يقف داخل تلك القاعة الصغيرة ، فى مبنى الحرس الجمهورى ، متطلّعًا إلى ذلك الفريق الخاص ، المكوّن من عشرة رجال ، والذى جمعه السيّد (أمجد صبحى) ، من بين رفاقه القدامى ، الذين انتخبهم هو شخصيًا ، بعد أن فحص ملفاتهم ، وراجع كل تقاريرهم النفسية السابقة ..

وعلى الرغم من ثقته الشديدة بالسيّد (أمجد) وقدراته ، وخبراته طوال تاريخه الحافل ، إلا أنه لم يشعر بالارتياح قط ..

فكل من يقف أمامه من الفريق الخاص ، كان يتجاوز الخمسين من العمر على الأقل .. كلهم بدت عليهم علامات الكهولة وكبر السن ..

فكيف يمكن لهم التصدّى لشيطان ينتحل شخصية رئيس الجمهورية ؟!

شيطان من عالم آخر ، فشل الرائد (أيمن) ، الذى تحوّل إلى سلاح سرى شبه آلى ، فى التصدّى له وإيقافه !

كيف ؟!

كيف ؟!

حاول عبثًا أن يخفى توتره فى أعماقه ، إلا أن مشاعره فشلت تمامًا فى الانزواء خلف واقعه ، فمال على (أمجد) ، يسأله فى عصبية :

- أأنت واثق من أن هذا هو الفريق المناسب ؟!

ابتسم (أمجد) ، قائلاً فى ثقة :

- اطمئن .

أطلق (رمزى) من أعمق أعماق صدره زفرة حارة ، مغمغمًا :

- إننى أحاول .

منحه (أمجد) ابتسامة واثقة أخرى ، قبل أن يلتفت إلى فريقه ، قائلاً بلهجة حازمة ، جعلته أشبه بقائد عسكرى ، يهمّ بخوض معركة حاسمة :

- والآن يا رفاق ، حانت اللحظة الحاسمة .. لحظة القتال من أجل الوطن .. وربما من أجل العالم كله هذه المرة .. قتالنا هذه المرة سيكون ضد رئيس الجمهورية ، من أجل رئيس الجمهورية .. لقد أخبرتكم أن الشخص ، الذى سنقاتله هذه المرة ، يبدو أشبه بالرئيس ، من الناحية الظاهرية فحسب ، أما الرئيس الحقيقى ، فنحن نجهل مصيره ، حتى هذه اللحظة .

وانعقد حاجباه فى شدة ، وهو يضيف بمنتهى الحزم :

- هذه المعركة ربما تكون الأخيرة ، فى تاريخ وحياة كل منا .. والمواجهة تختلف عن كل المواجهات السابقة ، فى حياتنا كلها ، ففى هذه

المرة سنقاتل ، ونحن نجهل كل شىء تقريبًا ، عن قدرات العدو وقوته .. كل ما نعرفه عنه هو أنه شخص واحد .. ومن عالم آخر .

سرت بينهم همهمة مبهمة ، فتابع بنفس الحزم :

- وكما كنا نفعل دائمًا ، سنحسم أمرنا قبل أن تبدأ المواجهة .. كل من يرغب فى الانسحاب عليه أن يفعل الآن ، وليس فيما بعد .

رفعوا قبضاتهم المضمومة أمام وجوههم ، وقالوا فى صوت واحد :

- كلنا معك .

أجاب فى هدوء حازم :

- عظيم .. فى هذه الحالة فلنستعد جميعًا للمهمة .. لقد راجعت الموقف كله بنفسى ، ووجدت أن طاقم الحراسة ، الذى يدافع عن مبنى

وزارة الدفاع ، حتى هذه اللحظة ، هو طاقم أمن الوزارة نفسها ، لذا فمن الطبيعى ، مع وجود رئيس الجمهورية بالداخل ، أن يتم استبدال هذا الطاقم بطاقم خاص من الحرس الجمهورى ، وأنتم ترتدون الآن الزى الخاص بالحرس الجمهورى .. كل ما عليكم هو ارتداء الخوذات الواقية ، لإخفاء ملامح الوجه .

غمغم أحدهم :

- ولإخفاء أعمارنا أيضًا .

تجاهل (أمجد) العبارة تمامًا ، وهو يواصل :

- كلنا سنحمل أسلحة تقليدية ، كما اعتدنا طيلة أعمارنا ، وعندما يصبح المكان تحت سيطرتنا فعليًا ، سننقسم إلى فريقين ، فريق سيقوم بالهجوم من المدخل الرئيسى ، والفريق الثانى سيتسلَّل عبر نفق الهروب ، ليقوم بهجوم داخلى مباغت .

سأله أحدهم فى توتر :

- وهل نطلق النار على الرئيس .. أعنى ذلك الذى ينتحل صفته وهيئته ؟!

صمت (أمجد) بضع لحظات ، قبل أن يقول فى حزم :

- هذا يتوقَّف على مقاومته .

سأله آخر :

- بمعنى ؟!

رفع (أمجد) سبَّابته أمام وجهه ، قائلاً :

- هذا الكائن لم يأت إلى هنا ، وينتحل شخصية رئيس الجمهورية ، إلا لهدف أكبر ، ولو أننا قضينا عليه ، فسنفقد معه كل المعلومات والحقائق ، وكل ما يمكن أن يقودنا إلى أهدافه ، وأهداف من خلفه ، لذا فستتركز جهودنا على إلقاء القبض

عليه حيًا ، أو مصابًا على الأكثر ، ولكن لو كانت مقاومته عنيفة ، إلى حد قد يمنينا بالهزيمة ، فلن يكون هناك مفرّ من قتله .. وبلا رحمة .

سأله أحد الرجال :

ـ وما دورك أنت يا سيّد (أمجد) ؟! أى الهجومين ستقود ؟!

أجابه (أمجد) فى حزم :

ـ الشىء الذى لاحظته بنفسى ، عندما التقيت به فى المرة الأولى ، هو أنه يراقب مداخل ومخارج المبنى ، عبر شبكة من شاشات الرصد طوال الوقت ، وعملية استبدال طاقم الحراسة هذه ستلفت انتباهه حتمًا ، ومهمتى هى أن أزيل شكوكه ، وأصرف نظره عن شاشات الرصد ، حتى يبدأ الهجوم من محوريه .

ثم عاد يشدّ قامته ، قائلاً :

ـ هل من أسئلة أخرى ؟!

تبادل الرجال نظرة صامتة ، ثم قال أحدهم :

ـ كلنا على أهبة الاستعداد .

ألقى (أمجد) نظرة على ساعته ، وقال :

ـ الساعة الآن الحادية وعشر دقائق بالضبط ..

اضبطو ساعاتكم للحفاظ على دقة التوقيت .. سننطلق فورًا ، وسنبلغ مبنى وزارة الدفاع الجديد فى الحادية عشرة وسبع وعشرين دقيقة ، وعملية تغيير الطاقم ستستلزم ما بين عشر وخمس عشرة دقيقة ، وسيبدأ الهجوم فى الثانية عشرة إلا عشر دقائق بالضبط .

اتجه الكل إلى الحوّامة ، التى تنتظرهم فى المهبط الخاص ، والتى تحمل شعار الحرس الجمهورى ، فى حين التفت (أمجد) إلى (رمزى) ، وسأله فى اهتمام :

ـ هل تعتقد أنهم سيقاتلون ، بنفس الحماس القديم ؟!

صمت (رمزى) لحظة ، قبل أن يجيب فى حزم :

ـ نعم .

بدا ارتياح غامر على وجه (أمجد) ، وهو يغمغم :

ـ عظيم .

ثم لحق بالرجال عند الحوَّامة ، ولوَّح بيده بدوره ، وتابع ببصره الحوَّامة وهى ترتفع ، متجهة نحو وزارة الدفاع ، وهو يشعر بتوتر عنيف فى أعماقه ، التى يتردَّد فيها سؤال واحد ..

تُرى هل يكفى ذلك الفريق لحسم الأمر ؟!

هل ؟!

* * *

لم تستغرق تلك الاشارة ، التى بثتها ساعة القائد الأعلى ، سوى خمس ثوان فحسب ، بعد خروجها من تلك الكرة ، وتمدُّدها إلى حجمها الطبيعى ..

ولكن تلك الثوانى الخمس كانت تكفى ، لتصل الإشارة إلى مركز الأبحاث ، التابع للمخابرات العلمية ..

وإلى الدكتور (جلال) مباشرة ..

ولم يكد الرجل يتلقَّى الإشارة ، حتى رفع ساعته إلى شفتيه فى لهفة ، وضغط زرها ، هاتفًا :

ـ هنا الدكتور (جلال) .. لقد تلقيت الإشارة .. أين أنت أيها القائد ؟! أين أنت ؟!

قبل حتى أن يكتمل هتافه ، كانت الإشارة قد توقَّفت ، وانقطعت تمامًا ..

وهذا لا يحدث إلا فى حالة واحدة ..

أن تتلف ساعة الاتصال ..

أو تتحطَّم ..

وانعقد حاجبا الدكتور (جلال) فى شدة ، وقلبه يخفق فى عنف ..

تُرى ماذا يحدث هناك ؟!

فى وزارة الدفاع ..

لماذا تحولّت إلى منطقة عدم ، تبتلع كل من يذهب إليها ؟!

لماذا ؟!

سلاحه السرى الفائق ، الذى كان يدخره لمواجهة أكثر عنفًا ، لم يمكنه الصمود هناك ..

وكل ما يتلقاه منه الآن مجردٌ إشارة باهتة ضعيفة ، توحى بأنه قد تحطَّم أو انهار بدوره ..

فما الذى يمكن أن يفعله الآن ؟!

صحيح أنه مدير مركز الأبحاث ، التابع للمخابرات العلمية ، إلا أنه لا يمتلك ، من الناحية الرسمية ، سلطة إصدار أية قرارات عسكرية أو سياسية ..

وكل أصحاب هذه القرارات اختفوا ..

ابتلعتهم منطقة العدم ، فى وزارة الدفاع ..

فماذا يمكن أن يفعل ؟!

ماذا ؟!

ماذا ؟!

كانت الأفكار تجرى فى رأسه ، وهو يتطلَع إلى تلك الإشارة الباهتة الضعيفة ، التى تستقبلها الأجهزة الخاصة بمتابعة الرائد (أيمن) ، السلاح السرى شبه الآلى ..

ثم فجأة ، قفزت الفكرة إلى رأسه ..

وقفز هو من مقعده ..

وبوثبة واحدة ، بلغ جهاز الاتصال الداخلى ، وضغط أزراره فى سرعة ، هاتفًا بكل انفعاله :

- أريد الدكتور (كمال) فورًا .

أجابه شخص ما :

- الدكتـور (كمـال) انصرف إلى منزلـه فـى العاشرة .

هتف الدكتور (جلال) :

- أحضـره فـورًا .. أرسـل مـن يأتى بـه مـن منزله .. أريده فى مكتبى خلال عشر دقائق .

أجابه الرجل فى توتر :

- ولكن يا سيِّدى .

صاح به فى عنف :

- لا يوجد لكن .. نفذ الأمر فورًا .

قالها وأنهى الاتصال ، وعاد يتابع تلك الإشـارة الباهتة ، والفكرة تدور فى رأسه ، وتختمر أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

والواقـع أنهـا لـم تكـن مجـرَّد فكـرة عبقريـة فحسب ..

لقد كانت تحمل أملاً جديدًا ..

وأخيرًا ..

★ ★ ★

« لن نستسلم لهذا أبدًا .. »

هتف (نور) بالعبارة ، فى توتر بالغ ، وهـو يتحرَّك داخل تلك القاعة البيضاء الكبيرة كـالليث الحبيس ، متابعًا :

- لن نبقى أسرى هنا ، وعالمنا يواجه الخطر فى الخارج .

قال الكائن الأبيض فى هدوء :

لستم أسرى هنا .. أنتم ضيوف تحت حمايتنا ، حتى يزول الخطر عن عالمكم .

صاح (نور) فى غضب :

- ومن قال إننا نقبل هذه الوصاية ؟!

قال الكائن بنفس الهدوء المستفز :

- صدقنى إن ..

قاطعه (نور) فى حدة :

- إننا نرفض .

ثم لوَّح بيده ، مستطردًا فى غضب :

- لو أننا ضيوف ، ولسنا أسرى ، فهذا يعنى أنه من حقنا أن نحدِّد مصيرنا كيفما شئنا ، وأن نعود إلى عالمنا وقتما نشاء ، لذا فنحن نطالبكم بإعادتنا فورًا .

صمت الكائن بعض الوقت ، ثم قال :

- منطقك سليم للغاية .

هتف (نور) :

- عظيم .

ولكن الكائن استدرك فى سرعة :

- ولكن المشكلة أن ما تطلبه مستحيل تمامًا .

سألته (نشوى) فى قلق :

- ولماذا مستحيل ! ألم يضع برنامجكم هذا فى اعتباره أيضًا ؟!

قال الكائن ، بصوت يغلب عليه الأسى :

- بلى للأسف .

انعقد حاجبا (نور) فى شدة ، فى حين هتفت (سلوى) مستنكرة :

- أى برنامج قاصر هذا ؟! أى مبرمج عادى ، لا بد أن يضع كل الاحتمالات فى ذهنه .

أجابها بلهجة أشبه بالاعتذار :

ـ لا تنسى أن هذا البرنامج معدّ منذ ألف عام من أعوامكم .

هتفت :

ـ أهذا مبرّر ؟!

أجابها بنفس اللهجة :

ـ بالطبع ، لو أدركت أن آخر مرة رصدنا فيها عالمك ، لم يكن هناك ما يوحى بأنكم سترغبون فى العودة ، لمواجهة خطر داهم كهذا ، ولم يكن مستوى تقدّمكم يوحى بقدرتكم على التصدّى لغزو الـ (هور) قط .. ويبدو أنكم على حق ، فى نقطة لم ننتبه إليها أبدًا .. ألف عام من التطوّر تعنى الكثير .. ولكن عذرنا الوحيد هو أن الفناء لم يكن بالحسبان أيضًا ، ولم نتصوّر أننا سنترك خلفنا برنامجًا قاصرًا كهذا .

قالت (نشوى) فى توتر :

ـ ارشدنا إذن إلى وسيلة تعديله ، وسنبذل قصارى جهدنا ، و ..

قاطعها هو هذه المرة :

ـ مستحيل !

هتف (نور) :

ـ لماذا تتصوَّر أنه مستحيل ؟! ألم تقل بنفسك إن ألف عام من التطوّر تفعل وتعنى الكثير ؟! من أدراك أننا لن ننجح فى هذا ؟!

أجابه الكائن فى هدوء :

ـ ليس لدى أدنى شك فى أنكم قادرون على فعل ما يزيد بأضعاف مضاعفة ، عما تصورناه عنكم ، وقت إعداد هذا البرنامج ، ولكن المشكلة الحقيقية هى أننى لست كائنًا حيًّا ، وإنما أنا جزء من البرنامج نفسه ، يمكنه التفاعل معكم طوال الوقت ، باستخدام تكنولوجيا تحتاجون إلى أجيال وأجيال لفهمها ، وبرنامجى ، على الرغم من قدراته التفاعلية اللا محدودة ، لايحوى تفاصيل البرمجة أو التعديل ، كما أن التكنولوجيا التى نستخدمها ما زالت تفوق إدراككم بكثير .. كثير جدًا .

سألته (نشوى) فى تحدٍّ :

ـ وماذا لو حاولنا نحن ؟!

أجابها فى سرعة :

ـ البرنامج مزوَّد بإجراء دفاعى خاص .

سأله (نور) ، فى قلق حذر :

ـ وماذا سيفعل ذلك الإجراء الدفاعى الخاص ، إذا ما حاولنا ؟!

أجابه الكائن فى بطء :

ـ هذا البرنامج مكوَّن من شقين .. أحدهما يخص عملية منع الـ (هور) من فتح الفجوة بين العالمين ، عندما تحين لحظة التماس العظمى ، والآخر يختص بالتعامل معكم وإعادتكم إلى عالمكم ، لو فشل الغزو ، وفى حالة تدخلكم ، سيستمر الشق الأوَّل فى مهمته ، وسينفصل الشق الثانى تمامًا .

سأله أحد العسكريين فى قلق شديد :

ـ وما الذى يعنيه هذا ؟!

أجابه الكائن :

ـ يعنى أنكم ، لو أفسدتم البرنامج ، فستظلون هنا .. سواء نجح الغزو أو فشل .. سيحتجزكم البرنامج هنا .. إلى الأبد .

وكان جوابًا رهيبًا بحق ..

جواب يعنى أن الضياع هو مصيرهم المحتوم .. فى كل الأحوال .

* * *

٦ ـ عقل من الأرض ..

كل شىء ، استعاده عقل (نور) من البداية ..

كل شىء ..

العمالقة الرملية العاتية ، التى تنهض من العاصفة ، لتقتلع كل شىء من أساسه .

واستدعاء وزير الدفاع لهم ..

وجهوده مع (سلوى) و(نشوى) لكشف السر ..

ثم ذهابهم إلى الصحراء ، مع المدرَّعة (صلب) ..

وبدء عمل المسبار الموجى (م م ـ ١) ..

كل شىء ، راح عقله يسترجعه ، ويفحصه ،

ويدرسه ، وهو جالس هناك ، فى ركن تلك القاعة البيضاء الواسعة ..

جنس الـ (موك) أعدً لكل شىء عدته ..

إلا التطوّر ..

والاندثار ..

من الواضح أن فناءهم جاء سريعًا للغاية ، حتى إنه لم يمهلهم فرصة إعادة البرمجة ، أو إضافة أية معلومات جديدة ..

كل ما حرصوا عليه ، هو منع الـ (هور) من غزو الأرض ..

والسيطرة على ذلك الجزء من الكون ..

ولكن جنس (هور) هذا ، احتلّ بالفعل أماكن عديدة من الكون ، دون أن يتصدّى لهم شعب (موك) ..

فلماذا هذا القتال على (الأرض) بالتحديد ؟!

لا ريب فى أن من يسيطر عليها سيمتلك قوة هائلة ..

أو موقعًا كونيًا متميزًا ..

أو أن الأرض تمنح الجانبين فرصة للمرور ، خلال أكبر عدد من البوابات الكونية عبر العوالم ..

وشعب (موك) يحاول منع هذا من الحدوث ..

وإنقاذ أى بشرى فى المنطقة أيضًا ..

ولكن ..

« هناك خطأ ما .. »

هتف (نور) بالعبارة بغتة ، فى انفعال شديد ، جعل الكل يلتفت إليه فى دهشة متوترة ، وقالت (سلوى) ، وهى تتجه إليه فى قلق :

- ماذا هناك يا (نور) ؟!

نهض (نور) ، مكررًا فى حزم :

- هناك خطأ ما ، فى كل ما يحدث هنا .

سأله أحد العسكريين فى قلق شديد :

- ما الخطأ يا سيادة المقدّم ؟!

أجابه (نور) فى توتر :

- أنتم هنا منذ فترة طويلة ، دون أن يهتم أحد بتقديم الطعام أو الشراب لكم ، على الرغم من أنهم يراقبوننا منذ آلاف السنين ، وهم يعلمون أننا لسنا جنسًا هوائيًا .

سألته (نشوى) :

- وما الذى يعنيه هذا يا أبى ؟!

أجاب فى سرعة :

- يعنى أن خطة شعب (موك) كلها لم تفترض وجود البشر ، فى منطقة التماس ، باعتبار أنها

منطقة صحراوية مقفرة ، ليس فيها ما يُغرى البشر بالعمل أو الاستيطان .. باختصار .. البرنامج ليست لديه أية قواعد لإعاشة البشر أو إعادتهم إلى عالمهم ، سواء بعد الغزو أو قبله .

اتسعت العيون فى ارتياع ، وهتفت الدكتورة (ليلى) فى رعب :

- ماذا تعنى ؟! هل سنموت هنا ؟!

وهتف رجل جيش :

- هل سنقضى نحبنا جوعًا وعطشًا ؟!

قال (نور) فى حزم :

- هذا مصيرنا جميعًا .

قال الدكتور (خالد) فى عصبية :

- ولكن لماذا ؟! لماذا أحضرونا إلى هنا ، لو أن هذا يخالف خطتهم ؟!

أجابه (نور) :

- لأننا ظهرنا فى موقع الأحداث ، فى اللحظة غير المناسبة ، وكان من الضرورى التأكُّد من هويتنا ، ومما إذا كنا بشرًا أرضيين حقًّا ، أم ننتحل هذه الصفة .

سأله رجل آخر :

ألم يكن من الممكن كشف هذا ، دون نقلنا إلى عالمهم ؟!

قال (نور) فى حزم :

- الأمر لم يكن يقتصر على كوننا بشرًا فحسب ، وإنما يمتدّ إلى التيقن من أننا لسنا نعمل لحساب جنس (هور) أيضًا .. ولقد لاحظتم جميعًا أنه ، فى أثناء انتقالنا إلى هنا ، كانت كل أفكارنا وذكرياتنا تنساب عبر عقولنا ، ولقد تصوَّرنا أن هذا أمر طبيعى ، مع وسيلة الانتقال الفائقة هذه ،

ولكن الواقع أنها كانت وسيلة لفحص حقيقتنا من الأعماق ، وسيلة أشبه بجهاز كشف الكذب عندنا ، ولكنها أكثر تطورًا

قالت (نشوى) :

ـ هل تعنى أن أحدًا لن يبال بحياتنا أو موتنا هنا ؟!

أجابها فى حدة :

ـ نعم .. أعنى هذا تمامًا .. أعنى كل حرف منه .. ربما كان شعب (موك) ليس مقاتلاً ، إلا أن هذا لا يعنى أنه لا يمتلك ميولاً استعمارية أو شريرة .

تدخَّل الكائن الأبيض فى هذه اللحظة ، قائلاً :

ـ لسنا شعبًا محاربًا .

قال (نور) فى صرامة :

ـ ربما ، ولكن الحرب والقتال ليسا الصورة الوحيدة للاستعمار .. فهناك استعمار حضارى .. واستعمار اقتصادى .. واستعمار فكرى أيضًا ..

قال الكائن فى هدوء :

ـ هل تعتبر حمايتنا لعالمك نوعًا من الاستعمار ؟!

قال (نور) فى حزم :

ـ إنكم تحاولون منع (هور) من احتلال عالمى ، ولكن ربما لايكون هذا من أجل حمايته .

قال الكائن ، فى هدوء يحمل رنة ساخرة :

ـ ماذا يمكن أن يكون إذن ؟!

أجابه (نور) :

ـ أى شىء آخر .. فالشعب الذى يسعى لحماية عالم كامل من الاحتلال ، بوساطة عالم آخر ، لن يضع برنامجًا يتجاهل تمامًا حياة أفراد هذا العالم ، إلا إذا ..



قال الكائن فى هدوء :

- هل تعتبر حمايتنا لعالمك نوعًا من الاستعمار ؟!

بتر عبارته بغتة ، وانعقد حاجباه فى شدة ، كما لو أنه قد انتبه إلى أمر ما لأوّل مرة ، فى حين قال الكائن ، بنفس الهدوء الساخر :

- إلا إذا ماذا ؟!

رفع نور عينيه إليه ، فى عزم شديد ، وهو يجيب بثقة مدهشة :

- إلا إذا كان مصير العالم نفسه أكثر أهمية ، من مصير من يحيا على سطحه

انعقد حاجبا (سلوى) ، وهى تحدّق فيه بدهشة ، واتسعت عينا (نشوى) ، وكأنما فهمت ما يعنيه ، فى حين تبادل الآخرون نظرة مذعورة ، قبل أن يسأل أحد العسكريين :

- أى معنى مخيف تحمله كلماتك يا سيّدى ؟!

أجابه (نور) فى عزم :

ـ المعنى واضح يا رجل .. إن الهدف الحقيقى لشعب (موك) ليس حماية الأرض من احتلال جنس (هور) ، وإنما منع حدوث هذا الاحتلال .

سألته الدكتورة (ولاء) فى حيرة متوترة :

ـ وما الفارق ؟!

أجابها ، وهو يشدّ قامته فى قوة :

ـ الفارق كبير جدًّا ، ويضعنا أمام سلسلة جديدة من الاحتمالات ، فربما لم تكن الأرض هدفًا نهائيًّا لشعب (هور) .. ربما هى مجرَّد محطة ، أو نقطة انطلاق إلى هدف آخر .

سألته (نشوى) :

ـ مثل ماذا ؟!

راح يتحرَّك فى المكان ، ويقول ، وكأنما يحدِّث نفسه :

ـ دعونا نفترض أن هذا الهدف الآخر يرتبط ارتباطًا وثيقًا بشعب (موك) ، وإلا ما سعى لمنع جنس (هور) من احتلال الأرض ، وهذا يقودنا إلى افتراض آخر أكثر خطورة .

سأله الدكتور (خالد) :

ـ وما هو ؟!

توقَّف (نور) فى مكانه ، وقال بكل الحزم ، وهو يتطلَّع إلى صورة ذلك الكائن الأبيض فى تحد :

ـ أن شعب (موك) لم يتعرَّض للفناء حقًّا ، وإنما اضطر ، مع الوباء الساحق ، إلى الانتقال بكل هيئته ، إلى عالم آخر .. عالم لا يمكن لجنس (هور) بلوغه ، إلا من خلال كوكب الأرض .

ثم أطلَّت موجة عارمة من التحدّى من عينيه ، وهو يواجه الصورة الضبابية المجسَّمة ، قائلاً :

ـ قل لى يا هذا : هل كان استنتاجى صحيحًا ؟!

صمت الكائن طويلاً هذه المرة ، قبل أن يجيب :

ـ إلى حد مدهش .

شهقت الدكتورة (ليلى) ، واتسعت عيون الآخرين فى ارتياع ، وانعقدت حواجب العسكريين فى شدة ، فى حين التصقت (نشوى) و(سلوى) بـ (نور) وكأنما تجدان عنده الأمان والحماية ، فى حين تابع الكائن الأبيض ، وقد اكتسب هدوؤه رنة غير مريحة هذه المرة :

ـ وتوصُّلك إليه ينقل البرنامج إلى نقطة ، لم أكذب عليكم بشأنها يا سادة .

سأله أحد العسكريين فى توتر :

ـ وما هى ؟!

أجابه فى صرامة مباغتة :

ـ الإجراء الدفاعى الخاص .

ومع آخر حروف كلماته ، تموَّجت جدران القاعة على نحو عجيب ..

ثم برزت منها عدة مناطق متناثرة ..

وبسرعة مدهشة ، تشكَّلت تلك المناطق البارزة ، وظهرت لها أطراف عديدة ، قبل أن تنفصل فجأة عن الجدار ..

واتسعت عيون الكل فى دهشة مذعورة ..

فتلك الأجسام ، التى انفصلت عن الجدران ، تحوَّلت إلى كائنات شبه بشرية ..

كائنات مخيفة وحشية ..

للغاية ..

* * *

حملت كل لمحة ، فى كيان الدكتور (كمال) ، كل توتر ولهفة وانفعال الدنيا ، وهو يدلف إلى معمل الدكتور (جلال) ، قائلاً :

- أوامرك يا دكتور (جلال) .. لقد طلبوا منى الـ ..

قاطعه الدكتور (جلال) فى توتر :

- تعال يا دكتور (كمال) .. ألق نظرة على هذا .

أسرع إليه الدكتور (كمال) ، وألقى نظرة على الإشارة الباهتة ، فى اهتمام بالغ ، قبل أن يهتف :

- رباه ! كيف وصلت الأمور إلى هذا الحد ؟!

ثم التفت إليه ، مستطردًا فى ذعر :

- ماذا أصاب سلاحنا السرى ؟!

سأله الدكتور (جلال) فى توتر :

- هل يمكنك إصلاح هذا ؟!

قال الدكتور (كمال) فى انفعال :

- دعنا نلقى نظرة على فداحة الإصابة ، و ..

قاطعه الدكتور (جلال) :

- هذا ليس متاحًا .

حدَّق فيه الدكتور (كمال) بدهشة ، قبل أن يتساءل :

- ولماذا ؟!

التفت إليه الدكتور (جلال) بجسده كله ، قائلاً فى حزم :

- الرائد (أيمن) خرج فى مهمة سرية ، ومن الواضح أنه قد تعرَّض فيها لإصابة فادحة ، ونحن نجهل أين هو بالضبط ، ولكن هذه الإشارة ،

على الرغم من ضعفها ، توحى بأنه ما زال صالحًا للعمل .

قال الدكتور (كمال) فى انفعال :

ـ وأن الجزء البشرى منه ما زال على قيد الحياة .

هتف الدكتور (جلال) :

ـ بالضبط .

ثم مال نحوه ، متسائلاً :

ـ والآن ، هل يمكننا إصلاح التلف من هنا ، باستخدام برنامج الإصلاح عن بُعد(*)

انعقد حاجبا الدكتور (كمال) ، وهو يغمغم :

ـ إننا نجهل مقدار التلف .

(*) برنامج الإصلاح عن بعد : هو برنامج خاص ، يتم تزويد سفن الفضاء ، وأجهزة الكشف والاختبار فيها به ، بحيث يمكن إصلاح أية أعطال تنشأ فيها ، عند هبوطها على كوكب ما ، بوساطة الخبراء فى مركز المراقبة الأرضى .

ثم اعتدل على مقعده ، واستطرد فى حزم :

ـ ولكن يمكننا أن نحاول .

قال الدكتور (جلال) :

ـ المهم أن نفعل هذا فورًا .

خلع الدكتور (كمال) سترته ، وعلَّقها على مقعد قريب ، ثم جذب مقعدًا آخر ، وجلس فى مواجهة أجهزة التتبُّع ، قائلاً :

ـ بالتأكيد .

وبسرعة وتناسق ، راح الرجلان يعملان معًا ، فى محاولة لاستعادة السيطرة على الرائد (أيمن) ..

السلاح السرى ..

* * *

لم تكد حوَّامة الحرس الجمهورى تهبط ، فى ساحة وزارة الدفاع ، حتى تحفز طاقم الحراسة الخاص بالمكان ، وتأهَّب بأسلحته ، وقال قائده فى صرامة :

- استعدوا جميعًا .. سنطلق النار عند أية محاولة أو بادرة للشك .

كان التحفُّز يسرى فى كل ذرة من كيانه ، حتى رأى (أمجد) يهبط من الحوَّامة ، فقال فى شىء من الدهشة :

- السيِّد (أمجد) ؟!

اتجه إليه (أمجد) مباشرة ، فى خطوات واثقة قوية ، وهو يقول بابتسامة هادئة بسيطة :

- مساء الخير يارجال .. هيا .. لقد انتهى عملكم هنا .. سنتسلَّم مهمة الحراسة ، اعتبارًا من هذه اللحظة .

انعقد حاجبا قائد طاقم الحراسة فى شدة ، وهو يقول :

- تتسلمون مهمة الحراسة ؟! كيف يا سيِّد (أمجد) ؟! إننا نتولَّى الحراسة هنا رسميًا ، ولم نتلقَّ أمرًا بالانسحاب .

أشار (أمجد) إلى فريقه بالهبوط والانتشار ، وهو يقول فى هدوء ، وبلهجة صارمة آمرة :

- ها أنتذا تتلقَّى الأمر ، من المستشار الأمنى الخاص لرئيس الجمهورية ، وبناءً على المادة رقم سبعة ، من البند السابع عشر ، من لائحة الأمن القومى ، والتى تؤكِّد أنه فى حالة استقرار السيِّد رئيس الجمهورية ، فى مكان ما ، لأكثر من خمس ساعات ، لابد أن تتم حراسته ، بوساطة الحرس الجمهورى وحده ، وإعفاء أطقم الأمن الأخرى من هذه المهمة ، فور تسلَّم رجال الحرس مهمتهم .

بدا التوتر على وجه قائد طاقم الحراسة ، وهو يقول :

- الواقع يا سيِّد (أمجد) ..

قاطعه (أمجد) فى صرامة :

ـ الواقع أنك ستنفذ الأمر فورًا ، وسأسلمك أمرًا رسميًا بهذا ، وأى اعتراض أو تأخير فى تنفيذ هـذا الأمر سيعرضك للمحاكمـة العسـكرية ، بتهمـة تعريض أمن وسلامة رئيس الجمهورية للخطر ، بنـاءً على المـادة التاسعة ، من البند الخامس عشر .

امتقع وجـه قائد طاقم الحراسـة ، وهو يـؤدى التحية العسكرية ، قائلاً :

ـ ما دمت سأحصل على أمر رسمى ، فأنـا رهن إشارتك يا سيِّد (أمجد) .

ثم التفت إلى رجاله ، هاتفًا :

ـ انتهت نوبة العمل .

وأدَّى التحية العسكرية مرة أخرى ، قائلاً :

ـ أتمنى لكم حظًّـا أفضل يـا سيِّد (أمجـد) ، فهذه الليلة لا تبدو عادية أبدًا .

غمغم (أمجد) :

ـ بالتأكيد .

بدأ طـقم الحراسة الخاص بالوزارة ينسحب ، ليحلَّ محله أفـراد فريق (أمجد) ، الذين يرتدون زى رجال الحرس الجمهورى ، واقترب (حـاتم) من (أمجد) ، هامسًا :

ـ من الجيِّد أنك قد تذكَّرت المادة السابعة تلك ، فى الوقت المناسب .

ابتسم (أمجد) ، هامسًا :

ـ لا وجود إطلاقًا لتلك المـادة ، فى لائحة الأمن القومى .

ثم اتسعت ابتسامته ، وهو يضيف :

ـ ولكنه لا يعلم هذا .

ارتفع حاجبا (حاتم) لحظة ، ثم لـم يلبث أن أطلق ضحكة محدودة ، قائلاً :

ـ مرحى .. يبدو أننا سنستعيد الأيام الخوالى بالفعل .

ابتسم (أمجد) ، وتابع حركة تسليم مواضع الحراسة بضع لحظات ، قبل أن يتجه بنفس الخطوات الثابتة إلى حجرة الرصد ، حيث يجلس (كونار) ..

كان ـ على الرغم من خبراته السابقة ـ يشعر بتوتر بالغ ، وهو يستعد لتلك المواجهة ، التى لا تشبه أية مواجهات أخرى ، فى تاريخه كله ..

ففى هذه المرة ، سيواجه خصمًا مجهولاً ..

تمامًا ..

وهذا يختلف عن كل ما اعتاده فى حياته السابقة كرجل مخابرات ، يجمع فى المعتاد أكبر قدر ممكن من المعلومات ، قبل أن يواجه خصمه ..

إنها ليست أوَّل مواجهة له ، مع كائنات من عوالم أخرى(*)..

(*) راجع قصة (الغزاة) .. المغامرة رقم (١٢٤) .

ولكنه أكثرها غموضًا ..

وهو لا يدرى كيف ستسير الأمور ..

إنه لا يجازف بحياته وحدها هذه المرة ..

وإنما بحياة رفاق الماضى أيضًا ..

وهذا أكثر ما يزعجه ..

ويقلقه ..

ولكنه يعلم أن مصير عالم بأكمله قد يتوقَّف على هذه المواجهة ..

وهذا هو أخطر ما فى الأمر ..

ومن أجل هذا ، لا بد أن يقاتل ورفاقه حتى آخر نفس فى صدورهم ..

وآخر قطرة دم فى عروقهم ..

توقَّف لحظة ، عند باب حجرة الرصد ، ليملأ صدره بنفس عميق ، قبل أن يدقّ الباب مرتين ، ثم يدلف إلى المكان ..

استدار إليه (كونار) بنظرة نارية ، وهو يسأل شخص ما ، عبر جهاز اتصال داخلى محدود :

- هل انتهى البرنامج بالفعل ؟!

أتاه صوت الرجل ، يقول فى ثقة :

- كل شىء على ما يرام يا سيادة الرئيس .. سيبدأ البرنامج عمله ، فى منتصف الليل بالضبط .

تجاهل (كونار) وجود (أمجد) ، وهو يسأل الرجل ، فى اهتمام شديد :

- أأنت واثق من أنه سيؤدى المطلوب منه بكل دقة ؟!

أتى صوت الرجل أكثر ثقة ، وهو يجيب :

- تمام الثقة يا سيادة الرئيس .. لقد جندت كل إمكانياتنا للقيام بهذا العمل .

غمغم (كونار) فى ظفر وارتياح :

- عظيم .

انعقد حاجبا (أمجد) ، فى توتر شديد ، وهو يتساءل : تُرى ما الذى سيحدث ، فى منتصف الليل تمامًا ..

ما الذى جنَّد له هذا الكائن الغريب ، كل إمكانيات (مصر) العلمية والعسكرية ؟!

إنه حتمًا ليس أمرًا جيِّدًا ..

على الإطلاق ..

قطع (كونار) أفكاره ، عندما أنهى الاتصال ، وأدار عينيه إليه فى صرامة نارية ، وهو يقول :

- ماذا فعلت بالضبط ، أيها المستشار الأمنى ؟!

بدا (أمجد) هادئًا واثقًا ، على الرغم من كل التوتر فى أعماقه ، وهو يقول :

- وماذا فعلت يا سيادة الرئيس ؟!

سأله (كونار) فى صرامة وحشية :

- لماذا استبدلت طاقم الحراسة ؟!

هزَّ (أمجد) كتفيه ، قائلاً :

هذا أمر طبيعى يا سيادة الرئيس .. من الخطأ أن يتولَّى طاقم حراسة وزارة الدفاع الـ ..

قاطعه (كونار) فى شراسة :

- دعنا لا نضيع الوقت .

سأله (أمجد) فى حذر :

- ماذا تعنى يا سيادة الرئيس ؟!

قال (كونار) فى وحشية ساخرة :

- ودعنا نوقف هذه التمثيلية الهزلية أيضًا .

انعقد حاجبا (أمجد) ، وهو يسأله :

- أية تمثيلية ؟!

اتسعت عينا (كونار) على نحو مخيف ، وهو يميل نحوه ، قائلاً :

- أنت تعلم أننى لست الرئيس ..

أراد (أمجد) أن يعترض ..

أو يرفض ..

أو يستنكر ..

ولكن شيئًا ما ، انطلق من عينى (كونار) ، وغاص فى عقله مباشرة ..

أو أنه قد سعى لهذا ..

ففجأة ، خُيِّل إليه أن رأسه يشتعل ، ومخه يصرخ فى ألم ، وعيناه تنتفخان على نحو رهيب ، جعله يرفع يديه إلى عينيه ، ويطلق آهة مكتومة ..

ثم غاص خنجر حاد فى أعمق أعماق مخه ..

وداخل تلك الكرة الملصقة بالجدار ، هتف رئيس الجمهورية فى ارتياع :

- لا .. ليس (أمجد) .

وجفَّ حلق (أكرم) ، وهو يغمغم :

- رباه ! إنه يخترق عقله ، مثلما فعل معى ..

وانهار مدير مكتب الوزير ، فى حين تبادل الوزير نفسه نظرة متوترة مع القائد الأعلى ، وقد قفزت فى ذهن كل منهما فكرة واحدة ..

لقد ضاع الأمل ..

الأخير ..

أما (أمجد) ، فقد راح يقاوم ذلك الألم الرهيب فى استماتة ..

ويقاوم ..

ويقاوم ..

وفى أعماقه ، أدرك أن (كونار) يتغلغل فى كيانه ..

فى كل ذرة منه ..

الآن فقط أدرك من يواجه ..

أدرك هوية خصمه ..

وطبيعته ..

وقدراته ..

وأدرك أيضًا أن هذا الخصم يسعى للمعرفة ..

معرفة كل شىء ..

وكل التفاصيل ..

وقاوم (أمجد) أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

ولكن (كونار) راح يخترق كيانه بوحشية أكبر ..

ويخترق ..

ويخترق ..

وصار من المحتم أن يعرف كل شىء ..

أن يعرف ما ينتظره ..

وما أعدّه له فريق المخابرات القديم ..

وبكل التفاصيل ..

وكان من المستحيل أن يسمح له (أمجد) بهذا ..

مهما كان الثمن ..

ولكن المقاومة كانت تعنى المزيد والمزيد من الألم ..

وتعنى أن يشتعل مخه ..

ويشتعل ..

ويشتعل ..

ثم إن موعد الهجوم لم يحن بعد ..

أمامه بضع دقائق أخرى ، سيعانى فى كل ثانية منها آلامًا بلا حدود ..

لذا ، فلم يعد أمامه سوى سبيل واحد ..

وأمل واحد ..

وبكل قوته ، وإرادته ، وما تبقّى من كيانه ، انقضَّ (أمجد) ..

انقضّ على (كونار) ..

انقضّ ، وهو يدرك أن هذه الانقضاضة قد تحمل له الموت ..

بلا رحمة .

* * *

٧ ـ بلا هوادة ..

لثوان ، تجمَّد الموقف كله ، فى تلك القاعة الكبيرة ، فى عالم جنس (موك) ، والكل يحدِّق فى تلك الوحوش البيضاء شبه الآدمية ، التى بدت أشبه بحيوانات غوريلا بلا ملامح ، تستعد للانقضاض على فرائسها[*]، فى حين يقول ذلك الكائن الأبيض ، بلهجة فقدت كل الهدوء والرصانة :

ـ هذا الإجراء الدفاعى الخاص كان حتميًّا ، لحماية عالمنا الجديد ، وضمان عدم تعرّضه للمخاطر ، بسبب كائنات أدنى .

(*) الغوريلا : من القردة العليا الشبيهة بالإنسان ، والتى تستوطن المنطقة الغربية من (إفريقيا) الاستوائية ، وهى أضخم القردة العليا ، وعلى عكس الشائع عنها ، فى الأفلام والروايات ، فهى حيوان نباتى ، يتغذى على الفواكه والخضراوات فحسب .

غمغمت (نشوى) فى غضب :

ـ كيف يصفنا هذا الوغد بأننا كائنات أدنى .

تابع الكائن ، متجاهلاً عبارتها الغاضبة :

ـ إننا نعتذر مقدَّمًا عما سيحدث لكم ، ولكننا ابتكرنا هذه الوحوش الآلية لهدف واحد لا غير ..

واكتسى صوته بصرامة شديدة ، وهو يضيف :

ـ القتل .. وبلا رحمة .

ومع آخر حروف كلماته ، كشّرت الوحوش عديمة الملامح عن أنيابها الحادة الرهيبة .. ثم اتجهت نحو الأرضيين ..

وفى حزم متوتر ، هتف (نور) ، وهو يزيح ابنته وزوجته جانبًا :

ـ فليتقدَّم العسكريون كلهم إلى خط المواجهة .. المدنيون والنساء فى الخلف .. سنقاتل حتى آخر قطرة دم .

تحرَّك العسكريون بمنتهى الحزم والشجاعة ، وصنعوا من أجسادهم حاجز دفاع ، فى مواجهة الوحوش الخمسة ، الذين واصلوا تقدُّمهم ، ومخالبهم تنمو على نحو مخيف رهيب ، والكائن يتابع ، فى لهجة أقرب إلى الشماتة :

- عندما أحضركم برنامجنا إلى هنا ، حرص على تجريدكم من كل الأسلحة والمعدات ، التى يمكن أن تمثِّل لنا خطرًا ، ومعظمكم لم يتناول طعامًا أو شرابًا ليومين أرضيين تقريبًا ، وهذا يعنى أن قدرتكم على القتال ستنخفض إلى حد كبير ، واحتمالات نجاحكم تكاد تبلغ الصفر ..

وأضيفت إلى لهجته رنة ساخرة ، وهو يضيف :

- أو أقل قليلاً .

ومع آخر حروف كلماته ، أطلقت الوحوش زمجرة مخيفة ..

ثم انقضَّت ..

وتصدَّى لها (نور) ورجال الجيش فى بسالة ..

ولكن المخالب الحادة ، والأنياب الطويلة انقضت تقطع وتمزِّق ، بلارحمة أو هوادة .. وتفجَّرت أنهار الدم ..

وصرخت النساء فى رعب ،وتراجعت (سلوى) بكل ذعر الدنيا ، وهى تهتف :

- يا إلهى (نور) .. يا إلهى !

أما (نشوى) ، فقد انعقد حاجباها فى شدة ، وهى تتابع تلك المذبحة الرهيبة .. ثم اندفعت فجأة ..

اندفعت تتجاوز حاجز المقاتلين ، فصاح بها (نور) مذعورًا :

- (نشوى) .. لا ..

واصلت اندفاعها نحو الأجهزة ، فى ركن القاعة ، واستدار إليها أحد الوحوش ، وكشَّر عن أنيابه ، وأبرز مخالبه أكثر ، فانقضَّ عليه (نور) ، صارخًا :

- لا .. إلا (نشوى) .

خوفه الشديد على ابنته ضاعف من قوته ألف مرة ، وهو يحيط عنق الوحش بذراعه ، ويعتصره بكل قوته ، صارخًا :

- لن تنالها إلا على جثتى أيها القذر .

حماسه الشديد ضاعف من قوة الآخرين أيضًا ، فراحوا يقاتلون باستماتة متجاهلين جروحهم وإصاباتهم ، والدماء التى تنزف منهم فى غزارة ..

وسقط اثنان منهم شهداء ..

وأصيب ثالث إصابة فادحة ..



خوفه الشديد على ابنته ضاعف من قوته ألف مرة ، وهو يحيط عنق الوحش بذراعه ..

أما (نور) ، فقد أدار الوحش يده خلف ظهره ، وغرس مخالبه فى كتفه ، ثم انتزعه عن ظهره ، وألقاه بكل قوته نحو الجدار ..

وانقض عليه بكل وحشية الدنيا ..

وعلى الرغم من الدماء ، والصرخات ،والرعب ، والانهيارات ، اندفعت (نشوى) نحو الأجهزة ، وراحت تضغط المكعبات فى سرعة ، محاولة فهم نسقها وأسلوبها ، ووسيلة التعامل معها ..

وفى توتر ملحوظ ، قال الكائن الأبيض :

ـ لن يمكنك التعامل معها قط ... التكنولوجية التى صنعتها تفوق إدراكك ألف مرة .

واصلت (نشوى) عملها ، متجاهلة قوله هذا ، ومحاولة سد أذنيها وعينيها عن كل ما يحدث خلفها ..

المكعبات تحمل المعلومات المختزنة ..

والكرات تشبه أزرار لوحة المفاتيح لدينا ..

ومع ضغطة لمكعب آخر ، أضيئت شاشة ثانية هولوجرامية ، تنقل صورة للمنطقة (ص) ، فى صحراء (مصر) الغربية ..

ولكن (نشوى) لم تبال بها الآن ..

لقد تفادى والدها (نور) انقضاضة الوحش ، ووثب جانبًا ، والدماء تنزف من كتفه فى غزارة ، ولكن الوحش اعترض طريقه بسرعة مدهشة ، وضربه بمخالبه الطويلة فى صدره ..

وتفجَّرت دماء (نور) ثانية ..

وقال الكائن فى توتر :

ـ لا تحاولى .. عقولكم الأرضية لن تبلغ مقدار عقولنا قط ..

ولكنها واصلت المحاولة ..

الدوائر البعيدة تضىء أكثر ..

ومكعبات المنتصف تحمل كل المعلومات الأساسية ..

وبرامج التشغيل ..

وفى وحشية ، انقضَّ الكائن الشبيه بالغوريلا على (نور)، وأسقطه أرضًا ، وجثم على صدره ..

وصرخت (سلوى) بكل رعبها ..

وسقط شهيد ثالث ..

ورابع ..

وتفجَّرت الدماء من عنق خامس ..

وانهارت (الدكتورة (ليلى) ..

وفقدت الدكتورة (مارى) وعيها رعبًا ..

ثم غرس الوحش أنيابه فى عنق (نور) ..

وانهار كيان (سلوى) كله ، أمام تلك اللحظة الرهيبة ..

لحظة الرعب ..

والدم ..

والموت ..

* * *

« خمس عشرة دقيقة أرضية ، ويبدأ الغزو يا مولاى .. »

نطق قائد الجيوش الإمبراطورية فى (هور) العبارة ، وهو يشير إلى بقعة من عالمه ، بدأت تتموَّج على نحو عجيب ، جعلها أشبه بسطح بحيرة هادئة ، غاص فيها حجر صغير منذ لحظات ، فتطلَّع الإمبراطور بدوره إلى تلك البقعة، وغمغم :

ـ عظيم .

ثم أشار بيده فى عظمة ، مضيفًا :

ـ عندما تصبحون هناك ، لا تضيعوا الكثير من الوقت على الأرض .. ولا تدخلوا قط فى مفاوضات أو مناقشات ، أو حتى حروب صغيرة .. اسحقوا كل مقاومة فورًا .. لا يعنينى كثيرًا كم ستريقون من الدماء .. المهم أن يتم إنجاز العمل بسرعة ، وأن تكون سيطرتنا على عالم الأرض كاملة ، حتى يمكننا الوثوب منها إلى الهدف الرئيسى .

أومأ قائد جيوشه برأسه متفهمًا ، وقال :

ـ نحن ندرك جيِّدًا أهمية الأرض ، وموقعها المثالى كنقطة تجمع ، لكل البوَّابات الفضائية الكونية ، وندرك أيضًا حتمية السيطرة عليها ، كطريق أساسى إلى عالم (موك) ، الذين سنذيقهم هذه المرة أفدح هزيمة عرفوها ، فى تاريخهم العريق كله .

انعقد حاجبا الإمبراطور ، وهو يقول فى صرامة :

ـ تذكَّر أن كارثتنا القديمة قد منحتهم فرصة التطوُّر أكثر ، لولا ذلك الوباء ، الذى أرسلناه إليهم ، لصاروا اليوم سادة الكون .

قال قائد الجيوش فى حزم :

ـ هذه المعركة ستحسم أمر سيادة الكون يا مولاى .

غمغم الإمبراطور :

ـ بالتأكيد .

ثم اضطجع على عرشه الضخم ، مضيفًا فى توتر :

ـ أيًّا كانت النتائج .

دقَّ القائد صدره بقبضته ، قائلاً :

ـ ستكون لصالحنا يا مولاى .

زفر الإمبراطور ، وهزَّ رأسه ، قائلاً :

ـ فلنأمل هذا .

سأله قائده فى اهتمام :

ـ مولاى .. هل نبدأ الهجوم فور وصولنا إلى الأرض أم ننتظر حتى اكتمال قوتنا ؟!

اعتدل الإمبراطور ، قائلاً :

ـ إذا نجح (كونار) فى مهمته ، وأمكنكم بدء العبور ، مع لحظة التماس العظمى ، فأوَّل ما عليكم فعله هو تثبيت أقدامكم هناك ، والسيطرة من الجانب الآخر على الفجوة ، وسحق أى سلاح اعتراضى ، قد يكون شعب (موك) قد وضعه هناك ، وبعدها ستتدفَّق قواتنا ، وستضطرون إلى بدء القتال ، فور أن يرصد الأرضيون الموقف .

ابتسم قائد الجيوش ، وهو يقول :

ـ إذا ما وضعنا أقدامنا هناك ، فلن توجد قوة فى الأرض كلها ، يمكن أن توقفنا أو تردعنا .

غمغم الإمبراطور :

ـ بالتأكيد .

ثم مال إلى الأمام ، متسائلاً فى توتر :

ـ السؤال الفعلى الآن إذن هو : هل نجح (كونار) فى مهمته هناك ، ومنحنا فرصة العبور إلى الأرض ؟!

وعاد يتراجع على عرشه ، مضيفًا فى صرامة :

ـ هذا هو السؤال الحقيقى .. والحاسم .

ولم يعلِّق قائد الجيوش على عبارته هذه المرة .. كل ما فعله هو أن أدار رأسه إلى تلك البقعة

من عالمه ، التى يزداد تموّجها كل دقيقة ، وهو يكرِّر السؤال نفسه فى أعماقه ..

هل نجح (كونار) فى مهمته هناك ؟!

هل ؟!

★ ★ ★

من المؤكَّد أن انقضاضة (أمجد) على (كونار) كانت مباغتة ومفاجئة تمامًا لهذا الأخير ..

وناجحة أيضًا ..

لقد انتزعته المفاجأة من تركيزه العقلى ، الذى كاد ينسف عقل (أمجد) ، وينتزع منه مالديه من معلومات ..

ولقد دفعته الانقضاضة المباغتة إلى الخلف ، ليرتطم بأحد أجهزة الرصد الداخلية ، ويسقط معه ومع (أمجد) أرضًا ..

ومع تحررُ عقل (أمجد) ، استعاد جسده سيطرته على نفسه ، فهوى على فك (كونار) بلكمة كالقنبلة ، هاتفًا :

ـ جميل منك أن اعترفت بزيفك .

لم يعد لدى (كونار) الفرصة أو الرغبة ، لمواصلة انتحال هيئة الرئيس ، لذا فقد استعاد ملامحه الأصلية ، وأطلق زمجرة غاضبة ، وهو يهتف بصوته الأجش المخيف ، وأنيابه الحادة تبرز كالوحوش :

ـ وهل يفيدك الاعتراف ؟!

هوى (أمجد) على فكه بلكمة أخرى ، هاتفًا :

ـ من يدرى ؟!

دفعه (كونار) بكل قوته ، صائحًا :

ـ أنا .

كانت الدفعة قوية رهيبة ، حتى إنها انتزعت (أمجد) عن صدر (كونار) ، وألقته ثلاثة أمتار كاملة إلى الخلف ، ليرتطم بالجدار ، ثم يسقط على وجهه أرضًا ..

كانت الآلام رهيبة ، وتنتشر فى كل عظمة من عظامه ، إلا أن إرادته الفولاذية جعلته يهبّ واقفًا على قدميه ، وينقضّ على (كونار) ثانية ، هاتفًا :

ـ سنرى .

مال (كونار) جانبًا فى خفة ، ليتفادى انقضاضة (أمجد) ، إلا أن هذا الأخير استجاب للتفادى بسرعة مدهشة ، فوثب عاليًا ، ودار حول نفسه ، ليركل (كونار) فى وجهه بقدمه اليسرى ، ثم يعقب هذا بضربة أخرى من قدمه اليمنى ..

وترجع (كونار) مع عنف الضربتين ، وسال

سائل أخضر لامع من أنفه ، مسحه بكفه ، وهو يقول بغضب هادر :

ـ إذن فأنت لست مستشارًا أمنيًا فحسب .. إنك تجيد القتال أيضًا .

سأله (أمجد) ساخرًا :

ـ ما رأيك أنت ؟!

شدّ (كونار) قامته ، وتألّقت عيناه بغضب نارى ، وهو يقول :

ـ رأيى أن أساليبكم القتالية متخلّفة أيضًا ، ككل حضارتكم هنا .

ثم اتخذ وقفة قتالية عجيبة ، مضيفًا :

ـ دعنى أعلمك كيف يكون القتال الحقيقى .

انعقد حاجبا (أمجد) ، وهو يقول :

ـ فلنر .

قالها ، ووثب نحو (كونار) ، بمنتهى الخفة والرشاقة ..

ووثب (كونار) أيضًا ..

وما من مقاتل ، فى الأرض كلها ، يمكن أن ينكر أن (أمجد صبحى) حالة خاصة للغاية ..

إنه أفضل مقاتل عرفه الجيل ..

أو ربما التاريخ ..

وعلى الرغم من هذا ، فقد بدا له (كونار) وكأنه يطير ، برشاقة مذهلة ، وخفة بلا حدود ..

كلاً .. إنه لم يبد كذلك ..

لقد طار بالفعل ..

طار ، متجاوزًا كل قوانين الجاذبية ، وضرب (أمجد) بقبضته وقدميه فى آن واحد ..

وكانت ضرباته بالغة القوة ..

والدقة ..

ففى لحظة واحدة ، تلقَّى (أمجد) لكمتين فى أنفه ، وركلة فى معدته ، وثانية فى ساقه اليسرى ..

وسقط (أمجد) أرضًا ..

أما (كونار) ، فقد هبط على قدميه ، وعقد ساعديه أمام صدره ، وهو يقول فى سخرية شامتة :

- أرأيت كيف يكون القتال ؟!

غمغم (أمجد) :

- إنه أسلوب مذهل ومبهر .

اتسعت ابتسامة (كونار) الظافرة ، وهو يقول :

- إذن فأنت تعترف .

هتف (أمجد) مكملاً :

ـ فى المرة الأولى فقط .

ثم وثب فجأة من رقدته ، واندفع نحو (كونار) وهو يهتف :

ـ أما فى المرة الثانية .

تحرك (كونار) لتفادى الانقضاضة ، فى سرعة ، ولكن (أمجد) عدّل من زاوية انقضاضته بغتة ، وانزلق أرضًا فى خفة رائعة ، وركل (كونار) فى ساقيه ، مكملاً :

ـ فأنت تعتاده تمامًا .

اختلّ توازن (كونار) ، وحاول أن يتشبّث بالجدار ، إلا أنه انزلق عنه فى سرعة ، فهوى على ظهره أرضًا ..

ومع سقوطه ، ارتطمت يده بالكرة الملصقة

بالجدار ، فهوت ترتطم بالأرض ، ثم تتدحرج عبر الغرفة ، ومدير مكتب الوزير داخلها يصرخ :

ـ لا .. لا .. سنموت كلنا .

صاح به (أكرم) فى غضب :

ـ تماسك يا رجل .. الفائدة الوحيدة لذلك الفراغ السخيف الذى نسبح فيه ، هو أننا لا نشعر بالصدمات أو الضربات العنيفة .

أوقفها الرئيس بإشارة صارمة ، وهو يقول :

ـ مهلاً .. أريد أن أتابع القتال ، بين (أمجد) وذلك الشيطان .

سأله وزير الدفاع ، والكرة تتدحرج إلى ركن الحجرة :

ـ هل تعتقد أن (أمجد) يمكنه الصمود أمامه ؟!

قال الرئيس فى توتر :

ـ (أمجد) أمكنه الصمود من قبل ، أمام الكثير من الصعاب .

غمغم الوزير فى مرارة :

ـ لم تكن صعابًا من عالم آخر .

صمت الرئيس لحظة ، ثم قال فى خفوت :

ـ فلنأمل أن يصمد .

كان (أمجد) ، فى هذه اللحظة ، ينقضّ على (كونار) بكل قوته ، هاتفًا :

ـ والآن حان دورى .

وركله فى أنفه وفكه ، مضيفًا :

ـ لأعلمك القتال .

تفجَّر ذلك السائل الأخضر ، من أنف (كونار) وفمه ، وهو يثب واقفًا على قدميه ، قائلاً بكل غضب الكون :

ـ من الواضح أنك لست مقاتلاً عاديًا أيها الأرضى .

ثم اندفع فجأة نحو الجدار ، مستطردًا فى حدَّة :

ـ وأنا أيضًا كذلك .

واتسعت عينا (أمجد) بدهشة عارمة ، عندما شاهد أمامه أكبر تحدٍّ لقوانين الجاذبية الأرضية ..

لقد وثب (كونار) إلى الجدار ، وعدا عليه ، حتى بلغ السقف ، وواصل عدوه فوقه ، فى وضع مقلوب ، يخالف كل القوانين ..

ومن السقف ، انقضّ فجأة على (أمجد) ، وأحاط عنقه بقبضتيه ، هاتفًا فى ظفر :

ـ والآن قل لى ما الذى يمكنك أن تفعله ؟!

شعر (أمجد) بقوة هائلة ،تنتزعه من الأرض ، وترفعه من عنقه إلى أعلى ، مع ضحكات (كونار) ، الذى يهتف :

- الآن ستدرك أننى وحدى أحمل لقب أعظم مقاتلى الكون .

احتقن وجه (أمجد) فى شدة ، وشعر أنه يختنق ..

ويختنق ..

ويختنق ..

وضحكات (كونار) الظافرة تتعالى ..

وتتعالى ..

وتتعالى ..

وبكل ما تبقَّى له من قوة وإرادة ، رفع (أمجد) قدميه إلى أعلى ، وثنى جسده كله فى مرونة مدهشة ، و ..

وركل (كونار) فى صدره مرة ..

وثانية ..

وثالثة ..

ولكن (كونار) ظلّ متشبثًا بعنقه ، يعتصره ..

ويعتصره ..

ويعتصره ..

وفى غضب عصبى ، هتف (أكرم) ، من داخل الكرة :

- ماذا ينتظر السيِّد (أمجد) بالضبط ؟! لماذا لا يطلق عليه النار مباشرة ؟!

قال رئيس الجمهورية فى توتر :

- (أمجد) لا يحمل أية أسلحة نارية .

هتف (أكرم) :

- لا يحمل ماذا ؟!

أجابه الرئيس ، فى توتر أكثر :

- إنها قصة قديمة ، كانت سببًا فى اعتزاله العمل بالمخابرات العامة .. قصة عجيبة ، ربما أرويها لك يومًا .

وانعقد حاجباه فى شدة ، وهو يضيف :

ـ لو كُتِبَتْ لنا الحياة .

انعقد حاجبا (أكرم) بدوره ، وهو يستعيد خبراته السابقة مع (أمجد) ، الذى استخدم الأسلحة بالفعل ..

ولكنه لم يكن يحملها أبدًا ..

منذ عرفه على الأقل ..

و ...

وفجأة ، توقَّفت أفكاره كلها ..

وازداد حاجباه انعقادًا ..

وفى اللحظة نفسها ، انتبه الكل إلى ما التقطته أذناه ..

وقع أقدام تتجه فى قوة نحو المكان ..

وهتف الوزير فى انفعال :

ـ رباه ! أمن الممكن أن ..

قاطعه الرئيس فى حماس :

ـ إذن فـ (أمجد) لم يأت وحده .

وهتف القائد الأعلى فى حزم :

ـ عظيم ..

ولكن أذنى (كونار) أيضًا التقطتا وقع الأقدام ، فزمجر فى غضب ، هاتفًا :

ـ آه .. إنها خطة لاعتقالى إذن .

صاح به (أمجد) ، وهو يختنق :

ـ اذهب إلى الجحيم .

اشتعلت عينا (كونار) فى غضب ، وهو يهتف :

ـ لا أحد يدرى ، من منا سيذهب إليه :

وفجأة ، ترك قوانين الجاذبية تستعيد سيطرتها عليه ،ودار جسده فى الهواء ، ليسقط على قدميه ..

ثم ترك عنق (أمجد) بغتة ،وتراجع فى سرعة ، وهو يقول ، ووقع الأقدام يقترب فى سرعة أكبر :

ـ سيكون عليهم أن يتخذوا قرارهم بأقصى سرعة .

ومع قوله تموَّج وجهه وجسده ..

وداخل الكرة ، هتف (أكرم) ذاهلاً :

ـ يا إله الكون !

واتسعت عيون الكل فى ارتياع ..

فخلال لحظات ، وبتكنولوجيا شديدة التقدُّم والتطوُّر ، تحوَّل (كونار) إلى نسخة طبق الأصل من (أمجد) ..

نسخة فى هيئته ، وزيه ، وملامحه ..

وحتى صوته ..

وفى اللحظة التالية ، اقتحم الفريقان الحجرة ، حاملين مدافعهم الآلية ..

وبكل براعة محاكاته ، هتف (كونار) ، وهو يشير نحو (أمجد) :

ـ اقتلوه .. إنه ينتحل شخصيتى .

واتسعت عيون الرجال فى ذهول ، لمرأى نسختين متماثلتين ، بهذه الدقة المدهشة ..

ولكن غريزتهم خدعتهم ، مع هتاف (كونار) ، وانتزعتهم من ذهولهم فى عنف ..

لذا ، فقد اتجهت فوهات مدافعهم كلها نحو هدف واحد ..

نحو (أمجد) الحقيقى .

* * *

٨ ـ محاولة إصلاح ..

رقد جسد الرائد ـ (أيمن) هامدًا ساكنًا ، فى قبو وزارة الدفاع ، الذى نقله إليه طاقم حراسة الوزير ..

كان الجسد شبه الآلى قد فقد كل طاقته وقدراته ، بعد مواجهته العنيفة مع قائد الـ (هور) (كونار) ..

إلا جزءًا ضئيلاً للغاية ..

ذلك الجزء المتصل بالمخ مباشرة ، والذى واصل بث تلك الإشارات الباهتة الضعيفة ، إلى مركز الأبحاث العلمية ..

ثم فجأة ، تلقَّى ذلك الجزء إشارة قوية ..

إشارة جعلته ينشط فجأة ..

ثم يبثّ إشاراته إلى أجزاء أخرى من الجسد شبه الآلى ..

وفى بطء ، راحت تلك الأجزاء تنشط ، وتنهض من رقادها ..

وبدأ مصدر الطاقة الاحتياطى المحدود عمله ..

وفى بطء ، فتح الرائد (أيمن) عينيه ..

وعاد عقله يعمل ..

ويعمل ..

ويعمل ..

وطبقًا للبرنامج المتطوِّر ، الذى يربط عقله بأجزاء جسده الآليه ، أدرك أنه يخضع لمحاولة إصلاح مركزية ..

وأن برنامج الإصلاح عن بُعد قد بدأ بالفعل ، وأن أجزاء جسده يصلح بعضها البعض ، للوصول إلى أفضل كفاءة ممكنة ..

ولأنه يدرك طبيعة الأمر جيِّدًا ، فقد ترك كل أجزاء جسده البشرية تسترخى ، لتوفير كل الطاقة الممكنة لبرنامج الإصلاح ..

وفى مركز الأبحاث العلمية ، هتف الدكتور (كمال) فى ارتياح :

ـ أعتقد أننا قد نجحنا يا دكتور (جلال) .

زفر الدكتور (جلال) فى ارتياح ، قائلاً :

ـ حمدًا للَّه .. حمدًا للَّه .

ثم سأل فى اهتمام :

ـ كم يمكننا استعادته فى كفاءته ؟!

أشار الدكتور (كمال) إلى المؤشرات على الشاشة ، قائلاً :

ـ عندما نفذنا هذا المشروع ، وضعنا فى الاحتمالات حالات الأعطال المباغتة البعيدة ، ولكنها



وفى مركز الأبحاث العلمية ، هتف الدكتور (كمال) فى ارتياح :

– اعتقد أننا قد نجحنا يا دكتور (جلال) ..

لم تكن تزيد ـ فى كل الأحـوال الطبيعيـة ـ على ثلاثين فى المائة ، لذا فقد وضعنا ما يكفى لإصلاح أعطاب تبلغ خمسين فى المائة احتياطيًّا ، ولكـن الإصابة هنا ـ كما تشير النتـائج الإليكترونيـة ، المستقاة فى الإشارة المرسلة ـ تتجاوز السبعين فى المائة ، وهذا يعنى أننا ، حتى ولو أطلقنا جهاز الإصلاح عن بعد بأقصى طاقاته ، فلن تبلـغ نسبة النجاح مـا يزيد علـى الثمـانين فـى المائـة ، مـن الكفاءة التامة .

سأله الدكتور (جلال) فى قلق :

ـ وهل يكفى هذا لمواجهة جديدة ؟!

أجابه فى أسف :

ـ مواجهة مدروسة فحسب .

ثم استدرك فى اهتمام :

ـ ولكن لا تنس أن أجهزة (أيمن) مجهَّزة ، بحيث تكتسب خبرات قتالية ، فى أية مواجهات سابقة ، وهذا سيفيد كثيرًا ، فى المواجهة القادمة .

سأله الدكتور (جلال) ، وهو يعرف الجـواب مسبقًا :

ـ وكم ستستغرق من وقت ، لبلوغ تلك الكفـاءة المتوقَّعة ؟!

تطلَّع الدكتور (كمال) إلى المؤشرات مرة أخرى ، قبل أن يجيب :

ـ حوالى الساعة .

نطقها ، دون أن يدرى كلاهما أن هـذه الفترة تتجاوز بكثير ما تبقَّى للأرض كلها ..

فخـلال أقل من عشر دقائق ، سينحسم أمر العالم كله ..

إلى الأبد ..

★ ★ ★

فجأة ، تجمَّد كل شىء ...

الوحوش البيضاء عديمة الملامح توقَّفت بغتة ، كما لو أنها قد تحولَّت فى لحظة واحدة إلى تماثيل صمَّاء ..

ولثوان ، تجمَّد البشر أيضًا ، وهم يحدقون فيما حدث بذهول ..

ثم تجاوز (نور) هذا الجمود ، وهو ينتزع أنياب الوحش من عنقه ، ثم يدفعه عن صدره ، وينهض ممسكًا عنقه ، محاولاً منع الدماء التى تنزف منه ، هاتفًا :

- ماذا حدث بالضبط ؟!

التفتت إليه (نشوى) بوجه شاحب ، مغمغمة :

- لقد أوقفت الإجراء الدفاعى .

نطقتها ، ثم انفجرت باكية فجأة ، وكأنما تفرغ

كل ما اختزنته فى أعماقها من انفعالات فتطلَّعت إليها أمها فى إشفاق ، ثم أسرعت إليها ، واحتوتها بين ذراعيها ، هاتفة :

- رويدك يا ابنتى .. رويدك .. لقد انتهى كل شىء .. أنت قمت بعمل رائع .. رائع للغاية .

أجهشت (نشوى) بالبكاء على صدرها ، هاتفة :

- تلك الوحوش كانت ستقتلكم جميعًا بلا رحمة .

غمغم (نور) ، وهو يربط منديله على عنقه ، لمنع النزيف :

- لقد قتلت بعضنا بالفعل .

وألقى نظرة آسفة على شهداء المعركة ، قبل أن يلتفت إلى الصورة المجسَّمة ، مستطردًا فى غضب :

- بسبب هؤلاء الأوغاد المسالمين .

قال الكائن فى صرامة :

- نجاح زميلتكم فى تحديد وحذف الإجراء الدفاعى ، لا يعنى أنكم قد انتصرتم على برنامجنا ، فتدخلكم يعنى أنكم قد فقدتم آخر فرصة ، للعودة إلى عالمكم .

هتف به الدكتور (خالد) :

- الواقع أنه لم تكن لدينا أية فرصة ، للعودة إلى عالمنا .

قال الكائن فى تحد :

- مشكلتكم أيها البشر هى الغرور .. أنتم تتصوَّرون أنفسكم دائمًا الأقوى ، والقادرين على مواجهة كل مخاطر الكون ، ولكن الواقع أنكم مجرَّد كائنات بدائية بسيطة ، وتطوّركم كله لا يساوى ذرة من التطوُّر ، الذى بلغته عشرات الكواكب الأخرى فى مجرات بلا عدد أو حدود .

أشار إليه (نور) ، قائلاً فى صرامة :

- ومشكلتكم أنتم أنكم تتصوَّرون أن القوة تكمن فى التكنولوجيا والتقنية العسكرية وحدهما ، حتى ولو لم تساندهما أية مبادئ أو عقائد سليمة ، وتاريخنا ينبئنا بأن هذا فكر خاطئ تمامًا ، فالحضارة الرومانية بلغت فى زمانها شأنًا لم يبلغه سواها ، حتى إنها قد فرضت سيطرتها يومًا على العالم المعروف كله ، وصار الحصول على الجنسية الرومانية هو غاية الهدف والمنى ، لكل بشرى ، خاصة وأن الحضارة الرومانية قد نجحت فى السيطرة على كل الحضارات الأخرى ، بما فيها الحضارة المصرية ، التى تعدّ واحدة من أرقى الحضارات ، التى عرفها التاريخ ، ولكن تلك الحضارة الرومانية الضخمة لم تلبث أن انهارت ، وتحولت إلى أثر بعد عين ، لأنها لم تهتمّ ببناء الأخلاقيات والمبادئ ، كما اهتمت ببناء

الإمبراطوريات والفتوحات والانتصارات(*) وما دمتم تراقبوننا منذ زمن طويل ، فأنتم تدركون أن ما أقوله صحيح .

قال الكائن ، فى شىء من السخرية :

- حضارتنا لم تعرف الفلسفة ، التى تعرفونها فى عالمكم .

قال (نور) فى صرامة :

- وحضارتكم لم تعرف المبادئ ، التى نشأنا عليها فى عالمنا .

قال الكائن فى صرامة :

- المهم من ينتصر فى النهاية .

صاح أحد العسكريين فى حدة :

- يمكننا أن ندمر كل أجهزتكم الآن ، فتعجزون عن حماية مداخل وبوابات عالمكم .

(*) حقيقة تاريخية .

قال الكائن ساخرًا .

- الـ (ميجالون) ، الذى أرسلناه إلى عالمكم ، منذ مليون عام من أعوامكم ، مجهَّز ببرنامج تشغيل خاص ، ولايربطه بعالمنا القديم سوى نظام النقل فحسب ، ولكن حتى بفرض أنكم قد نجحتم فى إفساده ، فهذا سيعنى تدمير كوكبكم وعالمكم أوَّلاً .... انظروا إلى شاشة الرصد الكونية ، التى أشعلتها زميلتكم مصادفة ، وستدركون أن وجود الـ (ميجالون) وحده هو الذى يحمى عالمكم من الغزو الآن ، ولو توقَّف عمله لحظة واحدة ، عندما تحين لحظة التماس العظمى ، فسيعنى هذا نهاية عالمكم .

قال (نور) فى صرامة :

- وعالمكم أيضًا .

صمت الكائن لحظة ، ثم قال :

- هذا مجرَّد افتراض .

ثم أضاف فى صرامة :

- ولكن الأمر المؤكَّد ، هو أنكم قد فقدتم آخر أمل فى النجاة ، وستقضون نحبكم هنا ، فى عالمنا القديم .

قالت (نشوى) فى صرامة ، وهى تمدّ يدها نحو المكعب الأول :

- هذا أيضًا مجرَّد افتراض .

صاح الكائن فى توتر :

- حذار أن تفعلى .. أنا همزة الوصل الوحيدة ، بينكم وبين الـ ...

ضغطت المكعب ، قبل أن يتمَّ عبارته ، فانزلق بنفس النعومة المدهشة ..

وتلاشت صورة الكائن دفعة واحدة ..

وفى بطء مذعور ، تساءلت الدكتورة (ولاء) :

- ماذا فعلت بالضبط ؟!

أجابتها (نشوى) فى حزم :

- أنهيت حديثه السخيف .

هتف أحد العسكريين :

- وماذا سنفعل الآن ؟! هل نلقى حتفنا هنا ؟!

أجابه (نور) فى صرامة :

- ليس بالضرورة .

ثم التفت إلى زوجته ، قائلاً :

- (نشوى) أمكنها فهم بعض الأمور ، عن هذا النظام .

غمغمت متوترة :

- أنا أيضًا يمكننى فهم البعض الآخر .

ثم أضافت فى عصبية :

ـ ولن يكون هذا بالأمر السهل .

تمتم (نور) :

ـ أعلم هذا .

اتجهت فى حزم نحو ابنتها ، وراحتا تدرسان المكعبات والدوائر ، فى حين تساءل أحد العسكريين فى عصبية :

ـ أمن الممكن أن يفعلا هذا ؟!

قال (نور) فى هدوء :

ـ ولِمَ لا ؟!

هتفت الدكتورة (ليلى) فى عصبية :

ـ وما الذى يمكن أن يفعلاه .. ذلك الشىء فى عالمنا لديه برنامج مستقل ، وبرنامجه هذا لايحوى أية وسيلة لإعادتنا ، وهذا يعنى أننا سجناء هنا ، على بعد ملايين السنوات الضوئية من كوكبنا ، دون طعام أو شراب ، والمصير الوحيد الذى ينتظرنا هو الموت .

انعقد حاجبا (نور) ، وهو يقول :

ـ لا ينبغى أن نفقد الأمل أبدًا .

هتف الدكتور (خالد) فى مرارة :

ـ وأين هو الأمل ؟!

أجابه (نور) فى حزم :

ـ الأمل فى الله (سبحانه وتعالى) لا ينقطع أبدًا .

قال أحد العسكريين :

ـ عظيم .. ما الذى تقترحه إذن ؟! أن نبدأ فى أكل أجساد الموتى لنحيا ، ونواصل البقاء ؟!

كانت الفكرة بشعة رهيبة ، على الرغم من أنها

قد حدثت يومًا بالفعل(*)، فهز (نور) رأسه فى قوة ، قائلاً :

- هذا ليس حلاً .

هتف آخر :

- ما الحل إذن ؟!

صمت (نور) بضع لحظات مفكرًا ، قبل أن يقول فى حزم صارم .

- ربما لا يمكن الحل هنا .

سألته الدكتورة (ولاء) ، وهى تلهث انفعالاً :

- ماذا تعنى ؟!

(*) فى منتصف السبعينات ، سقطت طائرة ركاب على جبال الألب السويسرية ، وسط ثلوج الشتاء ، ولم تعثر عليها طائرات البحث ، إلا بعد شهر كامل ، لسوء الأحوال الجوية ، ولقد أعلن الناجون من الحادث ، أن سبب بقائهم على قيد الحياة ، هو أنهم قد استخدموا أجساد الموتى منهم كوسيلة للتغذية ، وأن الأمر ، على الرغم من بشاعته ، بدا بالنسبة لهم كأمل أخير للبقاء ، وأنه لن يمكنهم نسيان ما حدث قط ، مهما تبقى لهم من العمر .

أشار بيديه ، قائلاً :

- إننا ، ومنذ وصولنا إلى هنا ، محتجزين داخل هذه القاعة البيضاء الكبيرة ، ولا أحد يدرى ماذا يوجد خارجها .

تلفَّت الكل حولهم فى قلق ، وغمغم الدكتور (خالد) :

- لست أجد أبوابًا أو نوافذ .

قال (نور) :

- هناك وسيلة لِلخروج حتمًا .

هتفت الدكتورة (مارى) مستنكرة :

- وهل ستجازف بالخروج ، لو وجدت تلك الوسيلة ؟!

سألها (نور) فى صرامة :

- ولِمَ لا ؟! أتتصورين أن البقاء والاستسلام أقل خطورة ومجازفة .

هتفت فى عصبية :

ـ لا أحد يدرى ما يوجد فى الخارج .

قال (نور) فى عزم :

ـ هذا ليس سببًا يدعونا للبقاء ، فلا أحد كان يعلم ماذا يوجد ، بعد المحيط الأطلنطى ، وعلى الرغم من هذا ، فقد اجتازه (كريستوفر كولومبس) ، ليكشف الأرض الجديدة(*).

غمغم أحد العسكريين :

ـ ليته ما فعل .

(*) (كريستوفر كولومبس) (١٤٥١ ـ ١٥٠٨ م) : مكتشف (أمريكا) ، ولد فى (جنوة) الإيطالية ، واستطاع الحصول على موافقة ملك (إسبانيا) ، للإبحار إلى (الهند) ، عن طريق الملاحة فى المحيط الأطلنطى غربًا ، وأقلع بالفعل بثلاث سفن (سانتا ماريا) ، (بنتا) و(نينا) ، وعلى الرغم مما فعله ، فقد عاد إلى (إسبانيا) مكبلاً بالأغلال ، لسوء إدارته لإحدى مستعمرات (هسبانيولا ١٥٠٠ م) ولكنه سرعان ما أبحر مرة أخرى ، ليبلغ (هندوراس) ، (١٥٠٢ م) ، ثم لم يلبث أن اضطر إلى العودة ، ومات فقيرًا مغمورًا .

قال (نور) فى صرامة :

ـ المهم أنه وجد الأمل ، الذى عجز الكل عن رؤيته ، خلف المحيط .

لوَّحت الدكتورة (مارى) بيدها نحو الجدار ، هاتفة فى عصبية :

ـ وهل تدرك أنت ما الذى يمكن أن تجده ، خلف هذه الجدران ؟!

هزَّ كتفيه ، مجيبًا :

ـ ليس أسوأ مما ينتظرنا داخلها بالتأكيد .

سأله الدكتور (خالد) :

ـ وماذا لو لم يكن هناك هواء فى الخارج ؟! ماذا لو أننا نحيا هنا فقط ، بسبب مصدر هواء صناعى ؟! لاتنس أننا على كوكب آخر ، يبعد ملايين السنين الضوئية عن عالمنا .

هزَّ (نور) رأسه ، قائلاً :

ـ لست أعتقد هذا لعدة أسباب ، أولها هو أن شعب (موك) ، عندما اختار الأرض ، كان يبحث حتمًا عن معبر يصلح لمعيشته .

قال أحد العسكريين فى سرعة :

ـ لا تنس أنه لم يحاول الاستقرار فيها .

تابع (نور) :

ـ ربما ، ولكن السبب الثانى ، يجعلنى أكثر وثوقًا ، فلو أن المناخ الخارجى خال من الهواء والأكسجين ، اللازم لحياتنا ، لما كان هناك داع لتلك الوحوش ، التى حاولت قتلنا هنا .. كانت تكفى فتحة صغيرة فى الجدار ، لينفد الهواء ، وينهار الضغط ، ونلقى حتفنا فورًا ، دون قتال وإراقة دماء بلا داع ، وهذا يقودنا إلى السبب الثالث ، وهو أنه لم يكن من المفترض تواجد آدميين فى منطقة التماس ، فما الحاجة إلى صنع قاعة مجهَّزة لهم ، طوال ألف عام .

قالت الدكتورة (ولاء) :

ـ وماذا عن الوباء ؟! كل شعب (موك) غادر عالمه إلى الأبد ، فرارًا من وباء رهيب ، فماذا لو أن هذه القاعة قد أقيمت كلها للوقاية منه ؟!

انعقد حاجبا (نور) ، وهو يدرس هذا الاحتمال الجديد ، و ...

وفجأة ، هتفت (نشوى) فى ارتياع :

ـ رباه ! انظروا !

استدار الكل مع هتافها ، ليحدِّقوا فى الشاشة الهولوجرافية الكبيرة ، التى تنقل صورة لما يحدث فى المنطقة (ص) ..

واتسعت العيون كلها فى ارتياع بلا حدود ..

فما رأوه أمامهم كان رهيبًا ..

رهيبًا بكل المقاييس ..

* * *

ثانية واحدة كان يمكن أن تُحدث فارقًا كبيرًا ، فى مصير المعركة كلها ..

ثانية واحدة ، استدارت فوهات أسلحة الرجال فيها نحو (أمجد صبحى) ، و(كونار) الذى ينتحل شخصيته ، يهتف بصوته وأسلوبه :

ـ أقتلوه .. اقتلوا العدو .

وانطلق عقل (أمجد) يعمل كالصاروخ ..

رفاقه سيعجزون حتمًا عن تمييز الموقف بدقة ..

إنهم أمام رجلين يتشابهان تمام الشبه ، وأحدهما يطالبهم بإطلاق النار على الآخر ..

فماذا ينبغى أن يفعلوا ؟!

لابد أن يتخذوا قرارهم فورًا ..

وبأقصى سرعة ..

طبيعة العمل ، الذى اعتادوا عليه طيلة عمرهم ، تحتم عليهم طاعة قيادتهم فورًا ..

ودون مناقشة ..

ثم إنهم ، كمحترفين ، لن يترددوا لحظة واحدة ..

لا بد إذن من وسيلة مباشرة وقوية وسريعة ..

وسيلة تجعلهم يحسمون أمرهم ..

ودون أدنى شك ..

دارت كل هذه الأفكار فى رأس (أمجد) ، فى جزء من الثانية ..

ذلك الجزء الذى استغرقته التفاتة فوهات المدافع الآلية إليه ، و ...

« إننى أستسلم .. »

نطقها (أمجد) فى هدوء شديد ، وهو يرفع ذراعيه فوق رأسه ..

وانعقد حاجبا (كونار) فى شدة ، وهو عاجز

عن استيعاب الموقف ، خاصة وأن فوهات المدافع قد توقَّفت كلها دفعة واحدة ، فارتسمت على شفتى (أمجد) ابتسامة هادئة ، وهو يضيف :

ـ وهذا يعنى أنه لا توجد مقاومة تبرِّر إطلاق النار كما اتفقنا .. أليس كذلك ؟!

ومع عبارته ، استوعب رفاقه الأمر فورًا ..

وعادت فوهات مدافعهم تدور ، نحو صدر (كونار) هذه المرة ..

وهتف (كونار) فى غضب :

ـ آه .. فهمت .

واستعاد وجهه ملامحه الأصلية البشعة ، وهو يرفع عينية الناريتين إلى (أمجد) ، متابعًا :

ـ إنها عبارة متفق عليها .. أليس كذلك ؟!

خفض (أمجد) يديه ، وعقد ساعديه أمام صدره ، وهو يقول :

ـ بل عقول من الأرض ، يمكنها استيعاب الحقائق فى سرعة مناسبة أيها الوغد

هتف (كونار) فى غضب :

ـ وغد ؟!

وبضغطة زر سريعة على حزامه ، أحاطت بجسده هالة زرقاء باهتة ، وهو يتابع فى صرامة :

ـ هذا الوغد سيلقنكم درسًا فى القتال وأساليبه أيها الأرضيون .

لم يفهم (أمجد) ما الذى يعنيه ظهور هذه الهالة الزرقاء بالضبط ..

ولكنه اعتبرها دليلاً على مقاومة محتملة ..

لذا ، فقد هتف بكل قوته :



لم يفهم (أمجد) ما الذى يعنيه ظهور هذه الهالة الزرقاء بالضبط ..

ـ أطلقوا النار .

وقبل حتى أن تكتمل عبارته ، كان فريقه يضع الأمر موضع التنفيذ ..

وانطلقت الرصاصات كالمطر ..

انطلقت كلها نحو (كونار) ..

ثم ارتدّت فى عنف ..

تلك الهالة الزرقاء الباهتة ، التى تحيط بجسد (كونار) ، تلقّت كل الرصاصات ، ثم ردّتها بمنتهى العنف ..

وتناثرت الرصاصات فى الحجرة ، فى اتجاهات عشوائية مخيفة ..

ونسفت اثنتين من شاشات الرصد الداخلية ..

وأصابت ثلاثة من رفاق (أمجد) ، بإصابات مختلفة ..

وارتدت رصاصة منها بزاوية منخفضة ، وأصابت الكرة الملقاة فى الركن ، فتشقَّق جدارها ، على نحو جعل (أكرم) يهتف فى انفعال :

ـ رباه ! أمن المحتمل أن ..

قبل أن يتمّ عبارته ، تفجَّر الجدار الشفاف السميك بغتة ..

ومع انفجاره ، شعر (أكرم) بفيض من الهواء يملأ صدره فى قوة ، وبآلام تنتشر فى كل شبر من جسده ، وبانقباض رهيب فى عضلاته ، وضوء مبهر يغشى بصره ، حتى إنه أطلق صرخة مكتومة ..

أما (أمجد) ورفاقه ، فقد اتسعت عيونهم فى ذهول تام ، عندما شاهدوا رئيس الجمهورية ، ووزير الدفاع ، والقائد الأعلى للمخابرات العلمية ،

ومدير مكتب وزير الدفاع ، و (أكرم) ، يتمددون أمامهم فى سرعة مدهشة ، كما لو أنهم ينبتون من ركن الحجرة ..

وخلال ثوان معدودة ، كان الخمسة يقفون وسط المقاتلين ..

وبكل دهشة ، هتف (أمجد) :

ـ سيادة الرئيس .. رباه ! هل ؟!

كان الرئيس ـ كالآخرين ـ يشعر بآلام رهيبة ، فى كل عضلة فى جسده ، وعلى الرغم من هذا ، فقد أشار إلى (كونار) ، هاتفًا :

ـ اقتلوا هذا الشىء .. اقتلوه فورًا يا (أمجد) .

أطلق (كونار) ضحكة ساخرة عالية ، وهتف :

ـ اقتلوه ؟! بهذه البساطة ؟! ألا تدرك أنهم قد حاولوا .

ثم انعقد حاجباه ، وهو يضيف :

- وفشلوا .

وانتزع من حزامه كرة زرقاء ، وهو يكمل بغضب هادر :

- والآن حان دورى .

مدّ يده بالكرة نحوهم ، فراحت تتألّق بضوء أحمر قوى ، وكأنها تشحن نفسها بطاقة هائلة ، و (كونار) يضيف :

- وسأريكم كيف يمكننى سحقكم جميعًا .. وبضربة واحدة ..

قالها ، وكرة الموت تتألق بذلك الضوء أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

* * *

٩ - الغـزو ..

« دقيقة واحدة ، على لحظة التماس العظمى يا مولاى .. »

سرى الانفعال فى جسد الإمبراطور ، عندما نطق قائد جيوشه العبارة ، وتعلّق بصره ، كأبصار الجميع ، بذلك الجزء المتموّج من عالمه ، والذى بلغ تموّجه ذروته ، استعدادًا للحظة العظمى ..

وانطلقت كل انفعالاته وأفكاره دفعة واحدة ..

الحرب بين عالمى (موك) و(هور) قديمة قدم التاريخ ..

منذ عهود أجداده العظماء ، كان الاثنان يسعيان للسيطرة على الكون كله ..

تاريخهما الطويل يؤكّد أنهما أقدم حضارتين ،

فى كل المجرات المأهولة ..

والحرب بينهما لم تنقطع قط ..

ثم حدث كارثتهم ..

ووباء جنس (موك) ..

هو واثق من أن ما أصابهم كان بفعل (موك) ، كما أن كل ما أصاب (موك) كان بيد (هور) ..

المهم أن دورة جديدة قد بدأت ..

جنس (موك) حاول اللجوء إلى تكنيك جديد ، باختيار عالم آخر بعيد مجهول ..

عالم لا يمكن العبور إليه مباشرة ، من عالم (هور) ..

ولكنهم توصلّوا إليه ..

ووجدوا السبيل إلى منطقة العبور ..

إلى الأرض ..

وبعد ثوان أرضية معدودة ، سيصبح بإمكانهم السيطرة على الأرض ..

وبعدها لن يكون من العسير كشف بوّابة العبور ، إلى عالم (موك) الجديد ..

المهم أن ينجح غزو الأرض أوّلاً ..

وبأقصى سرعة ..

السؤال الذى يقلقه بشدة ، هو : هل نجح (كونار) ؟!

هل ستنفتح الفجوة بين العالمين ؟!

هل سيمكنهم العبور إلى الأرض ؟!

هل ؟!

وأمام عينَيه ، وعلى شاشة كبيرة ، تحمل التوقيت الأرضى ، بدأ العد التنازلى للحظة التماس العظمى ..

وعاد السؤال يلحّ فى استماتة ..

هل ستنجح مهمة (كونار) ؟!

هل ؟!

هل ؟!

* * *

لم يكن (كونار) يحتاج لأكثر من ضغطه واحدة ، على جانبى الكرة ، لتنطلق منها طاقة هائلة ، تكفى لسحق الكل بلا رحمة ..

رئيس الجمهورية ..

ووزير الدفاع ..

والقائد الأعلى ..

و (أكرم) ..

و (أمجد) ..

والباقين كلهم ..

ستسحقهم الطاقة فى لحظة واحدة ، وتحيلهم جميعًا إلى حفنة من الرماد ..

أو الرمال ..

ولكن فجأة ، انتصبت حفنة الرمال الحية ، التى سقطت مع الساعة ، عند ركن الحجرة ..

تلك الطاقة الهائلة ، التى تعتمد على تكنولوجيا شديدة التطوّر أيقظتها ..

وأشعلتها ..

وجعلتها تنهض ..

وتنقضّ ..

ودون مقدمات ، فوجئ (كونار) بسهم من الرمال يضرب يده ، بقوة مدهشة ، ويلقى الكرة بعيدًا ، ثم يدور فى الهواء ، وينقضّ على حزام الطاقة الذى يرتديه ..

وصرخ (كونار) ، بكل غضب الدنيا :

ـ لا .. لا ..

ومع نهاية صرخته ، تلاشت الهالة الزرقاء من حول جسده ..

ودون أن يضيع لحظة واحدة ، وثب (أمجد) يلتقط مدفع أحد رفاقه المصابين ، وهو يصرخ فى فريقه كله :

ـ أطلقوا النار ..

وانطلقت رصاصاتهم فى سخاء ..

وعنف ..

ودقة ..

وفى هذه المرة ، اخترقت الرصاصات جسد (كونار) ، قبل أن يتخذ أى إجراء وقائى جديد ، وانتزعته من مكانه ، لتدفعه نحو الجدار فى عنف ، قبل أن يسقط أرضًا ، فى ألم وذهول ..

ومن مواضع شتى فى جسده ، تدفّق ذلك السائل الأخضر اللامع ..

وفى اللحظة نفسها ، ارتفع صوت آلى ، يقول :

ـ منتصف الليل تمامًا .. الأقمار الصناعية بدأت عملها .

رفع (كونار) عينيه المحتضرتين إلى شاشة الرصد ، التى تنقل صورة المنطقة (ص) ، ورأى المؤشرات تشير إلى انطلاق موجة الذبذبة المضادة المركزة ..

ومفعول الـ (ميجالون) يتوقّف دفعة واحدة ..

ثم نقلت الشاشة صوت فرقعة قوية ..

وتموّجت بقعة على ارتفاع عشرين مترًا من سطح الرمال ..

ثم انفتحت فيها بغتة فجوة هائلة ..

وعلى الرغم من أنه يلفظ أنفاسه الأخيرة ، أطلق (كونار) ضحكة وحشية ظافرة ساخرة ، وأشار بيده إلى الشاشة ، هاتفًا :

- إننى أموت ، ولكن مهمتى نجحت .

عاد يقهقه مرة أخرى ، بتلك الضحكة الظافرة المحتضرة ، والكل يحدقون فى شاشة الرصد الكبرى فى ذهول ، وقد أدركوا أنهم يشاهدون بأعينهم بداية مخيفة ..

بداية لغزو عالم كامل ..

عالم الأرض .

* * *

انتهى الجزء الثالث بحمد الله

ويليه الجزء الرابع والأخير بإذن الله

(سادة الكون)

رقم الإيداع : ٣٢١٥

نقطة التماس

- ما مصير (نور) ورفاقه، بعد أن ابتلعتهم الرمال الحية ؟!
- كيف يمكن لمقاتل العالم الآخر أن يضمن وصول قوات عالمه إلى الأرض ؟!
- ترى من ينتصر فى المعركة هذه المرة، ومن يربح حرب (نقطة التماس) ؟!
- اقرا التفاصيل المثيرة، وقاتل مع (نور) وفريقه .. من أجل الأرض ..



العدد القادم



د. نبيل فاروق

ملف المستقبل
سلسلة روايات بوليسية للشباب من الخيال العلمى

133

الثمن فى مصر ٢٠٠ قرشاً
ومايعادله بالدولار الأمريكى
فى سائر الدول العربية والعالم



روايات مصرية للجيب

ملف المستقبل

سرى جداً!!

سادة الكون

134

الجزء الرابع

د. نبيل فاروق

طباعة ونشر

المؤسسة العربية الحديثة

للطبع والنشر والتوزيع

ت: ٥٩٠٨٤٥٥ - ٦٨٣٥٥٥١ - ٢٥٨٦١٩٧

فاكس: ٦٨٢٧٠٠٢

ملف المستقبل

فى مكان ما من أرض (مصر) ، وفى حقبة ما من حقب المستقبل ، توجد القيادة العليا للمخابرات العلمية المصرية ، يدور العمل فيها فى هدوء تام ، وسرِّية مطلقة ؛ من أجل حماية التقدُّم العلمى فى (مصر) ، ومن أجل الحفاظ على الأسرار العلمية ، التى هى المقياس الحقيقى لتقدّم الأمم .. ومن أجل هذه الأهداف ، يعمل رجل المخابرات العلمية (نور الدين محمود) ، على رأس فريق نادر ، تم اختياره فى عناية تامة ودقة بالغة ..

فريق من طراز خاص ، يواجه مخاطر حقبة جديدة ، ويتحدّى الغموض العلمى ، والألغاز المستقبلية ..

إنها نظرة أمل لجيل قادم ، ولمحة من عالم الغد ، وصفحة جديدة من الملف الخالد ..

ملف المستقبل .

د. نبيل فاروق

١ ـ الغزاة ..

انطلقت زفرة ملتهبة ، من أعمق أعماق الدكتور (جلال) ، وهو يتابع فى توتر بالغ ، عملية محاولة إصلاح الأعطاب العديدة فى الجسد شبه الآلى ، للرائد (أيمن) ، السلاح السرى الجديد للإدارة ، فى حين انهمك الدكتور (كمال) إلى جواره ، فى تنفيذ برنامج الإصلاح عن بعد ، محاولاً إعادة ثمانين فى المائة من القدرات العديدة ، لذلك المقاتل ، الذى يجمع تكوينه بين البشر والآلة ..

وفى محاولة للاسترخاء وتهدئة الأعصاب ، تراجع الدكتور (جلال) فى مقعده ، وترك عقله يسبح مع أفكاره وذكرياته ..

والواقع أن تلك الذكريات كانت محدودة للغاية ؛ نظرًا لأنه لم يكن ، فى أية لحظة ، طرفًا أساسيًا، فى كل ما مرّ من أحداث جسام ..

فالأمر كله بدأ بعاصفة ..

عاصفة عاتية ، هاجمت فريق البحث العلمى ، والقوات العسكرية المصاحبة له ، فى أثناء اختبار المسبار الموجى الجديد (م م ـ ١) ، لفحص جسم غريب ، مدفون تحت رمال الصحراء الغربية ، فى منطقة لم تمتدّ إليها يد بشر ، ولم تطأها أقدامهم ، منذ آلاف السنين ..

واقتلعت العاصفة الكل بلا رحمة ..

فريق البحث ..

القوات المصاحبة ..

وحتى الأجهزة ..

ولأن الواقعة كانت غامضة وعجيبة ،فقد استعان وزير الدفاع بـ (نور) و(سلوى) و (نشوى) ، فى محاولة لحل اللغز ، واحتجزهم فى مركز الأبحاث العسكرية الخاص ..

وفى المركز ، توالت المفاجآت ..

فحص الكمبيوتر الدقيق كشف عن عمالقة من الرمال الحية ، ينهضون من قلب الصحراء ..

عمالقة يهاجمون بكل العنف ، والغضب ، والمقت ..

ثم كانت هناك ظاهرة أخرى عجيبة ..

نبضات قلب بشرية قوية ، تنبعث من أعماق الصحراء والرمال ..

الرمال الحية ..

وكان من المحتم أن يتم إجراء تجربة مباشرة ..

وإلى البقعة (ص) ، التى تحوى كل الغموض ، وبأمر مباشر من وزير الدفاع ، طار (نور) و (سلوى) و(نشوى) ، لإجراء تلك التجربة ، على الرغم من كل ما ينتظرهم هناك من غموض .. وخطر ..

وأرسل الوزير معهم المدرَّعة (صلب) ، أقوى مدرَّعة ابتكرتها العقول المصرية العسكرية .. ولكن (مشيرة) و(أكرم) و(رمزى) كشفا أن الوزير قد خدع رفاقهم ..

وكان عليهم أن يسعوا لإنقاذهم ..

بأى ثمن ..

الشىء الذى لم يدركوه قط ، هو أن وزير الدفاع ، الذى يتعاملون معه ، ليس هو وزير دفاع (مصر) الحقيقى ..

إنه مخلوق مختلف ...

مخلوق من عالم آخر ..

ولقد اعتقل ذلك البديل الخرافى (أكرم) و (مشيرة) ، ولكن الأوَّل نجح فى الفرار ، واستعان بالدكتور (كريم) ، مستشار الوزير العلمى ، لسرقة الحوَّامة الرسمية ، والانطلاق نحو المنطقة (ص) ، لإنقاذ (نور) وزوجته وابنته ..

وفى نفس الوقت ، هبَّت عاصفة جديدة ..

واختفى الكل ..

حتى (نور) ، و(سلوى) ، و(نشوى) ..

وحدثت مواجهة جديدة ، بين وزير الدفاع البديل ، ورئيس الجمهورية ، والقائد الأعلى للمخابرات العلمية ..

وفى هذه المواجهة ، كشف (كونار) ، الذى ينتحل صفة وهيئة الوزير عن وجهه الحقيقى ..

وجه قائد عالم (هور) ، الذى جاء ليمهِّد لغزو عالمه للأرض ..

وسيطر (كونار) على الكل ، وقام بتقليص الكل ، ووضعهم داخل كرة صغيرة ، ألصقها بالجدار ، ليتابعوا كل ما يحدث ، فى حين انتحل هو شخصية جديدة ..

شخصية رئيس الجمهورية ..

ولكن (مشيرة) رأت ما حدث ..

وأبلغت (رمزى) ..

وبدوره ، أبلغ أوَّل شخص جال بخاطره ..

الدكتور (جلال) ..

وأرسل الدكتور (جلال) السلاح السرى الجديد ، الرائد (أيمن) ، لمواجهة الموقف ..

وعلى الرغم من أن الرائد (أيمن) ، بجسده شبه الآلى ، كان قوة لايستهان بها ، إلا أن (كونار) ربح المواجهة ..

وسيطر على الموقف أكثر وأكثر ..

وهنا لم يعد لدى (رمزى) سوى أمل واحد ، بعد اللَّه (سبحانه وتعالى) ..

السيد (أمجد صبحى) ، المستشار الأمنى لرئيس الجمهورية ..

وتأكَّد (أمجد) من صحة الموقف ..

ومن حتمية المواجهة ..

ولكن بأسلوب آخر ..

أسلوبه هو ..

وفى الوقت نفسه ، كان (كونار) يواجه مفاجأة جديدة ..

لقد تم انتشال المدرَّعة (صلب) ، من قلب الرمال ..

ولكنها كانت مغلقة .. وخالية ..

لم يكن فيها أثر لأى كائن حى ..

على الإطلاق ..

هـذا لأن التكنولوجيا المتقدَّمة ، لجهاز الـ (ميجالون) ، الغارق فى أعماق الصحراء ، كانت قد انتزعت كل الأحياء من المدرَّعة ، ونقلتهم بوسيلة شديدة التطوّر ، إلى كوكب (موك) ، الذى يبعد فعليًّا ملايين السنين الضوئية عن الأرض ..

وبينما يستعد الكل للمواجهة على الأرض ، كان (نور) وكل من اقتلعتهم العواصف الغامضة ، وابتلعتهم الرمال الحية من قبل ، يجاهدون للعودة إلى عالمهم ..

وعلى كوكب (موك) ، أدرك (نور) الحقيقة كلها ..

وكشف أمر العالمين .. (موك) و(هور) ..

وأدرك الكل ، بمنتهى الذعر والفزع ، أن شعب (هور) فى سبيله لغزو الأرض ..

وسحقها سحقًا ..

ثم الانتقال منها إلى عالم (موك) الجديد ، للسيطرة عليه ، والحصول على انلقب ..

لقب السادة ..

سادة الكون ..

وعندما كشف (نور) الأمر ، أبرز عالم (موك) أنيابه ..

ومخالبه ..

وكانت معركة طاحنة ..

معركة انتصر فيها (نور) ومن معه ..

وفى نفس اللحظة ، كان (أمجد) يحقق انتصارًا آخر على الأرض ..

لقد انتصر ، مع رفاق سلاحه القدامى ، على (كونار) ، عميل شعب (هور) ..

ونجا (أكرم) ووزير الدفاع ، والقائد الأعلى للمخابرات العلمية ، ورئيس الجمهورية ، من ذلك السجن الرهيب ، الذى احتجزهم فيه القائد الشيطانى ..

واستعادت (مصر) قادتها ..

ولكن ـ للأسف ـ فى نفس اللحظة التى واجهت الأرض خطرًا داهمًا رهيبًا ..

فلقد حانت لحظة التماس العظمى ..

وانفتحت الفجوة بين العالمين ..

وبدأ الغزو ..

غزو الأرض ..

وكان هذا يعنى بداية جحيم جديد ..

ورهيب ..(*)

« دكتور (جلال) .. يا إلهى ! دكتور (جلال) .. »

انتزعت الصيحة الدكتور (جلال) من مكانه وذكرياته ، فهبّ من مقعده ، هاتفًا :

ـ ماذا هناك ؟!

أشار القادم إلى شاشة الرصد الرئيسية فى المعمل ، وهو يهتف لاهثًا :

ـ المنطقة (ص) .. تلك البقعة التى نرصد ذبذباتها منذ فترة .. إنها .. يا إلهى ! إنها ..

لم ينتظر الدكتور (جلال) ، حتى يتمّ الرجل عبارته المنفعلة ، فوثب إلى شاشة الرصد ، وضغط زر المشاهدة ، وتراجع فى حركة حادة ، و ...

(★) لمزيد من التفاصيل ، راجع الأجزاء الثلاثة الأولى (العاصفة) .. (الرمال الحية) ، و (نقطة التماس) .. المغامرات أرقام (١٣١) ، (١٣٢) ، و (١٣٣) .

واتسعت عيناه فى ارتياع كامل ، وهو يحدّق فى الفجوة الكبيرة ، التى راحت تتدفّق منها قوات مخيفة ، مع كرة ضخمة لامعة ..

كرة تشبه الـ (ميجالون) ..

وفى ارتياع تام ، ردّد حامل الخبر :

- رباه ! إنه غزو .. غزو جديد .

ولم ينبس الدكتور (جلال) ببنت شفة ..

فمن الواضح أن الأرض تواجه غزوًا بالفعل ..

غزوًا جديدًا ..

ومدمّرًا ..

* * *

عقد (براشر) ، قائد جيوش (هور) كفيه خلف ظهره ، فى صرامة شديدة ، وهو يتابع حركة قواته ، التى تتدفّق عبر الفجوة ، وقال فى لهجة

آمرة ، للفريق الذى ينقل الكرة الكبيرة اللامعة :

- أسرعوا .. لابد أن نزرع جهازنا هنا فى سرعة ، قبل أن يحاول شعب (موك) إغلاق فجوتنا إلى هذا العالم .

هتف به أحد أفراد الفريق العلمى ، المصاحب للحملة :

- سيّدى القائد .. أجهزتنا تشير إلى وجود (ميجالون) هنا ، ويبدو أنه يعيد شحن نفسه ، لإطلاق ذبذباته المانعة .

انعقد حاجبا (براشر) ، وهو يسأل فى توتر :

- أين يوجد بالضبط ؟!

أجابه العالم فى سرعة :

- على مسافة ستة تريلارات ، تحت الحصوات الصغيرة .

أدار (براشر) عينيه إلى رجاله ، هاتفًا فى صرامة :

- هيا .. ضعوا الـ (هورالون) فى موضعه ، وابدءوا تشغيله فورًا .

هتف العالم ، وهو يتابع أجهزته :

- الـ (ميجالون) سيبدأ عمله بعد عشرين ثانية أرضية .

قال (براشر) فى صرامة أكثر ، امتزجت بكل عصبيته وتوتره :

- أسرعوا .. أسرعوا .

تسابق رجاله لنقل الـ (هورالون) إلى الموضع المحدود مسبقًا ، ثم اندفع نحوه ثلاثة من علماء (هور) ، وراحوا يعالجونه فى سرعة مدهشة ، والعد التنازلى يسابقهم كالصاروخ ..

عشر ثوان ..

ثمان ..

خمس ..

ثلاث ..

ثم بدأ الـ (هورالون) عمله ..

وقبل ثانيتين فحسب من إعادة اشتعال الـ (ميجالون) ، انطلقت ذبذبات ال (هورالون) العكسية ، بمنتهى السرعة ..

والقوة ..

وانتفضت كل أجهزة الـ (ميجالون) فى عنف ..

وانطلقت منها حشرجة عجيبة ..

وتوقفت النبضات القلبية البشرية فى البداية ..

ثم توقَّف عمل الجهاز كله دفعة واحدة ..

وفى ظفر ، هتف العالم :

ـ لقد انتصرنا .

تألَّقت عينا (براشر) ، وهو يقول :

ـ إنها البداية فحسب .

ثم انتزع من ثيابه جهاز اتصال خاصًا ، وضغط جانبه ، قائلاً :

ـ مولاى الإمبراطور .. لقد كانت توقعاتنا صحيحة .. الـ (موك) وضعوا ذلك الـ (ميجالون) هنا ، لمنعنا من الوصول .

أتاه صوت الإمبراطور ، يقول :

ـ كيف نجحت عملية الاختراق والعبور إذن ؟!

قال (براشر) ، وهو يراقب قواته المتدفِّقة إلى عالم الأرض :

ـ عندما حانت لحظة التماس العظمى ، كان الـ (ميجالون) متوقِّفًا لسبب ما ، وأعتقد أن القائد (كونار) وراء هذا ، مما مكننا من السيطرة على ذبذباته ..

هتف الإمبراطور :

ـ عظيم .. عظيم .. كنت واثقًا من أنه سيؤدِّى مهمته على خير وجه .. هل حاولت الاتصال به ؟!

أجابه (براشر) ، وصوته يحمل شيئًا من الغيرة :

ـ ليس بعد .. لابد أن نضمن استقرارنا أوَّلاً .. لقد أوقفنا ذلك الـ (ميجالون) ، ولكن من الممكن أن تواجهنا مقاومة عنيفة هنا ، وعلينا أن نستعد لهذا .

سأله الإمبراطور فى قلق :

ـ هل تعتقد أن الأرضيين لديهم التكنولوجيا اللازمة لهذا ؟!

أجابه فى حزم :

ـ ما دام (كونار) قد وجد لديهم ما مكّنه من إيقاف عمل جهاز متطورٍ ، مثل الـ (ميجالون) ، فهذا يعنى أنهم متقدمون إلى حد معقول .

سأله الإمبراطور ، وقلقه يتزايد :

ـ ماذا ستفعل إزاء هذا إذن ؟!

شدّ (براشر) قامته ، وهو يجيب بمنتهى الحزم :

ـ سنبدأ بمد سيطرتنا الكاملة على منطقة الاختراق .. سنحيطها بدرع واقٍ خاص ، ونقيم فيها معسكراتنا الأوّلية ، وننشر فيها قواتنا وأسلحتنا ، حتى يكتمل الانتقال ، خلال الساعات الثمان والأربعين الأرضية القادمة ، وبعدها ..

وانعقد حاجباه فى شدة ، وهو يضيف بصرامة منقطعة النظير ..

ـ وبعدها سنبدأ عملية الإبادة .. الشاملة .

نطقها ، وكل حرف فيها يحمل الشر ..

شر يكفى لتغطية الكون ..

بأكمله ..

* * *

« مستحيل ! »

هتف (نور) بالعبارة ، فى مرارة بلا حدود ، وهو يحدّق فى الشاشة الهولوجرافية ، التى نقلت صورة مخيفة لما يحدث هناك ..

على الأرض ..

أما الباقون ، فقد أصابهم مزيج غريب من الذعر والذهول والمرارة واليأس ..

مزيج انفطرت معه قلوبهم ، وهم يشاهدون بأعينهم غزوًا جديدًا ، وهم الذين لم ينجحوا بعد

فى إزالة جحيم الغزو السابق من ذاكرتهم وأعماقهم[*] ..

ولفترة تلت هتاف (نور) ، لم ينبس أحدهم ببنت شفة ، وقد هبط عليهم جميعًا صمت مريب رهيب ..

صمت طال ، قبل أن يقطعه الدكتور (خالد) ، مغمغمًا فى مرارة :

- يا للخسارة !

استدارت إليه الدكتورة (ليلى) ، قائلة فى عصبية :

- خسارتهم أم خسارتنا .

أجابها أحد العسكريين فى توتر :

- الخسارة واحدة للكل يا سيِّدتى .. لقد ضاع عالمنا .

(★) راجع قصة (الاحتلال) .. المغامرة رقم (٧٦) .

التفت إليه (نور) فى صرامة ، قائلاً :

- ليس بعد .

أطلقت الدكتورة (مارى) ضحكة ساخرة مريرة ، قبل أن تقول بصوت أقرب إلى البكاء :

- وما الفارق أيها المقدَّم ؟! أيًّا كان مصير كوكبنا ، فلن يصنع هذا فارقًا بالنسبة لنا .. مصيرنا هنا معروف ، ومحتوم .

انعقد حاجبا (نور) فى شدة ، وهو يقول فى صرامة :

- لو أنك عشت حياتنا يا سيِّدتى ؛ لأدركت أنه مهما تعقَّدت الأمور ، لايمكن استنتاج النهايات قط .

قالت الدكتورة (ولاء) :

- العلم يخالفك تمامًا أيها المقدَّم (نور) ؛ فكل شىء فيه يرتبط بقواعد وقوانين ، يمكن بوساطتها استنتاج النهايات ، بدرجة كبيرة من الدقة ..

ولو راجعت المعطيات الحالية ، لأدركت النتائج فى سهولة .. إننا هنا ، على مسافة ملايين السنوات الضوئية من عالمنا ، دون طعام أو شراب ، أو أية وسيلة للعودة ، فما هو المصير المتوقَّع فى رأيك ؟!

أشار (نور) إلى ابنته وزوجته ، قائلاً :

- (سلوى) و(نشوى) تواصلان فهم ودراسة نظام التشغيل ، الذى يحكم هذا العالم ، ولو أمكنهما فهمه ، فسيصبح باستطاعتهما عكس عملية النقل ، التى أتت بنا جميعًا إلى هنا ، و ..

قاطعه أحد الضباط فى حدة :

- عظيم .. وكم سيستغرق منهما هذا فى اعتقادك أيها المقدَّم ؟! أسبوعًا أم أسبوعين ؟! وكيف سنحيا نحن ، طوال هذه الفترة ؟!

قالت (نشوى) :

- الأمر قد يستغرق بضع ساعات فحسب .

هتفت بها الدكتورة (ليلى) مستنكرة :

- بضع ساعات ؟! أى قول مضحك هذا يا فتاة ؟! إننا نتحدَّث عن برنامج كمبيوتر .. أو شىء أشبه بالكمبيوتر ، فى عالم يفوقنا تقدُّمًا بعشرات المراحل .. إننى أذكر فى حداثتى ، أننى كنت أستخدم نظامًا شائعًا ، من أنظمة الكمبيوتر الشخصية ، وعندما حاولت الانتقال إلى نظام تشغيل منافس ، احتاج هذا منى لشهر كامل .

قالت (نشوى) فى حزم :

- هذا لأنك لست خبيرة كمبيوتر يا سيِّدتى .. فبالنسبة لنا ، كل الأنظمة تتشابه ؛ لأننا لا نلجأ إلى نظم التشغيل المختلفة ، وإنما نتعامل مباشرة مع نظم البناء الرئيسية ، والتى تعتمد فى عالمنا على الصفر والواحد الصحيح فقط ، فيما يعرف باسم

النظام الثنائى(*) ، وأنا لا أبحث هنا عن نظم التشغيل ـ وإنما عن نظام البناء ، الذى يستخدمونه فى هذا العالم ، لبناء كل نظمهم ، حتى ولو اختلفت ، وهذا أمر يختلف عن محاولة فهم نظام تشغيل ، يحتاج إلى عشرات الأوامر والمفاهيم .

قالت الدكتورة (ليلى) فى إصرار :

ـ مازلت أصرّ على أن هذا ليس بالأمر البسيط .. قد تحتاجان إلى يومين على الأقل ، لبلوغ نظام البناء الرئيسى .

تدخّلت (سلوى) ، قائلة :

ـ أو ربما ساعة واحدة يا سيّدتى .

هتفت الدكتورة (ولاء) :

ـ مستحيل !

(*) حقيقة .

واندفع أحد العسكريين ، يقول فى حنق !

ـ لماذا لا تعترفون بأن أمرنا قد انتهى هنا ؟!

أشار (نور) إلى الشاشة الهولوجرافية ، قائلاً :

ـ ولماذا لا تدركون أنتم أن عودتنا إلى عالمنا قد تعنى الكثير ، حتى ولو عدنا فى أسوأ حال ممكن ؟!

صاح رجل آخر فى سخط عصبى :

ـ أى كثير أيها المقدّم .. هل تتصوّر أن عودتنا إلى عالمنا ، بفرض نجاحنا فيها ، يمكن أن تعنى شيئًا لمصير الأرض ؟!

أجاب (نور) فى حزم :

ـ بالتأكيد ، مادامت لدينا معلومات جديدة .. أية معلومات .. مهنتى علمتنى أن معلومة بسيطة ، قد تبدو للكل بلا قيمة ، يمكن أن تكون الفيصل بين النصر والهزيمة .

ثم انعقد حاجباه بكل الصرامة ، وهو يضيف :

ـ لذا فمـن الضرورى .. بـل من المحتم أن نقاتل بكل قوتنا وطاقتنا ، لإيجاد وسيلة للعودة إلى الـ .. ،

قبل أن يتمّ عبارته ، دوت فرقعة مكتومة فى المكان ..

ثم انطفـأت الشاشـة المجسَّمة ، التـى ترصد ما يحدث على الأرض ، وتلاشت دفعة واحدة ..

واتسعت عيون الكل فـى ارتيـاع ، قبـل أن يتساءل (نور) فى توتر :

ـ ماذا حدث بالضبط ؟!

امتقع وجه (نشوى) فى شدة ، وهى تقول :

ـ لقد انقطع الاتصال .

سألتها الدكتورة (ولاء) فى هلع :

ـ الاتصال ؟!

ازداد امتقاع وجه (نشوى) ، وهـى تومـئ برأسها ، قائلة :

ـ نعم .. الاتصـال .. انقطـع كـل اتصـال لنا بالأرض .

شهقت الدكتورة (ليلى) ، هاتفة فى ذعر :

ـ هل تعنين أن عودتنا قد .. قد ..

فهم الجميع مـا تعنيـه الدكتـورة (ليلـى) ، فحفضت (نشوى) عينيهـا ، وتركـت دموعهـا تنساب على وجهها ، وهى تتمتم مكرِّرة :

ـ كل اتصال .

شهقت الدكتورة (ليلى) ، وتراجعت كالمصعوقة ، واتسعت عيون الباقين فى هلع وارتياع ، وغمغم أحد العسكريين ذاهلاً :

ـ إذن فقد فقدنا آخر أمل للعودة .. آخر أمل .

تفجَّر فيهم جميعًا ذهول يائس عنيف ، وراحوا يتطلَّعون إلى بعضهم فى ضياع تام ، و ..

وفجأة ، التقطت آذانهم جميعًا ذلك الصوت ..

صوت وقع أقدام تقترب ، من القاعة البيضاء الواسعة ..

واتسعت عيونهم مرة أخرى ، ونظراتهم تلتقى بانفعال واحد ..

الدهشة ..

والحيرة ..

والخوف ..

هذا العالم ليس خاليًا مقفرًا إذن ..

هناك شخص ما ..

أو شىء ما ..

شىء يقترب ..

ويقترب ..

ويقترب ..

ثم يتوقَّف فجأة ..

وتجمَّدت كل المشاعر والدماء ، عندما تموَّج جزء من جدار القاعة ، على نحو ناعم عجيب ..

ثم انفتحت فيه فجوة كبيرة ..

وخفقت القلوب كلها فى عنف ..

تُرى ما الذى يمكن أن يحمله إليهم ذلك القادم ؟!

الأمل فى الحياة ، أم ..

أم الموت ..

بلا رحمة ؟!

* * *

٢ ـ مجلس الحرب ..

لنصف دقيقة كاملة ، لم ينبس مخلوق بحرف واحد ، داخل حجرة الرصد ، فى وزارة الدفاع المصرية ، والكل يحدقون فى شاشة الرصد ، التى تنقل صورة واضحة للغزو ..

وفى كل الحلوق ، اختنقت غصة مؤلمة ..

غصة مريرة ..

خانقة ..

مهزومة ..

وعلى الرغم من أن (كونار) قد لفظ أنفاسه الأخيرة بينهم ، وسط بركة من ذلك السائل الأخضر البرّاق ، شعر الجميع بالأسف والأسى ، والهزيمة ، والعار ..

ثم قطع وزير الدفاع كل هذه المشاعر ، وهو يقول فى مرارة :

ـ نحن ساعدناه .. خبراؤنا عملوا على تأمين وصول الغزاة إلى عالمنا .

غمغم القائد الأعلى :

ـ الكل كان يتصوَّر أنه يؤدى واجبه .

زفر رئيس الجمهورية ، مضيفًا :

ـ وأنهم ينفذون أوامرى .

ثم انتفض جسده فى عنف ، قبل أن يكمل فى صرامة :

ـ ولكننا لم نخسر المعركة بعد .

انتقلت حماسته فى سرعة إلى الباقين ، فهتف القائد الأعلى للمخابرات العلمية :

ـ بالتأكيد .. لقد نجحوا فى الوصول إلى الأمر ، ولكن الحرب لم تبدأ بعد .

شدّ وزير الدفاع قامته ، وقال :

- بالتأكيد .

ثم استدار إلى مدير مكتبه ، قائلاً بصرامة آمرة :

- أبلغ قادة الألوية بوجود اجتماع طارئ عاجل فورًا .. لا تأخير أو اعتذارات .. وأطلق إشارة الطوارئ القصوى ، فى كل الوحدات ، وكل الأسلحة ، وكل البقاع .. الإجازات ملغاة ، والكل يتأهَّب ، فى انتظار أوامر أخرى .

اندفع مدير المكتب لتنفيذ الأوامر ، فى حين أضاف الوزير فى غضب :

- وعندما ينتهى هذا الأمر ، سننظر فى أمر منصبك .

قال القائد الأعلى فى حزم :

- أعتقد أن أفضل ما أفعله الآن ، هو العودة إلى مكتبى ، فالأمر يحتاج إلى جمع كل المعلومات الممكنة عما يحدث .

تنحنح (أمجد صبحى) ، وقال :

- معذرة يا سيِّدى ، ولكن لو أردت رأيى ، فلا ينبغى أن يعود أحد منكم إلى مكتبه .

سأله رئيس الجمهورية فى دهشة :

- لماذا ؟!

أجابه فى حزم :

- لأننا لم نحصل بعد على جواب السؤال الرئيسى .. لماذا احتفظ بكم ذلك المخلوق إلى جواره ، ولم يسع لتدميركم ، كما فعل مع الباقين ؟! ما الذى كان فى خطته بشأنكم ؟!

قال رئيس الجمهورية فى عصبية :

- وهل يمنعنا هذا من القيام بعملنا ، فى ظروف كهذه ؟!

أجابه فى سرعة :

- فارق كبير بين الذهاب إلى مكاتبكم ، والقيام بعملكم يا سيِّدى ..

ثم شدَّ قامته ، وانعقد حاجباه فى حزم ، وهو يقول :

- سيادة الرئيس .. هل تسمح لى بالقيام بعملى الحقيقى ، كمستشار أمنى لسيادتكم .

هتف الرئيس فى دهشة :

- بالتأكيد .

قال (أمجد) :

- عظيم .. فى هذه الحالة ، دعونا نتنازل عن فارق الرتب ، ونتعامل مع الأمر بشكل مختلف ، حتى يمكننا مواجهة هذا الموقف العصيب .

والتقط نفسًا عميقًا ، قبل أن يضيف بمنتهى الصرامة :

- وهذا يحتم أن يخضع الجميع لأوامرى .. الجميع بلا استثناء .

ارتفع حاجبا (أكرم) بدهشة كبيرة ، وحدَّق لحظة فى وجه (أمجد) ، قبل أن يبتسم ابتسامة واسعة ، ويتمتم بصوت لم يسمعه سواه :

- يا له من رجل !

أما القادة ، فقد ارتسمت الدهشة على وجوههم بضع لحظات وتبادلوا نظرة متوترة قصيرة ، قبل أن يقول القائد الأعلى فى هدوء حازم :

- ما الذى تراه ، فى هذا الموقف يا سيِّد (أمجد) ؟!

بدا وكأن تلك العبارة قد نقلت السلطة الفعلية فورًا ، إلى يد (أمجد صبحى) ، بغض النظر عن

هوية ومناصب الموجودين ، فقد تقمصته مرة أخرى روح القائد العظيم ، وهو يقول فى سرعة :

- جاسوس العالم الآخر هذا قضى بيننا فترة طويلة للغاية ، وعلم عنا الكثير ، وخاصة عن وزارة الدفاع ؛ ولأننا نجهل ما إذا كان باستطاعته نقل كل ما حصل عليه من معلومات إلى عالمه أم لا ، فلا بد أن نتحرك بأسلوب يخالف كل القواعد المعتادة ، فى مثل هذا الأمر .. سيادة وزير الدفاع لا ينبغى أن يجتمع بكل القادة دفعة واحدة ، فى مكان معروف كهذا ؛ إذ إن ضربة صائبة واحدة ، فى مثل هذه الحالة ، تكفى لنسف كل القيادات العسكرية دفعة واحدة ، مما يحطم الروح المعنوية للجيش تمامًا ، ويُحدث ارتباكًا عنيفًا ؛ يمنح العدو فرصة السيطرة السريعة على الموقف ، ولكن ، ولأن الاجتماع مهم للغاية ، فالأفضل أن يتمَّ فى مكان آخر ،

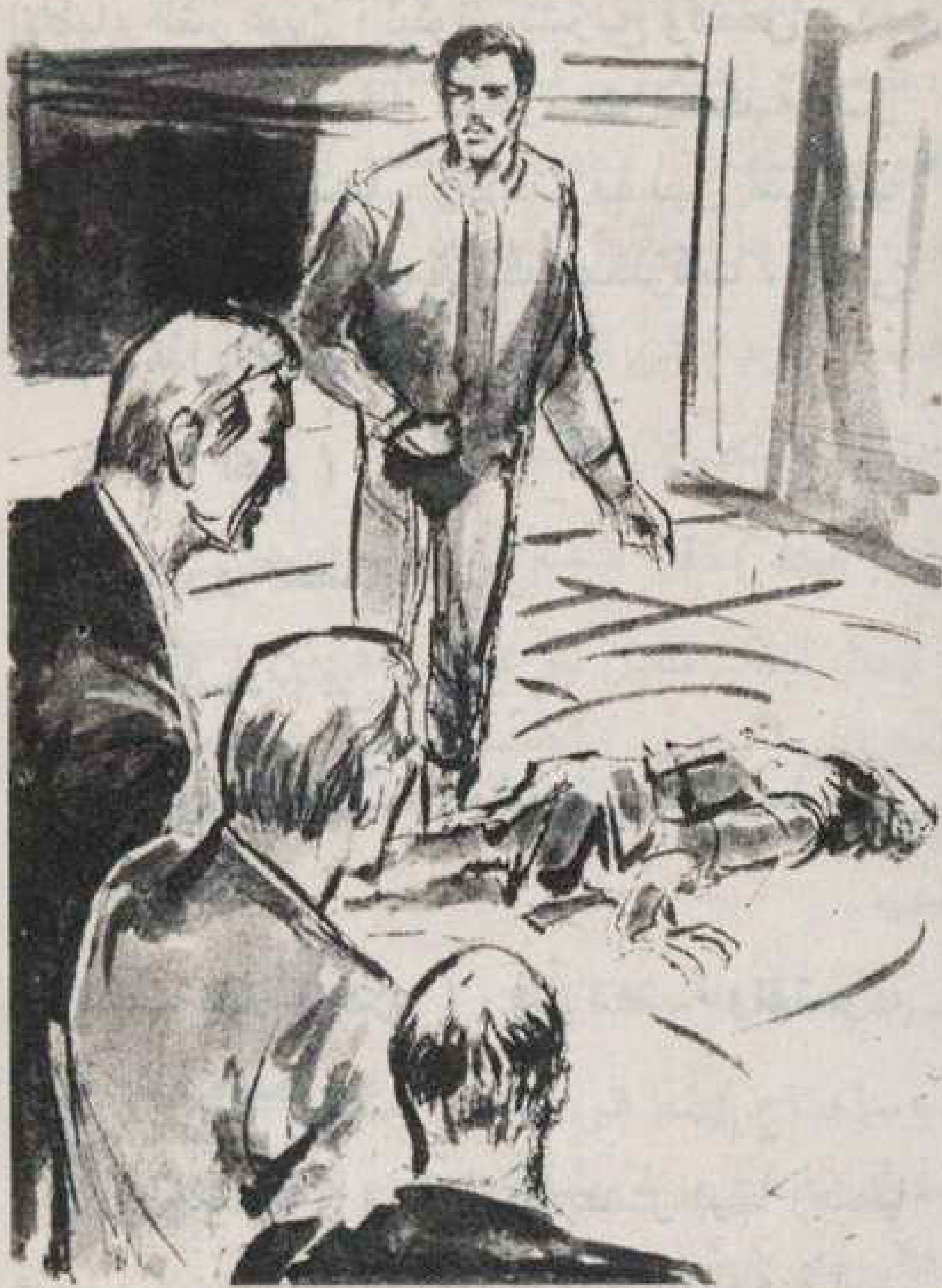
غير متوقَّع ، مثل غرفة العمليات السرية مثلاً ، باعتبارها أكثر مكان مؤمَّن ، فى (مصر) كلها ، ضد كل أنواع الهجوم ، حتى القنابل الأيونية .. والأفضل أن يكون هذا مقر الجميع ، حتى تتضح الصورة ، بحيث يتكوَّن منكم مجلس حرب ، يمكنه متابعة الموقف على نحو دقيق وسرى أيضًا ، ثم إن كل وسائل الاتصال ، فى غرفة العمليات السرية مؤمَّنة ضد التنصت والمراقبة ، وهناك ستجدون شاشات مراقبة ، تنقل إليكم كل ما يحدث ، أوَّلاً فأوَّلاً .

قال وزير الدفاع فى توتر :

- ومن سيدير الأمور من هنا ؟!

شدَّ (أمجد) قامته مرة أخرى ، قائلاً فى حزم :

- أنا ؟!



غمغم (أكرم) ، وهو يشير إلى جثة (كونار) :
- لو أنهم جميعا من عينة هذا الوغد ، فستكون المواجهة أعنف ..

هتف الوزير فى دهشة مستنكرة :

- أنت ؟!

أجابه (أمجد) فى سرعة واثقة حازمة :

- نعم .. أنا ومن أختاره من الرجال ..

ثم استدرك فى سرعة :

- وهذا بصورة مؤقتة فحسب ، حتى يمكننا فهم واستيعاب طبيعة وقدرات الخصم .

غمغم (أكرم) ، وهو يشير إلى جثة (كونار) :

- لو أنهم جميعًا من عينة هذا الوغد ، فستكون المواجهة أعنف مما يمكن تصورّه .

ألقى (أمجد) نظرة على الجثة ، ثم قال فى حزم :

- بمناسبة الحديث عن هذا الجاسوس .. أريد الاتصال فورًا بالدكتور (محمد حجازى) ، كبير

الأطباء الشرعيين ؛ ليتولَّى تشريح وفحص هذه الجثة ، وإمدادنا بكل المعلومات الممكنة عن طبيعتها ، وقدراتها ، والاختلاف بين أساليب التعامل مع البشر ، ومع تلك المخلوقات ، على أن يتم هذا بأقصى سرعة ممكنة .

غمغم (أكرم) :

- سأجرى اتصالاً به فورًا .

قال (أمجد) فى حزم :

- وبزوجتك السيِّدة (مشيرة) أيضًا يا سيِّد (أكرم) .

التفت إليه (أكرم) ، فى دهشة وتوتر ، فتابع بنفس الحزم :

- إنها سالمة ، وينبغى أن يصدر بيانًا رسميًا فورًا ، لإعلان تبرئتها من التهمة الظالمة ، التى

ألصقت بها زورًا وبهتانًا ، حتى يمكننا الاستعانة بها ، كسلاح إعلامى ، له مصداقيته وتأثيره الجماهيرى المباشر ، لإحماء الحماسة ، أو تهدئة النفوس ، إذا ما استلزم الأمر هذا .

غمغم (أكرم) فى انفعال :

- سأجرى اتصالاً بالاثنين فورًا .

عقد (أمجد) كفيه خلف ظهره ، وهو يقول :

- ابحث أيضًا عمن يرعى الصغيرين ؛ لأننا سنحتاج إلى (رمزى) أيضًا ، كخبير نفسى ، لفهم وتحليل ردود أفعال الغزاة ، فى الوقت المناسب .

ثم رفع سبَّابته ، مضيفًا :

- وسنحتاج أيضًا إلى سلاح خاص للغاية ، تم استخدامه فى مرة سابقة وفى مواجهة غزو من عالم آخر أيضًا .

سأله رئيس الجمهورية فى اهتمام :

ـ وما هو ؟!

لوَّح بكفيه ، مجيبًا :

ـ قبـة الطاقة الكبيرة ، التى عزلنا بها مدينة (السادس من أكتوبر) ، عندمـا هاجمتهـا تلك الظلال(*) ..

سأله القائد الأعلى فى دهشة :

ـ ولكن لماذا ؟!

أجابه فى سرعة وحزم :

ـ للغرض نفســه ، الـذى استخدمت فيـه من قبل يا سيِّدى .. لمحاصرة العدو ، وعزله داخـل نطاق محدود .

(★) راجع قصة (الظلال الرهيبة) .. المغامرة رقم (١٢٢)

قال وزير الدفاع فى حذر :

ـ تلك الظلال لم تكن تمتلك أسلحة تدميرية ، يمكنها بوساطتها نسف القبة .

قال (أمجد) :

ـ والأعداء الجدد لا يدركون تأثير تدميرها ، ولأنهم أذكياء ـ كما يبدو ـ فلن يجازفوا بنسفها دفعة واحدة ، وإنما سيعملوا على دراستها أوَّلاً ، مما يضيع بعض الوقت ، الذى سيفيدنا حتمًا .

هتف (أكرم) ، وهو يجرى اتصالاته :

ـ لماذا لا تنسفهم بقنبلة ذرية محدودة ، وننهى الأمر فورًا ؟!

أجابه (أمجد) :

ـ لأننا أيضًا أذكياء ، ونجهـل رد فعلهم إزاء ضربة كهذه .

والتقط نفسًا عميقًا مـرة أخـرى ، قبـل أن يضيف :

ـ الوقت .. أكثر ما نحتاج إليه أيها السادة هو الوقت ؛ فلأوَّل مـرة ، فـى حياتنـا كلهـا ، سنبدأ حربًا رسمية ، ضد عدو نجهل كل شىء عنه .. كل شىء .

تبـادل القـادة نظـرة صامتـة أخـرى ، أعربـت عن أضعاف أضعاف ما يمكن أن يقوله اللسان ، ثم قال رئيس الجمهورية فى حسم :

ـ فليكن .. إننا نمنحك كل ثقتنا يـا (أمجد) .. وكل السلطات اللازمة للقيام بمهمتك أيضًا .

ثم ربَّت على كتفه ، مضيفًا :

ـ هيَّا .. سنذهب لنعقد مجلس الحرب ، ونـترك لك مهمة متابعة الموقف هنا .. وفَّقك الله .

غمغم (أمجد) :

ـ ونعم بالله .

استعدَّ القادة للانصراف ، وتولَّى بعض أفـراد فريق (أمجد) الخاص إعداد الترتيبات اللازمة ، فى حين قال هذا الأخير فى هدوء ، يشفّ عن سيطرة عصبية قوية :

ـ سيِّد (أكرم) :

التفت إليه (أكرم) ، قائلاً :

ـ لقد أجريت اتصالاتى و ...

قاطعه (أمجد) فى حزم :

ـ هل ترغب فى الانضمام إلى فريقى مؤقَّتًا ، لحين عودة قائدك المقدَّم (نور) ؟!

هتف (أكرم) :

ـ بكل تأكيد .

ثم وثب الحزن بغتة إلى عينيه ، وهو يضيف فى مرارة :

- وسأدعو اللَّه (سبحانه وتعالى) أن يعود (نور) يومًا .

قال (أمجد) بمنتهى الحزم :

- سيعود .. سيعود بإذن اللَّه .

لم يدرِ من أين أتته كل هذه الثقة ، فى موقف كهذا ، وظروف كهذه ..

ولكن شيئًا ما فى أعماقه ، كان يبحث عن لمحة من الأمل ، وسط ذلك الجحيم المنتظر ..

جحيم الغزو ..

* * *

من المؤكَّد أن كل ذرة ، فى كيان كل مخلوق ، داخل تلك القاعة البيضاء الكبيرة ، فى عالم

(موك) ، كانت تحتشد بانفعالات بلا حدود ، مع التطلُّع إلى تلك الفجوة فى الجدار ، انتظارًا لرؤية القادم ..

وفى كل العقول ، انطلق سؤال واحد ..

تُرى هل القادم سيشبه ذلك الكائن الأبيض ، الذى رأوا صورته ، فى الشاشة المجسَّمة ، أم أنه أحد تلك الوحوش ، التى فتكت ببعضهم منذ قليل ؟!

ثم برز ذلك القادم ..

واتسعت العيون كلها عن آخرها ..

ومن كل الحلوق ، فى آن واحد ، انطلق هتاف قوى ، ملؤه الدهشة والانبهار :

- الدكتور (كريم) ؟!

حدَّق فيهم المستشار العلمى لوزير الدفاع المصرى ، فى دهشة مماثلة ، فى حين هتفت الدكتورة (ولاء) ، فى فرحة غامرة :

ـ حمدًا لله .. لقد عثروا على وسيلة لاسترجاعنا .

غمغم الدكتور (كريم) فى ذهول مستنكر :

ـ استرجاعكم ؟! ماذا تعنين يا دكتورة (ولاء) ؟!

امتقع وجهها فى ارتياع ، وقد أدركت ما يعنيه قوله ، فى حين هتف الدكتور (خالد) ، فى يأس مرير :

ـ إذن فأنت أسير مثلنا !!

زفر الرجل فى أسى ، قائلاً :

ـ العجيب أننى كنت أتصوَّر نفسى الأسير الوحيد هنا .

هتف به (نور) وهو يندفع نحوه :

ـ أين كنت يا دكتور (كريم) ، وكيف توصَّلت إلينا ؟!

بدا الرجل حائرًا مرتبكًا ، وهو يجيب :

ـ كنت فى قاعة مجاورة ، تشبه هذه إلى حد ما ، ولكنها أصغر حجمًا .

سألته (سلوى) فى اهتمام :

ـ أتوجد قاعات أخرى هنا ؟!

لوَّح بكفيه ، مجيبًا فى توتر شديد :

ـ توجد قاعات عديدة ، وكلها متشابهة إلى حد مستفز ، ولكن ..

بدا عليه مزيج من الحيرة والارتباك ، وكأنما يعجز عن التعبير عما بداخله ، فسأله (نور) فى صوت هادئ رصين ، محاولاً تهدئة انفعالاته :

ـ كيف أتيت إلى هنا يا دكتور (كريم) ؟! هل قمتم بتجربة أخرى ؟!

هزَّ الرجل رأسه فى قوة ، مجيبًا :

ـ بل هو زميلكم المجنون .

وبانفعال واضح ، راح يروى لهم ما حدث ، عندما شارك (أكرم) فى سرقة حوّامة الوزير ، وانتهى بهما الأمر إلى المنطقة (ص) ، وحتى ابتلعته الرمال الحية ، وهو يقول :

ـ فجأة ، شعرت ، وكأن كل ذرة فى كيانى تتحلّل ، واندفعت نحوى الرمال من كل صوب ، بسرعة مذهلة ، وأحاطت بجسدى كله ، فى ثوان معدودة ، ثم فجأة ، انطلق جسدى عبر ضوء مبهر عجيب ، وراحت كل ذكريات حياتى تتدفّق فى رأسى ، و ...

قاطعته الدكتورة (مارى) فى عصبية :

ـ ثم وجدت نفسك هنا .. هذا ما حدث لنا كلنا ، مع اختلاف الوسيلة .

انعقد حاجبا (نور) ، وهو يسأله :

ـ وكيف وجدت وسيلة الخروج من القاعة إلى القاعات الأخرى ؟!

أجابه الرجل فى انفعال :

ـ كان هذا شغلى الشاغل ، منذ وصلت إلى هنا ، فقد بحثت عن أية وسيلة للعودة ، ولكننى فشلت فى هذا ، وفى فهم أسلوب تشغيل الأجهزة العديدة فى القاعة ، لذا فقد صار الأمل الوحيد أمامى ، هو العثور على مكان آخر ، وأجهزة أخرى ، مما جعلنى أبحث فى استماتة ، عن وسيلة للخروج من القاعة ، حتى عثرت على جزء من الجدار ، يمكن ضغطه فى رفق ، لتفتح فجوة كتلك التى رأيتمونى أعبرها الآن .

انتهى من عبارته ، فران على المكان صمت رهيب ، والتفتت كل العيون فى آلية ، نحو

(نور) ، الذى انعقد حاجباه فى شدة ، وبدت على كل ذرة من ملامحه أمارات التفكير العميق ، على نحو خفقت له القلوب فى عنف ، ولهثت معه الأنفاس فى لهفة وترقُّب ، قبل أن يرفع (نور) عينيه ، لتلتقيا بعيونهم ، وهو يقول :

- الدكتور (كريم) لم يأت إلينا بأمل جديد فحسب أيها السادة ، وإنما بمعلومات بالغة الخطورة أيضًا ، فطبقًا لروايته ، يتصرَّف وزير الدفاع عندنا بأسلوب عجيب ، كاف لبث الشك فى نفوسنا ، تجاه هويته الحقيقية .

هتف أحد العسكريين فى غضب :

- ومن سيسمح لك بالتشكيك فى هوية وزيرنا وانتمائه ؟!

هتف آخران بنفس الانفعال :

- هيهات .

واجههم (نور) جميعًا فى حزم ، قائلاً :

- هذا لو أنه نفس الوزير ، الذى كنتم تعرفونه ، قبل تلك الأحداث .

سأله أحدهم فى عصبية :

- ماذا تعنى بشكوكك هذه ؟!

أجابه (نور) فى صرامة وقوة :

- أعنى أنه عندما تحين لحظة الجد ، فالفائدة الوحيدة التى يمكن أن تتحقَّق ، هى من مواجهة الحقائق وحدها .. الحقائق المجرَّدة ، بلا تعصبات أو تعنتات ، أو مشاعر سخيفة ، لا تستند إلا لحتمية ولاء محدود ..

وشدَّ قامته فى اعتداد ، مضيفًا بلهجة أكثر قوة وصرامة :

- وليعلم الكل هنا ، أن انتماءنا الأوَّل هو لوطننا

(مصر) .. و (مصر) وحدها ، بعيدًا عن أية أشخاص أو مناصب ، وفى حالتنا هذه ، فنحن ننتمى إلى كوكب الأرض كله .. إلى عالمنا ، الذى يتعرَّض للخطر ، كل الخطر ، بسبب قتال بين عالمين أخرقين ، للحصول على لقب أحمق .

وانعقد حاجباه فى شدة ، وهو يكمل :

- وهنا ، وتحت هذه الظروف العسيرة ، التى تبلغ احتمالات نجاتنا منها ، ما يزيد قليلاً على الصفر ، لابد أن نتآزر جميعًا ، وأن ننسى كل شىء ، إلا أننا كيان واحد ، ويد واحدة .. وسنواجه الحقائق ، أيًا كانت ، حتى نجد سبيلاً لإنقاذ عالمنا أولاً ، والعودة إليه ثانية .. وهذا كل شىء .

انتهى قوله ، فران على المكان صمت رهيب ثقيل ، وراح الكل يتطلَّعون إلى بعضهم فى توتر شديد ..

وبالذات العسكريون ، الذين حملت نظراتهم معان خاصة ..

معان لا يدركها سوى كل من عمل يومًا تحت العلم ..

علم (مصر) ..

وفى حزم ، تراص كل من تبقَّى من العسكريين فى صف واحد ، واتجه أكبرهم رتبة نحو (نور) ، وأدَّى أمامه التحية العسكرية فى قوة ، على الرغم من أنه يفوقه رتبة ، وقال فى حسم وحزم :

- كلنا رهن إشارتك أيها المقدَّم .. لقد قدت العالم يومًا ، فى حرب تحرير عظمى ، ونحن نعتبر أنفسنا تحت قيادتك الآن ، فى حرب التحرير الجديدة .

صمت (نور) لحظة ، ثم رفع يده بالتحية العسكرية بدوره ..

وخفقت قلوب المدنيين جميعهم ، أمام ذلك المشهد المهيب ..

حتى (سلوى) و(نشوى) ..

وما إن خفض (نور) يده ، حتى قال فى حزم ، وبلهجة قيادية فطرية :

ـ والآن سننقسم إلى فريقين .. فريق للمدنيين والعلماء ، بحراسة اثنين من العسكريين هنا ، لاستكمال عملية دراسة تلك الأجهزة وفحص أساليب تشغيلها ، والفريق الثانى من العسكريين وسنذهب معًا لفحص كل القاعات ، المتصلة بالمكان ، والبحث عن وسيلة لتجاوزها إلى العالم الخارجى أيضًا .

وعاد يشدّ قامته ، مضيفًا :

ـ المهم أن نعمل جميعًا بأقصى سرعة ، فنحن نجهل ماذا يحدث الآن فى عالمنا ، وأى خطر يواجهه .

غمغم أكبر العسكريين رتبة :

ـ بالتأكيد .

وقال ضابط آخر فى قلق :

ـ ولكننا لا نمتلك هنا أية أسلحة .

أجابه (نور) فى حزم :

ـ فليكن جزء من مهمتنا هو البحث عن أسلحة .. أية أسلحة ، يمكننا أن نستخدمها للدفاع عن أنفسنا ، إذا ما واجهنا خطرًا ما ، فى أى مكان هنا .

انتفض جسد الدكتور (كريم) ، وهو يقول :

ـ أسلحة ؟! هل تبحثون عن أسلحة ؟!

سأله (نور) فى سرعة :

ـ هل صادفت بعضها فى طريقك ؟!

لوَّح الرجل بيديه فى انفعال ، مجيبًا :

ـ هناك قاعة تكتظ بما يشبه الأسلحة ، ولكنها ملقاة كلها فى إهمال شديد ، حتى إننى .. حتى إننى ..

لم يستطع إكمال عبارته ، من فرط الانفعال ، فقال (نور) فى حزم :

ـ لا بأس يا دكتور (كريم) .. لابأس .. المهم هل يمكنك أن تقودنا إليها .

قال الرجل ، بنفس الانفعال :

ـ بالتأكيد .. صحيح أن هذه القاعات متشابكة ، على نحو أشبه بخلية النحل ، إلا أننى وجدت وسيلة للتذكير ، و ...

قاطعه (نور) فى حزم :

ـ عظيم .. هيا بنا .

لم تشعر (سلوى) بالارتياح أبدًا ، عندما غادر (نور) القاعة ، بصحبة الدكتور (كريم) والعسكريين ، وراح قلبها يخفق فى قوة ، عندما أغلقت الفجوة خلفهم ، فأطلقت من أعمق أعماق صدرها زفرة ملتهبة ، جعلت ابنتها تربِّت على ظهرها ، مغمغمة :

ـ سيعودون ظافرين بإذن الله .

زفرت (سلوى) مرة أخرى ، فى توتر بالغ ، فى حين قال الدكتور (خالد) ، وهو يتجه نحو جهاز آخر :

ـ فليقوموا بمهمتهم ، ولنقم نحن بمهمتنا .

غمغمت (نشوى) ، وهى تعيد فحص المكعبات والكرات أمامها :

ـ أظننى استطعت استيعاب تكنولوجيا تشغيل هذا الجهاز إلى حد ما ، فتلك الكرات هى بمثابة القرص الصلب ، فى أجهزة الكمبيوتر لدينا ،

والمكعبات أشبه بالأسطوانات المدمجة ، وأزرار الكمبيوتر فى الوقت ذاته ، على نحـو لا يتواجد لدينـا ، فهـى المسئولة عن التشغيل ، وتحـوى عشرات البرامج والمعلومات ، فى الوقت ذاته .

سألتها الدكتورة (ولاء) فى اهتمـام ، وهـى تدفع أحد المكعبات فى حذر :

ـ أتعنين أنهـا تستجيب للمسـاتنا كـالأزرار ، وتنطلق منها المعلومات كالقرص المدمـج ، فـى الوقت الـ ...

قاطعتها (نشوى) فى توتر :

ـ مهلاً .. ما فعلته قد ..

قبـل أن تتـمّ عبارتهـا ، تـألَّقت تلـك الشاشـة المجسَّمة مرة أخـرى ، وظهـر عليها ذلك الكائن الأبيض ، وهو يقول :

ـ كنت أعلم أنكم ستعيدون التشغيل ، إن عاجلاً أو آجلاً .

وثبت يد (نشوى) ، تعيد المكعَّب إلى موضعه ، ولكن الكائن ابتسم فى شماتة هذه المرة ، وهو يقول :

ـ كلاً .. لم يعد هذا ممكنـًا الآن .. أجهزتنـا تتميَّز عن كل ما يمكنكم صنعه أو ابتكـاره ، فـى أنها أجهزة عبقرية ، تتعلَّم بسرعة فائقة ، ومن المستحيل خداعها مرتين .. لقد طوَّرت نفسها فـى فترة الكمون ، بحيث تسيطر علـى كـل أدوات تشغيلها داخليًّا ، بنسبة مائـة فـى المائـة ، فـور تشغيلها مرة أخرى .

شهقت الدكتورة (ولاء)،وصرخت فى ارتياع :

ـ ماذا فعلت ؟! يا إلهى ! ماذا فعلت ؟!

أطلق الكائن ضحكة ساخرة ظافرة شـامتة ، وهو يقول :

ـ لا عليك .. لا داعى للنـدم .. لـم يكـن بإمكـانكم الانتصار علينا أبدًا .

ثم حملت ملامحه صرامة مباغتة ، وهو يضيف :

ـ ولن يكون لديكم الوقت لهذا .

سألته (سلوى) فى عصبية :

ـ ماذا تعنى بقولك هذا ؟!

أجاب بسرعة :

ـ أعنى أن ساعاتكم قد أصبحت معدودة فى هذا العالم القديم .

مع قوله ، أضيئت شاشة هولوجرامية أخرى ، راحت تتراص فوقها رموز عجيبـة متلاحقة ، فأطلق الدكتور (خالد) شهقة قوية ، وهو يتراجع فـى ارتياع شديد ، هاتفًا :

ـ يا إلهى ! يا إلهى !

سألته (نشوى) ، وقلبها يخفق بمنتهى العنف :

ـ ما هذا بالضبط ؟! ما هو ؟!

أشار الرجل إلى الشاشة المجسَّمة ، والرموز التى تتغيَّر فوقها فى سرعة ، هاتفًا :

ـ لو أنك عملت بالجيش يومًا مثلى ، لأدركت ما الذى تعنيه رموز متلاحقة يا سيِّدتى .

سألته (سلوى) فى رعب :

ـ رباه ! هل تعنى أنها .. أنها ..

هزَّ رأسـه فى قـوة ، قبـل أن تتـم عبارتهـا ، وقال بصوت شارف الانهيار :

ـ نعم يا سيِّدتى .. لقـد أشـعل ذلـك الشـىء ما يشبه القنبلة .. قنبلة زمنية .

واتسعت عيون الكل برعب لا مثيل له ..

لقد أصبحت بالفعل ساعاتهم فى هذا العالم محدودة .

محدودة للغاية .

* * *

٣ـ العدو ..

عقد (براشر) ، قائد جيوش (هور) ، كفيه خلف ظهره ، فى صرامة شديدة ، وهو يستمع إلى أحد علماء حملته ، الذى أمسك حفنة من الرمال الحية ، قائلاً :

ـ ليست مجردً حصوات صغيرة ، كتلك التى يكتظ بها كل ما حولنا .. إنها آليات بالغة الدقة ، من صنع شعب (موك) ، وهى مجهزة بحيث تهاجم أية صورة متطوِّرة من التكنولوجيا ، وكان من الممكن أن تهاجمنا بمنتهى العنف ، وتكبدنًا خسائر فادحة ، لولا أن أوقفتها ذبذبات الـ (هورالون) المضادة .

ثم هزَّ العالم رأسه ، مضيفًا فى إعجاب ، لم يستطع إخفاءه :

ـ من الواضح أن القائد (كونار) قد قام بمهمة عظيمة هنا .

انعقد حاجبا (براشر) ، وهو يقول فى صرامة متوترة :

ـ بالتأكيد .

ثم سأل الرجل فى سرعة :

ـ هل حاولت الاتصال به مرة أخرى ؟!

أومأ الرجل برأسه ، مجيبًا :

ـ حاولنا أكثر من مرة أيها القائد ، ولكننا لم نتلق استجابة واحدة .

ازدادا انعقاد حاجبى (براشر) ، وهو يغمغم :

ـ عجبًا ! كيف حقَّق ذلك الانتصار إذن ، لو أنه ..

لم يتمَّ عبارته ، ولكن عشرات الأفكار دارت فى ذهنه ، مع احتمال واحد ، تعاظم فى عقله ، حتّى بدا أشبه بالواقع ، فارتسمت على شفتيه ابتسامة ، وهو يسأل العالم :

- وماذا عن الغلاف الواقى ؟!

أجابه الرجل فى سرعة :

- لقد أطلقناه بالفعل ، وسيحمى موقعنا من أية أسلحة أرضية ، مهما بلغت قوتها ، ولكن ..

التفت إليه (براشر) بحركة حادة ، متسائلاً :

- ولكن ماذا ؟! هل وجدتم فيه نقاط ضعف ؟!

هتف الرجل :

- مطلقًا .

ثم استدرك فى سرعة :

- ولكنَّ هناك غلافًا آخر .

ارتفع حاجبا (براشر) فى دهشة ، وهو يسأل :

- غلافًا آخر ؟! هنا .

أومأ العالم برأسه ، مجيبًا :

- نعم .. قبة أخرى ، أحاطت بنا منذ لحظات .. قبة أرضية ، تشبه الأجيال الأولى من غلافنا الواقى .

عاد حاجبا (براشر) ينعقدان ، وهو يسأل :

- هل يمكننا التعامل معها ؟!

اعتدل العالم ، مجيبًا فى ثقة :

- بكل تأكيد .. إنها بدائية للغاية ، بالنسبة لعلومنا المتطوِّرة .

ابتسم (براشر) ، مغمغمًا :

ـ عظيم .

ثم عاد يتابع تدفق قواته ، وهو يضيف :

ـ دع الأرضيين يعبثون إذن ، لساعة أو اثنين من زمنهم ، وبعدها سنضرب نحن ضربتنا .

وتألَّقت عيناه على نحو مخيف ، وهو يكمل :

ـ الضربة الساحقة ..

قالها ، واتسعت ابتسامته الوحشية الواثقة ..

اتسعت أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

* * *

بدت الدهشة على وجه الدكتور (محمد حجازى) ، كبير الأطباء الشرعيين ، وهو يتطلَّع

إلى جثة (كونار) ، قبل أن يسأل (رمزى) فى توتر :

ـ ما هذا بالضبط ؟! كائن من عالم آخر ؟!

أجابه (رمزى) فى توتر أكثر :

ـ إنه كذلك بالضبط .. وهو أيضًا الكائن الوحيد من نوعه ، الذى يمكننا بوساطته معرفة تكوين بنى جنسه ، الذين بدءوا غزوهم للأرض فعلاً .

انتفض جسد الدكتور (حجازى) فى ارتياع ، وهو يهتف :

ـ بدءوا ماذا ؟! هل تعنى أننا نواجه غزوًا جديدًا بالفعل يا (رمزى) ؟!

زفر (رمزى) فى مرارة ، مجيبًا :

ـ هذا صحيح للأسف يا سيِّدى .

امتقع وجه الدكتور (حجازى) ، واتسعت عيناه عن آخرهما ، وهو يتمتم :

ـ يا إلهى ! يا إلهى !

ثم هزّ رأسه فى قوة ، وكأنما ينفض عنه كل ذعره وهلعه ، قبل أن يرتدى قفازه الطبى ، ويقول فى حزم مباغت :

ـ هذا يعنى حتمية أن نقوم بعملنا فى سرعة .

غمغم (رمزى) :

ـ بالتأكيد .

ضغط الدكتور (حجازى) زر جهاز التسجيل ، وبدأ عمله على الفور ، قائلاً :

ـ أمامنا جثة لكائن غير أرضى ، تكوينه التشريحى الخارجى ، يشبه التكوين الأرضى العادى ، ولكن ملامح الوجه تختلف ، فى لونها ، وبشرتها ، واتساع العينين ، والأنياب البارزة ، وهو يرتدى زيًا من قطعة واحدة ، برتقالية اللون ، تغمرها بقع عديدة من مادة خضراء متألقة ، نتيجة

لإصابات متعددة ، من طلقات نارية تقليدية ، وحول الوسط حزام عريض ، من مادة أشبه باللدائن الطرية ، سنقوم الآن بإزالته ، حتى يمكننا فحص الجسد والإصابات .

التقط مقصًا كبيرًا ، ودفعه فى الفراغ الضيق ، بين الجسد والحزام ، ثم ضغط المقص فى قوة ..

ولكن الحزام ، على الرغم من طراوته ، كان أقسى مما ينبغى ..

لقد قاوم القطع ..

وقاوم ..

وقاوم ..

حتى انكسر المقص ..

وفى دهشة ، وعبر جهاز التسجيل ، قال الدكتور (حجازى) :


وفجأة ، تألق جزء من الحزام بضوء أحمر قوى .

ـ عجبًا .. الطرق المألوفة لم تنجح فى إزالة ذلك الحزام ، ومن المؤكَّد أنه مصنوع من مادة غير معروفة على أرضنا ، لذا فسنحاول أن نستخدم معها وسيلة أخرى .

التقط المنشار الآلى الصغير ، و ...

وفجأة ، تألَّق جزء من الحزام بضوء أحمر قوى ، فأطلق (رمزى) شهقة دهشة ، واتسعت عينا الدكتور (حجازى) ، وهو يتساءل فى توتر بالغ :

ـ ما هذا بالضبط ؟! ما الذى يحدث ؟!

غمغم (رمزى) فى عصبية :

ـ يبدو أنه يتلقَّى أو يبث إشارة ما ، أو ..

قبل أن يتمّ عبارته ، سرى التألُّق فى الحزام كله دفعة واحدة ..

وبحركة غريزية سريعة ، تراجع الدكتور

(حجازى) و(رمزى) فى حركة واحدة ، فى نفس اللحظة التى انتقل فيها التألُّق ، من الحزام إلى جسد (كونار) كله ..

ثم تضاعف التألُّق ..

تضاعف بسرعة ، حتى صار ضوءًا مبهرًا ، غشَّى بصريهما ، والدكتور (حجازى) يصرخ :

ـ ماذا يحدث ؟! ماذا يحدث ؟!

ومع التألُّق المبهر ، انطلق فى المكان صوت أشبه بالفحيح ، وارتفعت إلى أنفهما رائحة قوية ، مع أدخنة محدودة ..

وفجأة أيضًا ، ذهبت الرائحة ، وانطفأ الضوء المبهر ، وتلاشى الفحيح ..

وتلاشت معه أيضًا جثة (كونار) ..

لم يتبق منها سوى قطع صغيرة من ذلك النسيج البرتقالى ، وكومة من الرماد ..

مجرَّد كومة من الرماد ..

كومة لا يمكنها أن تمنح أحدًا أية معلومات مفيدة ..

على الإطلاق ..

* * *

صمت (أمجد صبحى) طويلاً ، وهو يراقب شاشة الرصد ، التى تنقل إليه صورة لما يحدث فى المنطقة (ص) ، قبل أن يسأله (أكرم) فى اهتمام :

ـ تُرى هل استعدت قواتنا للهجوم الآن ؟!

أجابه (أمجد) فى هدوء :

ـ ليس هذا هو المهم الآن .

ارتفع حاجبا (أكرم) فى دهشة ، وهو يقول :

- ليس هذا هو المهم ؟! ما المهم إذن ، فى مواجهة غزو كهذا ؟!

استدار إليه (أمجد) ، مجيبًا :

- أن نفهم سر هدوئهم وثقتهم .

ثم راح يتحرك فى المكان ، ويتابع ، وكأنما يُحدِّث نفسه :

- هؤلاء القوم يفوقوننا تقدمًا بالتأكيد ، ومن المحتم أنهم قادرون على كشف وجود قبة الطاقة ، التى أحطناهم بها ، وعلى الرغم من هذا فهم يتجاهلون وجودها تمامًا ، كما أنها لا تعنى شيئًا لهم ، ويواصلون إرسال قواتهم ، بمنتهى الهدوء والثقة ، فما الذى يمكن أن يعنيه هذا ؟! أهو جهلهم بقدراتنا ، أم ثقتهم فى تفوق قواتهم ؟!

قال (أكرم) ، وقد تسلَّل القلق والتساؤل إليه :

- ربما هو مزيج من الاثنين ؟!

بدا (أمجد) شاردًا ، وهو يغمغم :

- نعم .. ربما .

استغرقه التفكير بضع لحظات ، التزم (أكرم) خلالها الصمت تمامًا ، وهو يتطلَّع إليه فى إعجاب شديد ، حتى التفت إليه (أمجد) فجأة ، قائلاً فى حزم :

- هذا يحتاج إلى اختبار .

سأله فى لهفة :

- اختبار ماذا ؟!

ضغط (أمجد) زر الاتصالات السرية المؤمَّنة ، وهو يجيب بحزم أكبر :

- اختبار قوة .

مع آخر حروف كلماته ، ارتفع صوت رئيس الجمهورية ، عبر جهاز الاتصالات السرى ، وهو يقول :

ـ هل من جديد يا (أمجد) ؟!

أجابه (أمجد) فى حزم :

ـ تُرى هل قوات الفوج الأوَّل مستعدة للهجوم يا سيادة الرئيس ؟!

أتاه صوت وزير الدفاع ، يجيب فى صرامة :

ـ قوات الفوج الأوَّل علـى أهبة الاستعداد يا سيِّد (أمجد) .

وأضيف إليه صوت القائد الأعلـى ، وهـو يقول :

ـ وأقمار الدفاع ، المزوَّدة بمدافع الليزر القوية ، مستعدة للمشاركة فورًا .

التقط (أمجد) نفسًا عميقًا ، وقال :

ـ عظيم .. أظن الوقت قد حان للضربة الاختبارية الأولى .. الضربة التى سنعرف منها قدرات العدو الحقيقية .

ثم شدّ قامته ، مضيفًا بكل الحزم :

ـ ولأن المراقبة لن تمنحنا المزيد ، فلا مبررٌ للانتظار .. سنبدأ ضربتنا الاختبارية الآن .

وبضغطة زر أخرى ، تلقَّت كل القوات إشارة البدء ..

وانطلقت نحو العدو ..

ثلاثة أسراب من إحدى المقاتلات ، المزوَّدة بالصواريخ القوية ، ومدافع الليزر ، انطلقت من مطاراتها ..

عشر وحدات من المشاة الراكبة ، اتجهت نحـو المنطقـة (ص) ، على متن عشرات المدرعات القوية ..

أربعة ألوية من الدبابات ، التى تحاصر المكان ، اتجهت فى آن واحد نحو الهدف ..

وأزيلت قبة الطاقة دفعة واحدة ..

ووجّهت كل أقمار الدفاع الصناعية مدافعها الليزرية نحو الهدف ..

وبكل كيانه وانفعالاته ، راح (أمجد) يراقب الموقف على الشاشة ..

بل على كل شاشات المراقبة ..

ثم بدأ الهجوم فجأة ..

وعلى كل الجبهات ..

وشعر (أكرم) بتوتر لامحدود ، يسرى فى كيانه كله ..

فطبقًا لقول (أمجد) ، كان هذا الهجوم هو الاختبار لقوة وكفاءة العدو ..

الاختبار الحقيقى ..

والوحيد ..

* * *

اتسعت عيون العسكريين فى دهشة غامرة ، وهم يحدقون فى ذلك الكم الهائل من الأسلحة المختلفة ، الملقى بإهمال واضح ، فى تلك القاعة الكبيرة ، التى قادهم إليها الدكتور (كريم) ..

كان من الواضح أنها أسلحة ذات مصادر مختلفة ..

أو هى ـ بمعنى أكثر دقة ـ عينات أسلحة ، من كواكب مختلفة ..

وعوالم مختلفة ..

ففى كل ركن ، كانت هناك مجموعة من الأسلحة ، التى تنتمى إلى وحدة واحدة ..

وبكل الدهشة ، هتف أحد العسكريين :

ـ رباه ! ما هذا بالضبط ؟! متحف حربى ؟!

أجابه (نور) فى حزم :

ـ بل هو معرض يا رجل .. معرض غنائم حروب سابقة .

هتف آخر بدهشة :

ـ ولماذا تركوه خلفهم ؟!

أجابه (نور) ، وهو يلتقط أحد الأسلحة ، ويفحصه فى اهتمام :

ـ من الواضح أنهم اهتموا بنقل أسلحتهم فحسب .

تساءل عسكرى آخر فى حذر :

ـ تُرى هل تعمل كل هذه الأسلحة ؟!

ألقى إليه (نور) أحدها ، قائلاً :

ـ افحصها ، لتعرف بنفسك .

التقط الرجل السلاح ، وراح يقلّبه بين يديه فى حيرة ، بحثًا عن وسيلة لفحصه واستخدامه ، فى حين أدار (نور) عينيه فى المكان ، وهو يتابع :

ـ ينبغى أن نفحص كل هذه الأسلحة ؛ وننتقى منها ما يمكننا فهمه واستخدامه ، من بين ما يصلح للعمل ، و ...

بتر عبارته بغتة ، وهو يحدّق فى جهاز كبير فى الركن ، قبل أن يتجه نحوه فى سرعة ، هاتفًا :

ـ يا إلهى ! أمن الممكن أن ..

أسرع الدكتور (كريم) خلفه ، هاتفًا :

ـ ما الذى يدور فى ذهنك بالضبط ؟!

تحسّس (نور) الجهاز ، وهو يفحص تكوينه فى سرعة ، قائلاً فى انفعال :

ـ أنا واثق من أننى لم أر شيئًا كهذا من قبل ، وعلى الرغم من هذا فشىء ما فى أعماقى يكاد يجزم بأنه بوّابة انتقال كونية .

اتسعت عينا الدكتور (كريم) ، وهو يقول :

ـ رباه ! أهذا ممكن حقًّا ؟! واصل (نور) فحص الجهاز فى اهتمام ، وهو يقول :

ـ أكاد أكون واثقًا من هذا ، دون أن أدرى لماذا .. الشكل الشبيه بالقوس ، الخريطة الكونية على جانبه .. الأزرار العديدة هنا وهناك ، ولوحة التوجيه .. رباه ! لا ريب فى أن عقلى الباطن يذكر رؤيته ، فى مكان ما ..

وصمت لحظة ، قبل أن يضيف بمنتهى الحذر :

ـ أو زمن ما .

سأله الدكتور (كريم) فى انفعال :

ـ أتظنه صالحًا للاستخدام ؟! أعنى أمن الممكن أن ....

قاطعه (نور) ، قائلاً فى حزم :

ـ هذا يحتاج إلى رأى متخصّص .

وانعقد حاجباه فى شدة ، مع إضافته :

ـ رأى (سلوى) أو (نشوى) .

مع آخر حروف عبارته ، هتف أحد العسكريين :

ـ لدينا هنا مجموعة مألوفة من الأسلحة .. أعنى مجموعة تشبه ما اعتدنا استخدامه على الأرض .. إنها مدافع أشبه بمدافع الليزر عندنا ،

وكلها مزوَّدة بخزانات طاقة ممتلئة ، وأظنها صالحة للعمل ، لو ...

ضغط زرًا صغيرًا ، وهو ينطق عبارته ، فانطلق من مدفعه شعاع أخضر رفيع ، أصاب جدار القاعة ، فدوى فيها انفجار عنيف ، مع موجة تضاغطية عالية ، اقتلعت بعض الرجال من موضعهم ، وضربت بهم الجدار المقابل ، قبل أن يسقطوا على كومة أخرى من الأسلحة ..

وفى دهشة مذعورة ، هتف أحد الرجال :

ـ رباه ! إذا كان هذا ما تركوه خلفهم ، فأية أسلحة حملوها إلى عالمهم ؟!

انعقد حاجبا (نور) فى شدة ، وهو يقول :

ـ بل قل أية أسلحة يمتلكها ذلك العالم الآخر ، الذى احتلَ عالمنا ، والذى يخشونه إلى هذا الحد ؟!

اتسعت عيون الكل فى ارتياع ، فى حين أمسك (نور) كتفى الدكتور (كريم) فى شدة ، وهو يهتف :

ـ دكتور (كريم) .. لا بد أن نجد وسيلة للعودة إلى عالمنا .. لا بد .

لم يكد يتمَ عبارته ، حتى تناهى إلى مسامعه وقع أقدام تعدو ، عبر الممرات الخارجية ، فاستدار إلى العسكريين ، هاتفًا :

ـ تأهَّبوا .

صاح به الدكتور (كريم) فى رعب :

ـ تُرى ما هذا بالضبط ؟!

أجابه (نور) فى حزم :

ـ سنعرف بعد قليل .

ثم أشار إليه بالصمت ، وتحرَّك فى خفة ،

يلتقط أحد تلك الأسلحة الجديدة ، وهو يشير للعسكريين ، الذين التقط كل منهم سلاحًا بدوره ، وتأهَّب لمواجهة خصم مجهول ، ووقع الأقدام يقترب ..

ويقترب ..

ويقترب ..

ثم هتف (نور) فى خفوت :

- الآن ..

قالها ، ووثب إلى ذلك الموضع فى الجدار ، وضغطه بكفه ، فتموَّج الجزء المجاور له ، وانفتحت فيه فجوة كبيرة ..

وكرجل واحد ، اندفع الفريق المقاتل خارج الفجوة ، شاهرًا أسلحته ، و ..

« (نور) .. حمدًا لله أن عثرنا عليكم .. »

اتسعت عيون الكل فى دهشة ، و(نور) يخفض سلاحه ، هاتفًا :

- (سلوى) .. (نشوى) .. الدكتور (خالد) .. ما الذى أتى بكم جميعًا ؟! لماذا تركتم موقعكم ؟! كان يمكن ألا تعثروا علينا أبدًا .

هتفت (نشوى) :

- لقد تتبعنا العلامات ، التى تركها الدكتور (كريم) على الجدران .

وقال الدكتور (خالد) فى ارتياع :

- المكان كله سينفجر .. كل القاعات سيتم نسفها .

وأضافت الدكتورة (ولاء) بصوت مرتجف :

- وفى الخارج لا يوجد سوى عالم ينتشر فيه وباء رهيب ، لن ينتهى قبل آلاف السنين .. هذا

ما أخبرنا به ذلك الكائن الأبيض .. إنها النهاية .. سنموت هنا أيها المقدَّم .

انعقد حاجبا (نور) فى توتر ، وهو يقول :

ـ ماذا حدث بالضبط ؟!

أجابته (سلوى) فى انفعال :

ـ إنه إجراء أمنى آخر ،قامت به تلك الأجهزة .. لقد أشعلت قنبلة زمنية ، لايمكننا فهم رموزها ، ونجهل تمامًا متى تحين لحظة انفجارها ، ثم إن الأجهزة كلها أصبحت تعمل بسيطرة ذاتية داخلية ، ولم يعد من الممكن أن نتعامل معها ، أو نسيطر على ما يحدث فيها .

أومأت (نشوى) برأسها ، قائلة :

ـ هذا صحيح .

نقل (نور) عينيه بين الوجوه المذعورة ، على الجانبين ، وهو يغمغم :

ـ إذن فالبقاء هنا صار مستحيلاً ، سواء داخل تلك القاعات أو خارجها .

هتفت الدكتورة (مارى) ، وهى تبكى فى مرارة :

ـ الموت ينتظرنا فى الحالتين .

استدار (نور) ، ينظر إلى الجهاز الكبير ، قائلاً فى صرامة :

ـ إلا إذا .

هتفت به (نشوى) فى لهفة :

ـ ألديك وسيلة للنجاة يا أبى ؟!

هزَّ رأسه فى بطء ، قائلاً :

ـ للنجاة ؟! لست أدرى .. ربما كانت وسيلة لمواجهة خطر آخر ، ولكن ربما كانت لدينا وسيلة لمغادرة هذا العالم فحسب .

سألته بنفس اللهفة :

ـ ذلك الجهاز الكبير هناك ؟!

غمغم :

ـ ربما .

اندفعت بكل لهفتها نحو الجهاز الكبير ، هاتفة :

ـ هيا يا أمى .. لا بد أن نحاول .

أما الدكتورة (ليلى) ، فقد قالت فى عصبية :

ـ وحتى لو كانت هناك وسيلة لمغادرة هذا العالم ، من يضمن لنا أننا لن نجد أنفسنا فى عالم آخر ، لا يصلح لحياتنا ؟! عالم بلا هواء مثلاً ، أو له درجات حرارة كاللهب ، أو حتى كالثلج ؟! من يضمن لنا هذا ؟!

هزَّ رأسه نفيًا ، وهو يجيب فى حزم :

ـ لا توجد أية ضمانات .

ثم اتجه نحو الجهاز الكبير ، الذى بدأت (نشوى) و(سلوى) فحصه بالفعل ، وهو يكمل :

ـ وليس أمامنا سوى المخاطرة ، ومن يخشاها فليبق هنا ، ويواجه الخطر الذى يدرك ماهيته .

امتقع وجهها بشدة ، فى حين غمغم الدكتور (خالد) فى مرارة :

ـ ليس لدينا خيار يا سيِّدتى .

وأضافت الدكتورة (ولاء) :

ـ للأسف .

والتقطت الدكتورة (مارى) نفسًا عميقًا ، وهى تغمغم :

ـ إننا لا ندرى حتى ما إذا كانت لدينا الفرصة لمغادرة هذا العالم أم لا .

هبط قولها على الكل كسهم نارى قاتل ، فلاذوا بصمت تام ، وراحوا يتطلعون إلى بعضهم بوجوه

شاحبة ، فى حين انهمك (نور) وزوجته وابنته فى فحص ذلك الجهاز الكبير ، قبل أن تهتف (نشوى) :

- إنها بوابة كونية بالفعل ، وهى بسيطة الاستخدام للغاية .

وأضافت (سلوى) فى اهتمام :

- ولكن يبدو أنها معدَّة للتوجّه نحو هدف واحد ، فقد تم إلغاء مؤشر الاتجاهات والذبذبة .

قالت (نشوى) :

- هذا صحيح .. تشغيلها لا يحتاج لأكثر من ضغط ثلاثة أزرار ثم جذب هذا الذراع .

ثم بدا عليها التوتر ، وهى تضيف :

- المشكلة أنه لابد من جذبه باستمرار .

سألها الدكتور (كريم) بفضول العالم ولهفته :

- بمعنى ؟!

بدت شاحبة مرتبكة ، وهى تجيب :

- بمعنى أنه لن يمكننا أن ننتقل جميعًا عبر

تلك البوَّابة .. لابد أن يبقى أحدنا ، للتحكُم فى الذراع ، حتى ينتقل الباقون ، ثم ..

شحب وجهها وصوتها أكثر ، وهى تضيف :

- ثم لن تكون لديه فرصة للخروج من هذا العالم .. أبدًا .

هبط قولها هذا على الكل كالصاعقة ، واتسعت عيونهم فى ارتياع ، و ...

« أنا سأبقى .. »

انطلق الصوت فى حزم صارم حاسم ، فالتفت الكل إلى صاحبه فى سرعة ، وامتقعت وجوههم ، و (نور) يضيف :

- وهذا أمر غير قابل للنقاش أو المراجعة .

وهوى قلبا (سلوى) و(نشوى) بين أقدامهما .. وبمنتهى العنف ..

* * *

٤ـ اختبار القوة ..

من المؤكَّد أن الهجوم كان شاملاً ساحقًا ، على كل الجبهات ..

نسور القوات الجوية انقضّوا على قوات (هور) ، فى المنطقة (ص) ، وأمطروها بصواريخهم ، فى نفس اللحظة التى انهالت فيها عليهم حزم الليزر القوية ، من أقمار الدفاع الصناعية ..

ومع توالى الانفجارات العنيفة ، وسحب الرمال الضخمة ، التى غمرت المنطقة كلها ، حان دور المشاة الميكانيكية والمدرعات والدبابات ..

ومن مدافع الدبابات ، انهال سيل من النيران ..

ومن موقعه فى حجرة الرصد ، هتف (أكرم) فى حماسة :

ـ رباه ! إنهم لم يطلقوا طلقة واحدة .. لقد ظفرنا بهم .. يا له من انتصار سهل !!

انعقد حاجبا (أمجد) فى شدة ، وهو يتمتم :

ـ لا تتعجَّل الأمور يا صديقى .

هتف (أكرم) فى حماسة :

ـ أية أمور ؟! ألا تبدو لك الصورة واضحة جلية .. لقد سحقناهم سحقًا ، وعندما تنقشع سحابة الرمال الكثيفة هذه ، لن نجد منهم سوى الحطام والأشلاء .. أية قوة يمكن أن تحتمل كل هذا يا رجل ؟!

لم ينبس (أمجد) ببنت شفة ، وهو يراقب الشاشة فى اهتمام ..

ولكنه ، وعلى الرغم مما يراه ، لم يكن يشعر بالارتياح ..

لم يكن يشعر به قط ..

وعبر جهاز الاتصال السرى ، انبعث صوت رئيس الجمهورية ، وهو يهتف فى سعادة ظافرة :

ـ يبدو أننا قد انتصرنا يا (أمجد) .. لقد بالغنا فى تقدير قوة خصمنا .

قال (أمجد) فى حذر :

ـ ليس بعد يا سيِّدى .. ليس بعد .

أتاه صوت وزير الدفاع ، وهو يقول ضاحكًا :

ـ اطمئن يا سيِّد (أمجد) .. أجهزتنا تشير إلى أن ضرباتنا كلها قد بلغت أهدافها .. الواقع أننا قد سحقناهم سحقًا ، و ...

قبل أن يتمَّ عبارته ، انعقد حاجبا (أمجد) فى شدة ، وتعلَّق كيانه كله بشاشة الرصد ، التى نقلت مشهدًا رهيبًا ..

رهيبًا للغاية ..

فمن وسط سحابة الرمال الضخمة ، ووسط كل النيران والدخان ، ظهر قوس أخضر متألِّق ..

وبسرعة خرافية ، اخترق ذلك القوس كل شىء ، وبرز واضحًا للأعين ..

كل الأعين ..

لم يكن قوسًا كما بدا فى البداية ، وإنما فقاعة خضراء ضخمة ، تبدو وكأنها تنمو من رمال الصحراء ، وتتضخَّم بسرعة مذهلة ، وهى تضىء كل ما حولها ، بضوء أخضر باهت ..

وبتلك السرعة المذهلة ، اتجهت أطراف الفقاعة المتمدِّدة نحو القوات ، فى كل الاتجاهات والزوايا ..

وهتف قائد الأسراب المقاتلة ، فى دهشة مذعورة :

ـ رباه ! ذلك الشئ يتجه نحونا بسرعة ، وكل آلاتنا تصاب بالشلل والتجمُّد .. إننا عاجزون حتى عن الفرار .. يا إلهى ! إننا ..

قبل أن يتمَّ عبارته ، دوى انفجار مقاتلته ، فى سماء المعركة ..

ثم دوت بعده انفجارات أخرى ..

وأيضًا ، فى كل الاتجاهات ..

تلك الفقاعة الخضراء راحت تتمدَّد بسرعة ، وتلتهم كل ما يعترض طريقها ، من دبابات ، ومدرعات ، ومشاة ، وحتى مقاتلات ..

وبلا رحمة ..

كل شئ تمسَّه ، كان يحترق ، ويتلاشى دفعة واحدة ، مع صرخات عذاب وآلام رهيبة ، انتشرت فى كل مكان ، وفجَّرت رعبًا بلا حدود ، وسط الجيوش المهاجمة .. وأمام شاشة الرصد ، اتسعت

عينا (أكرم) عن آخرهما ، وراح يهتف :

ـ يا إلهى ! يا إلهى !

أما (أمجد) ، فقد ضغط أحد أزرار الاتصالات ، هاتفًا :

ـ انسحاب .. انسحبوا فورًا .. انسحاب تام .

ولكن هذا الأمر لم يكن منطقيًّا ، فى تلك الظروف ..

فالفقاعة كانت تلتهم كل شئ بسرعة مذهلة ، لم تمنح الرجال أدنى فرصة للتراجع أو الانسحاب ..

لقد راحت تسحق كل شئ سحقًا ، وتحيله إلى رماد أخضر متألِّق ، لا يلبث أن يفقد لونه ، ويتلاشى وسط رمال الصحراء ..

وبكل المرارة فى أعماقه ، راح (أمجد) يتابع الموقف ..

عشرات الضحايا سقطوا فى لحظات ..

مقاتلات ، ودبابات ، ومدرعات وجنود وضباط ، انسحقوا سحقًا ، فى دقائق معدودة ..

ثم ساد المكان هدوء رهيب ..

هدوء يحمل رائحة مميَّزة ..

رائحة الدمار ..

والموت ..

وهنا .. هنا فقط ، توقَّفت الفقاعة الخضراء عن التمدُّد ..

ثم انفجرت بغتة ..

ومع انفجارها ، تحولَّت إلى مئات الفقاعات الصغيرة ، التى انطلقت إلى أعلى بسرعة مذهلة ..

وفى دهشة مذعورة ، هتف (أكرم) :

ـ ماذا يحدث ؟! ماذا يحدث ؟!

انعقد حاجبا (أمجد) فى شدة ، وهو يهتف :

ـ رباه ! أقمار الدفاع .. أقمار الدفاع ..

ضغط زر اتصالات آخر ، وصاح :

ـ تلك الفقاعات ستهاجم أقمار الدفاع الصناعية .. أوقفوها بأى ثمن .. هل تسمعون .. بأى ثمن !

نقل الخبراء الأمر بسرعة ، إلى أقمار الدفاع نفسها ، فاستنفرت كل وسائلها ، وراحت تطلق مدافعها ، نحو تلك الفقاعات ، محاولة منعها من بلوغها ..

وتفجرَّت الفقاعات ..

مئات منها تفجرَّت ، قبل أن تخترق الغلاف الجوى الأرضى ..

ومئات أخرى تفجرَّت خارجه ..

ومئات تبقَّت ، لتهاجم الأقمار الصناعية ، فى الفضاء الخارجى ..

وتوالت الانفجارات مرة أخرى ..

انفجارات صامتة ، لأقمار الدفاع ، التى فقدت مدافعها الليزرية ، وانهار بعضها ، لإصابة أجهزة التوجيه الرئيسية فيه ..

واحتقن وجه (أمجد) فى شدة ..

وران صمت رهيب ، على غرفة العمليات السرية ..

فبعد هذه المواجهة السريعة الرهيبة ، أدرك الكل الحقيقة ..

حقيقة أن مواجهة هذا الغزو الجديد ، عملية فاشلة ..

ومستحيلة ..

بكل المقاييس ..

★ ★ ★

« لا يمكنك أن تبقى هنا يا سيادة المقدّم .. »

نطقها أحد العسكريين فى توتر بالغ ، وهو يواجه (نور) ، الذى عقد كفيه خلف ظهره ، فى حزم صارم ، وهو يقول :

ـ بل سأبقى أيها الضابط .

انخرطت (سلوى) فى بكاء حار ، وضابط آخر يقول فى عصبية :

ـ ولكن هذا مستحيل يا سيادة المقدّم .. أنت قائدنا ، ولا بد أن تستمر فى القيادة .

هزّ (نور) رأسه فى حزم ، قائلاً :

ـ القائد آخر من يغادر السفينة ، لو أتيحت له الفرصة .

هتف ثالث :

ـ ولكن الـ ..

قاطعه (نور) فى صرامة :

- هذا أمر .

بكت (نشوى) بدورها ، وهى تقول :

- لا يا أبى .. أرجوك .

تجاهل (نور) بكاءها ، على الرغم من الألم الذى يشعر به فى أعماقه ، وهو يقول :

- فى الظروف المعتادة ، كان ينبغى أن يعبر المدنيون أولاً ، ولكننا فى موقفنا هذا ، نجهل ماسنواجهه ، على الجانب الآخر ، وربما نجد هناك مخاطر تستلزم القتال أو الدفاع ، لذا ، فاستثناءً من القاعدة ، سيتم عبور العسكريين بأسلحتهم أولاً .

سألته الدكتورة (مارى) ، بصوت مرتجف :

- وماذا لو واجهوا الخطر هناك ؟! هل سيعود أحدهم لتحذيرنا أو إبلاغنا ؟!

أشار (نور) إلى ابنته ، التى بكت مجيبة :

- هذا غير ممكن للأسف ، فهذه البوّابة ذات اتجاه واحد فحسب .

ثم عادت تكرّر فى مرارة :

- أرجوك يا أبى .. دعنى أبق أنا ، واذهب أنت .

ضمها إليه (نور) فى حنان ، وطبع قبلة على جبينها ، قائلاً :

- من يدرى أينا أكثر حظًّا يا عزيزتى .

ثم أشار بيده إلى العسكريين ، قائلاً :

- استعدوا ..

ثم ضغط أزرار الجهاز ، وجذب الذراع ..

وتألَّق القوس كله دفعة واحدة ..

ثم انطلقت داخله صواعق عجيبة ، قبل أن يُغلِّف أعماقه بغتة غلاف أبيض عجيب ، أشبه بالقطن ..

أو بالإسفنج ..

وبإشارة من يده ، قال (نور) فى حزم :

- هيا .

تردَّد العسكريون لحظة ، ثم اتجهوا إليه وقال كبيرهم :

- لن ننسى هذه اللحظة أبدًا أيها القائد .

وأدَّى الكل التحية العسكرية فى قوة ..

ثم اتجهوا نحو الجهاز ، حاملين أسلحتهم ..

وأمام أعين الجميع ، غاص كل منهم داخل ذلك الغلاف الأبيض ..

ثم تلاشى دفعة واحدة ..

ولم ينبس الباقون بحرف واحد ، ولم يصدر عنهم أدنى صوت ، باستثناء بكاء (سلوى) و(نشوى) ونحيبهما ، حتى اختفى آخر العسكريين داخل الفجوة ..

ولثوان ، تطلَّع الجميع إلى (نور) ، الذى قال :

- هيا .. حان دور العلماء .. (سلوى) و (نشوى) أوَّلاً .

قالت (سلوى) فى عزم مباغت :

- سأبقى .

انعقد حاجبا (نور) ، وهو يقول فى صرامة :

- ستذهبون جميعًا .. هذا أمر .

صاحت فى عناد غاضب :

- قلت : إننى سأبقى .

اندفعت الدكتورة (ليلى) نحو الجهاز ، هاتفة :

ـ سأذهب أنا .

اختفت داخل ذلك الغلاف الأبيض ، وتبعها الدكتور (خالد) ، ثم الباقون ، باستثناء الدكتور (كريم) ، الذى وقف يتابع الموقف فى صمت ، وهو يحمل أحد تلك المدافع الشبيهة بمدافع الليزر ، حتى قال (نور) فى صرامة :

ـ (سلوى) ، و (نشوى) .. هيا .. حان دوركما .

قالت (نشوى) فى إصرار :

ـ أمى على حق .. لن نرحل دونك .

صاح (نور) فى غضب عصبى :

ـ قلت هيا .. هذا أمر .

صاحت (سلوى) :

ـ ونحن لانطيع الأوامر هذه المرة .. ماذا ستفعل بنا ؟! هل ستحاكمنا عسكريًّا .

عضَّ شفتيه فى مرارة ، قائلاً :

ـ أرجوكما اذهبا .. إننى أفعل هذا من أجلكما .. اذهبا ، ولا تفسدا تضحيتى ، وتضيعاتها هباءً .. أرجوكما .

احتضنته (سلوى) بكل حب الدنيا ، وهى تقول :

ـ ومن قال : إن الحياة ستطيب بدونك يا (نور) .. إننى سأبقى إلى جوارك ، أيًّا كان مصيرنا .. لقد قضينا حياتنا معًا ، ولن أسمح لك بالبقاء وحدك الآن .

قال (نور) فى عصبية :

ـ القنبلة ستنفجر فى أية لحظة .

هزّت (نشوى) رأسها ، قائلة :

ـ لن نرحل دونك قط ..

« ارحلا .. »

نطقها الدكتور (كريم) فى صرامة ، فالتفتتا إليه فى دهشة ، وقال (نور) :

ـ إنه على حق .. ارحلاً .

سمعه يقول من خلفه ، فى أسى شديد :

ـ سامحنى أيها المقدّم (نور) .

استدار إليه (نور) ، قائلاً فى دهشة :

ـ علام أسا ..

قبل أن يتمّ عبارته ، هوت ضربة قوية على صدغه ، فاتسعت عيناه عن آخرهما ، وهوى فاقد الوعى ..

وبوثبة لا تتناسب مع حجمه ولياقته ، التقط الدكتور (كريم) ذراع الآلة الكبيرة وهو يهتف :

ـ هيا .. أسرعا .. اعبرا به البوّابة ، قبل أن يستعيد وعيه .. هيا .

هتفت به (سلوى) ذاهلة :

ـ دكتور (كريم) ..

صاح فى حدة :

ـ أسرعا ..

مع صيحته ، تناهى إلى مسامعهم صوت انفجار مكتوم يأتى من بعيد ، فصرخ الرجل :

ـ أسرعا باللّه عليكما .. أسرعا .

تعاونت (سلوى) و(نشوى) ، وحملتا جسد (نور) ، واندفعتا نحو الغلاف الأبيض ، وقبل أن تبلغاه ، استدارت (نشوى) تقول :

- لن ننسى تضحيتك هذه قط .

صرخ فيهما بمنتهى العصبية :

- أسرعا .

اندفعت مع أمها وحملهما ، عبر ذلك الغلاف الأبيض ، وتلاشى ثلاثتهم فيه ، والدكتور (كريم) يغمغم فى مرارة :

- على الأقل ، أنا لن يفتقدنى أحد .

مع آخر حروف كلماته ، لحقت النيران تلك القاعة ، وانهارت جدرانها ، فأغلق هو عينيه فى شدة ، وتخلى عن ذراع الآلة ، و ...

ودوى الانفجار ..

انهار المكان الوحيد المنيع ، على كوكب (موك) ..

وانتهى عالمهم القديم ..



اندفعت مع أمها وحملهما ، عبر ذلك الغلاف الأبيض ، وتلاشى ثلاثتهم فيه ..

إلى الأبد ..

أما (نور) والآخرون ، فلا أحد يدرى إلى أين نقلتهم تلك البوَّابة الكونية بالضبط ..

إلى عالم آمن أم إلى جحيم ..

جحيم آخر ..

لا أحد يدرى ..

على الإطلاق ..

★ ★ ★

انطلقت ضحكة الإمبراطور عالية مجلجلة ، وهو يستمع إلى تقرير قائده (براشر) ، قبل أن يقول فى ظفر :

ـ إذن فقد سحقتم هجوم الأرضيين الأوَّل ، باستخدام فقاعة الطاقة وحدها ..

ثم هزَّ رأسه متابعًا :

ـ يا له من عالم بائس ضعيف ! لست أدرى كيف تصوَّر هؤلاء الـ (موك) الأغبياء أنهم يستطيعون تأمين مدخل عالمهم الجديد هناك ..

أجابه (براشر) فى سخرية :

ـ لم يتصوَّروا أننا أيضًا تطوَّرنا كثيرًا ..

قال الإمبراطور فى صرامة :

ـ لا ريب فى أنهم يعدّون العدة الآن ، فى عالمهم الجديد ، لتحقيق انتصار كونى جديد ، يمنحهم لقب (سادة الكون) عن جدارة ..

ثم اعتدل على عرشه ، وضرب مسنده بقبضته ، مضيفًا فى شراسة :

ـ ولا ينبغى أن نمنحهم مهلة لذلك أبدًا .. نحن الآن (سادة الكون) ، ولا ينبغى أن نخسر اللقب أبدًا ..

قال (براشر) فى حزم :

ـ لن نخسره يا مولاى .. لقد سيطرنا على الموقف هنا تقريبًا ، وعندما يستقر بنا المقام ، سنبدأ فى البحث عن مدخل عالم (موك) الجديد .

تراجع الإمبراطور فى عرشه الضخم ، وهو يسأل فى اهتمام :

ـ ومتى يستقر بكم المقام على الأرض ؟!

هزَّ (براشر) رأسه ، قائلاً :

ـ الهجوم الشامل ، الذى قام به الأرضيون ، شفَّ بوضوح عن قوتهم وقدراتهم ، ولو أن هذا أقصى ما لديهم ، فلست أظننا بحاجة لاستكمال قواتنا ، قبل أن نبدأ عملية سحقهم .

سأله الإمبراطور فى اهتمام :

ـ إذن ؟!

التقط (براشر) نفسًا عميقًا ، ملأ به صدره عن آخره ، قبل أن يقول :

ـ إذن سنبدأ هجومنا الشامل ، مع فجر اليوم الجديد .. أى بعد حوالى أربع ساعات من زمنهم .

سأله الإمبراطور :

ـ وكم سيستغرق هذا الهجوم الشامل فى رأيك ؟!

أجابه (براشر) فى زهو واثق :

ـ ثلاث ساعات فحسب ، لتحويل الدولة التى هبطنا فيها إلى أطلال خاوية ، ويوم آخر لسحق كل أثر للحياة ، على كوكب الأرض .

أومأ الإمبراطور برأسه ، ولوَّح بيده ، قائلاً :

ـ عظيم .. عظيم .. أبلغنى فور انتهاء القتال ، وضمان السيطرة التامة الشاملة .

قالها ، وأنهى الاتصال ، قبل أن يستمع إلى جواب قائده ، ثم استرخى على عرشه ، وتألقت عيناه فى شدة ، وهو يغمغم :

ـ نحن السادة بلا منازع .

وتضاعف تألقهما ، وهو يضيف بوحشية رهيبة :

ـ سادة الكون .

ثم انطلقت من حلقه ضحكة أخرى ..

ضحكة عالية ..

ظافرة ..

ووحشية ..

★ ★ ★

اختنق حلق (رمزى) بغصة مؤلمة ، وهو يقود سيارته ، عائدًا إلى وزارة الدفاع ، للحاق

بـ (أمجد) و(أكرم) و(مشيرة) ، التى سبقته إلى هناك ، عندما انضمّ إلى الدكتور (حجازى) ، لمتابعة فحص وتشريح جثة (كونار) ..

لم يكن يدرى كيف يمكن أن ينقل الأمر إلى الآخرين !

كيف يمكن أن يخبرهم أن جثة (كونار) قد احترقت وتلاشت ، قبل أن يبدأ فحصها ؟!

كيف ؟!

هذا يعنى أنهم قد فقدوا كل المعلومات الممكنة ، عن جنس وطبيعة الغزاة ..

ولم تعد هناك وسيلة أخرى ..

كيف يمكن أن يبلغهم هذا ؟!

كيف ؟!

كيف ؟!

كان عقله كلـه غارقًا فـى التفكير ، فـى هذا الأمر ، عندما تألَّقت ساعته بغتة ..

تألَّقت على نحو يوحى بـأن بعضهم يقتحم ، أو يحاول اقتحام أحد منازل أفراد الفريق ..

وبحركـة آليـة ، ضغـط (رمـزى) فرامـل سيارته ، ومال بهـا إلـى جانب الطريق ، وهـو يلقى نظرة على ساعته ، فى توتر بالغ ..

إنه اقتحام بالفعل ..

ولمنزل (نور) بالتحديد ..

ومنزل (نور) على مسافة خمس دقائق من القيادة فحسب ..

يمكنه الآن الاتصال برجال الأمن ..

أو بـ (أكرم) ..

ولكن هذا سيضيع وقتًا ثمينًا ، ربمـا استغله المقتحم ، لسرقة ما خفَّ حمله ، وغلا ثمنه ..

وهو يدرك ما يمكن أن يؤدى إليـه هذا ..

فمنزل (نور) بالتحديد يحـوى عشرات الأشياء ، التى تخصَّ عمله ، ومغامراته السابقة ، وأسراره ، و ...

وحسم تفكيره هذا الأمر ، وهو يديـر محرِّك سيارته مرة أخرى ، وينطلق نحو منزل (نور) ، وهو يضغـط زر الاتصـال الأمنـى فـى السيارة ، قائلاً فى صرامة :

- هناك اقتحام غير مشروع ، لمنزل المقدَّم (نور الدين) ، ضابط المخابرات العلميـة .. الأمر له أولوية مطلقة .

وأنهى الاتصال ، وهو ينحرف بالسيارة ، متَّجهًا نحو منزل (نور) مباشرة .. وبتوتر بـالغ ، فتح درج السيارة ، وتحسَّس المسدس الليزرى الراقد داخله ، وهو يتمتم :

ـ رباه ! لم أتصورَّ قط أننى سأضطر لاستخدامه يومًا .

دارت عشرات الأفكار المقلقة فى رأسه ، حتى توقَّف أمام منزل (نور) مباشرة ..

كانت الشرفة الخلفية مفتوحة ، على نحو يؤكِّد حالة الاقتحام ، فسحب (رمزى) المسدس الليزرى من درج السيارة ، وأمسكه فى قوة ، وغادر السيارة ، مغمغمًا فى توتر بالغ :

ـ لماذا تأخَّر رجال الشرطة ؟!

تقدَّم نحو المنزل ، وهو يقدِّم ساقًا ويؤخِّر أخرى ، وراح قلبه يخفق بمنتهى العنف ، وهو يعبر الشرفة الخلفية إلى الداخل ..

كان المنزل مظلمًا تمامًا ، وساكنًا إلى حد عجيب ..

ولكنه شعر بأنه ليس وحده ..

وفى أعماقه ، سرت موجة باردة كالثلج ..

لم يعد هذا مجرَّد شعور مبهم ..

لقد صار يقينًا ..

هناك شخص آخر فى المكان ..

شخص يقف جامدًا ، صامتًا ، فى الركن البعيد للصالة الكبيرة ..

ولكن لمحة من الضوء المتسلِّل من الخارج ، تكشف تكوينه ..

وارتجفت أطراف (رمزى) ، وهو يتراجع فى حذر ، باحثًا بيده عن زر الإضاءة ، وقائلاً فى عصبية :

ـ من يقف هناك ؟!

لم يتلق جوابًا ، فتضاعف توتره ، وهو يواصل بحثه عن الزر ، قائلاً :

ـ الصمت لن يخدعنى .. إننى أراك فى وضوح .. أفصح عن هويتك ، وإلا أطلقت النار .. إننى أحمل مسدسًا ليزريًا قويًا .

لم يتلق جوابًا ، فى هذه المرة أيضًا ، ولكن أبواق سيارات الشرطة تناهت من بعيد ، مما بث فى قلبه الكثير من الثقة ، فهتف فى صرامة :

- فليكن .. لقد حذَّرتك .

عثرت أصابعه ، فى تلك اللحظة بالذات ، على زر الإضاءة ، فضغطه ، مستطردًا :

- ولقد خسرت فرصتك .

اشتعلت الأضواء فى المكان ، وهو يثب إلى الأمام ، ويشهر مسدسه الليزرى ، و ...

وتجمَّد جسده كله دفعة واحدة ..

واتسعت عيناه عن آخرهما ..

وخفق قلبه فى عنف ، كما لم يخفق من قبل ..

فأمامه مباشرة ، وعلى قيد أمتار قليلة منه ، كان يقف آخر شىء يتوقَّع رؤيته ، فى هذه الساعة .

آخر شىء ، على الإطلاق .

* * *

٥ - المنقذ ..

فجأة ، استعاد (نور) وعيه ..

وفجأة ، أيضًا ، أدرك كل ما حوله ..

كان راقدًا على أرضية باردة ، من مادة أشبه بالرخام ، داخل قاعة أخرى شبه مظلمة ، فى حجم القاعة البيضاء ، التى نقلهم إليها الـ (ميجالون) ، ولكن جدرانها كانت مطلية كلها بلون أسود ، وفى نهايتها جهاز كبير ، شبيه بذلك الذى أتى بهم إلى هذا العالم ..

وكان يتنفَّس على نحو طبيعى هادئ ..

وما إن فتح عينيه ، واستوعب ما حوله ، حتى سمع صوت زوجته (سلوى) ، تهتف فى لهفة :

ـ (نور) .. حمدًا لله على سلامتك .

بعد هتافها ، انطلقت أصوات عديـدة ، تهنئـه بالسلامة ، وأحـاط بـه العسكريون ، حـاملين أسلحتهم ، والعلمـاء ، وابنتـه وزوجتـه ، فـأدار عينيه فيهم فى سرعة ، وهو يسأل فى قلق :

ـ ما الذى أتى بى إلى هنـا ؟! وأين الدكتـور (كريم) ؟!

غمغم أحد العسكريين :

ـ لقد كان بطلاً .

اتسعت عينا (نور) ، وهـو يعتـدل جالسًـا ، وهاتفًا :

ـ يا إلهى ! يا إلهى ! لماذا فعل هذا ؟! لمـاذا فعله ؟!

ثم أخفى وجهه بين كفيه ، مستطردًا فـى مرارة :

ـ يا للمسكين ! يا للتعس !

هتف أحد العسكريين :

ـ بل قل : يا للبطل !

صمت (نور) بضع لحظات ، محاولاً كتمـان انفعاله والسيطرة عليه ..

فمن منظوره الخاص ، لم يكن من المسموح للقائد ، أن يستسلم لانفعالاته ..

لم يكن من المسموح أبدًا ..

لذا ، فقد التقط نفسًا عميقًا ، ثم نهـض واقفًـا ، وتساءل فى اهتمام :

ـ ألديكم فكرة ، أين نحن بالضبط ؟!

أجابتـه (سلوى) ، وهى تلتصـق بـه فـى ارتياح :

ـ المهم أننا قد نجونا .

ضمها إليه ، قائلاً فى حزم :

- ليس بعد .. مازلنا نجهل طبيعة المكان ، الذى وصلنا إليه .

قال أحد العسكريين فى اهتمام :

- لقد قمنا بفحص المكان ، فور وصولنا أيها القائد ، ويبدو أننا داخل قبو مهجور أو مهمل ، ووجود هذا الجهاز هنا يوحى بأننا داخل محطة انتقال بين النجوم ، لم تعد تفيد أحدًا ، بعد إصابة عالم (موك) بذلك الوباء الرهيب .

قالت (نشوى) :

- هذا صحيح يا أبى ، فهذا الجهاز يشبه الآخر تمامًا ، فيما عدا أنه مجهَّز للعمل فى الاتجاهين ، ذهابًا وإيابًا ، ولكن إلى هدف واحد .. عالم (موك) .

انحنى (نور) يلتقط مدفعه ، وهو يسأل :

- هل يوجد مخرج من هنا ؟!

أجابه أحد الضباط ، وهو يشير بعيدًا :

- باب واحد ثقيل ، مغلق برتاج إليكترونى ضخم .

التقط (نور) نفسًا آخر ، قبل أن يقول :

- عدنا إذن إلى نظرية القرار الحتمى الواحد .

ثم أشار بسبابته إلى الباب الثقيل ، مضيفًا :

- لا بديل عن اقتحام ذلك الباب .

قالت الدكتورة (مارى) فى عصبية :

- ولكننا لا ندرى ماذا يوجد خلفه ؟!

أجابها (نور) فى حزم :

- ولكننا نعلم ماذا يوجد هنا يا سيِّدتى .

والتفت إليها ، مضيفًا فى صرامة :

- الضياع .. الضياع والموت .

امتقع وجهها بشدة ، وهى تنكمش على نفسها ، فى حين أشار هو بيده إلى أحد الضباط ، قائلاً :

- اقتحم الباب .

اتجه الضابط نحو الباب فى حزم ، وصوَّب مدفعه إلى رتاجه الإلكترونى ، و ... وأطلقه ..

ودوى انفجار عنيف فى المكان ، كاد يصمّ آذان الحاضرين ، حتى إن الدكتورة (ولاء) أطلقت صرخة رعب عالية ، تلاشت مع انسحاب دوى الانفجار ..

وبحركة سريعة ، دفع ضابط آخر الباب بقدمه ، ثم تراجع شاهرًا مدفعه فى تحفز ..

وخيم على الكل صمت رهيب ..

وتطلَّعت كل عيونهم وأفئدتهم إلى الباب المفتوح ..

وإلى الممر الطويل ، الممتد أمامه ..

ممر له نفس سمات القاعة ، التى يقفون فيها ..

جدران سوداء ..

ضوء خافت للغاية ..

وامتداد بلا حدود ..

ولكن أحدًا منهم لم يتحرَّك من مكانه ..

كانوا ينتظرون أى رد فعل ، لدوى انفجار الرتاج الإلكترونى ..

ولدقيقة كاملة ، لم يحدث أى رد فعل ..

على الإطلاق ..

وهنا حمل (نور) مدفعه ، وتقدَّم الصفوف ، عبر الممر الطويل ..

ثم تبعه العسكريون ..

وبعدهم المدنيون ..

وعلى طول الممر ، البالغ ما يقرب من خمسين مترًا ، لم يعترضهم شىء واحد ..

وعند نهايته ، كانت هناك درجات سلم صاعدة ، تنتهى بباب آخر ..

وإلى جانب الجدار ، قبيل الباب مباشرة ، كان هناك شىء لم يصادفهم من قبل ..

نافذة ..

نافذة صغيرة ، مغلقة بشبكة من الصلب ..

وفى حذر ، تساءل أحد العسكريين :

ـ تُرى ما الذى يمكن أن نراه ، عبر تلك النافذة ؟!

أرهف (نور) سمعه ، واستوعب فى سرعة تلك الأصوات ، قبل أن يجيب فى حزم :

ـ حياة .

قالها ، وصعد فى درجات السلم ، فى حذر شديد ، حتى بلغ تلك النافذة ..

وبحذر أكثر ، اشرأب بعنقه ، ليتطلَّع عبر النافذة ..

ثم اتسعت عيناه عن آخرهما ..

فأمامه مباشرة ، كانت هناك جيوش عاتية ، تتحرَّك عبر طريق هائل ..

جيوش بلا حدود ..

وبإمكانيات جبارة ..

آليات مخيفة ضخمة ..

آلاف وآلاف من الجنود المسلحين ..

مركبات صغيرة طائرة ..

حيوانات عملاقة ، أشبه بالديناصورات ، وعلى متنها مقاتلون آخرون ..

وهتف أحد العسكريين فى توتر :

ـ ما الذى تراه بالضبط أيها القائد ؟!

انتزع (نور) نفسه من ذهوله ، وهو يجيب :

ـ جيوش .. جيوش هائلة .

هتفت (سلوى) ، بكل دهشة الدنيا :

ـ جيوش ؟!

لوَّح بيده ، قائلاً :

ـ نعم .. جيوش بلا حدود .. مقاتلون بلا عدد ، ومعدات رهيبة ، وكلها تسير فى اتجاه واحد .

ثم أدار عينيه إليهم ، مستطردًا :

ـ إننا فى قمة مكان مرتفع للغاية .. أو تحت قمته بقليل .

سألته (نشوى) فى قلق :

ـ أى مكان هذا ؟!

هزَّ رأسه نفيًا ، دلالة عدم الإدراك ، وهو يجيب :

ـ لست أدرى ، ولكنه مكان مهم بالتأكيد ، فكل تلك الجيوش تعبر أمامه ، كما لو أن هذا مجرَّد استعراض للقوة .

سأله أكبر العسكريين رتبة ، وقد ساوره قلق خفى :

ـ هل يمكنك رؤية المكان ، الذى تتجه إليه كل تلك الجيوش أيها القائد ؟!

غمغم (نور) ، وهو يميل جانبًا ، ويرفع جسده عن الأرض قليلاً :

ـ ربما لو ...

كان يحاول اتخاذ زاوية عسيرة للغاية ، لمتابعة خط سير تلك الجيوش الزاحفة ، حتى شعر بألم فى عنقه ، والتصق صدره تمامًا بالشبكة المعدنية للنافذة ، وبدا له من بعيد مشهد غريب ، لم يستطع استيعابه فى البداية ، و ...

« يا إلهى ! »

انطلق الهتاف من حلقه ، وهو يرتدّ كالمصعوق ، على نحو أصاب الكل بالهلع ، وجعل (سلوى) تهتف فى ارتياع :

ـ ماذا رأيت يا (نور) ؟!

أراد (نور) أن يخبرها ..

أراد أن يخبر الجميع ..

ولكن الكلمات اختنقت فى حلقه ..

فذلك الجيش الهائل ، بكل قواته ومعداته ، كان يتجه نحو فجوة كبيرة ، تقود إلى عالم يعرفونه جميعًا ..

عالمهم ..

الأرض ..

* * *

« أهى الهزيمة ؟! »

نطق ضابط المخابرات السابق (حاتم) العبارة ، فى توتر شديد ، وهو يلوّح بمدفعه الآلى ، فى وجه (أمجد) ، الذى جلس على مقعده صامتًا ، مفكرًا فى عمق ، داخل حجرة الرصد والمتابعة ، فى وزارة الدفاع ، ثم تابع الرجل فى عصبية :

ـ لن يمكننا أن نقبل الأمر بهذه البساطة .. لابد أن نقاتل ، حتى آخر قطرة دم .

رفع (أمجد) عينيه إليه ، قائلاً فى هدوء عجيب ، لم يبد متناسبًا قط مع الموقف كله :

- هل رأيت ما حدث ؟!

أجابه (حاتم) بنفس العصبية :

- رأيته يا سيِّد (أمجد) .. رأيت كيف سحق هؤلاء الغزاة الأوغاد قواتنا سحقًا ، خلال دقائق معدودة ، ولكن هذا أيضًا لا يعنى أن نستسلم .

قال (أمجد) فى حزم :

- إننا لن نرسل أية قوات جديدة ، لتواجه موقفًا مماثلاً .

هتف (حاتم) :

- هناك وسيلة أخرى حتمًا .

وعضَّ شفتيه فى مرارة ، متابعًا :

- عندما كنا نعمل فى المخابرات ، لم نكن

نستسلم أبدًا .. كثيرًا ما كنا نواجه عدوًّا يفوقنا قوة ، أو يفوقنا عتادًا وتكنولوجيا .. ولكننا لم نيئس أبدًا .. كنا نبحث عن وسائل جديدة ، ونواصل القتال ، ولم نكن نؤمن قط بكلمة مستحيل !

قال (أمجد) فى صرامة :

- لا يوجد مستحيل !

ثم نهض من مقعده ، مضيفًا :

- ولكن الحماقات لا تصنع المعجزات .

غمغم (حاتم) فى حنق :

- ومن تحدَّث عن الحماقات ؟!

ثم مال نحوه ، مضيفًا فى انفعال :

- إننى أتحدَّث عن القتال .. عن المقاومة .. عن الـ ..

استوقفه (أمجد) ، وهو يشير إلى رأسه ، قائلاً :

ـ عن العقل .

ثم شدّ قامته ، ولوّح بيده ، متابعًا :

ـ ماذا كنت تظننى أفعل إذن ، منذ حدث ما حدث .. إننى أعتصر عقلى ، وتفكيرى ، وكل خبراتى وتجاربى السابقة ، للبحث عن وسيلة أخرى ، بخلاف القتال المباشر .. وسيلة يمكننا بها بلوغ العدو ، وتحطيم جبهته من الداخل ، ما دمنا عاجزين عن التصدّى له من الخارج .

غمغم (أكرم) :

ـ زوجتى (مشيرة) تقول إن الأقمار الصناعية الإخبارية قد رصدت كل ما حدث ، وأن الأخبار قد انتشرت فى العالم كله ، والأمم المتحدة تسعى لعقد اجتماع عام ، و ...

قاطعه (أمجد) فى صرامة :

ـ وهل تعتقد أن العدو سينتظر نتائج الاجتماع ؟!

ثم التقط نفسًا عميقًا ، وتابع ، وقد تسلّل التوتر لأوّل مرة إلى صوته وكلماته وعباراته :

ـ اختبار القوة ، الذى قمنا به ، كان مزدوجًا .. نحن اختبرنا قوة العدو ، وهو اختبر قوتنا أيضًا ، ولقد أدرك الآن كم يفوقنا قوة وتطوّرًا ، وأدرك أن هزيمتنا ودحرنا أصبحا مضمونين ، لذا فهو لن ينتظر ، حتى تكتمل قوته ، وإنما سيضرب ضربته بأقصى سرعة ، وبأدنى رحمة .. أو بمعنى أدق .. بلا رحمة .. وأجهزتنا تدرك الآن أنه يحيط نفسه بغلاف واق ، تبلغ قوته حدًّا مذهلاً ، بحيث يحتمل كل ضرباتنا ، حتى الصواريخ ومدافع الليزر .

قال (أكرم) فى اهتمام :

ـ وماذا عن القنابل النووية محدودة الانتشار ؟! ألا يمكننا استخدامها ؟!

هزَّ (أمجد) رأسه نفيًا ، وهو يجيب :

ـ مستحيل ، فدفاعات العدو لا تكتفى بصد الهجوم فحسب ، وإنما هى تتعقب مصادره أيضًا ، وتسحقها سحقًا ، كما فعلت مع أقمارنا الدفاعية العسكرية ، ولو أننا أطلقنا سلاحًا نوويًا نحوه ، وتعقَّبت وسائله مصدره ، فستصبح كارثة رهيبة ، ولن يختلف مصير عالمنا كثيرًا ، عما يمكن أن يحدث ، لو تركناه يغزونا .. بل وربما يكون أملنا أكبر ، فى حالة الغزو ، لأنه سيظل هناك أمل فى المقاومة .

ثم التقى حاجباه ، وهو يضيف :

ـ ولكن الأمر سيختلف حتمًا ، إذا ما كان المصدر داخل قواتهم نفسها .

بدت الدهشة على وجهى (حاتم) و(أكرم) ، وتساءل الأخير فى حذر :

ـ وما الذى يعنيه هذا ؟!

عقد (أمجد) كفيه خلف ظهره ، وهو يقول :

ـ لقد استدعيت الدكتور (جلال) ، رئيس مركز الأبحاث ، التابع للمخابرات العلمية ، واللواء (رفعت) ، نائب رئيس مركز الأبحاث العسكرية ، لأنه لدى فكرة مجنونة .. مجنونة بحق .

سأله (حاتم) فى توتر :

ـ وما هى ؟!

قبل أن يجيبه (أمجد) ، سمع الثلاثة دقات على باب الحجرة ، فالتفت إليه (أمجد) فى سرعة ، قائلاً :

ـ تفضَّل .

انفتح الباب ، ودلف عبره الدكتور (جلال) واللواء (رفعت) ، والأخير يقول فى توتر شديد :

لقد وصلنا بأسرع ما يمكننا يا سيِّد (أمجد) ، ونتعشَّم أن يكون لدينا ما يفيدك ، فى مواجهة هذه الكارثة .

دعاهما (أمجد) إلى الجلوس ، وهو يغمغم :

- أتعشَّم هذا أيضًا .

واعتدل فى تماسك ، وهو يسألهما :

- بلغنى ، من خلال عملى ، كمستشار أمنى للرئيس ، أنه توجد تجارب مشتركة ، بين مركزى الأبحاث ، لإنتاج قنبلة نووية محدودة الانتشار ، لها حجم صغير للغاية ، بحيث لايتجاوز حجم حقيبة عادية ، مع قوة تدميرية كبيرة ، وانتشار محدود للغاية للإشعاعات النووية الناتجة .

بدت الدهشة على الرجلين ، والدكتور (جلال) يجيب :

- إنها معلومات بالغة السرية ، ولكنها صحيحة تمامًا ..

سألهما (أمجد) ، فى اهتمام بالغ :

- وإلى أين وصلت تجاربكما المشتركة بالضبط ؟!

أجاب اللواء (رفعت) :

- لقد انتهينا من صنعها ، ولكننا لم نختبر قوتها بعد .

تراجع (أمجد) بمقعده ، وهو يقول فى حزم :

- عظيم .. إننى أمنحكما إذن فرصة مثالية لاختبارها .

سألاه فى دهشة :

- وكيف هذا ؟!

نهض من مقعده ، قائلاً فى جدية شديدة ، وهو يتحرَّك داخل المكان :

- مادامت المواجهة المباشرة غير مجدية على الإطلاق ، فى مواجهة غزاة كهؤلاء ، فلا توجد

سوى وسيلة واحدة لمقاومتهم ، وهى التسلُّل بين صفوفهم ، ونسفهم من الداخل .. ولقد طلبت من رجالنا فحص غلاف الطاقة ، المحيط بهم ، فأكدوا لى أنه يمنع عبور الطلقات والصواريخ وأشعة الليزر ، ولكن من الممكن أن يخترقه شخص واحد ، إذا ما زحف بمستوى الرمال ، وهذا يعني أننا نستطيع ، بوساطة شخص واحد ، التسلل إلى هناك ، مع قنبلتكما الجديدة ، بحيث يقترب بقدر الإمكان من تلك الفجوة ، التى تعبر منها القوات ، ثم ينسفها نسفًا .

هزَّ اللواء (رفعت) رأسه ، قائلاً :

ـ ولكن هذا مستحيل !

أجابه (أمجد) فى حزم صارم :

ـ لا يوجد مستحيل ، مادامت هناك إرادة ، قادرة على تحطيمه .

قال الدكتور (جلال) :

ـ المستحيل هنا هو تفجير القنبلة نفسها ؛ فمع وجود الغلاف الواقى ، بكل طاقته ، لن يمكننا استخدام أجهزة التفجير عن بعد ؛ لأن ذبذبات الغلاف ستمنع وصولها إلى مفجِّر القنبلة .

سأله (أمجد) :

ـ وماذا عن الأسلوب اليدوى ؟!

قال اللواء (رفعت) مستنكرًا :

ـ وهل تتوقَّع من أى شخص ، أن يقوم بتشغيل وإشعال قنبلة كهذه بنفسه ، وهو يعلم أنها ستحيله إلى رماد متناثر ، خلال ثانيتين فحسب ، من ضغط زر التفجير ؟!

انعقد حاجباه فى صرامة ، وهو يقول :

ـ وماذا لو افترضنا أن هذا الشخص موجود بالفعل ؟!

حدَّق كل من فى الحجرة فى وجهه بدهشة قبل أن يهزّ الدكتور (جلال) رأسه فى قوة ، قائلاً :

- فى حالة وجود هذا الانتحارى ، يمكنه أن يتعلَّم أسلوب التفجير اليدوى ، خلال دقيقة واحدة ، فهو يتكوَّن من ثلاث خطوات فحسب .

قال (أمجد) فى حزم :

- عظيم .. متى تكون القنبلة جاهزة إذن ؟!

تردَّد الرجلان بضع لحظات ، ثم أجاب اللواء (رفعت) :

- ليست لدينا سوى نسخة واحدة ، ولكننا نستطيع إعدادها ، خلال نصف الساعة على الأكثر .

أشار (أمجد) بيده ، قائلاً :

- عليكما بالبدء فورًا إذن .

تبادل الرجلان نظرة متوترة ، قبل أن يقول الدكتور (جلال) :

- فليكن .. ولكن أخبرنى .. من باب الفضول .. من سيحمل القنبلة ، إلى قلب العدو .

شدَّ (أمجد) قامته ، وهو يجيب فى حزم :

- أنا ..

وتفجَّرت قنبلة من الدهشة فى المكان ..

فقد كان الجواب مفاجئًا ..

ومذهلاً ..

وخطيرًا ..

للغاية ..

* * *

« الأرض ؟! »

شهقت (نشوى) بالعبارة فى ذهول ، شاركها فيه الجميع ، فاتسعت العيون عن آخرها ، وجفّت الحلوق ، وخفقت القلوب ، والدكتور (خالد) يقول فى ارتياع :

ـ الفجوة تقود إلى الأرض ؟! هذا يعنى أننا قد انتقلنا إلى عالم (هور) الآن .

زفر (نور) ، مغمغمًا :

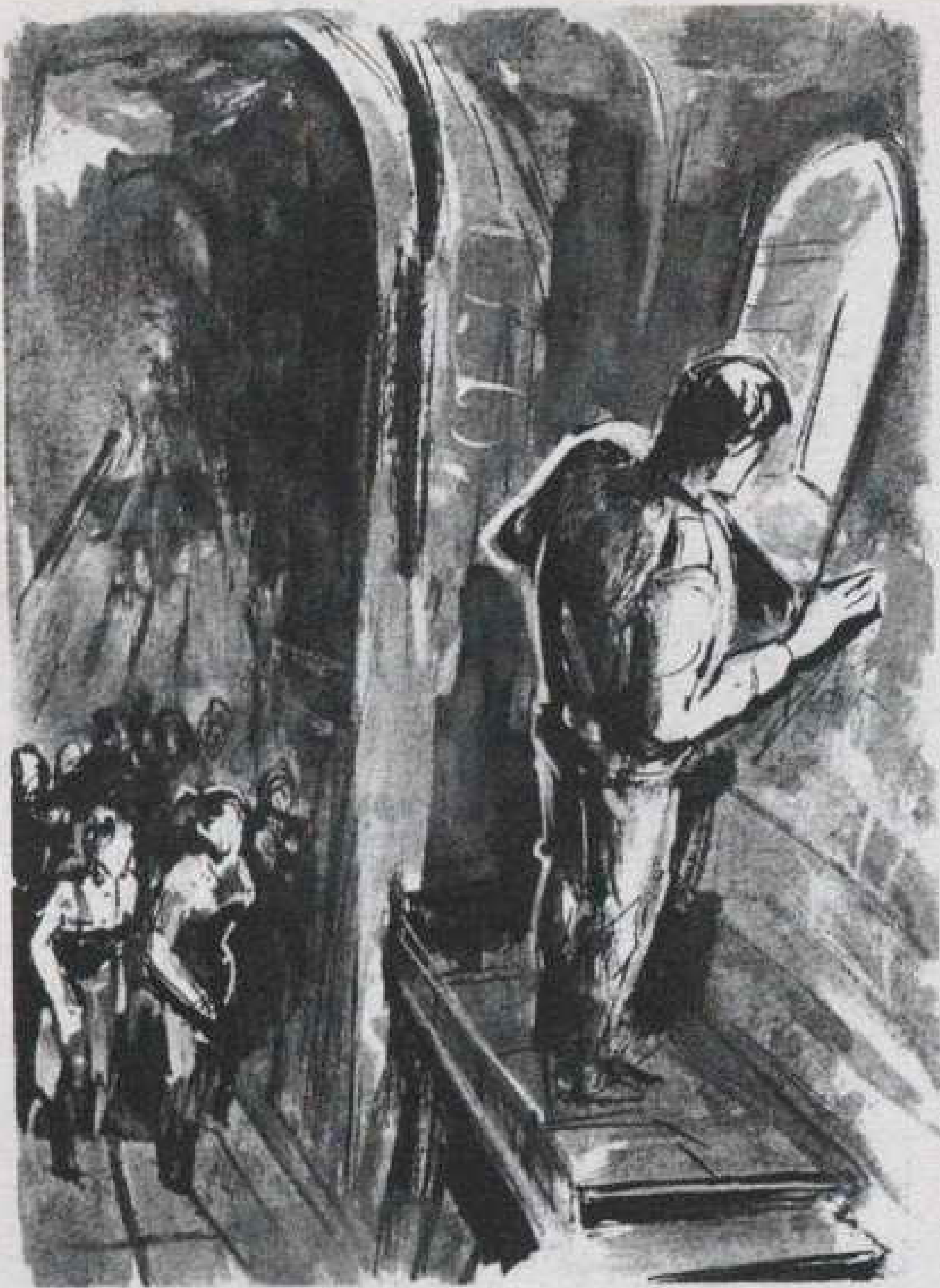
ـ بالضبط

هتفت الدكتورة (مارى) فى ارتياع :

ـ يا للكارثة !

قال (نور) فى حزم :

ـ ربما تكون كارثة ، أو هى مصادفة صنعتها يد اللّه (سبحانه وتعالى) ، لتمنح عالمنا أملاً جديدًا .



شهقت (نشوى) بالعبارة فى ذهول ، شاركها فيه الجميع ..

سأله أحد العسكريين فى دهشة :

- ماذا تعنى أيها القائد ؟!

أجابه (نور) :

- أعنى أننا قد انتقلنا ، دون تخطيط مسبق ، إلى نفس العالم ، الذى يسعى لغزو عالمنا ، ولا أحد هنا يدرى بوجودنا ، ومن الواضح أننا فى منطقة مهمة ، وإن كنا فى قسم مهمل منها .. جزء أشبه بحجرات الأسقف ، فى القصور والقلاع القديمة ، فى (أوربا) العصور الوسطى ، ولأننى لا أومن بالمصادفات ، فأنا أتصوَّر أن القدر قد أتى بنا إلى هنا لهدف ما .. أن نحاول منع غزو عالمنا مثلاً .

هتف أحد العسكريين فى دهشة :

- نحاول منع ماذا ؟! لقد شاهدت بنفسك جيشًا رهيبًا .. بل جيوشًا هائلة ، كما وصفتها ، فهل

تعتقد أننا نستطيع ، بكومة من المدافع ، أن نتصدّى لقوة كهذه ؟!

قال (نور) فى صرامة :

- لابد أن نحاول على الأقل .

هتفت الدكتورة (ولاء) :

- نحاول ماذا أيها المقدَّم ؟! إنكم دستة من المقاتلين فحسب ، وكلنا بعدها من المدنيين ، والقتال ليس مهنتنا أو عالمنا ، وهذا يعنى أنكم وحدكم ستواجهون كل هذه الجيوش .. هل يبدو لك هذا منطقيًا ؟!

قال فى حزم :

- ومن تحدَّث عن الجيوش ؟!

صاحت الدكتورة (ليلى) :

- ألم تقل إنك قد رأيتها بنفسك ؟!

لوَّح بذراعه ، هاتفًا :

ـ نعم .. لقد رأيت جيوشًا هائلة ، ولكنها لا تتجه إلى هنا .. إنها تتجه إلى عالمنا ، وليس إلى هنا ، وربما يعنى هذا أن الأنظار كلها تتجه إلى الغزو الخارجى ، وليس إلى الأمن الداخلى .. ومن المؤكَّد أيضًا أن ظهورنا سيكون مفاجأة مدهشة للكل ، والقاعدة الأولى ، فى كل الحروب ، تؤكِّد أن صاحب الضربة والمفاجأة الأولى ، هو الرابح فى النهاية على الأرجح .

غمغم أحد العسكريين فى عصبية :

ـ ليس بالضرورة أيها القائد ، فربما تبدأ أنت الضربة الأولى ، ولكن العدو ينتصر فى النهاية ؛ لأنه الأكثر عددًا وعدة ، وقوة .

هزَّ (نور) كتفيه ، قائلاً :

ـ هذا سيعيدنا إلى القاعدة الذهبية .

ثم مال نحو أكبر العسكريين رتبة ، مضيفًا :

ـ ماذا سنفعل ، لو رفضنا المبادرة بالهجوم ؟! هل سنظلَّ سجناء هنا ، حتى نلقى حتفنا جوعًا وعطشًا ؟!

تبادل الكل نظرة مذعورة ، قبل أن تغمغم (سلوى) فى حزم :

ـ (نور) على حق .. ليس أمامنا سوى هذا .

ثم رفعت عينيها إلى زوجها ، مضيفة :

ـ أنا معك .

وهتفت (نشوى) فى حماسة :

ـ وأنا أيضًا .

أجابها فى صرامة :

ـ أنتما ستظلان هنا ، مع باقى المدنيين ، أما أنا والعسكريون ، فسوف ..

قاطعته الدكتورة (ولاء) فى حدة :

ـ لا .. لن أسمح لكم بتدمير حياتى .

واتجهت نحو الباب الآخـر ، فـى عصبيـة واضحة ، ولمسته بسبَّابتها ، قائلة :

ـ إن أية قوة فى الكون ، لـن تجبرنى علـى عبور هذا الـ ..

قبل أن تتمّ عبارتها ، انطلق صوت قوى بغتـة من الباب ، ودوت فى المكـان فرقعة مكتومـة ، فتراجعت مذعورة ، وهى تصرخ :

ـ ماذا فعلت ، فى هذه المرة أيضًـا ؟! لمـاذا أفسد الأمور دائمًا ؟! لماذا ؟!

لم تكن تتمّ عبارتها ، حتى انفتح البـاب فجـأة ، لتظهر من خلفه قاعة سوداء هائلـة ، فـى نهايتها عرش ضخم ، استقرّ فوقه الإمبراطور ..

إمبراطور عالم (هور) ..

وفى نفس اللحظة ، اندفع عشرة من المقـاتلين الأشداء نحو الباب ، الذى أشار إليـه إمبراطورهم ، وهو يصرخ بلغتهم الخشنة :

ـ دخلاء .. اقبضوا عليهم .

وعلى الرغم من أن (نـور) لـم يفهـم حرفًـا واحدًا ، مما صرخ به الإمبراطور ، إلا أنه صاح بالعسكريين ، وهو يندفع إلى الأمام :

ـ هجوم .

وفى لحظة واحدة ، تحوّل المكان إلـى سـاحة قتال رهيبة ..

ساحة تفجَّرت فيها الدماء أنهارًا ..

الدماء الحمراء ..

وحدها .

* * *

٦ ـ بين عالمين ..

« ما تعرضه مستحيل يا سيِّد (أمجد) .. »

نطق (أكرم) العبارة فى حزم شديد ، وهو يواجه (أمجد صبحى) ، متابعًا :

ـ مشكلتك أنت و (نور) ، أنكما تعيشان زمن فرسان العصور الوسطى ، وليس زمانكما الحالى .. أنتما متشابهان كثيرًا ، وهذا ما لاحظتـه من عملى معكما ، ولكن اسمحا لى ، مع كل تقديرى واحترامى لكما ، وإعجابى الشديد بكل ما تفعلانه ، أن أقول : إن تفكيركما يحوى شيئًا من الحماقة أحيانًا .

انعقد حاجبا (حاتم) فى غضب ، واتسعت عيون الدكتور (جلال) واللواء (رفعت) فى دهشة ، فى حين ابتسم (أمجد) ابتسامة هادئة ، وهو يغمغم :

ـ الحماقة ؟!

أجابه (أكرم) فى حزم :

ـ نعم .. الحماقة .. ما زلت أصرّ على الكلمة ، على الرغم من ثقتى فى أنها قد صدمت مشاعر الكل .. والحماقة التى أقصدها ليست فى شخصيتكما القيادية ، أو قتالكما الدائم فى سبيل الحق ، أو فى كل صفاتكما المشتركة الأخرى ، ولكنها تمكن فى إحساسكما الفائق بالمسئولية ، الذى يدفعكما أحيانًا إلى التضحية بما لا تملكانه .

غمغم (أمجد) فى حذر :

ـ ما لا نملكه ؟!

أشار إليه (أكرم) ، قائلاً فى صرامة :

ـ نعم .. بنفسيكما .

فغر (حاتم) فاه فى دهشة ، شاركه إياها اللواء

(رفعت) ، فى حين ابتسم الدكتور (جلال) ، وعقد (أمجد) حاجبيه ، و(أكرم) يتابع بنفس الصرامة :

ـ ما من قائد يلقى نفسه فى التهلكة ، تاركًا جنوده وجيوشه خلفه حائرة ، إلا لو لم يكن هناك سبيل آخر .. هل رأيت فى حياتك كلها قائدًا قرَّر القيام بعملية انتحارية بنفسه .

قال (أمجد) فى حزم :

ـ هذا ما أفعله طيلة عمرى .

قال (أكرم) فى سرعة :

ـ ربما يبهرنى هذا ، عندما تكون أحد ضباط المخابرات ، المنوط بهم القيام بمهام محدودة ، ويفترض فيهم أن يبذلوا حياتهم ، من أجل نجاحها ، ولكن لو أنك مدير المخابرات ، لاختلف الأمر كثيرًا ، فما بالك بكونك قائدًا ، أسندت إليه كل قيادات (مصر) مهمة التصدِّى لغزو رهيب ،

يهدِّد الأرض كلها باحتلال يعلم اللَّه (سبحانه) وحده مداه .. أو ربما بما هو أسوأ .. هل يصبح من حقك عندئذ أن تتخلَّى عن كل هذا ، للقيام بمهمة انتحارية .

قال (أمجد) فى حزم :

ـ هذه المهمة الانتحارية يمكن أن تحسم أمر الغزو كله .

قال (أكرم) فى سرعة :

ـ بفرض نجاحها .. أما لو كانت هناك معطيات نجهلها ، مثل قدرة الغزاة على كشف من يتسلَّل عبر غلافهم الواقى مثلاً ، فأين ستكون أنت ، لاستيعاب الأمر ، ووضع الخطط البديلة ؟!

كان حديث (أكرم) منطقيًّا تمامًا ، حتى إن الدكتور (جلال) قد هتف فى حماسة :

ـ ونعم القول يا ولدى .

ازداد انعقاد حاجبى (أمجد) ، وهو يقول فى صرامة :

ـ هذه العملية شديدة الخطورة والأهمية .

أجابه (أكرم) فى سرعة :

ـ وسيتم القيام بها ، على أفضل وجـه ممكن ، عن طريق متطـوّع ، لـن يـتردّد لحظـة واحـدة ، فى نسف جسده مع القنبلة ، من أجل الأرض .

قال (أمجد) فى سخرية عصبية :

ـ وهل ننشر إعلانًا ، للبحث عن متطوّع ؟!

تراجع (أكرم) خطوة ، قائلاً فى حسم :

ـ لن تكون بحاجة لهذا ، فالمتطوّع هنا مستعد للقيام بالعمل فورًا .

وأشار إلى صدره بكل الحزم ، مضيفًا :

ـ إنه أنا .

تفجَّرت الدهشة فى وجهى الدكتور (جـلال) و اللواء (رفعت) ، وانعقد حاجبا (أمجد) فـى شدة ، فى حين هتف (حاتم) فى حدة :

ـ أى قول سخيف هذا .

استدارت العيون كلها إليه ، وهو يتـابع فـى غضب :

ـ منذ متى يتم إسناد العمليات الانتحارية بالغة الخطورة ، إلـى أحد المدنيين ؟! هذه العمليــة لابد أن يقوم بها محترف .

هتف (أكرم) محنقًا :

ـ أنا رجل مخابرات علمية .

صاح (حاتم) فى صرامة :

ـ وأنا ضابط مخابرات عامة .

ثم ازدرد مرارته ، وهو يضيف :

ـ سابق .

ودفع إلى شفتيه ابتسامة عصبية ، مكملاً :

ـ على الأقل سأجد من يذكر اسمى ، فى كتب التاريخ .

ارتفع حاجبا الدكتور (جلال) فى تأثُّر ، وضغط زرًا فى ساعته ، و (أكرم) يهتف :

ـ اسمع يا هذا .. لو أنك تتصوَّر ..

قاطعه (أمجد) فى صرامة آمرة :

ـ اسمعوا أنتم جميعًا .

استدار إليه الكل فى صمت صاغر ، فتابع ، وهو يعقد كفيه خلف ظهره ، ويشدّ قامته فى اعتداد :

ـ تطوّعى للقيام بالمهمة لم يكن حماقة ، أو عدم إدراك للمسئولية كما تصوَّرت يا (أكرم) ، وإنما

كان نتاج تفكير ودراسة عميقين ، فالتسلُّل إلى قلب العدو ليس بالمهمة البسيطة ، وهو لايعتمد على وجود نقطة اختراق ، عبر غلافه الواقى فحسب ، وإنما يحتاج الأمر إلى عديد من المهارات ، على رأسها القدرة على انتحال هيئة العدو ، وأظننى مازلت أفضل خبير تنكر فى مضمارنا ، باعتراف الجميع ، مما يتيح لى التسلُّل عبر صفوف الغزاة ، وبلوغ أقرب نقطة لفجوة العبور .

قال (أكرم) فى عناد :

ـ التكنولوجيا الحديثة يمكنها صنع أقنعة شديدة الإتقان ، من صور الأقمار الصناعية ، الملتقطة للعدو .

هزَّ (أمجد) رأسه ، قائلاً :

ـ الأمر ليس مجرَّد بعض الأقنعة المتقنة .. إنه أسلوب ، وتعامل ، ومحاكاة تامة للتصرفات والتحركات ، وهذا يحتاج إلى خبرة ومهارة ، و ...

قاطعه الدكتور (جلال) هذه المرة ، وهو يقول :

ـ فى هذه الحالة ، عندى الشخص المناسب ، للقيام بالمهمة .

استدار إليه الكل دفعة واحدة ، وهتف (أكـرم) فى استنكار :

ـ لا تقل لى : إنه أنت .

ضحك الدكتور (جلال) ، قائلاً .

ـ كلاّ بالتأكيد .. إنه ليس أنا .. بل هو .

قال كلمته الأخيرة ، وهو يشير إلى باب الحجرة ، فالتفت الكل إلى حيث يشير ، ثم اتسعت عيونهم فى دهشة ، وهم يحدقون فى ذلك الواقف عنده ، فى صمت وقوة ..

فى السلاح السرى ..

الرائد (أيمن) ..

★ ★ ★

لم يكن ما حدث قتالاً ..

وإنما مذبحة ..

فكل حراس الإمبراطور كانت تحيط بهم هالات واقية ، تحميهم من أية إصابات أو صدمات ..

أما (نور) ورفاقه ، فلم يكن لديهم هذا الامتياز ..

لذا ، فعلى الرغم من قوة أسلحتهم ، ضاعت أشعتها كلها هباء ، وهى ترتطم بالهالات الواقية ، ثم تنعكس عنها فى عنف ..

وفى الوقت ذاته ، انقضَّ عليهم رجال الحرس الإمبراطورى بمنتهى العنف ..

والوحشية ..

والشراسة ..

وانطلقت نيران أسلحتهم تحصد الكل بلا رحمة ..

(نور) أصابته طلقة فى ذراعه اليمنى ، وأخرى فى ساقه اليسرى ، وثالثة فى كتفه الأيسر ..

(سلوى) التصقت بالجدار ، مع بدء القتال ، وعلى الرغم من هذا ، فقد مسَّت إحدى طلقات العدو عنقها ، فتفجَّرت منه الدماء فى غزارة ..

(نشوى) سقطت أرضًا ، ودفعت ذراعيها على رأسها ، وهى تصرخ ..

وتصرخ ..

وتصرخ ..

ولكن الدكتورة (ليلى) لقيت مصرعها ، بطلقة مباشرة فى صدرها ..

والدكتور (خالد) اقتلعته طلقة صائبة ، وطارت به عبر الممر ، ليسقط فى منتصفه جثة هامدة ..

سبعة من العسكريين لقوا مصرعهم بإصابات مختلفة ..

واثنان كانت إصابتهما فادحة .

وتفجَّرت الدماء البشرية الحمراء أنهارًا ..

وفرغت الأسلحة ..

ولم يعد هناك مفرّ من الاستسلام ..

وفى غضب حازم ، تراجع الإمبراطور على عرشه ، وأشار بيده إلى حراسه ، قائلاً فى صرامة آمرة :

- ألقوا الجثث خارجًا ، واجمعوا الباقين أمامى .

عضَّ (نور) شفتيه فى مرارة ، وحراس الإمبراطور يجمعون جثث الصرعى فى قسوة وغلظة ، ويلقونها خارجًا بأسلوب مهين ، جعله يقول غاضبًا :

- فى عالمنا نولى الموت احترامًا وخشوعًا أكبر .

مال الإمبراطور إلى الأمام ، وهو يقول فى شراسة :

- من سمح لك بالكلام .

لم يفهم (نور) ما قاله الإمبراطور بلغة (هور) ، ولكنه استدار إليه فى صرامة وتحد ..

وانعقد حاجبا الإمبراطور فى شدة ..

ثم تألقت عيناه ..

تألقتا كحفرتين من النار ..

وفجأة ، انطلقت من عقله موجة قوية ..

موجة بدت أشبه بلفح الجحيم ، وهى تخترق العقول ..

كل العقول ..

شعر (نور) بخنجر حاد يخترق مخه ، ويغوص فيه حتى النخاع ..

وصرخت (سلوى) فى ألم ..

وأمسكت (نشوى) جانبى رأسها فى قوة ..

وتراجع العسكريون بآلام رهيبة ..

وانهارت الدكتورة (مارى) ..

وسقطت الدكتورة (ولاء) على ركبتيها وهى تصرخ ..

وتصرخ ..

وتصرخ ..

كلهم شعروا بإرادة الإمبراطور تخترق كيانهم بلا رحمة ..

تخترق عقولهم ..

وأمخاخهم ..

وتغوص فى عروقهم ..

وأعماقهم ..

وكل ذرة فى وجودهم ..

بعضهم انهار ..

وبعضهم استسلم ..

والبعض الآخر قاوم ..

وقاوم ..

وقاوم ..

ولكن إرادة الإمبراطور ، فى عالم مثل (هور) ، كانت تفوق إرادتهم مجتمعين ..

ألف مرة ..

ولقد شعروا به ، وهو ينتزع كل شىء من عقولهم ..

ونفوسهم ..

وذاكرتهم ..

وحتى أرواحهم ..

كان وكأنه يسعى لسبر أغوارهم ، وكشف مكنوناتهم ، وجمع كل معلومة ممكنة عنهم ..

ثم فجأة ، انسحبت إرادته منهم دفعة واحدة ..

وانتفضت أجسادهم فى عنف ..

وشعر كل منهم بإرهاق شديد ، كما لو أنهم انتهوا على الفور من سباق عدْو طويل ، بذلوا فيه آخر قطرة من جهدهم ..

أما الإمبراطور ، فقد بدا أكثر قوة ونشاطًا ، وهو يتراجع على عرشه الضخم ، ويشير بيده ، قائلاً :

- إذن فأنتم أرضيون .

كان (نور) يشعر بإرهاق بلا حدود ، إلا أن عقله أدرك شيئًا عجيبًا ..

لقد فهم كل حرف نطق به الإمبراطور ..

فهم كل ما قاله بلغة (هور) ..

وهذا يعنى أن الإمبراطور ، عندما اخترق كيانهم بإرادته ، لم يكن ينتزع منهم كل ما لديهم فحسب ..

لقد كان يزرع فيهم لغة شعبه أيضًا ..

وفى دهشة ، هتفت (سلوى) :

ـ رباه ! إننى أفهمه .

غمغمت (نشوى) ذاهلة :

ـ وأنا أيضًا .

قال الإمبراطور فى صرامة :

ـ كلكم يمكنكم فهمى الآن ، وفهم كل متحدِّث بلغة شعبى .. ويمكنكم أيضًا فهم كل أسئلتنا .

وانعقد حاجباه على نحو مخيف ، وهو يضيف بشراسة :

ـ والإجابة عنها فورًا .

استجمع (نور) كل ما تبقَّى من قوته وإرادته ، وهو يقول :

ـ نعم .. نحن من الأرض .. ولقد وصلنا إلى هنا بـ ..

قاطعه فى صرامة :

ـ أعلم هذا .

كان من الواضح أن إرادته قد انتزعت كل ذكرياتهم وأفكارهم ، حتى إنه لم يعد بحاجة إلى ما يعرفه منهم ، وعلى الرغم من هذا ، فقد أشار إلى (نور) ، قائلاً بلهجته القاسية الصارمة :

ـ أنت قائدهم .. أليس كذلك ؟!

أومأ (نور) برأسه إيجابًا ، وقال فى حزم :

ـ بلى .. وباعتبارى القائد ، فأنا أطالب بمداواة رفاقى ، و ...

قاطعه الإمبراطور ، وهو يقول فى سخرية :

ـ مداواتهم ؟

ثم قهقه ضاحكًا ، فى وحشية عجيبة ، قبل أن يميل إلى الأمام ، قائلاً بكل شراسة الدنيا :

ـ فى عالمنا ، لا توجد سوى وسيلة واحدة ، لمداواة الجرحى من الأسرى .

واضطجع علي عرشه مرة أخرى ، وهو يشير إلى رجاله ، قائلاً :

ـ أروهم عينة من وسائلنا .

اندفع (نور) إلى الأمام ، ورفع يده ، صارخًا :

ـ لا .. ليس الـ ..

هوت على فكه فجأة ضربة ساحقة ، من سلاح أحد حراس الإمبراطور ، وأسقطته أرضًا فى عنف ، فى نفس اللحظة التى ارتفعت فيها فوهات مدفعين آخرين ، نحو العسكريين المصابين ، و ...

وانطلقت النيران الرهيبة تحصدهما حصدًا ..

وبكل غضب الدنيا ، اندفع أحد العسكريين المتبقين ، نحو حرس الإمبراطور ، صارخًا :

ـ أيها الأوغاد .. أيها الـ ...

حصدته نيران مدافعهم بلا رحمة ، فهوى جثة هامدة ممزقة ، و(نور) ينهض ، قائلاً فى غضب ، وسط صراخ زوجته وابنته والعالمتين المتبقيتين :

ـ هذا أسلوب حقير .

قال الإمبراطور فى شراسة :

ـ كلمة زائدة ، وأسحقك سحقًا مثلهم .

كشف (نور) صدره بكل الغضب ، صائحًا :

ـ وماذا تنتظر ؟! هيا .. افعل .. دع رجالك يسحقوننى أيضًا ، ما دمت مصابًا مثلهم .. انظر .. ها هى ذى الدماء الحارة تغرق جسدى .. مرهم بفعلها .. هيا .

مطَّ الإمبراطور شفتيه ، وأبرز أنيابه الحادة الطويلة ، وهو يقول :

ـ الأمور لا تسير هنا ، بهذا الأسلوب المباشر أيها الأرضى .. ربما لا تبالى بالموت ، فى سبيل ما تؤمن به ، أو أن حماقتك قد ألغت عقلك ، مع حالة الغضب الوقتية هذه ، ولكن ينبغى أن تدرك كيف تخضع للإمبراطور ، وتطيع أوامره .

وعاد يميل إلى الأمام ، مستطردًا فى شراسة :

ـ أو تدفع الثمن .



هوت على فكه فجأة ضربة ساحقة ، من سلاح أحد حراس الإمبراطور ..

وارتفعت سبابته ، ذات المخلب الحاد الطويل ، مشيرة إلى أحد رجاله ، ثم نقل الإشارة إلى الدكتورة (ولاء) ..

وإلى ساقيها بالتحديد ..

وصرخت الدكتورة (ولاء) ، وتراجعت بكل هلع الدنيا ، واندفع (نور) محاولاً حمايتها ، و (سلوى) تصرخ :

- لا يا (نور) .. احترس .

ولكن نيران الحارس الإمبراطورى كانت أسبق ..

وانطلقت تخترق ساقى العالمة الشابة ، التى سقطت أرضًا ،وهى تطلق صرخات ألم ورعب هائلة ..

وصرخ (نور) :

- أنتم وحوش .

أجابه الإمبراطور ، وعيناه تتألقان بجذل عجيب :

- عظيم .. لقد أدركتها الآن .. أراهن على أنك لن تنسى هذا الدرس قط .

كانت الدكتورة (ولاء) تواصل صراخها ، مع آلام ساقيها المصابتين ، والدماء التى تنزف منهما فى غزارة ، فهتف (نور) فى حنق غاضب :

- ولكن لماذا ؟! لماذا تفعل بنا هذا ؟! كان يمكنك أن تقتلنا مباشرة ، إلا إذا ..

وشدّ قامته فى غضب أكثر ، مضيفًا :

- إلا إذا كانت رغبة الوحش المتعطش للدم فى أعماقك ، هى التى تسعى لإشباع دمويتها فحسب .

تطلّع إليه إمبراطور (هور) لحظة فى صمت ، ثم لم يلبث أن أطلق ضحكة عالية مجلجلة ساخرة ، شرسة ، قبل أن يقول :

- تعطش وإشباع دموية .. من الواضح أن لغتكم تحوى الكثير من المصطلحات ، التى يصعب على عقولنا استيعاب مضمونها أيها الأرضى .

ثم مطَّ شفتيه مرة أخرى ، وهو يتابع :

ـ ولكن الجواب هو لا .. ما أفعلـه ليس إشباعًا من أى نوع ، وقتلكم مباشرة لن يحقق لى الهدف ، الذى يمكن بلوغه ، بعد أن دفعتكم الظروف دفعًا إلى هنا ، و ...

بتر عبارته بغتة ، وانعقد حاجباه فى شدة ، وهو يتطلع إلى الدكتورة (ولاء) ، التـى تواصل صراخها المتصل ، ثم صاح فى صرامة :

ـ أسكتوها .

اتسعت عينا (نور) ، وهو يهتف :

ـ لا .. انتظروا ..

ولكن نيران الحراس سبقت هتافه كالمعتاد ..

وأسكتت الدكتورة (ولاء) ..

إلى الأبد ..

وامتقع وجه (سلوى) ، وهى تكتم صرختها

فى أعماقها ، فى حين أخفت (نشوى) وجهها بكفيها ، وهى تهتف :

ـ يا للبشاعة !! يا للبشاعة !!

أما الدكتورة (مارى) ، فقد انفجرت باكية فى هستيرية ، وهى تهتف :

ـ رباه ! إلى متى سأحتمل هذا ؟! إلى متى ؟! منذ مصرع الدكتور (إسحاق) ، فى أثناء انتقالنا إلى عالم (موك) ، والموت يحاصرنا طوال الوقت بلا رحمة .

ضمَّتها (سلوى) إلى صدرها ، وهى تقول بصوت مرتجف :

ـ من يدرى أين تكمن الرحمة ؟! من يدرى ؟!

أما (نور) ، فصاح بكل غضب الدنيا :

ـ لماذا ؟! لماذا ؟!

أجابه الإمبراطور ، بكل الشراسة والصرامة :

ـ أكره أن يزعجنى أحد ، عندما أتحدَّث .

صاح (نور) :

ـ أمن أجل هذا تقتل امرأة بلا رحمة ، أو ...

قاطعَه الإمبراطور بصيحة وحشية هادرة :

ـ اصمت .

ثم لوَّح بسبَّابته فى شراسة ، مضيفًا بعينين اشتعلتا بغضب هادر :

ـ إياك أن تتحدَّث مرة أخرى ، فى حضور الإمبراطور ، دون أن يُسمح لك بهذا .

انتفض جسد (نور) ، من شدة الغضب والانفعال ، وتمنى لو أطلق كل غضبه وانفعاله فى وجه ذلك الإمبراطور الوحشى ..

ولكنه لم يفعل ..

لقد أدرك أن كل انفعال منه ، يقابله مصرع أحد رفاقه ..

ولم يتبق سوى أربعة ..

(سلوى) و(نشوى) ، والدكتورة (مارى) ، والجندى (عبد المنعم) ..

فقط ..

ولن يجازف بسحق أحدهم ، لمجرَّد انفعال ..

أى انفعال ..

لذا فقد لاذ بالصمت التام ، فى حين اعتدل الإمبراطور على عرشه ، وقال :

ـ فى عالمنا ، لا نؤمن أبدًا بالمصادفات ، ونثق تمامًا بأن كل ما يحدث له هدف ، ووصولكم إلى هنا ، فى هذه اللحظة بالذات ، ونحن نستعد لغزو عالمكم ، دون أية معلومات مسبقة عنه ، لا يمكن أن يعدّ من قبيل المصادفات ..

ومال إلى الأمام ، مضيفًا فى صرامة :

ـ إنه فرصة .. فرصة نادرة .

وعادت عيناه تتألقان ، وهو يكمل :

ـ فرصة للحصول على كل المعلومات الممكنة عن عالمكم .. كل المعلومات التى تفيد غزوتنا .

شهقت (سلوى) فى ارتياع ، واتسعت عينا (نشوى) عن آخرهما ، وانخرطت الدكتورة (مارى) فى بكاء مذعور ، وتوتر الجندى (عبد المنعم) فى وقفته ، فى حين انعقد حاجبا (نور) فى شدة ، وهو يهتف مستنكرًا :

ـ معلومات ؟! عن الأرض ؟!

أجابه الإمبراطور ، بكل صرامته الوحشية :

ـ نعم .. معلومات أيها الأرضى .. معلومات عن عالمك ، وأساليبه ، وشعوبه ، وأسلحته ، وجيوشه ، و ...

« محال .. » ..

قاطعه (نور) ، بكل صرامة الدنيا وإصرارها ، وانتفض جسده فى انفعال ، وهو يقول :

ـ لست أدرى ما إذا كان عالمكم يدرك ما سأقوله أم لا ، ولكن فى عالمى ، يُعرف هذا باسم الخيانة ، وكل من يقف هنا ، ليس مستعدًا لخيانة وطنه وعالمه ، مهما كان الثمن .

ارتسمت على شفتى الإمبراطور ابتسامة ساخرة ، وهو يقول :

ـ حقًّا ؟!

ثم اعتدل فجأة على عرشه ، متابعًا فى صرامة شرسة :

ـ ألم تسأل نفسك لحظة ، كيف أنك تتحدَّث بلغتكم ، وأنا أتحدَّث بلغتى ، ولكن كل منا يفهم الآخر ، فى يسر وسهولة ؟!

اتسعت عينا (نور) ، وكأنما انتبه إلى هذه الحقيقة لأوَّل مرة ، وقال فى حذر متوتر :

- هذا صحيح .. كيف يحدث هذا ؟!

أشار الإمبراطور بيده ، وعيناه تتألقان على نحو عجيب ، وهو يقول :

- ألم تسأل نفسك أيضًا ، كيف علمت أنك قائد المجموعة ، وأنك ، مع زوجتك وابنتك ، تنتمون إلى أرفع جهاز أمنى فى عالمكم ؟!

هتفت (سلوى) فى ذهول :

- رباه ؟ كيف يعلم كل هذا ؟!

وغمغمت (نشوى) فى حذر :

- بل كيف لا يعلم سوى هذا ؟!

وشدّ الجندى (عبد المنعم) قامته فى توتر ، فى حين قالت الدكتورة (مارى) ، وهى تنتفض رعبًا :

- إنه يعلم كل شىء ... كل شىء ..

غمغم (نور) :

- ربما ليس كل شىء .

انعقد حاجبا الإمبراطور فى شدة ، وهو يقول فى غضب :

- ماذا تقول ؟!

انتبهت (نشوى) ، فى تلك اللحظة فقط ، أن والدها قد نطق عبارته بالإنجليزية ، وليس بالعربية ، فانعقد حاجباها فى توتر ، فى حين قال (نور) بالعربية ، فى هدوء مفاجئ عجيب :

- كنت أتساءل ، ما الذى يعنيه كل هذا ؟! ما الذى تحاول إفهامنا إياه بالضبط ؟!

مال الإمبراطور أكثر وأكثر ، قائلاً بنفس الصرامة الشرسة :

- أنكم لا تملكون الرفض أو القبول .. وأننى أستطيع انتزاع أية معلومة من عقولكم ، وقتما وكيفما أشاء .

وعادت عيناه تتألقان أكثر وأكثر ، وهو يضيف :

- أما المعلومات الخاصة بجنسكم عامة ، فكل ما نحتاج إليه هو عينات أرضية ، قابلة للفحص والتشريح .. وهذا متوافر بالفعل .. هنا .

اتسعت عينا (سلوى) فى ارتياع ، لما يحمله التهديد من معان ، فى حين انعقد حاجبا (نور) فى توتر شديد ، قائلا :

- لست أستبعد قيامكم بأى شىء .

قال الإمبراطور ، وهو يتراجع على عرشه ، قائلاً :

- عظيم .. سيجعل هذا تعاملنا أفضل كثيرًا .

وصمت لحظة ، استقرَّ خلالها على عرشه ، واسترخى فى مجلسه ، فى هدوء وثقة شديدين ، قبل أن يقول بكل صرامة الدنيا :

- المعلومات أيها الأرضى .

شدَ (نور) قامته ، وقال مرة أخرى ، بكل صرامة وإصرار الدنيا :

- محال .

انعقد حاجبا الإمبراطور ، وهو يكرِّر بصرامة أكثر شراسة :

- المعلومات أيها الأرضى .

كرَّر (نور) بدوره :

- محال .

انتفض الإمبراطور ، وهو يهبَّ من مقعده ، ويصرخ فى غضب هادر :

- يبدو أنك لا تتعلَّم أبدًا .

ثم استدار إلى حراسه ، صارخًا :

- لقنوه درسًا آخر .

وقبل حتى أن تكتمل صرخته ، ارتفعت فوهات مدافع حرّاسه نحو (سلوى) و(نشوى) ..

وانطلقت صرخات الرعب والهلع ..

وأصبح الأمر واضحًا ..

واضحًا للغاية ..

وعلى (نور) أن يحسم أمره ، وأن يختار ..

إما زوجته وابنته ..

أو وطنه وعالمه ..

ويا له من اختيار !

* * *

٧ ـ مقاتل من الأرض ..

لثوان ، ظلَّ الكل يحدِّق فى الرائد (أيمن) ، الذى وقف فى مكانه أشبه بتمثال من الشمع والمعادن ، ثم لم يلبث (أكرم) أن قطع ذلك الجمود ، وهو يهتف :

ـ رباه ! الرائد (أيمن) مرة أخرى ؟! لقد شاهدته بنفسى يلقى مصرعه ، منذ بضع ساعات .

ابتسم الدكتور (جلال) ، قائلاً :

ـ إصلاحه هذه المرة لم يكن بنفس الصعوبة ، ففى المرة الأولى ، كان جسده ممزَّقًا على نحو مخيف ، وقد فقد أجزاءً منه ، ولكن برنامج الإصلاح والاستبدال احتاج إلى عام كامل تقريبًا ، ليصنع منه ما هو عليه الآن .

التقى حاجبا (أمجد) ، وهو يسأل فى حذر :

- إنه نصف بشرى .. أليس كذلك ؟!

هزَّ الدكتور (جلال) رأسه ، قائلاً :

- كلاً .. لقد كان شبه آلى ، منذ بضع ساعات ، قبل أن يهاجم ذلك الكائن الخارق .. وكانت نسبة الأجزاء الآدمية الحية فى تكوينه ، تبلغ سبعة وثلاثين فى المائة فحسب ، أما الآن ، فعلى الرغم من أن المخ ما زال يعمل ، بنسبة سبعين فى المائة ، إلا أن الاعتماد الأكبر صار للأجزاء الآلية ، إلى حد يبلغ ما يزيد على التسعين فى المائة .

وزفر فى حرارة ، قبل أن يضيف :

- باختصار ، يمكن القول بأن الرائد (أيمن) ، بعد إصلاحه هذه المرة ، لم يعد شبه آلى ، وإنما شبه بشرى ، ولا أحد يدرى إلى متى يمكن لمخه احتمال هذا .

تساءل (أمجد) فى حذر :

- ولكنه ما زال حيًا .

أومأ الدكتور (جلال) برأسه إيجابًا ، وقال فى أسف :

- ليس لفترة طويلة .

وهزَّ رأسه فى أسى ، ثم أضاف فى حزم :

- ولهذا فهو المقاتل المثالى ، للقيام بهذه المهمة .

ظلَّ الرائد (أيمن) صامتًا ، جامدًا ، طوال تلك الفترة ، وكأنما لم يعد هناك ما يعنيه ، فى الدنيا كلها ، فتطلَّع إليه الكل بضع لحظات فى صمت ، قبل أن يسأل (أمجد) :

- هل يعلم أنه سيلقى حتفه ، فى هذه المهمة ؟!

هزَّ الدكتور (جلال) كتفيه ، وهو يجيب :

ـ لست أظن هذا يعنيه ، فى حالته هذه .

غمغم (أمجد) فى تردُّد :

ـ هذا ليس مبرِّرًا ، لكى نرسله فى مهمة انتحارية .. ينبغى أن ..

قاطعه (أكرم) هذه المرة ، قائلاً فى حزم :

ـ قل لى يا سيِّد (أمجد) : لماذا نجا الرائد (أيمن) من الموت مرتين فى رأيك ؟! لماذا تمزَّق جسده مرة ، وأصيب بطلقة رهيبة مرة ثانية ، ثم ظلَّ ، على الرغم من هذا ، حيًّا ، وقادرًا على العمل ؟!

سأله (أمجد) فى حذر :

ـ لماذا ؟!

أجابه (أكرم) بنفس الحزم :

ـ لأن اللَّه (سبحانه وتعالى) قد اختاره

لهدف ما .. لمهمة ما ، فى خير العالم كله .. وربما خيره أيضًا ..

ومال نحو (أمجد) ، مضيفًا :

ـ قل لى باللَّه عليك : لو أنك فى موضعه ، أيهما تفضِّل ؟! الموت لإنقاذ عالمك كله ، أم البقاء على هذا الوضع ، الذى تجهل فيه حتى أنك آدمى .

صمت (أمجد) بضع لحظات ، وهو يتطلَّع إلى (أيمن) ، ثم لم يلبث أن التفت إلى الدكتور (جلال) ، قائلاً :

ـ متى يمكنه القيام بالمهمة ؟!

أجابه اللواء (رفعت) فى سرعة :

ـ لقد أصدرنا أوامرنا بإعداد القنبلة بالفعل ، منذ بدأ الحديث عن هذا ، وستصبح جاهزة للنقل ، بعد سبع دقائق على الأكثر ، وهناك حوَّامة عمليات خاصة ، مستعدة لنقله ، إلى أقرب نقطة ممكنة ، خلال عشر دقائق من الآن .

قال (أمجد) ، مستعيدًا شخصية القائد الحازم :

ـ عظيم .. اشرح للرائد (أيمن) مهمته ، أو برمجه بها يا دكتور (جلال) ، وليتجه إلى الحوَّامة مباشرة ، وعلى رجالكما أن ينقلا القنبلة إليه هناك مباشرة ، على أن تُقلع الحوَّامة فور وصولها .

بدأ الدكتور (جلال) فى برمجة الرائد (أيمن) على الفور ، فى حين راح اللواء (رفعت) يلقى أوامره لرجاله ، فى حين تساءل (أكرم) فى توتر :

ـ وماذا عن (نور) و(سلوى) و(نشوى) ؟!

سأله (أمجد) فى قلق :

ـ ماذا عنهم ؟!

لوَّح بيده ، قائلاً فى توتر أكثر :

ـ لقد اختفت بهم تلك المدرَّعة هناك ، فى المنطقة (ص) ، وربما كانوا على قيد الحياة ، على نحو أو آخر ، وانفجار قنبلة نووية محدودة ، قد ينسف أية محاولة لهم ، للعودة إلينا .

صمت (أمجد) بضع لحظات ، قبل أن يقول :

ـ معذرة يا (أكرم) ، ولكن لا يوجد دليل واحد ، على أن (نور) وزوجته وابنته مازالوا على قيد الحياة .. أنت أخبرتنى بنفسك ، أنك قد رأيت فى أثناء فترة التقلص ، المدرعة تعود خالية .

قال (أكرم) فى سرعة :

ـ هذا يدعونا أكثر للتساؤل : أين هم بالضبط ؟! أين ذهبوا ؟! أين اختفوا ؟!

تنهَّد (أمجد) ، مغمغمًا :

ـ هناك عشرات التساؤلات بالفعل .

ثم التفت إلى (أكرم) ، مستطردًا فى حزم :

- ولكن السؤال الوحيد ، الذى يطرح نفسه الآن ، هو : هل سنغامر بمصير الأرض كلها ، من أجل (نور) و (سلوى) و (نشوى) ، دون دليل واحد على أنهم ما زالوا على قيد الحياة ؟! هل تعتقد أن (نور) نفسه سيوافق على هذا ، لو أن لديه الفرصة لاتخاذ قرار حاسم ، فى هذا الشأن ؟!

حدَّق (أكرم) فى وجهه بشىء من الدهشة ، قبل أن يحتقن وجهه ، ويخفض عينيه ، وهو يغمغم فى مرارة :

- كلاً .

تنهَّد (أمجد) مرة أخرى ، ثم ربَّت على كتف (أكرم) ، قائلاً :

- اسمعنى جيِّدًا يا (أكرم) .. فى بعض الأوقات ، وتحت ظروف خاصة ، لا بد أن يتخذ المرء قرارات

حاسمة ، قد تتعارض مع رغباته ، وميوله ، وأحاسيسه ، ومشاعره الشخصية ، ولكنها القرارت الصحيحة والمناسبة ، والتى تحقِّق الصالح العام .. وفى تلك الأوقات ، وتحت تلك الظروف فحسب ، تظهر معادن الرجال ، ويظهر الإحساس الصحيح بالمسئولية .

ابتسم (أكرم) فى مرارة ، مغمغمًا :

- كأنى بـ (نور) يتحدَّث .

ربَّت (أمجد) على كتفه مرة أخرى ، قائلاً :

- (نور) سيظل بطلاً ، فى أذهان العالم كله ، مهما كان مصيره .

غمغم (أكرم) فى حزن شديد :

- أعلم هذا .

واندفعت (مشيرة) إلى الحجرة ، فى هذه اللحظة ، وهى تهتف فى انفعال :

- ماذا يحدث بالضبط ؟! لقد شاهدت الرائد (أيمن) بنفسى الآن ، وهو ينصرف مع الدكتور (جلال) ، واللواء (رفعت) !! كيف عاد إلى وعيه ، بعدما فعله به ذلك الكائن ؟! وإلى أين يذهب بالضبط ؟!

التفت إليها (أمجد) ، قائلاً فى حزم :

- الرائد (أيمن) فى طريقه للقيام بمهمة خاصة جدًا ، لو نجحت ، ستكون هذه نهاية الغزو كله .

هتفت بلهفة متفجِّرة :

- حقًّا ؟!

ثم تملَّكها انفعال جارف ، وهى تكمل :

- وكيف يمكننا تصوير ما سيفعله ؟! أريد الحصول على السبق الصحفى .. أريد القصة كاملة لجريدة (أنباء الفيديو) .

ابتسم (أمجد) ابتسامة باهتة ، وهو يقول :

- أعدك أن أمنحك تسجيلات أقمار الرصد ، إذا ما نجحت المهمة ، وأمكننا نسف الفجوة بين العالمين ، وإغلاقها إلى الأبد .

هتف (أكرم) فى حماس :

- لو حدث هذا ، نكون قد ربحنا المعركة كلها ، فتلك الفجوة لا تنفتح ، إلا كل مليون سنة أرضية .

التفت إليه (أمجد) بحركة حادة ، قائلاً :

- كيف عرفت هذا ؟!

أشار (أكرم) بسبَّابته إلى رأسه ، مجيبًا :

- لقد امتزج عقلى بعقل (كونار) لبعض الوقت .

هتف (أمجد) :

- ولماذا لم تقل هذا منذ البداية ؟!

ثم أمسك كتفيه فى قوة ، مستطردًا :

ـ إذن فعقلك يحمل عشرات التفاصيل ، التى نحتاج إليها ؛ لمعرفة الكثير عن العدو .

اعتصر (أكرم) عقله ، وهو يغمغم :

ـ أعتقد هذا ، ولكن ..

قبل أن يتمَ عبارته ، اندفع (رمزى) إلى الحجرة ، وهو يهتف بكل انفعال الدنيا ، لاهثًا فى قوة :

ـ لقد .. لقد عاد .

استدار إليه الكل بمنتهى الدهشة ، وسأله (أمجد) فى توتر حذر :

ـ من الذى عاد ؟!

لهث (رمزى) فى قوة أكبر ، ولوَّح بذراعيه بمنتهى الانفعال ، قبل أن يجيب :

ـ (س ـ ١٨) .

واتسعت كل العيون ، مع خفقات القلوب العنيفة .

فالمفاجأة كانت مذهلة ..

بكل المقاييس ..

★ ★ ★

« محال أيها الإمبراطور .. »

صرخ (نور) بالعبارة ، بكل غضب وثورة الدنيا ، قبل أن يصرخ فى الجندى (عبد المنعم) بالانجليزية :

ـ اهجم من اليسار .

ومع صرخته ، وباستجابة مدهشة من الرجلين ، انقضًا معًا على الحرس الإمبراطورى ، فى لحظة واحدة ..

وفى هذه المرة ، لم يكن للهالات الواقية شأن ، إزاء أسلوب القتال المستخدم .. القتال اليدوى ..

فعلى الرغم من إصاباته ، وثب (نور) ، ودار حول نفسه ، وركل مدفع أحد الحرّاس ، قبل أن تكتمل دورته ، ويركل وجه الحارس نفسه ، بمنتهى القوة ..

وفى اللحظة نفسها ، هوى (عبد المنعم) بقبضته على وجه الحارس الثانى ، صائحًا فى انفعال :

- حتى لو مزقتنا تمزيقًا .

ومال بسرعة مدهشة ، ليلكم حارسًا ثانيًا فى معدته ، مستطردًا :

- لن نخون وطننا قط .

انعقد حاجبا الإمبراطور فى شدة ، عندما سقط ثلاثة من حرّاسه دفعة واحدة ، فى حين انقضّ

أربعة آخرون على (نور) و(عبد المنعم) ، ومدافعهم مشهورة بمنتهى التحفز ، و ...

وهبّ الإمبراطور من عرشه ، بكل غضب الدنيا ..

ثم أطلق صرخة ..

صرخة صامتة ، لم يسمع منها أحد أدنى صوت ..

ولكنها ، بالنسبة لـ (نور) ورفاقه ، كانت أشبه بعاصفة عاتية ..

فجأة ، شعر كل منهم بموجة هائلة ، تضرب صدورهم وأجسادهم ، وتنتزعهم من أماكنهم ، كما لو كانوا مجرّد قطع من القطن ، ودفعتهم كلهم عبر القاعة السوداء الهائلة ، وهم يطلقون صرخات ألم رهيبة ، قبل أن ترتطم أجسادهم بجدرانها ، ويسقطون على أرضيتها فى عنف ..

ولم يتأثَّر حارس واحد بما حدث ..

بل لقد اندفعوا نحوهم ، شاهرين مدافعهم ، وكل ذرة فى كيانهم توحى بالغضب .. والثورة ..

والموت ..

ولكن الإمبراطور رفع يده ، صارخًا :

ـ ليس الآن .

توقَّف الحرس دفعة واحدة ، فى حين هبط الإمبراطور فى عظمة ، من المنصة المرتفعة ، التى يعلوها عرشه الضخم ، واتجه فى عظمة وحشية نحو (نور) ورفاقه ، ثم تألَّقت عيناه كالجحيم ، وهو يقول :

ـ ما زلتم لم تتعلَّموا الدرس .

صرخت (مارى) ، بكل رعب الدنيا :

ـ أنا رهن إشارتك .. سأفعل كل ما تأمرنى به .. سأخبرك كل ما ترغب فى معرفته .

مطَّ الإمبراطور شفتيه ، قائلاً فى صرامة :

ـ ليس لديك ما تخبريننى به .

صرخت :

ـ لا أريد أن أموت .. لا أريد أن أموت .

انعقد حاجباه أكثر وأكثر ، وأطلَّت من عينيه المشتعلتين نظرة رهيبة مخيفة ، وهو يقول :

ـ إرادتك لا قيمة لها هنا .

اتسعت عيناها عن آخرهما ، وهى تصرخ ..

وتصرخ ..

وتصرخ ..

ثم راح جسدها يرتجف فى عنف ، وهى تمسك جانبى رأسها فى ألم هائل ..

واتسعت عيناها بكل رعب الدنيا ..



اتسعت عيناها عن آخرهما ، وهى تصرخ .. وتصرخ .. وتصرخ ..

وغمغم (نور) ، بكل مرارته وآلامه :

- أيها الوغد الحقير :

لم يسمع أحد غمغمته ، وسط صرخات الدكتورة (مارى) ، ومع عينيها الجاحظتين ، بكل الألم والرعب ..

ثم تفجَّرت منها الدماء فجأة ..

من أنفها ..

وفمها ..

وأذنيها ..

وحتى مقلتيها ..

وبرعب هائل ، هتفت (سلوى) ، وهى تضمّ ابنتها إلى صدرها ، محاولة حمايتها من ذلك المشهد الرهيب :

- يا إلهى ! يا إلهى .

ومع آخر حروف هتافها ، انفجر رأس الدكتورة (مارى) ..

انفجر بمشهد بشع رهيب ، وتناثرت شظايا جمجمتها وقطع من مخها ، ودماؤها على الجميع ، و (سلوى) تطلق بدورها صرخة رعب هائلة ..

وصرخ (نور) :

- أيها الأوغاد .. أيها الأوغاد .

أجابه الإمبراطور فى صرامة مخيفة :

- هذا جزاء المقاومة أيها الأرضى .

ثم استدار ، عائدًا إلى عرشه ، وهو يضيف :

- وعينة مما يمكن أن يحدث لكم ، لو واصلتم إصراركم على العناد .

واصل سيره ، بنفس العظمة الوحشية ، حتى

اعتلى عرشه ، واسترخى عليه مرة أخرى ، والتقط نفسًا عميقًا فى زهو ظافر ، قبل أن يقول :

- حتى هذه اللحظة ، كنت أبقى على حياتك ، وحياة زوجتك وابنتك ؛ لأنكم ، بحكم عملكم كرجال أمن ، تعلمون الكثير .. تعلمون أكثر مما يعلمه الباقون ، أما الآن ، فلم يعد هناك سواكم ، وسوى رجل الأمن الآخر هذا .

قال (نور) فى توتر ، وجراحه تعاود النزف فى غزارة :

- أتقصد الجندى (عبد المنعم) ؟!

تألَّقت عينا الإمبراطور ، ومال إلى الأمام ، وهو يقول بلهجة أقرب إلى السخرية العابثة :

- بل أقصد رجل الأمن ، الذى تجهلون هويته الحقيقية .

انعقد حاجبا (عبد المنعم) فى شدة ، فى حين التفت إليه الثلاثة فى دهشة ، وسأله (نور) فى توتر :

ـ هل يمكنك تفسير هذا ؟!

التقط (عبد المنعم) نفسًا عميقًا ، قبل أن يجيب :

ـ لم أتصورَّ أبدًا أننى سأضطر لهذا .

ثم شدَّ قامته ، مستطردًا فى عصبية :

ـ أنا أعمل فى الواقع ، لحساب المخابرات الحربية ، وبأمر من السيِّد وزير الدفاع شخصيًا ، للقيام بمهمة محدودة ، لو أن عملية فحص ذلك الـ (ميجالون) قد انتهت بنجاح .

سأله (نور) فى توتر ؛ وهو يخشى الجواب :

ـ أية مهمة ؟!

خفض (عبد المنعم) عينيه ، متمتمًا :

ـ قتلكم يا سيادة المقدَّم .

اتسعت عينا (سلوى) فى دهشة مذعورة ، وشهقت (نشوى) هاتفة :

ـ قتلنا ؟! ولكن لماذا ؟!

قال (عبد المنعم) فى مرارة :

ـ لست أدرى يا سيِّدتى .. مهمتى كجندى هى طاعة الأوامر ، وليس معرفة أسبابها ، وأوامر سيادة الوزير كانت واضحة .. لو نجحت المهمة ، لا ينبغى أن يعود أحدكم حيًّا ، مهما كانت الأسباب .

بدا الارتياع على وجه (نور) ، وهو يهتف :

ـ الوزير ؟! وزير الدفاع أمر بقتلنا .

قهقه الإمبراطور ضاحكًا ، قبل أن يميل على عرشه ، قائلاً :

- لا تجعل هذا يفزعك أيها الأرضى ؛ فوزير الدفاع ، الذى أصدر هذا الأمر ، لم يكن وزيركم الذى تعرفونه ، وإنما كان ، وفقًا لخطة محدَّدة مسبقًا ، رجلنا (كونار) ، القادر على انتحال أية هيئة يشاء .

انعقد حاجبا (نور) فى شدة ، واتسعت عينا (عبد المنعم) فى ارتياع مذعور ، فى حين تراجع الإمبراطور على عرشه ، واستعاد صوته تلك الصرامة الوحشية ، وهو يقول :

- والآن .. وللمرة الأخيرة ... المعلومات أيها الأرضى .

وبات من الواضح أنه مصيب تمامًا ، فى الجزء الأوَّل من عبارته ..

إنها المرة الأخيرة ..

بحق ..

* * *

انعقد حاجبا (أمجد صبحى) فى شدة ، وهو يتطلَّع إلى (س ـ ١٨) ، الذى وقف صامتًا ساكنًا ، كتمثال من المعدن ، فى ركن صالة منزل (نور) ، و (أكرم) يهتف فى انفعال :

- (س ـ ١٨) ؟! مستحيل ! لم أتصوَّر قط أننا سنرى ذلك المقاتل الأطلنطى الآلى مرة أخرى[*] ، منذ اختفائه داخل تلك الفجوة الرهيبة [**].. رباه ! عودته تحمل إلينا أملاً جديدًا يا سيِّد (أمجد) .. لن يمكنك أن تتصوَّر ما يمكنه أن يفعله ..

غمغم (أمجد) فى حزم :

- بل يمكننى .. إننى أعرف كل شىء عنه .

لوَّح (رمزى) بكفه ، قائلاً :

(★) راجع قصة (المقاتل الأخير) ... المغامرة رقم (٤٧) .

(★★) راجع قصة (كوكب الطغاة) ... المغامرة رقم (١١١) .

ـ المشكلة الوحيدة ، هى أنـه لا يتعامل إلا مـع (نـور) وحـده .. أجهزتـه كلها أعادت برمجـة نفسها ، بحيث لا تطيع سواه .

انعقد حاجبا (أمجد) فى شـدة ، و (أكـرم) يهتف :

ـ المفتـرض أن يكون هنـاك استثناء .. أى استثناء !!

ثم اتجه نحو (س ـ ١٨) قائلاً بكل توتره :

ـ (س ـ ١٨) .. (نور) فى خطر .. الأرض تتعرَّض إلى غزو جديد يا (س ـ ١٨) .. أنقذ الأرض .. أنقذ (نور) .

لم يبد على المقاتل الآلى أنـه قد سمع كلمـة واحدة ، مما نطق به (أكرم) ..

ولم تبد عليه لمحة واحدة ، توحى بأن أجهزتـه تعمل ..

ولكن وصوله إلى منزل (نور) ، من الفضاء السحيق ، يؤكد أنها تعمل ..

وبمنتهى الكفاءة ..

وعلـى الرغم مـن هذا ، فهو لا يبدى أدنـى استجابة ..

على الإطلاق ..

فقط يقف فى الركن ، بوجهه الأخضر الجامد ، وحلَته المتألِّقة ، صامتًا كالموت ، شامخًا كالزمن ..

وفى يأس ، قال (رمزى) :

ـ يا للخسارة ! كان من الممكن أن تصنع عودته فارقًا كبيرًا ، ولكن المشكلة أنـه لا يطيـع سوى (نور) وحده .

التفت إليـه (أمجـد) ، فـى صمـت ، وعقلـه يحمل عشرات الأفكار ..

هناك مهارات عديدة ، يكتسبها المرء بالمران والخبرة ..

ولا يفقدها أبدًا ، مهما طال الزمن ..

ومهارات أخرى تزول وتتلاشى مع الزمن ..

ومع عدم الاستخدام ..

وهو لم يعمل كرجل مخابرات ، منذ زمن طويل ..

طويل جدًّا ..

تُرى كم من المهارات المكتسبة بقيت لديه إذن ؟!

كم ؟!

كان (أكرم) و (رمزى) يواصلان محاولة إقناع (س ـ ١٨) بالعمل ، عندما غادر (أمجد) المنزل فى هدوء وخفة ، واتجه إلى سيارته ، والتقط منها حقيبة كبيرة ..

حقيبة لم يستخدمها منذ زمن طويل أيضًا ..

وتكرَّر التساؤل فى أعماقه ، وهو يفتحها فى حذر ، ويلقى نظرة على محتوياتها الخاصة .. الخاصة جدًّا ..

وفى الوقت ذاته ، كان (أكرم) يضرب صدر (س ـ ١٨) بقبضته ، وهو يهتف فى حنق ساخط :

ـ قلت لك : إن (نور) فى خطر أيها الغبى .. هل ستقف هنا ساكنًا ، وتتركه يواجه الموت ، مع عالمه كله ، لمجرَّد أنك لم تسمع صوته .

أمسك (رمزى) قبضته فجأة ، قائلاً فى انفعال :

ـ أو أنه يعلم أنك كاذب .

استدار إليه (أكرم) فى حدة ، هاتفًا :

ـ يعلم ماذا ؟!

أجابه فى توتر شديد :

- (نور) و(سلوى) و(نشوى) اختفوا بوسيلة غامضة ، وبعدها عاد (س ـ ١٨) إلى هنا .. ألم تحاول ربط هذا بذاك ؟!

اتسعت عينا (أكرم) ، وهو يقول :

- ماذا تعنى ؟!

هتف (رمزى) :

- أعنى ماذا لو أن (نور) هو الذى أرسله إلى هنا ، بوسيلة ما ؟! أو أنه يعرف بقدومه على الأقل !

انعقد حاجبا (أكرم) ، وهو يدرس الاحتمال بضعِ لحظات ، ثم لم يلبث أن هزَّ رأسه فى قوة ، هاتفًا :

- مستحيل ! لو أن (نور) قد أرسله ، لما ظلّ جامدًا فى مكانه هذا ، ولحمل مهمة محدودة ،

ولكنا سمعنا منه عبارته التقليدية السخيفة ، و ...

قبل أن يتمّ عبارته ، اعتدل (س ـ ١٨) فجأة ، وأدار عينيه إلى الشرفة الخلفية ، التى أتى عبرها ، وهو يقول بصوته الآلى الجاف ، تلك العبارة الوحيدة ، المسجّلة فى برنامجه ، بكل لغات الكون :

- (س ـ ١٨) فى خدمتك يا سيّدى .

وبحركة واحدة سريعة ، استدار (رمزى) و (أكرم) إلى حيث يشير ، ثم انطلقت منهما معًا شهقة ملؤها الدهشة والانبهار ..

فهناك ، عند مدخل الشرفة الخلفية ، كان يقف آخر شخص يتوقعان رؤيته الآن ..

(نور) ..

المقدّم (نور) .

* * *

٨ ـ الأمل ..

« محاولة تسلُّل عبر الغلاف الواقى أيها القائد .. »

انعقد حاجبا (براشر) فى شدة ، عندما نطق عالم جملته بالعبارة ، واتجه نحو شاشة الرصد الداخلى ، متسائلاً :

ـ أين ؟!

أشار العالم إلى بقعة مضيئة على الشاشة ، مجيبًا :

ـ هنا .

مطَّ (براشر) شفتيه ، وهو يتطلَّع إلى الشاشة بضع لحظات ، قبل أن يسأل العالم فى اهتمام :

ـ هل يمكنك رصد نقطة الاختراق ، على نحو مباشر ؟!

أومأ العالم برأسه ، مجيبًا :

ـ بالتأكيد .

وضغط بيده جزءًا من الشاشة ، التى تحولَّت إلى مايشبه شاشة رصد مباشرة ، ظهرت عليها صورة الرائد (أيمن) ، وهو يعبر الغلاف الواقى ، حاملاً القنبلة النووية المحدودة ، وقد أخفى ملامحه بقناعٍ يشبه وجوه الغزاة تمامًا ، وارتدى زيًّا مماثلاً لأزيائهم ، والعالم يقول :

ـ إنه ليس أحد رجالنا بالتأكيد ، وإلا ما اعترض الغلاف الواقى على عملية الاختراق .

سأله (براشر) :

ـ وما الذى يحمله بالضبط ؟!

مرَّر العالم أصابعه على جزء آخر من الشاشة ، ثم ضغط بسبَّابته ذات المخلب ، على صورة القنبلة ، فتمدَّدت حتى احتلَّت الشاشة كلها ، ثم تحوَّل لونها إلى الأخضر الباهت ، فهتف العالم فى انزعاج :

- إنه جسم ذو نشاط إشعاعى قوى ، وهو قابل للانفجار ، على نحو انشطارى .

انعقد حاجبا (براشر) فى شدة ، وهو يقول :

- آه ... قنبلة شاملة .

ثم اعتدل ، متابعًا فى صرامة :

- استخدم فقاعة محدودة .

سأله الرجل ، وهو ينقل أصابعه إلى جهاز آخر مجاور :

- هل تعتقد أنها ستحتمل انفجارًا انشطاريًا ؟!

أجابه (براشر) فى صرامة :

- استخدم فقاعات إمبراطورية ... اثنتان .. أو حتى ثلاثة .

غمغم العالم ، وهو يمرِّر أصابعه على جزء علوى ، من الجهاز الجديد ، ثم يعود لضغط صورة الرائد (أيمن) ، على شاشة الجهاز الأوَّل :

- نعم .. أعتقد أن هذا كاف ..

كان الرائد (أيمن) قد تجاوز الغلاف الواقى بالفعل ، وبدأ يتحرَّك فى سرعة ، نحو مركز العبور ، عندما هاجمته الفقاعات الثلاث ..

ومع ظهورها ، أدرك أنه يواجه خطرًا داهمًا ، لذا فقد أحاط القنبلة بإحدى ذراعيه لحمايتها ، ثم انتزع سلاحه من حزامه ، وأطلقه نحو الفقاعات ..

ولكن سلاحه الخاص ، على الرغم من قوته ، لم ينجح فى اختراقها ، وإنما ارتطم بها ، فانبعجت فى نعومة ، كفقاعات الصابون ، ثم استعادت شكلها الكروى فى سرعة ، وهى تواصل اندفاعها نحوه بسرعة خارقة ..

وقبل أن ينتزع (أيمن) من حزامه سلاحًا آخر ، ارتطمت به الفقاعة الأولى .. ثم أحاطت به تمامًا ..

وفى حجرة الرصد ، انعقد حاجبا (حاتم) فى شدة ، واتسعت عينا (مشيرة) فى ارتياع ، وهى تقول :

ـ رباه ! ماذا سيفعلون به ؟!

لم ينبس (حاتم) ببنت شفة ، وهو يراقب (أيمن) الحائر ، والفقاعات الثلاث تحيط به ، واحدة بعد الأخرى ..

وكإجراء تلقائى ، راح (أيمن) يطلق أسلحته ، واحدًا بعد الآخر ..

ولكن الفقاعات ظلت جامدة قوية ..

إنها حتى لم تنبعج أو تتأثَّر ، كما لو أن تأثير الأسلحة عليها من الخارج ، يختلف تمامًا عن تأثيرها من الداخل ..

ومع مرأى ما يحدث على الشاشة ، فى حجرة الرصد ، هتفت (مشيرة) :

ـ يا إلهى ! أخشى أن ...

قاطعها (حاتم) بإشارة من يده ، وهو يتمتم فى صرامة عصبية :

ـ لا أريد أن أسمعها .

مع آخر حروف كلماته ، تألَّقت الفقاعات على الشاشة فى شدة ..

وتألَّقت ..

وتألَّقت ..

ثم انتقل تألُّقها فجأة إلى القنبلة ..

وصرخت (مشيرة) فى رعب ، فى حين هتف (حاتم) :

- لا .. مستحيل أن ...

وقبل أن يكتمل هتافه ، دوى الانفجار ..

انفجرت القنبلة النووية المحدودة ، داخل الفقاعات الثلاث ، التى تمدَّدت على نحو ملحوظ ..

ولكنها احتوت الانفجار النووى داخلها ..

وتركت (جسد (أيمن) ينسحق انسحاقًا ..

وفى ذهول تام ، هتف (حاتم) :

- مستحيل ! مستحيل ! لا توجد قوة فى الأرض يمكنها هذا .

ارتجف صوت (مشيرة) وسبَّابتها ، وهى تشير إلى الشاشة ، قائلة :

- ولكنها توجد هناك .

كان ذهوله يبلغ مبلغه ، عندما انطلق أزيز خاص ، من جهاز الاتصال المؤمَّن ، وانبعث منه صوت رئيس الجمهورية ، وهو يهتف فى انفعال جارف :

- هل رأيت ما حدث يا (أمجد) ؟! هل رأيت ما حدث ؟!

انتزع (حاتم) نفسه من ذهوله ، وهو يقول :

- السيِّد (أمجد) ليس هنا يا سيادة الرئيس .. لقد طلب منى أن أحل محله مؤقتًا .. أنا (حاتم) .. رجل المخابرات السابق .

سأله الرئيس فى توتر :

- وأين (أمجد) ؟! كيف يغادر حجرة الرصد ، فى ظروف كهذه ؟!

أجابه حاتم فى سرعة :

ـ لقد ذهب مع السيد (أكرم) والدكتور (رمزى) ، إلى منزل المقدَّم (نور) ، وقال إن الأمر بالغ الأهمية .

أتاه صوت القائد الأعلى ، وهو يقول فى انفعال :

ـ منزل (نور) ؟! ولماذا ؟! هل عاد (نور) ؟!

أجابه (حاتم) :

ـ كلاَّ .. لقد تحدثوا عن عودة شخص آلى ، يعرف باسم (س) .

هتف القائد الأعلى ، وقد وثب انفعاله إلى ذروته :

ـ (س ـ ١٨) .

هتف (حاتم) :

ـ بالضبط .

نقل إليه جهاز الاتصال صوت جلبة ، على الجانب الآخر ، قبل أن يرتفع صوت الرئيس ، وهو يقول :

ـ (س ـ ١٨) عاد .. حمدًا للَّه .. حمدًا للَّه .

فى نفس اللحظة ، التى نطق فيها الرئيس عبارته ، كان (براشر) يعقد حاجبيه فى صرامة غاضبة ، ويقول :

ـ الأرضيون عنيدون للغاية .. ولا يتعلمون بسهولة .. من الواضح أن صمتنا يغريهم بمواصلة محاولاتهم السخيفة .

ثم شدَّ قامته ، مستطردًا فى حدة :

ـ لذا ، لن ننتظر .

والتفت إلى ضباطه ، مضيفًا بصرامة آمرة :

ـ قل للكل أن يستعد .. سننظم صفوفنا ، ونبدأ الهجوم الساحق .

وشدّ قامته مرة أخرى ، مكملاً :

ـ الآن .

وانعقد حاجباه أكثر ..

وأكثر ..

* * *

اتسعت عينا (أكرم) عن آخرهما ، وهو يحدّق فى القادم ، هاتفًا فى سعادة :

ـ (نور) .. هل عدت ؟!

ضغط (رمزى) ذراعه فى قوة ، قائلاً بصوت خافت :

ـ اصمت .

انعقد حاجبا (أكرم) فى شدة ، وهو يحدّق مرة أخرى فى القادم ..

إنه (نور) بكل تأكيد ..

نفس ملامحه ..

ورصانته ..

و ...

ولكن مهلاً ..

إنه أكثر طولاً ..

وأعرض منكبين ..

ثم إنه يرتدى نفس الحلّة الأنيقة ، التى كان يرتديها (أمجد) ..

آه ..

الآن فقط فهم الموقف كله ..

هذا القادم ليس (نور) ..

إنه (أمجد) ..

(أمجد) المتنكر فى هيئة (نور) ..

ويا له من تنكر متقن !!

بل مبهر ..

لقد خدع (س ـ ١٨) نفسه ..

حتى هذه اللحظة ..

وبكل القلق والاهتمام ، استدار (أكرم) يتطلَّع إلى (س ـ ١٨) ، وكأنما يتوقَّع قراءة انفعاله على وجهه ..

ولكن الآلى ظلَّ كما هو ..

وكما كان دائمًا ..

صامت ، جامد ، شامخ ..

الفارق الوحيد ، هو أنه يتطلَّع إلى (أمجد) مباشرة ..

وتنحنح (أمجد) ..

كان يدرك أن لحظة الاختبار الحقيقية قد حانت ..

وأنه بعد لحظة واحدة ، قد يتحدَّد مصير الأرض كلها ، بعد أن وصل الأمل ..

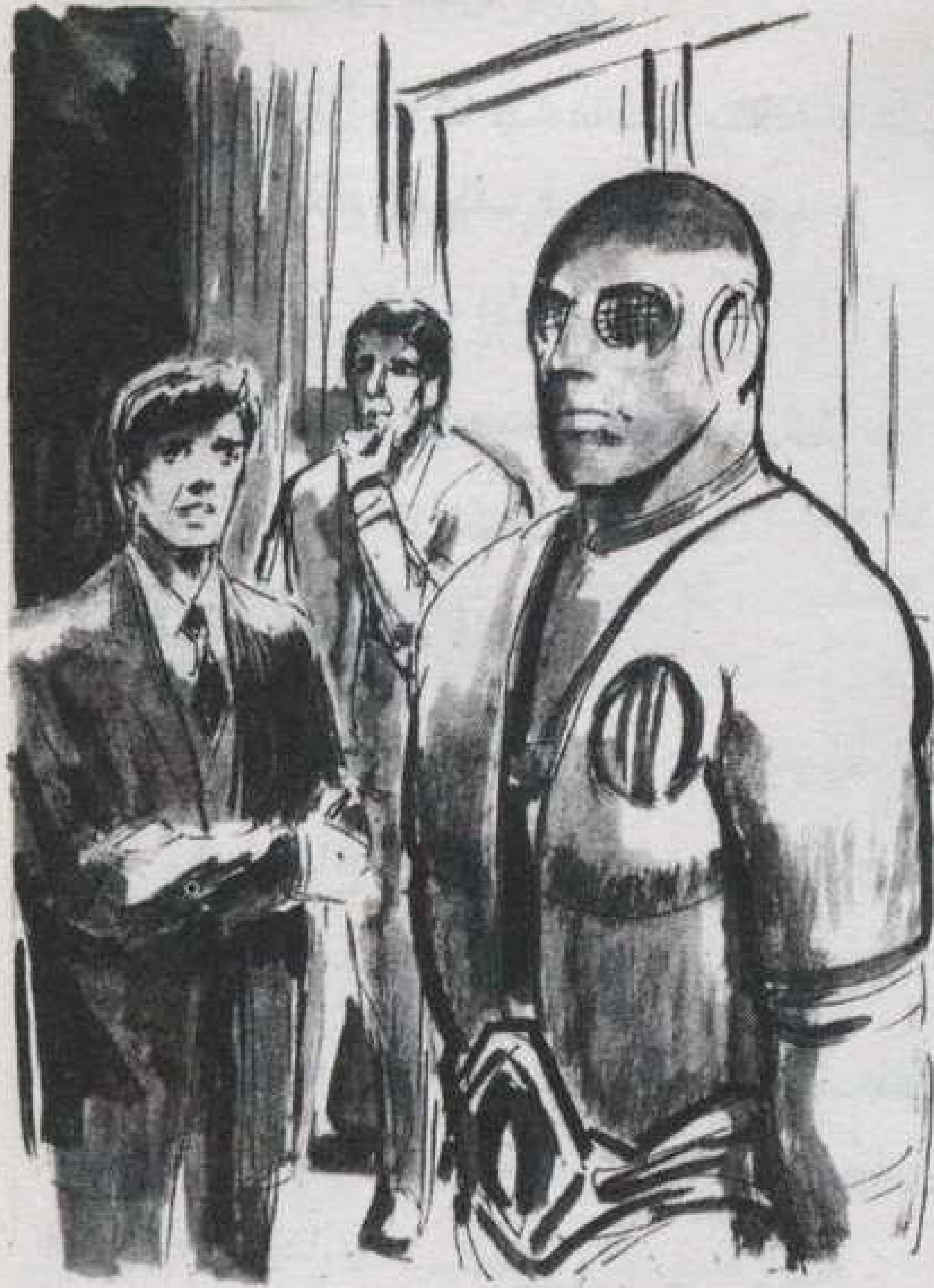
الأمل الآلى ..

وفى هدوء شديد ، قال (أمجد) :

ـ تعال هنا يا (س ـ ١٨) .

نطقها بصوت يشبه صوت (نور) ، بدقة مدهشة ، حتى لقد كاد (أكرم) يقسم إن هذا الواقف أمامه ، هو (نور) نفسه ..

و (رمزى) أيضًا ، اتسعت عيناه فى انبهار ، وهو يغمغم :



ولكن المؤشرات بالغة الدقة ، أيقنت من أنه ليس صوته ..

ـ مدهش .

لقد بدا لهما صوت (أمجد) نسخة طبق الأصل من صوت (نور) ..

وهى موهبة خاصة ، لم يبز أحد (أمجد) فيها ، منذ حداثته ..

موهبة قادرة على خداع أى مخلوق حى ..

وليس (س ـ ١٨) .

لقد التقطت أجهزة الأطلنطى الآلى الصوت ، الذى بدا شديد التشابه مع صوت (نور) .

ولكن المؤشرات بالغة الدقة ، أيقنت من أنه ليس صوته ..

وهنا ، استخدم (س ـ ١٨) نظره الكاشف ، وفحص وجه الواقف أمامه ..

وفى جزء من الثانية ، أدرك أنه ليس (نور) الحقيقى ..

وأن ما يرتديه مجرَّد قناع ..

لذا ، فقد ظلَّ ثابتًا جامدًا فى مكانه ، على نحو جعل (أكرم) يهتف فى إحباط شديد :

- رباه ! لقد كشف الأمر .

غمغم (رمزى) ، محاولاً إخفاء مرارته :

- أو أن طاقته قد نضبت ، و ...

قاطعه (أمجد) ، قائلاً :

- كانت مجرَّد محاولة فاشلة .

ثم انتزع قناع (نور) عن وجهه ، مكملاً فى ضيق :

- من الطبيعى أن أجهزته الدقيقة قادرة على كشف الحقيقة ، التى يمكنها أن تخدع الحواس البشرية وحدها .

هتف (أكرم) مبهورًا :

- ولكنك كنت مدهشًا .

هزَّ (أمجد) رأسه ، قائلاً :

- لم يعد الأمر عسيرًا كالسابق ، فالأجهزة الحديثة يمكنها أن تصنع قناعًا متقنًا خلال لحظات ، لو غذيتها بصورة هولوجرامية لوجه الشخص ، الذى ترغب فى صنع القناع الخاص به ، والملفات المتاحة ، على شبكة المعلومات ، تزخر بتلك الصور الهولوجرامية .

قال (أكرم) فى حزم :

- ولكنك قلتها بنفسك يا سيِّد (أمجد) ... التنكر ليس قناعًا فحسب ، وأنت كنت .. كنت .. كنت عبقريًا .

همَّ (أمجد) بالتعقيب على قوله ، لولا أن

ارتفع أزيز ساعته ، فألقى نظرة سريعة على شاشتها ، قبل أن يهتف :

- يا إلهى !

سأله (رمزى) فى قلق :

- ماذا حدث ؟!

احتقن وجه (أمجد) ، وهو يجيب :

- مهمة الرائد (أيمن) فشلت ، قبل أن تبدأ .

اتسعت عينا (أكرم) فى ارتياع ، وهو يهتف :

- رباه ! هل كشفوا أمره ؟!

أومأ (أمجد) برأسه ، مغمغمًا :

- وسحقوه سحقًا .

دار رأس (رمزى) ، وترك جسده يسقط على أقرب مقعد إليه ، وهو يلوّح بيده ، قائلاً :

- إنها النهاية إذن .. لم يعد هناك أمل فى النجاة .. أى أمل .. كل محاولاتنا فشلت ، و (س - ١٨) يرفض التحرُّك ، و ...

قبل أن يتمَّ عبارته ، اتسعت عيناه عن آخرهما فى ذهول ..

بل اتسعت عيونهم جميعًا ..

فما فعله (س - ١٨) فجأة ، وبلا مقدمات ، كان مذهلاً ..

مذهلاً بحق !

* * *

بمنتهى الحزم والصرامة ، تقدَّم (نور) إلى الأمام ..

تقدَّم خطوتين ، ثم توقَّف عاقدًا ساعديه أمام صدره ، قائلاً :

- هيا .. خذ ما يحلو لك .

انعقد حاجبا الإمبراطور ، وهو يقول فى صرامة غاضبة :

- ماذا تعنى أيها الأرضى ؟!

هزَّ (نور) كتفيه ، وهو يقول بالإنجليزية :

- أنت تقول : إنك قادر على انتزاع كل ماتريد من عقولنا .. خذ إذن كل ما يحلو لك من معلومات .

ازداد انعقاد حاجبى الإمبراطور ، وهو يهتف :

- ماذا تقول يا هذا ؟!

ارتسمت ابتسامة ساخرة على شفتى (نور) ، وهو يقول بالفرنسية :

- عجبًا ! ألم تفهم ما أقوله أيها الإمبراطور ؟!

انتفض الإمبراطور على عرشه ، وهبَّ واقفًا ، وهو يهتف فى حدة .

- هل تسخر منى أيها الأرضى ؟!

اتسعت ابتسامة (نور) ، وهو يقول :

- كلاًّ يا إمبراطور (هور) .. كل ما أردت أن أثبته ، هو أنه ، بدون رغبتنا وإرادتنا ، لايمكنك أن تنتزع منا معلومة واحدة .

صرخ الإمبراطور فى غضب هادر :

- إننى قادر على انتزاع ما أشاء من عقولكم .

أجابه (نور) فى حزم :

- المعلومات الأساسية فقط .. المعلومات التى يمكن أن يمنحها المرء بإرادته الحرة وحدها .. شىء أشبه بالتنويم المغنطيسى .. لا يمكنك أن تحصل إلا على ما أرغب أنا فى منحك إياه أو لا أجد حرجًا أو خطورة فى إعلانه .. اسمى .. لغتى .. هويتى .. عنوانى .. أما ما لا أسمح بمنحه ، فأنت لاتحصل عليه أبدًا .

هتف (عبد المنعم) فى لهفة :

- حقًا ؟!

تضاعف غضب الإمبراطور ، وهو يهتف :

- أنت أحمق أيها الأرضى .. كلكم حمقى .

قال (نور) :

- ربما يا إمبراطور (هور) ، ولكننا لسنا خونة .. تستطيع أن تقتلنا ، أو تعذبنا ، بأبشع وسيلة كانت .

ثم شدَّ قامته فى اعتداد ، مضيفًا فى صرامة شديدة :

- ولكنك لن تحصل على معلومات عن عالمنا قط .

انعقد حاجبا إمبراطور (هور) ، بغضب هادر رهيب ، وتفجَّرت فى ملامحه كل براكين الثورة ،

واشتعلت فى عينيه نيران الجحيم ، وهو يحدِّق فى (نور) ، ساخطًا محنقًا ..

ثم ، وبهدوء وبطء عجيبين ، عاد يستقرّ على مقعده ..

ولدقيقة أو يزيد ، ران على القاعة السوداء الكبيرة صمت رهيب ..

صمت مخيف ، جعل المكان أشبه بقبر ..

قبر للموت نفسه ..

ثم مال الإمبراطور إلى الأمام ، وقال بكل شراسته :

- عيبكم أيها الأرضيون ، أنكم عنيدون تمامًا .

وعاد يتراجع على عرشه ، مضيفًا :

- وهى صفة سيئة للغاية ، وتشفّ عن حماقة كبيرة .

غمغم (نور) ساخرًا :

- ربما بالنسبة لكم .

مطَّ الإمبراطور شفتيه ، قائلاً :

ـ ربما .

وأدار عينيه فى وجوههم ، مضيفًا :

ـ ولكنها صفة عجيبة أيضًا ، فى عالم بدائى كعالمكم .

قال (نور) فى حزم :

ـ وهل تعتبر عالمكم متحضرًا ؟!

قال الإمبراطور فى صرامة :

ـ إنه أرقى من عالمكم على الأقل .

هتف (نور) :

ـ هراء .

انعقد حاجبا الإمبراطور فى حدة ، وهو يردِّد غاضبًا :

ـ هراء ؟!

أجابه (نور) فى حسم :

ـ بالتأكيد .. هراء .. ربما كنتم أكثر تطورًا ، من الناحية التقنية أو العسكرية ، ولكنكم بالتأكيد لستم أكثر تحضرًا ، والفارق كبير بين التطور والتحضر .. وما رأيناه هنا ، فى الدقائق القليلة الماضية ، جعلنا ندرك جيدًا مصير عالمنا ، لو أنكم نجحتم فى احتلاله .. ستراق الدماء ، وتزهق الأرواح ، وتتحطم النفوس ، ويسود الرعب ، والفزع ، والهلع ، والخراب ، والدمار ..

والتقط نفسًا عميقًا ، وهو يضيف فى صرامة :

ـ لهذا ، لن تحصل منا على معلومة واحدة .

قال الإمبراطور فى حدة :

ـ مهما كان الثمن .

التقى حاجبا (نور) ، وهو يتطلَّع إلى زوجته وابنته ، فضمَّت (سلوى) (نشوى) إلى صدرها ، وقالت فى حزم :

ـ نعم أيها الإمبراطور .. مهما كان الثمن .

سألهم الإمبراطور فى غضب :

- هل تتصوَّرون أن عنادكم سيمنعنا من احتلال عالمكم ؟! ألا تدركون القاعدة السائدة فى الكون ؟! الأقوى دائمًا هو السيِّد .. من يمتلك القوة يمتلك السيادة .. نحن الأكثر قوة ، ولهذا سنصبح سادة الكون .. الكون كله .

قال (نور) فى حزم :

- من يدرى ؟!

ردَّد الإمبراطور فى غضب ثائر مستنكر :

- من يدرى ؟! أنا أدرى أيها الأرضى .. أنا أعلم .

هتفت (نشوى) :

- اللَّه (سبحانه وتعالى) وحده يعلم ، ما الذى يمكن أن يحدث فى اللحظة التالية ..

مطَّ الإمبراطور شفتيه فى ازدراء ، قائلاً :

- حمقى .

ثم انعقد حاجباه فى شدة ، مضيفًا :

- وللحماقة دواء واحد فى عالمنا .

قالها ، واستدار إلى أحد رجاله ، دون أن ينبس ببنت شفة ، ثم أدار عينيه إلى (نشوى) ، بكل غضب الدنيا ..

وبحركة سريعة ، رفع الحارس الإمبراطورى فوهة مدفعه نحو (نشوى) ..

وصرخ (نور) ، بكل ذعر ولوعة الدنيا :

- لا !!!!!!!!!!!!!! .

ولكن الحارس ضغط زر مدفعه ..

وانطلقت نيرانه القاتلة ..

نحو (نشوى) ..

مباشرة .

* * *

٩ ـ الختام ..

« والقوات كلها مستعدة أيها القائد .. »

نطق كبير ضباط جيش (هور) العبارة فى حزمٍ ، فانعقد حاجبا (براشر) فى شدة ، وهو يتطلّع إلى كل قواته ..

آلاف الجنود ، المسلحين ، الذين يحملون أسلحة رهيبة ، لا قبل للجيوش الأرضية بها ..

المقاتلات الرهيبة ، القادرة على دك مدن بأكملها ، فى دقائق معدودة ..

الوحوش الضخمة ، المسئولة عن التهام الضحايا ، وإخلاء ساحة القتال ، من الموتى والجرحى والمصابين ..

كل شىء صار مستعدًا للهجوم الكبير ..

كل شىء ..

وطبقًا لتقديرات علماء الحملة ، وتقييمهم لأسلحة وقدرات الأرضيين ، فالمعركة لن تستغرق سوى ساعة واحدة ..

ساعة تنسحق خلالها المقاومة سحقًا ..

وتندك فيها كل مدن (مصر) دكًا ..

وبعدها ، سيمتدّ الهجوم إلى العالم ..

العالم كله ..

وفى ظفر مسبق ، تألّقت عينا (براشر) ، وهو يرفع يده ، ثم يشير إلى الأمام فى قوة ، هاتفًا :

ـ هجوم .

وهنا بدأت حملة الهجوم ..

الهجوم الشامل ..

والساحق ..

والأخير ..

* * *

فجأة ، أدار (س ـ ١٨) وجهه نحو الشرفة ..

ثم انطلق ..

انطلق بسرعة مذهلة ، وقوة مفزعة ، حتى إنه قد حطّم إطار الشرفة كله ، وهو يرتفع فى السماء ، كصاروخ رهيب ، شقَّ طريقه كخيط من اللهب ..

أو من النور ..

وفى ذهول مذعور ، هتف (أكرم) :

ـ ماذا حدث ؟! يا إلهى ! ماذا حدث ؟!

هتف (رمزى) فى انفعال :

ـ لقد تلقَّى إشارة ما .

وانعقد حاجبا (أمجد) ، دون أن ينبس ببنت شفة ..

ولكن عقله كان يعمل بسرعة الصاروخ ..

لقد انطلق الآلى فجأة ، بعد أن رفض الاستجابة تمامًا من قبل ..

وهو لا يطيع سوى صوت (نور) ..

(نور) وحده ..

وهذا يعنى أنه قد تلقَّى إشارة ما من سيِّده ..

إشارة ما ..

من مكان ما ..

أو عالم ما ..

هذا هو التفسير المنطقى ..

الوحيد ..

والواقع أن هذا التفسير كان منطقيًا وصحيحًا إلى حد مذهل .

فبوسيلة ما ، وعبر عالمين ، تربطهما فجوة واحدة ، استقبلت أجهزة (س ـ ١٨) ، البالغة الدقة والتطورُ ، تلك الصرخة التى أطلقها (نور) ، فى بلاط إمبراطور (هور) الوحشى ..

وأدرك أن سيِّده فى خطر ..

سيِّده الوحيد ..

ولأن الإشارة كانت آتية من بعيد ..

بعيد جدًا ..

فقد كان من المحتم أن ينطلق بأقصى سرعة .

وألا يضيع جزءًا من الثانية ..

وهذا ما فعله (س ـ ١٨) بالضبط ..

لقد انطلق فى سماء (مصر) بسرعة خرافية ، تكاد تقارب سرعة الضوء ، قبل أن ينقضَّ على المنطقة (ص) ..

ومع انقضاضه ، التقطت أجهزته وجود غلاف واق قوى ، يحيط بالمنطقة كلها ..

وفى جزء من الثانية ، حلَّلت برامجه طبيعة ذلك الغلاف ..

ثم اخترقه جسده الآلى فى عنف ..

اخترق الغلاف ، الذى لم تنجح الصواريخ ومدافع الليزر فى اختراقه ..

ومع الاختراق المباغت العنيف ، دوت فرقعة قوية ، فى المنطقة كلها ، وانطلقت كل أجهزة الإنذار دفعة واحدة ، فانعقد حاجبا (براشر) ، وهو يهتف :

ـ ما هذا بالضبط ؟!

لم تكن عبارته قد اكتملت بعد ، عندما التقطت الأجهزة جسم (س ـ ١٨) ..

وفى جزء من الثانية ، انطلقت كل وسائل الدفاع نحوه ..

سيل من النيران ، والأشعة الخضراء الساحقة ، والفقاقيع المدمرة ، و ...

وارتطم كل هذا بجسد (س ـ ١٨) ، وأحاط به فى قوة ..

ولكن جسد الآلى تألَّق على نحو عجيب .. وقوى ..

واتسعت عيون الجيش الرهيب ، و (براشر) يهتف فى توتر بالغ :

ـ ما هذا بالضبط ؟! سلاح أرضى جديد .

مع آخر حروف عبارته ، انفجرت الفقاعات المحيطة بالجسد الآلى ..

الفقاعات التى نجحت منذ قليل ، فى احتواء انفجار نووى محدود ..

وصرخ (براشر) ، وهو يتراجع مذعورًا :

ـ لا .. مستحيل ! مستحيل ! أطلقوا كل أسلحتكم .. كلها .

انهال سيل آخر من النيران والأشعة على (س ـ ١٨) ..

واستقبلها الجسد الآلى القوى ، لتنفجر على صدره وحوله ..

ولكنه لم يكن يملك الوقت للتعامل معها ..

لذا فقد تجاوزها كلها ، وهو يسجِّل قواتها واتجاهاتها ، ثم يندفع نحو الفجوة بين العالمين ..

وصرخ (براشر) :

ـ لا .. لا تسمحوا لـه بـالعبور .. امنعوه .. امنعوه بأى ثمن .

ولكن أية قوة فى الكون لم تكن قـادرة علـى إيقاف (س ـ ١٨) فى اللحظة بالذات ..

لقد كان ينطلق لإنقاذ سيِّده (نور) ، والاستجابة لصرخته ..

ولكن السؤال الحقيقى هو : ـ هل سيصل فى الوقت المناسب ؟!

هل ؟!

★ ★ ★

فى نفس اللحظة ، التى أطلـق فيهـا الحـارس الإمبراطورى نيرانه ، وثب الجندى (عبـد المنعم) إلى الأمام ، صارخًا :

ـ لا ..

اعترض جسده نيران المدفع ، التى اخترقت صدره ، ودفعته إلى الخلف فـى عنـف ، ليرتطم بـ (نشوى) ، ويسقط معها أرضًا .

وانعقد حاجبا الإمبراطور ، وكأنمـا لـم يفهـم أو يستوعب ما حدث ، فى حين اندفـع (نـور) نحو (عبد المنعم) ، صائحًا :

ـ يا إلهى ! كيف فعل هذا ؟! كيف ؟!

كان (عبد المنعم) يلفظ أنفاسـه الأخيرة ، ولكنه ابتسم فى تهالك ، وسأل (نور) :

ـ هل يكفى هذا لتغفروا لى ؟!

هتف (نور) :

ـ نغفر لك ؟! إننـا ندين لـك بحيـاة ابنتنـا يا رجل .

تنهَّد ، وتمتم :

ـ حمدًا للّه .. حمدًا للّه .

وفاضت روحه إلى بارئها ، و (نشوى) تهتف فى انفعال ، ودموعها تغرق وجهها فى غزارة :

ـ لقد أنقذ حياتى .. لقد أنقذ حياتى .

انتفض الإمبراطورِ فى غضب ، وهبّ واقفًا ، وهو يقول فى ثورة :

ـ لقد سئمت كل هذا .

ثم أشار إلى رجاله ، صارخًا :

ـ اقتلوهم جميعًا .

وارتفعت فوهات مدافع حراسه ، نحو (نور) و (سلوى) و (نشوى) ، و ...

وفجأة ، اقتحم (س ـ ١٨) المكان ..

اقتحم الجدار بمنتهى العنف ، وانقض على حراس الإمبراطور مباشرة ..

واستدار إليه الحراس فى عنف ..

وارتفعت فوهات مدافعهم ..

ولكن (س ـ ١٨) أطلق من أصابعه حزمة من الليزر ..

حزمة سحقت رجال الحراسة بلا رحمة ..

وتراجع الإمبراطور فى هلع ، و (س ـ ١٨) يهبط أمام (نور) مباشرة ، مردِّدًا عبارته الوحيدة :

ـ (س ـ ١٨) فى خدمتك يا سيِّدى .

هتفت (سلوى) و(نشوى) ، فى سعادة هائلة :

ـ (س ـ ١٨) .. يا إلهى ! لقد عاد .

أما (نور) ، فقد بدا عليه التأثُّر ، وهو يقول :

- (س - ١٨) .. لماذا تبدو لى دائمًا أشبه بالملاك الحارس ، الذى يظهر وقت اللزوم ؟!

ردَّد (س - ١٨) :

- (س - ١٨) فى خدمتك يا سيِّدى .

اتسعت عينا الإمبراطور لحظة ، فى ارتياع شديد ، قبل أن ينعقد حاجباه فى غضب هادر ، وينتزع سلاحًا من جزء خفى فى عرشه ، قائلاً :

- لا .. لن نخسر معركتنا بهذه البساطة .

ثم رفع سلاحه ، صارخًا :

- الموت لكم جميعًا .

انطلقت من سلاحه كرة نارية عجيبة ، تضخَّمت فى سرعة ، وهى تتجه نحو (نور) وزوجته وابنته مباشرة ..

وبسرعة مذهلة ، تحرَّك (س - ١٨) ..

وثب إلى الأمام ، ورفع ذراعيه على جانبيه ، وفرد كفيه عن آخرهما ..

ومن أصابع كفيه ، انطلقت صاعقة عجيبة ..

صاعقة كانت لها فرقعة مكتومة ، وهى تنتقل ، من يد إلى أخرى ..

ثم تتمدَّد بسرعة مدهشة ..

وارتطمت كرة النار المتضخِّمة ، بتلك الصاعقة ..

ودوت فى المكان فرقعة أخرى ..

ثم ارتدَّت الكرة إلى مصدرها ..

بمنتهى العنف ..

وصرخ إمبراطور (هور) ، بكل رعب الدنيا ، والتصق بعرشه ، و ...

وارتطمت بهما كرة النار الرهيبة ..

ومع ارتطامها ، انطلق فى المكان كله صوت أشبه بـالفحيح ، مـع دخـان كثيـف ، تلاشى فى سرعة ، ليترك خلفه مشهدًا رهيبًا ..

كومة غير منتظمة ، هى مزيج من (إمبراطور هور) وعرشه الضخم ، اللذين ذابا ، وامتزجا ببعضهما ..

وفى انفعال ، هتفت (سلوى) :

ـ يا للبشاعة !

انعقد حاجبا (نور) ، وهو يقول :

ـ لقد كان يستحق هذا .

ثم التفت إلى (س ـ ١٨) ، قـائلاً بلهجـة آمرة :

ـ (س ـ ١٨) .. الأرض تواجه خطر غزو جديد .

ردَّد الآلى :

ـ (س ـ ١٨) فى خدمتك يا سيِّدى .

قال (نور) فى حزم :

ـ أعدنا إلى عالمنا يا (س ـ ١٨) ، ثم أوقف الغزو .. أعد تلك القوات الغازيـة إلـى عالمهـا ، ثم أغلق تلك الفجوة .. هل تفهم ؟!

أجابه الآلى بعبارته الوحيدة :

ـ (س ـ ١٨) فى خدمتك يا سيِّدى .

رفع (س ـ ١٨) يديه ، وأحاط بهما (نور) و (سلوى) و (نشوى) ، فغمغمت الأخيرة فـى قلق :

ـ ماذا سيفعل بالضبط ؟!

قال (نور) فى حزم :

ـ مع (س ـ ١٨) ، لا تشعرى بالقلق أبدًا .



انطلقت طاقة عجيبة من كفى (س - ١٨)
لتحيط الثلاثة بكرة عجيبة شفافة ..

مع آخر حروف كلماته ، انطلقت طاقة عجيبة ، من كفى (س ـ ١٨) ، لتحيط الثلاثة بكرة عجيبة شفافة ، حملها (س ـ ١٨) ..

ثم انطلق فجأة ..

وفى نفس اللحظة ، التى اقتحمت فيها القوات الإمبراطورية المكان ، كان هو يغادره بسرعة عجيبة ، ويعبر الفجوة بين العالمين ، ليعيد (نور) وزوجته وابنته إلى عالمهم ..

إلى الأرض ..

وفى ذهول وذعر وحيرة وارتباك ، حدقت القوات الإمبراطورية فى تلك الكتلة الرهيبة ، التى احتلت موضع الإمبراطور وعرشه الكبير ..

أما (س ـ ١٨) ، فقد تجاوز قوات الغزاة ، والغلاف الواقى ، ثم أنزل كرة (نور) و(سلوى) و(نشوى) على مسافة كيلومتر واحد منها ،

وضغط الكرة فى رفق ، فتلاشت دفعة واحدة ، وهو يكرِّر :

ـ (س ـ ١٨) فى خدمتك يا سيِّدى .

أشار (نور) بيده ، قائلاً :

ـ والآن أكمل مهمتك .

كرَّر (س ـ ١٨) عبارته ..

ثم انطلق ..

وبكل اللهفة ، ضغط (نور) زر ساعة اتصالاته ، وهو يقول :

ـ من المقدَّم (نور) إلى القيادة .. لقد عدنا إلى الأرض ، و (س ـ ١٨) يتولَّى عملية إنهاء الغزو الآن .

اتسعت عينا القائد الأعلى فى لهفة وانبهار ، عندما تلقَّى النداء ، وهتف بالآخرين ، فى غرفة العمليات السرية :

ـ رباه ! لقد عاد (نور) .

صاح رئيس الجمهورية فى لهفة :

ـ حقًّا ؟!

أومأ القائد الأعلى برأسه ، واتسعت ابتسامة الارتياح ، لتشمل وجهه كله ، وهو يقول :

ـ نعم يا سيادة الرئيس ، وساعة الاتصال لديه عادت تعمل بكفاءة ، بعد أن عجزت عن الاتصال به طوال الوقت .. من الواضح أن الأزمة قد انتهت .

ثم أدار عينيه فى وجوه الحاضرين ، مضيفًا :

ـ وبناء على المعطيات الجديدة ، يمكنكم اعتبار أن الغزو قد انتهى أيها السادة ..

وكان فى هذا صادقًا ..

تمامًا ..

* * *

كل أسلحة الغزاة انطلقت نحو (س ـ ١٨) ..

وكل أسلحته انطلقت نحوهم أيضًا ..

وكانت النتائج مذهلة ، إلى أقصى حد ..

الأطلنطى الآلى صمد أمام كل ضرباتهم ، فى حين راحت أسلحته تنسفهم نسفًا ، وتسحقهم سحقًا ..

وبكل هلعهم ورعبهم ، راح الغزاة ينسحبون مذعورين ، ويحاولون عبور الفجوة ، عائدين إلى عالمهم ، فى ارتباك بلا حدود ..

وهنا توقَّف (س ـ ١٨) ..

فالمشهد كان يؤكد أنه ليس هناك داعٍ لمواصلة القتال ..

كل ما عليه أن ينتظر ، حتى يتم الانسحاب ..

ولم يستغرق الأمر ، ممن تبقوا ، سوى دقائق معدودة ، بعد أن تركوا كل أسلحتهم ومعداتهم خلفهم ..

وهنا ارتفع (س ـ ١٨) بجسده ، حتى بلغ منتصف الفجوة بين العالمين .. منتصفها تمامًا .

ثم راح يدور حول نفسه .

ويدور ..

ويدور ..

وفى كل دورة كانت سرعته تتضاعف ..

وتتضاعف ..

وتتضاعف ..

ثم راحت تنطلق منه صواعق أرجوانية اللون ، و ...

ودوى انفجار رهيب ..

وبعده تلاشت الفجوة بين العالمين ، ولم يعد لها أثر ..

أدنى أثر ..

« هذا ما سجلته شاشات الرصد الخاصة ، فى وزارة الدفاع .. »

نطقت (مشيرة) العبارة فى زهو ، على شاشات (أنباء الفيديو) ، التى تعلقت بها عيون العالم أجمع ، وهى تضيف بابتسامة كبيرة :

- ولقد حصلت (أنباء الفيديو) على الامتياز الوحيد ، لعرض هذا التسجيل النادر ، الذى ينقل صورة واضحة للبطل الآلى (س - ١٨) ، الذى كان له الفضل ، بعد اللّه (سبحانه وتعالى) ، والجهود المشتركة للقادة ورجال الأمن ، فى إنهاء الغزو ، قبل أن يبدأ ، ولقد صرَّح السيِّد رئيس الجمهورية بأنه سيتم اتخاذ كل الإجراءات الأمنية

الممكنة ، لمنع حدوث أى غزو مماثل فى المستقبل ، كما أكَّد السيد وزير الدفاع أن ..

أغلق (أمجد) شاشة الهولوفيزيون ، فى صالة منزل (نور) ، وهو يبتسم ، قائلاً :

- (س - ١٨) أصبح بطلاً قوميًّا عالميًا . وسيحصل على وسام الشجاعة .

هزَّ (نور) رأسه فى حزن ، قائلاً :

- عجبًا ! كيف يمكن أن يحصل عليه ، وأن يصبح بطلاً قوميًّا ، على الرغم من اختفائه هكذا ؟!

تنهَّد (أمجد) ، قائلاً :

- إننا نواصل البحث عنه ، فى المنطقة (ص) كلها ، ولكن العجيب أننا لم نعثر له على أدنى أثر ، ولم نعثر أيضًا على ذلك الـ (ميجالون) ، الذى اختفى تمامًا ، وكأنما لم يكن له وجود من قبل .

تساءلت (سلوى) فى اهتمام :

- أمن الممكن أن يكون (س ـ ١٨) قد بقى هناك .. فى عالم (هور) ؟!

مطَّ (أمجد) شفتيه ، مجيبًا :

- هذا أحد الاحتمالات ، ولكننا لا نستطيع أن نعلن اختفاءه ، أو ماحدث لأسلحة ومعدات الغزاة ، التى انفجرت وحدها بعد رحيلهم ؛ لأن ما أصاب أقمارنا الدفاعية قد يغرى بعض الدول بمحاولة الاعتداء علينا أو استعمارنا ، قبل أن نعيد إصلاحها وتشغيلها ، ولكن لو تصوَّروا أن (س ـ ١٨) مازال هنا ، وأننا قد حصلنا على كل أسلحة الغزاة المتقدِّمة ، فسيمنعهم هذا من مجرَّد التفكير فى الأمر ..

ثم أدار عينيه إلى (نور) ، وابتسم ابتسامة هادئة ، مستطردًا :

- أما بالنسبة لـ (س ـ ١٨) ، فما دام قد عاد سابقًا ، فما الذى يمنعه من العودة مرة أخرى مستقبلاً ؟

تنهَّد (نور) ، قائلاً :

- لا يمكنك أن تتصوَّر كم أتمنى هذا .

ربَّت (أمجد) على كتفه ، ثم أشار إلى زميله (حاتم) ، قائلاً :

- من الأخبار الجديدة أيضًا أن السيد رئيس الجمهورية قد قرَّر إنشاء جهاز أمنى جديد ، يتكوَّن من أفضل العناصر الأمنية ، وأسند إلىَّ مهمة الإشراف عليه ، ولقد اخترت زميلى (حاتم) لرياسته ، ورشحت للعمل فيه بعض الأسماء ، التى أثق بكفاءتها ووطنيتها .

ثم ابتسم ، وهو يتطلَّع إلى (أكرم) ، مضيفًا :

- وعلى رأسهم أنت يا سيِّد (أكرم) .

ارتجفت شفتا (أكرم) ، فى انفعال وتأثُّر ، وهو يهتف :

- أنا ؟!

ربَت (حـاتم) على كتفـه فى حماسـة ، قائلاً :

- بالتأكيد يا رجل .. لو لم تستحق هذا ، بعد كل ما فعلته من أجل رفاقك ، فمن يستحق ؟! صدقنى .. أنت بطل .. بطل حقيقى .

ارتجفت شفتا (أكـرم) أكثر ، وحـاول بقوة كتمان دموع تأثُّره ، وهو يقول :

- يا له من شرف حقيقى !

هتفت (نشوى) :

- مرحى يا (أكرم) .. أنت تستحقها بالفعل .

وابتسمت (سلوى) قائلة :

- أهنئك .

وهـزَّ (رمـزى) رأسـه ، قائـلاً بابتسـامة كبيرة :

- كنت أعلم أنك ستبلغ شأنا كبيرًا ذات يوم .

أما (نور) ، فقد أخفى تأثُّره بـدوره ، وهو يقول :

- مبارك .

هزَّ (أكرم) رأسه ، قـائلاً ، وقد عجز عن إخفاء دموعه ، فأشاح بوجهه لإخفائها :

- لم أحلم يومًا بأفضل من هذا التكريم .

ومسح دموعـه بأصابعـه ، ثم التفـت إليهـم ثانية ، مضيفًا فى حزم :

- ولكننى لا أستطيع الانفصال عن فريقى .

ارتفعت حواجبهم لحظة فى دهشة ، ثم تفجَّر التأثُّر فى ملامحهم جميعًا ، و (أمجد) يبتسم ، قائلاً :

- هذه هى روح الفريق الحقيقية .

وربَّت (حاتم) على ظهر (أكرم) فى قوة ، هاتفًا :

- ألم أقل لكم : إنه بطل حقيقى ؟! يا إلهى ؟ كم كنت أتمنى لو وافقت على الانضمام إلينا يا رجل .

اعتدل (أمجد) ، وهو يقول فى حزم :

- لا فارق يا صديقى .. كلنا فى النهاية نعمل من أجل هدف واحد .. من أجل (مصر) .

ثم التفت إلى (نور) ، الذى نهض بدوره ، فمدَّ (أمجد) يده إليه ، قائلاً :

- صدقنى أيها المقدَّم (نور) .. ربما لم نلتق كثيرًا ، خلال العمليات التى جمعت بيننا ، ولكننى لا أبالغ مطلقًا ، عندما أقول : إن العمل معك كان ممتعًا .

شدَّ (نور) على يده فى قوة ، قائلاً بصدق وحماسة :

- أما العمل معك ، فهو متعة وشرف أيضًا يا سيد (أمجد) ، فأنت المثل الأعلى لى ، ولكل رجل أمن ، منذ طفولتنا .

ابتسم الكل ، وهم يشاهدون تلك المصافحة ، بين أفضل قائدين عرفوهما فى حياتهم كلها ..

وفى أعماقه ، شعر (أكرم) أنه يشاهد لحظة تاريخية حقيقية ..

لحظة تمنى لو أمكنه أن يسجلها ، ويحفظها لكل الأجيال القادمة ..

ففى رأيه ، كان (نور) و(أمجد) ، وأمثالهما ممن يقاتلون ويعملون من أجل أوطانهم ، هم السادة الحقيقيون ..

سادة الكون .

* * *

سادة الكون

• هل يمكن أن تواجه (الأرض) غزوا جديدا ، من عالم وحشى ؟!

• كيف يمكن أن يعمل (نور) و(أمجد صبحى) ، لمواجهة ذلك الغزو ؟!

• ترى من يربح المعركة الأخيرة ، ومن يستحق فى النهاية لقب (سادة الكون) ؟!

• اقرأ التفاصيل المثيرة ، وقاتل مع (نور) وفريقه .. من أجل الأرض ..



العدد القادم

؟



د. نبيل فاروق

ملف المستقبل

سلسلة روايات بوليسية للشباب من الخيال العلمى

134

الثمن فى مصر ٢٠٠
ومايعادله بالدولار الأمريكى
فى سائر الدول العربية والعالم

